شؤون فلسطينية

٢٥

أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٢٥ — ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣

شهرية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

هيئة التحرير : المقدم الهيثم الايوبي ، بلال الحسن ، د. سعيد حمود ، احمد خليفة ، الحكم دروزة ، د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، منير شفيق ، د. صادق العظم ، ناجي علوش ، حبيب تهوجي ، د. محمد المجذوب ، عبد الحفيظ محارب ، د. حنا ميخائيل .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين.

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحات ، بيروت .

ثمن العدد : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف : كتب عن الارهاب الصهيوني .

المحتويات

صفحة ٤ - **عازف الكمان على الجمجمة** ، محمود درويش .

٨ **سياسة اللاانحياز : تقييم جديد ومهمات جديدة** ، الدكتور كلوفيس مقصود .

١٧ **« الوفاق » وأزمة الشرق الاوسط** ، عبد القادر ياسين .

٢٥ **مصادر دراسة الارهاب الصهيوني** ، الدكتور جورج طعمه .

٥١ **غرباء في وطنهم : البيئة والاوضاع السياسية للعرب في اسرائيل** ، صبري جريس .

٧١ **خواطر حول مشكلات التعبير والاتصال الشعريين في المجتمع العربي** ، أدونيس .

٨٣ **خروج محمود درويش : هل قتل الشاعر أم بعثه ؟** ريتا عوض .

١٠٢ **التربية الثورية الفلسطينية** ، باسم سرحان .

١١٠ **الصناعة الحربية الاسرائيلية وعقدة « السوبر »** ، هشام عبدالله .

١١٩ **المؤتمر الاسلامي العام (١٩٣١)** ، عادل حسن غنيم .

١٣٦ **«دراسة نقدية لفكر المقاومة» منهج خاطىء ونتائج مضللة**، نزيه ابو نضال .

١٤٧ **مراجعات** : نحو ثورة فلسطينية جديدة ، وليد نويهض . هجرة الادمغة والهجرة المضادة من اسرائيل ، الدكتور محمد المجذوب . جذور القضية الفلسطينية ، ناجي علوش . مذكرات حسني صالح الخفش حول تاريخ الحركة العمالية العربية الفلسطينية ع. ي. . تعقيب من مؤلف سياسة اسرائيل الخارجية في افريقيا ، محمد علي العويني . تعقيب من مؤلف فلسطين عبر ستين عاما ، اميل الغوري .

١٦٧ **ثقافة** ، الياس خوري .

١٧٣ **تقارير اعلامية** : مقابلة جديدة مع اسرائيل شاهاك . تقرير حول احداث ميونخ ، لجنة مناصرة الحركات الثورية في المنطقة العربية ـ فرانكفورت. القضية الفلسطينية في كتب التاريخ المدرسية الاميركية ، الدكتور الياس زين . العرب واسرائيل والغرب : دراسة للتصورات والصور النمطية ، الدكتور ميشال سليمان . الدعاية الصهيونية في بريطانيا : « الجويش اوبزرفر كحالة للدراسة » م. ع. . النشاط الاسرائيلي في الهند ، الدكتور محمود نديم حسون .

٢١٤ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخنيني . تحركات أهالي المخيمات الفلسطينية في الجنوب ضد سياسة التعطيش والاهمال التي تتبعها وكالة الغوث ، هاني م. (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش . مع ملحق عن الاردن ، عيسى عبدالحميد . (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، ك.م. (٤) المناطق المحتلة ، عبد الحفيظ محارب . (٥) اسرائيليات ، هاني عبدالله وعماد شقور . (٦) القضية الفلسطينية عسكريا ، المقدم الهيثم الايوبي . جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٧/١٤ ـ ١٩٧٣/٨/١٣ ، غازي خورشيد .

٢٥٩ **ملف عن دول عدم الانحياز والقضية الفلسطينية .**

٢٧٠ **عارف العارف فلسطيني فريد** ، أ. ص.

عازف الكمان على الجمجمة !..

محمود درويش

كنا نحملها حرفا حرفا ، نقطة نقطة ، ونسافر من جهات الدنيا الاربع الى برلين . هناك اكتمل الاسم ، فأطلقناه كالحمام والرصاص .. صرخة رددها نصف مليون حنجرة : فلسطين تحيا ..

وفي الطريق من الشرق الاوسط الى برلين ، كنا نقرأ مرثية الكراهية القبيحة التي اعلنها الغزاة عن موت فلسطين « التي لم تعد موجودة » . كانوا يترجمونها حرفا حرفا ونقطة نقطة .

برلين ! ما أقسى الزمن ، وما أشد طاعته حين تكون الايدي قوية وواعية . لقد أتعبتك القصائد التي تروي معجزة النهوض من بين الانقاض . ولكن ينبغي أن تفهمينا ، لاننا نستخرج اسمنا من بين الانقاض .

كان ياسر عرفات يستدرج ذكرياته في ذلك المساء الالماني الجميل : كم كبرنا ! . قبل أكثر من عشر سنوات كنا نتسلل الى مثل هذه المناسبة في وارسو . كنا ثلاثة أو أربعة شبان نكتب اسم فلسطين على باقطة صغيرة ، فلا يعرفنا أحد ولا يقبلنا أحد . كنا غرباء عن العالم . وكان الوفد الاسرائيلي كبيرا ، وكان العلم الاسرائيلي كبيرا .

وماذا في برلين اليوم ؟ . في مهرجان الشباب العالمي العاشر ، عرف الضمير الانساني العالمي المشترك في المهرجان أن فلسطين تلاحقه بقسوة المثول أمام امتحان القيم . وان قضية الحرية لا ينبغي ان تتحول الى وجهة نظر قابلة للحياد عند حدود فلسطين . فكان العالم المحتشد في برلين من قارات الارض كلها يهتف لفلسطين هتاف المستقبل والحاضر والماضي المشوب بالاحساس بالذنب والاثم أحيانا . ليس الشرق شرقا والغرب غربا الى هذا الحد . وان عقدة الذنب التي لاحقت الكثيرين من الاوربيين تجاه المصير اليهودي آخذة في التحول التدريجي ، عند الشباب خاصة ، تجاه المصير الفلسطيني الذي قُدِّم عقوبة مجانية لجريمة لم يرتكبها العرب . لقد تمادى الاسرائيليون في الابتزاز ، وتاجروا بكارثة آبائهم متاجرة دفعت الجيل الاوروبي الجديد الى اعادة النظر بذنب لم يرتكبه . ان جيل الشباب اليساري والديموقراطي الذي هز الغرب بمظاهرات التأييد لثورة الشعب الفيتنامي هو نفسه الذي يلتف اليوم حول حركة الشعب الفلسطيني التي تمثل جوهر قضايا الحرية في هذه المرحلة من العصر ، بكل ما تعنيه من مقاومة للأمبريالية العالمية وامتحان لجدارة الانتماء الى البشرية .

لم يدهشنا أن يتجاهل الغزاة الاسرائيليون هذا المعنى وهم ينظرون ، بحزن ، الى مهرجان برلين . لقد استسهل وزير خارجيتهم المتحذلق تفسير هذه الظاهرة الجديدة فنسبها الى « المعاداة الجديدة لليهود » . ولا يبدو ان الاسرائيليين سيكفون عن مطاردة الضمير الاوربي بذكريات ما حدث لليهود . ولا يبدو أنهم سيتوقفون عن اهانة

هذا الضمير بمحاولتهم دفعه الى معاملة جرائمهم ضد الفلسطينيين والعرب على أنها اجراءات عادلة تقتضيها متطلبات ارساء دعائم الحضارة الاوربية في الشرق ! . « من الغريب أن نرى كيف ان اليسار الثوري الذي هو على استعداد لدعم القتال في سبيل الحرية الفردية لكل يهودي ، يرفض الحريات الجماعية لليهود » . هكذا يقول أبا ايبن عن مهرجان برلين الذي ندد بالجرائم الجماعية التي ترتكبها اسرائيل وهي بمثابة تجسيد « الحريات الجماعية لليهود » . ان العطف على اليهودي المضطهد ، في فترة ما ، في اوروبا لا يشكل تعاطفا مع قيام المجتمع اليهودي في اسرائيل باعلان موت فلسطين والسعي المستمر الى قمع الشعوب العربية ومنعها عن التطور .

هذا هو معنى التحول التدريجي في نظرة اجزاء كبيرة من الشباب العالمي الى قضية فلسطين التي كانت القضية الاولى في مهرجان برلين ، ليس بسبب مهارة النشاط الذي اداره اعضاء الوفد الفلسطيني في المهرجان ، بل بسبب جوهر القضية ذاتها بالدرجة الاولى . لم نعد غرباء كثيرا عن العالم .. لا لان العالم افاق وحده ، ذات صباح ، فوجدنا اصحاب قضية عادلة . ولكن لاننا تحركنا ، لاننا مسسنا جسد العالم الذي يحب الراحة والرقص والغناء وتدخين الحشيش . لاننا لم نعد غرباء كثيرا عن انفسنا تضاءلت فجوة الاغتراب بيننا وبين العالم .

قبل عشر سنين لم يكن بوسع العلم الفلسطيني ان يرتفع على اي مكان .. لا في الشرق ولا في الغرب . فلماذا ملأ جدران برلين وساحاتها وقاعاتها وضمائرها وحناجرها اليوم ؟ . لماذا يدعى ياسر عرفات لان يكون ضيف شرف في هذا التجمع العالمي الضخم؟. كان دور العالم نحونا محددا : أن يبعث الينا بأكياس من الخبز والجبن والاقمشة التي تشكل وطنا . كنا اولادا عاقلين ، فكان العالم أعقل . وكان دورنا محددا : أن نقف طوابير منتظمة ببطاقات الاغاثة ، وان نجلس على ضفاف الجداول العربية لنغسل دموعنا على الوطن المجاور . كان العالم يأتينا ، وكنا ممنوعين من الذهاب الى العالم لئلا نغتال هدوءه بصرخة او مطلب . كان يجب ان نكون لاجئين .

وها نحن تغيرنا كثيرا ، فتغير العالم . حين غيرنا دورنا ، غيّر العالم دوره . انتقلنا من مفهوم المرتينة الذي يعني النخوة والمغامرة الفردية ومصاحبة المَوال الى مفهوم البندقية الذي يعني التنظيم والعمل الجماعي والثورة من أجل أهداف واضحة وعادلة . لم نعد لاجئين . صرنا مقاتلين . وحين نعمّق وعينا لموقعنا في حركة الصراع وتشابك عناصره نستطيع ان نبلغ حالة فرز الاصدقاء والاعداء . كان مهرجان برلين تجمعا لحركات الشباب اليساري في العالم . واكتسبنا تحالفهم على خلفية معنى وأبعاد الصراع الذي نخوضه . هذا هو سندنا العالمي لاننا نخوض معركة حرية وطنية ذات مضمون متقدم . ان تعميق مضمون حركتنا الثوري بأبعاده الوطنية والقومية والعالمية ، وتطوير ممارستنا وأساليبنا الثورية هما الشرطان اللذان يستقطبان مزيدا من تأييد أوساط ثورية وديموقراطية في العالم . ليس العالم واحدا . وليس الشرق شرقا والغرب غربا مرة اخرى . نحن جزء من الحركة الثورية العالمية بشقيها الشرقي والغربي . وليس زحفنا على الركب في اتجاه استعطاف الغرب الرسمي بقادر على تقليل غربتنا عن العالم . ان حركة علاقاتنا يجب أن تكون مضبوطة بجوهر قضيتنا التي هي قضية ثورية . وان ما أعطاه مهرجان برلين من تجسيد للتحول الايجابي في حركة علاقات المقاومة الدولية ، وفي الدرجة الاولى من تعميق الرابطة مع الاسرة الاشتراكية ، هو تطور بالغ الخطورة في تعمق مفاهيم الحركة الفلسطينية يكسبها سندا شديد القوة من جهة ، ويعرضها لمحاولات تصفية جديدة من أعداء هذا التحالف من جهة اخرى .

لم تعد فلسطين ورقة في أيدي أحد . ذهبت الى برلين في أيدي أصحابها . **لقد استقلت معنويا** . صارت تدخل من الابواب الرئيسية ولا تتسلل من النوافذ السرية او من حقائب الديبلوماسية . هذا هو أهم انتصار حققته حركة الشعب العربي الفلسطيني المسلحة. يبقى الحق مطارحة ذهنية ، اذا لم يسلح نفسه بالقوة . وهذا هو الفارق بين الحالة الفلسطينية في مهرجان وارسو وبين الحالة الفلسطينية في مهرجان برلين . لقد سلمتنا فيتنام الراية في ضمائر الشعوب . فهل نستطيع القيام بهذا العبء الثقيل ! . بقدر ما تكون المسؤولية عبئا بقدر ما تكون جدارة النضال .

كم تغير وجه العالم حين تغير وجهنا . كانت رايتنا تخرج من دمنا ومن بين الانقاض . وحين دخلت المدرج الكبير وقف العالم على أقدامه لتحيتها وغنى لفلسطين ، ولم يسأل أحد عن العلم الاسرائيلي الذي يرتفع بعيدا عن ضمير العالم على سطوح الجرائم في الشرق الاوسط . كانت أنغام عازف الكمان اليهودي الجالس على السطح خافتة لا تكاد تسمع ، لان هدير الطائرات الاسرائيلية كان عاليا ، وكان ينشر الموت على سطوح المنازل العربية . وكان الفارق بين عازف الكمان اليهودي وبين قائد الطائرة الاسرائيلي كبيرا جدا . وهذا هو السبب الذي لا يفهمه وزير الخارجية الاسرائيلي للتحول العميق لدى اليسار العالمي بين تأييده الحرية الفردية لليهودي ، ورفضه «الحريات الجماعية» التي تعني حرية اسرائيل في قتل العرب وفي ابتزاز العالم .
لم أتمكن من مخاطبة عازف الكمان اليهودي في مسرحية شالوم عاليخم الذي أبكى اوروبا على مصير عائلات يهودية تشردت في اوائل هذا القرن ، ولكنني تمكنت من مخاطبة مرافقي الالماني الذي شاهد المسرحية معي : هل ترى النفاق ؟ يبكون على بيت مهجور ، ولا يصمتون لحظة لنداء وطن مهدور .

ـ لم تكن أنغام هذا العازف مسموعة قبلما قاد ابناؤه الطائرات .

ـ من أجل هذا تخطفون الطائرات ، ليصير لكم صوت ؟

أنا الذي وجهت السؤال الى نفسي . ليست القضية متشابهة ، وليس الرد على العنف بالعنف [من الجانب الفلسطيني] شبيها بتحقيق الذات بالعنف [من الجانب الاسرائيلي] . ولكن ، لماذا تخطف الطائرات ؟ وبطريقة اخرى : من أين اكتسبنا كل هذه الخبرة في الاساءة الى انفسنا ؟ . ترددت صحف المانيا الديموقراطية في نشر نبأ حادثة مطار أثينا الدموية ، ثم نشرتها بحياء ، بينما اطلقتها وسائل الاعلام في المانيا الغربية بضجيج . هل يكفي ان نقول اننا غير مسؤولين عن هذا الحادث ولا عن اختطاف الطائرة اليابانية ؟ لقد نددنا وبقينا مسؤولين ، لان بعضنا جعل خطف الطائرات مرادفا للثورية الفلسطينية حتى سوغ لاي شاب ان يخطف طائرة باسم فلسطين .

وجهت سؤالا الى مرافقي : لماذا كل مشاهدي المسرحية شيوخ .. أين الشباب ؟ أعطاني جوابا خبيثا كسؤالي : قد يكونون في العمل . كانت الساعة العاشرة مساء . قلت : الناس محايدون بالطبيعة . والفن هو الذي يحركهم . لو استطعنا ان نقدم مسرحية عما يحدث لنا الان : عن عازف الكمان الاسرائيلي فوق الجمجمة ، لتغير شيء كثير في الوجدان . قال : ستجدون في القاعة مشاهدين شبابا أيضا ! .

ليس للحماقة قومية ولا جنسية . بعض الفلسطينيين المتحررين من الحكمة السياسية يجعل ، بسلوكه الطائش ، الجنرال ديان حكيما . واغلبية الاسرائيليين الغارقين في العجرفة والعنف تجعل حمقى الفلسطينيين حكماء . الفرق هو أن الجريمة الاسرائيلية ترتكبها دولة . والحماقة الفلسطينية يرتكبها أفراد . ها هي اسرائيل التي استصرخت العالم لضمان سلامة الاجواء العالمية ، ووصفت التعرض للطائرات بأنه جريمة وحشية

تقوم ، بسياستها وجيشها واعلامها ، بتبني الاسلوب الذي ترفضه ويرفضه العالم . وتنقض طائراتها الحربية على طائرة ركاب تقلع من بيروت الى بغداد . ان مـــا يكون جريمة حين يرتكبه الاخرون يصبح عملا وقائيا شرعيا حين ترتكبه « سيدة » العالم .. اسرائيل . لقد اساءت اسرائيل الى سمعتها السيئة بما لم تتمكن كل اجهزتنا الاعلامية من أن تفعله في حربها مع اسرائيل . ليس هذا هو المهم .. **المهم هو أن اسرائيل قدمت حجة قوية ومبررا كبيرا للعنف الفلسطيني** . لقد أسقطت عن نفسها ـــ ليس في نظرنا بل في نظر المحايدين ـــ صفة الدولة التي تتمتع بالشرعية الدولية وأسفرت عن كونهـــا تتصرف تصرف العصابات . لم تتأخر اسرائيل في قول الحقيقة عن نفسها بالنسبة لنا مرة اخرى ، **فنحن نعتقد أن خطف طائرة أهون بكثير من خطف أوطان** . ولكنها قالت الحقيقة عن نفسها للمحايدين الذين نسوا اسقاطها الطائرة الليبية واغتيالها فلسطين واراضي عربية شاسعة . كاد العالم أن ينسى أنها مجرمة فجاءت تذكره بهويتها . بنت أمريكـــا المدللة . سيقول عنها الامريكيون : لم يحدث شيء . البنت المدللة كانت تلعب فكسرت زجاجة . لم يحدث شيء . عاد الركاب سالمين . وها هي تخطف طائرة اخرى !.

وحين اعترى بعض الاسرائيليين القلق على سمعة اسرائيل من جراء هـــذه الجريمة وطالب وزير حربيته بالاستقالة ، دافع ديان عن نفسه امام الاسرائيليين وأمام الرأي العام العالمي بأنه كان ينوي أسر أحد زعماء المقاومة الذي كان من المقرر أن يسافر على متن الطائرة . فهل سيستطيع ديان القول ، دفاعا عن هذه النقطة ، انه يعتبر سكان الشرق الاوسط رعايا اسرائيليين له الحق في اعتقال من يخرج منهم عن القانون ؟ . ان اسرائيل هي المطلوبة للمثول امام محكمة الأخلاق العالمية ، هي التي يجب ان تؤسر في قفص الاتهام ، هي الخارجة عن الشرعية العالمية بمجرد دخولها هذه الشرعية ! وهذه الشرعية الدولية مطالبة بالتكفير عن اثمها وانقاذ شرفها ـــ اذا كان ذلك مهما ـــ لانها أجازت للجريمة التي تجاوز عمرها ربع قرن من الزمان ان تجلس مرتاحة آمنة علـــى اوراق ميثاق الامم المتحدة والقانون الدولي .

ـــ قل لعازف الكمان الجالس على السطح : ان حزنه قد وصل متأخرا .

ـــ ولكن لندن تنتظره منذ ثلاث سنين .

ـــ لقد بكت أوتاره في اوائل القرن ، فلماذا نسمعه الان .. الان فقط .

ـــ لانه صار قويا . ان حزن الضعفاء يا صديقي لا يصل .. لا يصل ابدا ، واذا وصل فانه يكون اعتداء على الراحة . هكذا العالم . وليس العالم كله لك .. لك الغاضبون ، وليست كل المدن غاضبة ، وليست المدينة كلها غاضبة . لقد صار بكاء الكمان اليهودي مسموعا الان من على سطح منزل في روسيا القيصرية ، لان ثمة كمانا وحشيا تعزفـــه اسرائيل على جمجمة في قلب فلسطين .

ـــ ولماذا تسمعونه هنا في برلين ؟

ـــ لان قصتنا معقدة . الم تتحدث كثيرا عن الفرق بين اليهودي والصهيوني ؟

ـــ تحدثت ، **ولكن الصهيوني سمسار الدم اليهودي** . يأخذ من أحزانه فتوى للقتل ويقول أنا مسكين . وأنتم عندما تبكون مع نداء الكمان البعيد قد لا تسمعون هدير طـــــائرة الصهيوني الفتاكة .

ـــ وما ذنب عازف الكمان البعيد ؟

ـــ لا ذنب لعازف الكمان البعيد .

ـــ لقد وصل حزنكم الينا لانه صار الى ثورة .. ونحن أصدقاء ..

وداعا برلين ..

سياسة اللاانحياز :
تقييم جديد ومهمات جديدة

الدكتور كلوفيس مقصود

تبدو كلمة « اللاانحياز » لاول وهلة ، وكأن لها مدلول سلبي وبالتالي فهي تعني انهـا سياسة تعرف ماذا ترفض اكثر مما هي قادرة على تحديد ماذا تريد . فاللا النـافية تعطي في الواقع هذا الانطباع ، الا ان الاكتفاء بهذا القدر من التعريف لا يفي مطلقـا سياسة اللاانحياز حقها . وتاريخ هذه السياسة حافل بانجازات ضخمة في مساعدة حركات التحرر في العالم الثالث وفي تخفيف حدة التوتر اثناء مرحلة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وفي توفير العناصر البشرية من أجل تنفيذ مهمات سلام في مناطق أزمة عديدة . وهنا لا بد من الاشارة الى ان سياسة اللاانحياز انبثقت في مرحلة كانت معرفة مـا نرفض بمثـابة بداية الطريق لاكتشاف ومـن ثم تحقيق مـا نريد .

نسوق هذه المحاولة لاعادة النظر في تعريف سياسة اللاانحياز بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة للدول غير المنحازة الان في الجزائر والذي ، كما في السابق تتمثل فيه منظمـة التحرير الفلسطينية لعرض قضايا نضال الشعب الفلسطيني ودراسة الوسائل الناجعة التي من شأنها ضمان القدر الاقصى من المساعدة لهذا النضال وارساء قواعد جديدة للعلاقات والتنسيق تأخذ بعين الاعتبار المتغيرات التي حدثت في الواقع العالمي وفي حالة المجابهات والتحديات التي تواجهها حركة التحرر الفلسطيني بشكل خاص وحركة التحرر العربي بشكل عام .

في هذا المضمار ، فان ميزة الرفض وان اتسمت بالسلبية تشكل ، كما شكلت فـي الماضي ، موقفا حاسما من تحالفات عسكرية واستراتيجية اعتبرتها القيادات الوطنية في العالم الثالث مقيدة لحركتها وبالتالي مؤدية الى فقدان الاستقلال مضمونه الحقيقي ، لان الاستقلال بالنسبة للحركات التحررية الاصيلة وللحكومات الوطنية التي انبثقت عنهـا — مثل الهند في اواخر الاربعينات ، ومصر عبد النـاصر في الخمسينات — لم يعـن ممارسة لاشكال ومراسيم السيادة بل لحق المبادرة الكاملة في اتخاذ الموقف في ضوء مصالح حماية المكاسب القومية وتطويرها من خلال التنمية والتحول الجذري فـي المجتمعات التي يعملون فيها او يتسلمون فيها مقادير السلطة . الا ان هـذه القوى المتحررة كانت ولا تزال تعتقد ان انجاز مهماتها الوطنية ، وفي مجالات التنمية والتحول بالذات ، تتوقف الى حد بعيد على مساهمتها في تخفيف حدة التوتر الدولي واشاعة جو الانفراج وتحويل مناطق الاحتكاك الى مناطق سلام .

الا ان هذه الاهداف المرحلية والبعيدة المدى اصطدمت ، كما كان متوقعا ، بسياسات الامبريالية التي تخلت عن أشكال الاستعمار التقليدية وتنازلت في كثير من المناطق عن الوجود الاستعماري المباشر لتمارس سيطرة استغلالية على الطاقات الاقتصادية وان

تستوعب ضمن اطارها الستراتيجي العام الدول الحديثة الاستقلال والتي لم تسمح لها الفرص ان ترسخ معالم سيادتها او أن تنفذ الى حقيقة التعقيدات القائمة والمستجدة في الواقع الدولي . من هنا وجدت سياسة اللاانحياز نفسها بحالة تصادم مباشر وغير مباشر مع القوى الامبريالية في العالم خاصة الولايات المتحدة التي انتقلت اليهـا بعد الحرب الثانية مواقع التوجيه الامبريالي في العالم وسعت بشكل دؤوب لتطبيق سياسة (املاء الفراغ) الذي احدثه انكفاء واضمحلال الاستعمارين الفرنسي والبريطاني .ولعل محاولات ترميم العلاقات الاستعمارية باشكال جديدة نجحت في قيام حلف بغداد اثنـاء العهد الهاشمي في العراق والذي كان لثورة العراق في ١٤ تموز الفضل الاكبر فـي تقويضه واخراج العراق من موقع التصادم مع حركة التحرر العربي الى موقع طليعي في هذه الحركة . لذلك يمكننا القول بأن سياسة اللاانحياز التي قام بتنفيذها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كانت اداة استنهاض وتعبئة للجماهير العربية في مجابهـة حركات الاستعمار الجديد ومحاولاته المتكررة ــ خاصة في الخمسينات وثم بالستينات ــ لتقويض المكاسب الوطنية للوطن العربي التي حققتها سياسة اللاانحياز .

من هنا يتبين لنا بوضوح ان سياسة اللاانحياز كانت بطبيعة ظروفها وخلفية الدوافع لتبنيها سياسة معادية للامبريالية ولمحاولاتها تطويق وتقييد الحركات التحررية في الوطن العربي وفي العالم الثالث . فهي اذا سياسة منحازة ضد الامبريالية بشكل حازم ونضالي وحاد . الا ان التقرير هذا لا يعفينا من الاشارة الى ان ميزة التصادم مع الامبريالية لم تكن في مستوى واحد من الوضوح او من الحدة عند كل الدول التي اعلنت التزامهـا بسياسة اللاانحياز . الا انه ، بالنسبة لحركة التحرر العربي ، يمكن الجزم بأن سياسة اللاانحياز عنت بالنسبة اليها سياسة مجابهة اصطدامية مع الامبريالية الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة .

ان السبب في هذا الطابع الاصطدامي لسياسة اللاانحياز العربية يعود الى ان المجابهة المصيرية مع اسرائيل والصهيونية العالمية ادت بحركة التحرر العربية ــ أكان علـى مستوى الحكومات المتحررة او على مستوى نضالات الجماهير ــ ان تكتشف العلاقة العضوية القائمة والمتزايدة بين اسرائيل وبين مصالح واستراتيجية الامبريالية الاميركية. الا انه كانت هناك محاولات عديدة في الساحة العربية من أجل استدراج العرب الـى تبديل قناعتهم هذه بانشاء علاقة تحالف مع الغرب على اعتبار ان الغرب ــ والولايات المتحدة فيما بعد ــ هو وحده القادر ان يلبي مطالب العرب بشأن القضية الفلسطينية اذا نحن أمنا مصالح الغرب الاقتصادية والدفاعية . كان هذا المنطق يسود المنطقـة وتعمل على اشاعته كل القوى الرجعية والمحافظة في الوطن العربي ، حتى جـاءت صفقة الاسلحة التشيكية التي عقدها الرئيس عبد الناصر عام ١٩٥٥ والتي كان مـن اولى نتائجها فك طوق الحصار الذي فرضه الغرب على العرب والذي ارتضته وعملت من أجله كل قطاعات الرجعية العربية . كانت صفقة الاسلحة التشيكية هي نقطـة تحول في تاريخ العرب المعاصر ، فمصر ــ وهي اقوى واكبر الدول العربية التحمت مع حركة الجماهير العربية في مطالبتها باعطاء معنى الاستقلال مضامين جوهرية وثورية ، تمكن العرب من التصدي لاعدائهم الخارجيين والداخليين . أدى هذا التحول الهام في سياسة مصر الى انقلاب مقاييس المنطقة واكساب قيادة عبد الناصر بعدا جماهيريا في الساحة العربية مكنه ان يخاطب الامة العربية فوق رؤوس حكوماتها المترددة او المائعة او الرجعية . كان لموقف مصر من قضية السلاح التشيكي ان كسر طوق احتكار الغرب للمنطقة وضع الامبريالية الاميركية ــ الغربية في موقع الدفاع عن النفس وجرأ الجماهير العربية على تصعيد مجابهاتها للانظمة المتخاذلة والمسببة لديمومة عنـاصر التجزئة والتخلف والتكاسل في التصدي لاسرائيل .

الا انه لا بد من التذكير أيضا ان الاتحاد السوفياتي خاصة في أواخر الحقبة الستالينية كان يندد بشدة بالدعوات لسياسة اللاانحياز . كان يتعمد تصوير الداعين لسياسة اللاانحياز بأنهم « احتياطيو الاستعمار الغربي » وان هذه السياسة « مشبوهة » من حيث انها تؤدي الى انقسام الجبهة المعادية للاستعمار . كان لا بد في اثناء هذه الحقبة، وكان جواهرلال نهرو أبرز الداعين لهذه السياسة ، ان يتحمل ممارسو سياسة اللاانحياز والداعون لها هذا الافتراء الصادر من القيادة الستالينية وان يضعوه ضمن اطاره الحقيقي . ولقد كان تقييم سياسة اللاانحياز لهذا الموقف السوفياتي المتزمت انه ناشىء عن واقع داخلي هو سجين قوالب نظرية جامدة لكنه لا يمكن أن يؤول الى تناقضات أساسية بين الاتحاد السوفياتي وحركات التحرر في العالم الثالث . فبالنسبة لهذه الحركات كان الاتحاد السوفياتي (الستاليني) ، ولا يزال ، قوة رئيسية في مناهضة الامبريالية الاميركية . وبالتالي فان أي تباين أو اختلاف في تحديد معنى اللاانحياز لا يمكن ان يحجب حالة التلاقي المنتظم والمتوقع بين حركات التحرر وبين الاتحاد السوفياتي ، واذا كان التشهير الستاليني بسياسة اللاانحياز أدى في بعض الاحيان الى انعكاسات سلبية في علاقة حركات التحرر مع بعض الاحزاب الشيوعية الا أن هذا لم يحل دون أن تنصب محصلة نضالات القطاعين في دفع الجماهير الى مواقع متقدمة في صراعها مع الاستعمار ومع اسرائيل .

لكن الاتحاد السوفياتي ذاته بعد فترة وجيزة من نهاية العهد الستاليني دخل في مرحلة انفتاح نسبي على التباينات والمفارقات المذهبية معه الحاصلة في حركة التحرر العالمية وخاصة في العالم الثالث ، ولعل زيارة خروشوف وبولغانين للهند في عام ١٩٥٥ كانت بدء ممارسة سياسة الانفتاح . وكان من جراء هذا التبدل في الموقف أن استبدل تقييم سياسة اللاانحياز من كونها « احتياطي للاستعمار » الى كونها سياسة وطنية مناهضة للاستعمار . واستتبع هذا الانفتاح النسبي تصميما سوفياتيا على تقديم المساعدات الفعلية ، على كل المستويات ، لدول اللاانحياز من أجل تمكينها من مجابهة الابتزاز الامبريالي . وكانت صفقة الاسلحة والمعونة الاقتصادية التاريخية التي قدمها الاتحاد السوفياتي لبناء سد اسوان .

كان من جراء هذا التقارب الجديد بين المعسكر الاشتراكي ودول اللاانحياز ان اخذت الاجهزة الغربية تحاول تصوير هذه السياسة بأنها «تغطية للتبعية للاتحاد السوفياتي». وتعمد وزير خارجية الولايات المتحدة جون فوستر دلاس اهانة هذه السياسة بوصفها انها « لا أخلاقية » . الا ان طبيعة استشراس الامبريالية الاميركية ونمو مصالحها وتدخلاتها السافرة في محاولات قلب الانظمة الوطنية والتقدمية ومحاولاتها — الفاشلة فيما بعد — باجهاض الحركات التحررية خاصة في منطقة الهند الصينية — أدت جميعها الى لقاء مستمر — وان لازمه تقطع في بعض الاحيان — بين الاتحاد السوفياتي والدول اللامنحازة . وقد وضح هذا اللقاء في المواقف المشابهة التي اتخذت في الامم المتحدة . في هذا الصدد لا بد من الاشارة الى الدور الايجابي والبناء الذي لعبته سياسة اللاانحياز رغم العراقيل السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والنفسية في دفع مسيرة الانفتاح العقائدي داخل المعسكرين . صحيح انه كان هناك من عوامل ذاتية ومراجعات جذرية حصلت داخل الاحزاب الشيوعية الحاكمة التي أدت الى اتباع سياسات أكثر مرونة وأكثر تحللا من المواقف المتزمتة والدغمائية السابقة . الا ان تأكيد حركات التحرر في العالم الثالث على انتهاج حكوماتها الوطنية سياسة اللاانحياز ساهم الى حد كبير في الحيلولة دون وقوع العالم الثالث أو بالاحرى معظمه في بوتقة التحالفات الستراتيجية المنبثقة عن منطق الحرب الباردة والاستقطاب الشديد الذي قام في الخمسينات . لقد كان لتمسك معظم الدول الحديثة الاستقلال بممارسة اللاانحياز ان اعطى دفعا للقوى النيرالية — بمعنى الانفتاح لا بالمدلول البورجوازي للكلمة — أن تتحرك وتسهل عملية

التفاعل مع التنوع القائم في المجتمع الدولي . وهكذا تكون سياسة اللاانحياز اثبتت انها سياسة منحازة بالفعل لقـــوى التصحيح والانفتاح داخـــل المعسكرات العقائديـــة والستراتيجية وبالتالي فهي متفاعلة ومتعاملة وليست كما يبدو للبعض انها سياسة حياد وعزلة بالمعنى المطلق . الا ان **اللا** الثانية في سياسة اللاانحياز تعني انه ، في معطيات المعادلات القائمة ، كان لا بد للدول الحديثة الاستقلال ان تستبقي المبادرة اذا ما أرادت المحافظة على الاستقلال .

يتعين علينا اذا أن نركز تعريفنا مرة أخرى لسياســـة اللاانحياز من حيث ان دعوتها للتعايش السلمي بين القطبين العالميين كانت سياسة من أجل ايجاد مناخ ملائم للتخطيط من أجل التحولات الجذرية المطلوبة لتحقيق برامج تنمية تمكن العالم الثالث الدخول الى القرن العشرين أثناء القرن العشرين . الا أن بعض الذين فهموا سياسة اللاانحياز خطأ أرادوا أن يضفوا على هذه السياسة بعدا انتهازيا بدلا من البعد المبدئي الذي تنطوي عليه . فمنهم من حدد سياسة اللاانحياز بأنها سياسة تعتمد المناورة المحضة في خضم علاقات وتناقضات القوى الكبرى . هؤلاء اعتقدوا أن استمرار التوتر واحتدامه بين القوتين الاعظمين من شأنه أن يمكننا من أن ننتزع من هذه القوى تنازلات لصالحنا القومي العام بواسطة تخويف كل منهما على حدة بأننا سوف ننحاز الى الآخر اذا لم يوافق على مطالبنا ومواقفنا . الا أن هذا التصور ــ والذي ينعكس اليوم بافتعال مخاوف حول لقاء القمة الثنائي الذي تم في حزيران الماضي في واشنطن ــ بالاضافة الى مناقضته الوجه المناقبي في نضالنا على المستوى الدبلوماسي فانه يتجاهل قدرة هذه الدول ان تتعرف على حقيقة مطالبنا ومواقفنا . ان سياســـة اللاانحياز تكمن لا في دبلوماسية الوشوشة والكواليس او في اتباع منهج المناورات التكتيكية المحدودة الافق بل في مدى مصداقية ارادتنا في تحقيق مصالحنا وأهدافنا القومية الثابتة وفي كون هذه الارادة قادرة على تحريك الاحداث بمطلق الحرية والاستقلالية .

كان لا بد للمتغيرات التي طرأت في الاوضاع الدولية ان تؤثر على أوجه عديدة مـــن سياسة اللاانحياز . ولعل الخلاف الصيني الهندي عام ١٩٦٢ كاد أن يؤدي الى اضعاف سياسة اللاانحياز في أقوى دولة التزمتها ــ أي الهند . الا ان ما يهمنا في هذه العجالة ليس سردا لاسباب واحداث هذا الخلاف والازمة التي نشبت عنه بل مدى ما شكل هذا الخلاف من خطر حقيقي على مستقبل هذه السياسة . صحيح انه كانت هناك اسباب موضوعية وتاريخية للازمة الصينية ــ الهندية الا أن ما يهمنا هنا هو ان تصعيد الازمة والاصطدام الذي قام من جراء هذه الازمة كاد يحرف بالهند عن مواقفهـــا الصلبـــة ويدخلها داخل دائرة المخطط الاميركي العام . الا ان أية دراسة لهذه الفترة تجعلنـــا نكتشف ان التناقضات المذهبية والاستراتيجية بين الصين والاتحاد السوفياتي كانت قد بدأت تظهر بوضوح أكثر . فسياسة الانفتاح السوفياتي على الدول اللامنحازة واعطائها المزيد من المساعدات الاقتصادية والعسكرية والمالية ساعدت ، بنظر الصين ، عملية التضييق على الاحتمالات الثورية داخل هذه الدول وبالتالي فوت على الاحزاب والقوى الثورية فرص تبوء مواقع القيادة الفعلية في هذه البلدان . أضف الى ذلك ان فائض المساعدات الاقتصادية ، التي حول الاتحاد السوفياتي قسما منـــه الى الهند وبورما ومصر ، الخ .. كان يجب أن يظل محصورا داخل المعسكر الاشتراكي . بكلام آخر وجدنا الصين في الستينات تجتر التقييم الستاليني لدول اللاانحياز من اجل اعطاء التبرير النظري لتفاقم ازمتها مع الاتحاد السوفياتي . كان من جراء أزمة الصين والهند عام ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ ان ادركت دول اللاانحياز انها امام تحد خطير لمستقبل سياستها . فهي من جهة حريصة على أن تبقى الصين في دائرة التضامن الاسيوي الافريقي وأن لا يؤدي النزاع بين أكبر دولتين آسيويتين الى شل فعاليات العالم الثالث والى تقويض

ما بناه مؤتمر باندونغ من أسس للتعاون والتنسيق بين سياسات ومواقف العالم الثالث بأسره . الا أن حرص الدول اللامنحازة على صداقة الصين وعلى انشاء المزيد من العلاقات ومن التعامل معها كان يوازيه حرص على ان تبقى أكبر دول لامنحازة في دائرة اللاانحياز وان لا يدفعها الشعور الوطني المتأجج اثر النزاع مع الصين الى الارتماء بأحضان من ارادوا الاستفادة من مأزق الهند وما كاد يؤدي اليه المأزق من نمو في نفوذ العناصر اليمينية داخل حزب الكنغرس الحاكم . وهنا كانت مبادرة الرئيس عبد الناصر التي بلورت حرص سياسة اللاانحياز على حماية الهدفين — متانة الصداقة والعلاقات مع الصين والمرتكزات السياسية الداخلية داخل الهند التي قامت منذ الاستقلال بأدوار قيادية في تنفيذ سياسة اللاانحياز . وكان من جراء هذه المبادرة ان تدخلت الـــدول اللامنحازة والصديقة للصين وتقدمت بمقترحات كولومبو التي لا تزال تتحكم في العلاقات الصينية الهندية الراهنة .

وهكذا فان سياسة اللاانحياز اثبتت انها لا تنظر الى اللاانحياز كرابطة مذهبية تفرض على ملتزميها التأييد الآلي لموقف أحدى الدول التي تمارسها بل انها تخضع أزمات احدى الدول اللامنحازة مع الدول التقدمية والاشتراكية الاخرى لمعايير موضوعية من شأنها أن تبقي الازمة بمنأى عن التدهور للاسس المطلوبة في بقاء الحـــوار والعلاقات حية ونامية .

لقد كان لمبادرة مصر عبدالناصر عام ١٩٦٢ — ١٩٦٣ في حصر الازمة بين الهند والصين نتائج ايجابية في الحقل الداخلي الهندي من حيث ان نهرو تمكن بأقل ثمن ممكن ، اخراج صديقه كريشنا مينون من الحكم ، ان يتجاوز التحدي اليميني داخل حزبه وفي البلاد كلها والذي كاد أن يشل زعامة نهرو سياسيا . وكان الهدف الاميركي في هذا الوقت هو تمكين بعض حلفاء الولايات المتحدة اليمينيين من تبوء مراكز أكثر قوة وبالتالي أكثر قدرة على خدمة المصالح الاميركية من خلال حرف الهند عن النهج الذي رسمه نهرو لهـــا بعد الاستقلال . أن تجاوز نهرو لمثل هذا التحدي اليميني الصارخ لزعامته في فترة خريف ٦٢ وشتاء وربيع ٦٣ هو الذي مهد السبيل فيما بعد لانديرا غاندي أن تدفع بالهند الى المزيد من الممارسة الاستقلالية ومساندة قضايا التحرر في العالم .

الا أنه تبقى حقيقة واضحة لا بد من التأكيد عليها وهي أن تفاقم الخلاف بين الاتحاد السوفياتي والصين أدى الى تمكن الامبريالية الاميركية من استعادة أنفاسها في عدد من دول العالم الثالث ومن أن تتحرك فيه بحرية أكثر مما ادى الى انتكاسات متعددة للقوى الوطنية الحاكمة في عدد من الدول اللامنحازة مثل أندونيسيا وغانا واضعاف قوة الاندفاع عند الحركات التحررية . أو بالاحرى تأخير وعرقلة مسيرتها . الا أن النزاع السوفياتي — الصيني حتم على الدول اللامنحازة ان تنقل بعض أوجه لاانحيازها الى مواقفها ازاء هذا في المعسكر الاشتراكي العالمي نفسه .

الا أن اللاانحياز في هذا المضمار هو غير اللاانحياز بين المعسكر الغربي — الاطلسي وامتداداته في العالم الثالث والمعسكر الاشتراكي بصـــورة اجمالية . ففي حـــين ان اللاانحياز هو تعبير عن موقف استقلالي بعيد عن الارتهان للمقتضيات الستراتيجية العسكرية للاحلاف نفسها فانه ينطوي كما أشرنا على احتمالات مستمرة تصادمية مع المعسكر الامبريالي من حيث تستهدف الامبريالية تقويض معالم وفرص التحرر الوطني في العالم الثالث اجمالا وفي الوطن العربي على وجه التخصيص . فسياسة اللاانحياز لا تعني مطلقا موقفا متوازي المسافة بين الاتحاد السوفياتي المناهض للامبريالية الاميركية وبين التصرفات الامبريالية للولايات المتحدة . انها تعنـــي ان الدول اللامنحازة هي بالضرورة أقرب بكثير الى الاتحاد السوفياتي مـــن حيث قربه مـــن مواقف وأهداف اللاانحياز . في هذا المضمار فان الاصرار على اللاانحياز هو اقرار من جانب كل من

الاتحاد السوفياتي ودول اللاانحياز على ان ترتيب أولويات كل منها ليس متطابقا بشكل دائم وبالتالي لا بد من الاعتراف بهذا التباين وبالتالي التوجه نحو المزيد من التنسيق . هكذا يمكننا فهم المعاهدات الجديدة التي عقدها الاتحاد السوفياتي مع عدد من الاقطار اللامنحازة مثل العراق ومصر والهند . ان هذه المعاهدات لا تقيد حرية الحركة عند اي من الطرفين بل تقنن وتضبط انتظام التنسيق من خلال الاقرار المبدئي بضرورة التلاقي الدائم في المواقف من خلال الاعتراف بمشروعية التباين في الاولويات وفي ترتيبها .

الا أن هذا لا يعني ان هذا النوع من التعاقد هو شرط للتنسيق بل يشكل في معادلة اللاانحياز مع الاتحاد السوفياتي احدى أنماط التنسيق . اما فيما يتعلق بمد سياسة اللاانحياز الى دائرة الصراعات داخل معسكر الاصدقاء أو الحلفاء فهذا يعني أن الدول الملتزمة سياسة اللاانحياز تتدخل من أجل ترميم الصدع فيما بينها كجزء من مهام اللاانحياز في تقوية وتصليب جبهة مناهضة الامبريالية لان المفترض ان كلا الصين والاتحاد السوفياتي هما قطبان رئيسيان في هذه الجبهة . اما المتناقضات والنزاعات التي تقوم بين الولايات المتحدة وبعض حلفائها فانها تختلف بطبيعتها عن تلك القائمة داخل المعسكر الاشتراكي . هنا تقوم سياسة اللاانحياز — أو هكذا مفروض بها ان تقوم — بدعم النزعات الاستقلالية التي تؤكد ذاتها بين الحين والآخر داخل المعسكر الغربي أو امتدادات هذا المعسكر في العالم الثالث . ولقد ظهرت بوادر هذه النزعة في السياسة التي انتهجها الرئيس الفرنسي ديغول والتي لا تزال تميز سياسة خلفه بومبيدو . الا ان التململ العام الذي ظهر في عدد من الدول الاوروبية وتوجه السوق الاوروبية المشتركة نحو الاحتفاظ بمبادرات متميزة عن السياسة الاميركية وفي بعض الاحيان بعيدة عنها ومتناقضة معها كما بدأ يحصل في المواقف الاوروبية ازاء أزمة الشرق الاوسط الا أن النزعة الاستقلالية هذه لم تتضح الى درجة يمكن اعتبار هذه الدول مرشحة لدائرة الدول اللامنحازة .

هذا لا يعني بالطبع أن هذه البوادر الاستقلالية عن المقتضيات الستراتيجية والاقتصادية الاميركية يجب أن تبقى بدون تجاوب وبدون تطوير في مستوى العلاقات بينها وبين الاقطار اللامنحازة . لكن تميزها عن الواقع الامبريالي لا يكفي بل لا بد أن يتحول التباين — اذا ما نحن توخينا الجدوى من هذا التباين — الى استعداد للمجابهة مع السلوك الامبريالي للولايات المتحدة والذي ظهر بشكل اجرامي في الهند الصينية ولا يزال يميز مواقف الولايات المتحدة في الشرق الاوسط والالتزام الكامل بالاهداف الاسرائيلية والصهيونية في المنطقة . فرغم ان الولايات المتحدة قد تشارك أحيانا المجتمع الدولي في ادانته لاسرائيل كما فعلت في مجلس الامن لان لا مهرب لها ازاء وضوح جريمة القرصنة الجوية التي ارتكبتها اسرائيل الا أنها تعطل باستمرار أية عقوبة مطلوب فرضها لتحمي حليفتها من النتائج المنطقية لاعتداءاتها ولتحدياتها للمجتمع الدولي نفسه .

لقد وجدنا كيف ان التباين في المواقف بين أوروبا غربية — خاصة فرنسا — متجهة نحو الاستقلال أخذ يتوضح خاصة فيما يتعلق بالنزاع العربي — الاسرائيلي بنسبة وضوح النزعة الاستقلالية بشكل عام . الا أنه وجدنا أيضا أن نمو النزعة الاستقلالية في أوروبا الشرقية ، هذه النزعة التي تتسم بالاقتراب من الخطوط العريضة لسياسة اللاانحياز ، عبرت عن نفسها — في رومانيا مثلا — برغبة في تأكيد تميز سياستها نحو أزمة الشرق الاوسط عن الموقف السوفياتي . هذا التطور السلبي حصل في الوقت الذي كان على رومانيا أن تدرك أن مشروعية نزعة الاستقلال عن الاتحاد السوفياتي لا تعني مخالفة السوفيات في مناهضة الامبريالية ومناهضة عميلتها اسرائيل . من هنا فان التقارب الروماني الاسرائيلي مثلا كان بمثابة مشاكسة للاتحاد السوفياتي على حساب الالتزامات

المبدئية فيما يختص بتحدي الصهيونية لبديهيات الاشتراكية وتحدي اسرائيل للمدلولات الحقيقية للاستقلال .

الا أنه ، بنفس الوقت ، فان استقلالية يوغوسلافيا عن المعسكر الذي يقوده الاتحاد السوفياتي لم تؤد الى نفس النتيجة التي ادت اليها النزعة الاستقلالية في رومانيا مثلا . ويعود السبب في ذلك الى أن يوغوسلافيا سايدت الموقف العربي قبل استكمال الاتحاد السوفياتي التزاماته الشاملة للقضايا العربية المصيرية وبالشكل الواضح الذي وضع هذه القضايا في صميم اولويات الاهتمامات السوفياتية . من أجل ذلك كانت يوغوسلافيا واستمرت في مقدمة الدول اللامنحازة مع العلم انها لم تسع منذ مؤتمر بلغراد عام ١٩٦١ ان تدفع الدول اللامنحازة الى أخذ نفس موقفها الذي اتخذته من الاتحاد السوفياتي . أدرك الرئيس تيتو ان خلافاته مع الاتحاد السوفياتي كانت صادرة من اختلاف في تحديد نوعية العلاقات بين الدول الاشتراكية وتباين وجهات النظر في هذا الصدد وبالتالي لا يمكن لها أن تنسحب على معادلات واتفاقيات الاتحاد السوفياتي مع دول اللاانحياز .

ان التطورات التي حدثت في العشر سنوات الماضية على الصعيد العالمي حتمت على ما يبدو مزيدا من التساهل فيما يتعلق بتعريف اللاانحياز . فالى جانب التفكك الذي حصل داخل المعسكرين التقليديين ونمو النزعات والتوجهات الاستقلالية فقد بقيت سياسة اللاانحياز سياسة خاصة بالعالم الثالث وبالدول النامية . من هنا فان دخول عدد من الدول الاسيوية ــ الافريقية في دائرة اللاانحياز كان بمثابة تعبير عن انتمائهم للدول النامية أكثر من كونها تعبيرا حتى عن التزام بالخطوط العريضة لسياسة اللاانحياز . وكاد يكون الشرط الوحيد في بعض الاحيان لدخول دائرة اللاانحياز مجرد عدم الانتساب الرسمي في أحد الاحلاف العسكرية الراهنة والمرتبطة جوهريا وعضويا بالولايات المتحدة والغرب . أما وجود قواعد عسكرية للولايات المتحدة مثلا في المغرب والمملكة العربية السعودية والعلاقات الستراتيجية الخاصة بين الولايات المتحدة والاردن والحبشة وغيرها من اشكال الانحياز في عدد من الدول الافريقية والاسيوية من شأنها تمييع المقاييس التي تحدد تعريف سياسة اللاانحياز الراهنة . الا أنه ، على ما يبدو ، ارتؤي ادخال واستبقاء هذه الدول داخل اطار اللاانحياز من أجل درء مخاطر تفردها واحتواء مخاطر سياساتها الدولية بقدر المستطاع ، فما دام رجحان القوى التحررية متوفر فان التساهل في مقاييس الانتماء يصبح معقولا ومقبولا .

من جهة أخرى فقد طرأ على مفهوم اللاانحياز تطور آخر لكنه ايجابي في المدى الطويل وهو تزايد اهتمام دول أميركا اللاتينية بهذه السياسة ودخول عدد متزايد منها في دائرة اللاانحياز . ويعود هذا الاهتمام الى أن أميركا اللاتينية اجمالا تسعى ان تتحرر من الهيمنة الاميركية وان لم تكن تريد التحرر من العلاقة المتميزة مع الولايات المتحدة . لكن ثورة كوبا وتحديها الناجح للولايات المتحدة شجع التيارات التقدمية والوطنية في عدد كبير من دول اميركا اللاتينية مما دفع شعوب عدد منها على انتخاب ودفع قوى يسارية ومعروفة بنزعاتها الاستقلالية الى مواقع السلطة . فبالاضافة الى كوبا وجدنا التحالف الاشتراكي ــ رغم الصعوبات الجمة التي يضعها التحالف اليميني ــ الاميركي بزعامة الندي يرسخ سياسة اللاانحياز بشكل واضح وأقرب ما تكون الى النزعة الصدامية مع الامبريالية الاميركية . كذلك يمكن اعتبار عودة البيرونية الى الارجنتين بمثابة تمرد حقيقي وطني على السيطرة الاميركية الامبريالية رغم انها أقل التزاما بالخط اليساري الواضح المتمثل بتجربتي كوبا وشيلي . يضاف الى ذلك ان ريح التمرد الوطني قد وصل الى عدد من الحكومات اللاتينية مما أدى الى تجمعها في موقف موحد اثناء معالجة السلطة الاميركية في قناة بناما وكيف اجبر هذا الموقف ان تلجأ الولايات المتحدة الى ان تستعمل الفيتو في مجلس الامن .

ان توسع رقعة اللاانحياز ، رغم خطورة التساهل في المعايير المطبقة ، من شأنه ان يؤدي الى احكام العزلة على الامبريالية الاميركية . ولقد رأينا كيف ان التدخل الاستعماري الاميركي في الهند الصينية أدين بشكل اجماعي مما ساعد في تقويض هذا التدخل في حين ان ادانة التدخل الاميركي كانت محصورة في المعسكر الاشتراكي وعدد من دول اللاانحياز . هذا يعني ان توسيع اطار اللاانحياز يحسم التذبذب والغموض في صالح قضايا التحرر الوطني ومن هنا جدوى التواجد الفلسطيني الثوري في مناطق دول اللاانحياز وفي مؤتمرات هذه الدول .

والان بعد أن خطت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي خطوات ثابتة نحو ترسيخ سياسة التعايش السلمي والتعاون في العديد من المجالات الاقتصادية والثقافية وابعداً نتيجة لقائهما شبح الحرب النووية من خلال معادلة الردع المتبادل الذي أوجده تكافؤ القوة بينهما ، فان هذا يزيح عن سياسة اللاانحياز مركزية اهتمامها بهذه الاهداف من حيث انها أصبحت الى حد كبير مؤمنة ومضمونة . الا انه بنفس الوقت يحمل سياسة اللاانحياز مسؤوليات جديدة في ضوء هذه المتغيرات في علاقات الدول الكبرى مع بعضها . ولعل التحدي الاساسي الذي يواجه مؤتمر دول اللاانحياز هو تعريف مهمات سياسة اللاانحياز في المرحلة القادمة من حيث تدعيمها للانجازات في صالح الانفراج والتعايش السلمي من جهة ومن حيث تجنيب العالم الثالث من خطر ان يؤدي هذا التعايش الى تجميد قضاياه الاساسية او من حيث اتمام اتفاقات « من فوق رأسه » كما تتخوف الصين وكما يصر الاتحاد السوفياتي على استبعاد مثل هذا الاحتمال . هنا يتوجب على دول اللاانحياز ان تؤكد ان تجاوبها ، مع ضرورات التعايش بين الدولتين الكبيرتين ، ومع ترحيبها للاستقرار الذي ينطوي عليه تفاهمهما ، فسان الاستقرار لا يمكن ولا يجوز ان يعني تجميدا لقدرة حركة هذه الدول على مجابهة عوامل التخلف في مجتمعاتها او لقدرتها على ضرب ما تبقى من معاقل الاستعمار والعنصرية في مناطقها . بالعكس فان تحرر العالم من الخوف من الصدام النووي بين الجبارين هو بدوره وسيلة انعتاق قوى التحرر من الاجهاز على ما تبقى من قواعد للامبريالية في العالم .

هنا تتجلى بوضوح أهمية القضية الفلسطينية بالنسبة للتقاطع بين الابعاد الجديدة لسياسة اللاانحياز والمعادلة الجديدة للتفاهم الثنائي بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة . ان القضية الفلسطينية مرشحة من الان وصاعدا ان تحتل موضوعيا رأس أولوية الاهتمامات لدول اللاانحياز . صحيح ان المواجهة الاقتصادية بين الدول النامية والدول المتقدمة — أي دول جنوب العالم ودول شمال العالم — ستستحوذ على اهتمامات دول العالم الثالث في الحقبة القادمة اذ أنه لا يمكن ان يبقى العالم منقسما طبقيا بالطريقة التي هو عليها الان . كذلك قضايا التحديث وايجاد البنية الهيكلية والمؤسسات وايجاد صيغ التعاون من أجل الاسراع في تحقيق الثورة التقنية المطلوبة ستكون بالضرورة ميزة التوجه المقبل لهذه الدول . الا ان القضية الفلسطينية من الوجهة السياسية سوف تكون محور الاهتمام لان اسرائيل تشكل حركة استعمارية توسعية في عصر انحسار الاستعمار وتقلصه وتشكل نموذجا للعنصرية وللتمييز في عصر أقر المجتمع الدولي — حتى القطاعات التي تمارس التمييز — لا مشروعية العنصرية وسياسات التمييز . يضاف الى ذلك بالطبع ان دول الوطن العربي هي في صلب دائرة اللاانحياز وبالتالي فهي مؤهلة ان توصل الى معظم دول اللاانحياز أولوية التزاماتها بالقضية الفلسطينية وما ينطوي عليه أي تساهل مع اسرائيل من احتمالات تفجير الموقف في منطقة الشرق الاوسط . وهذا يعني ان اي تغاض عن اسرائيل سيكون بمثابة تشجيع للنزوات الاستعمارية في الغرب وللممارسة العنصرية أن تحاول استعادة مواقعها في العالم الثالث اذا ما أبدى هذا العالم أي تهاون او مهادنة للكيان الخارج عن المشروعية الدولية وعن القيم الحضارية والذي لا يتصور « أمنه » أو « بقاءه » الا من

خلال التفلت من كل الضوابط القانونية والشرعية والمناقبية . لذلك فان مهمة الدول العربية طرح القضية الفلسطينية من زاوية كونها استمرارا لحركة مناواة الاستعمار بمختلف اشكاله التقليدية والجديدة لا كنزاع بينها وبين اسرائيل فقط .

يتراءى لنا من هنا ان نوعية الالتزام العربي بالقضية الفلسطينية هي التي تحدد مدى ونوعية الالتزام بها من قبل دول اللاانحياز . ورغم تواجد عدد من الدول غير العربية المتبنية لقضية التحرير الفلسطيني فان هذا لا يعفي الدول العربية من الحسم في طبيعة التزاماتها بالقضية الفلسطينية . فدول اللاانحياز مرشحة ، وان كان بنسب متفاوتة ، لتفهم نوعية المجابهة الفلسطينية الثورية مع اسرائيل وتطابق هذه المجابهة الفلسطينية مع الارادة العربية للمجابهة مع اسرائيل . ورغم ان مثل هذا المستوى من التأييد لن يتحقق بهذا المستوى من الشمول في المرحلة الراهنة الا ان الدول العربية في مؤتمرات اللاانحياز مطالبة ان تسهل مهمة ايصال القضية الفلسطينية من خلال مفهوم المقاومة لها لان المقاومة كما اثبتت تجارب حركات التحرر في العالم الثالث هي الجواب على تحدي الاستعمار . واذا كان مستوى المقاومة في الساحة العربية هو ادنى من مستوى التحدي الامبريالي — الاسرائيلي للامة العربية فلا مفر للدول العربية ان تدفع الى المقدمة في محافل اللاانحياز أوضح المقاومين — الثورة الفلسطينية .

لم تكن سياسة اللاانحياز تعني يوما كما اشرنا موقفا حياديا او متوازي المسافة بين الخطأ والصواب او بين الحق والباطل بل التزاما نضاليا للصواب والحق. المهم ان نعرف نحن ماذا نريد حتى يعرف حلفاؤنا الطبيعيون في عالم اللاانحياز كيف يترجمون التزامهم بالحق الى مساهمات فعلية في قضية التحرير الفلسطيني بالاضافة الى ما يبينوه من تفهم وتأييد لمجابهاتنا المرحلية مع اسرائيل .

« الوفاق » وازمة الشرق الاوسط

عبد القادر ياسين

قامت الدنيا ولم تقعد بعد ، منذ قيام الرئيس الامريكي ، ريتشارد نيكسون ، بزيارة كل من الصين والاتحاد السوفياتي ، في شباط (فبراير) وايار (مايو) من العام الماضي على التوالي . وكانت الزيارتان بالغتي الدلالة ، ذلك أن زيارته للاولى جاءت بعد طول عداء ، بلغ حد انكار حكومة الولايات المتحدة لوجود الصين الشعبية ، بينما كانت زيارته للاتحاد السوفياتي اول زيارة يقوم بها رئيس امريكي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ . وعلا اللغط منذ زيارة السكرتير العام للحزب الشيوعي ، ليونيد بريجنيف ، للولايات المتحدة ، والتي تمت في حزيران (يونيو) الماضي . ومعروف انه تم خلال زيارتي نيكسون وبريجنيف التوصل الى تسويات للعديد من المشاكل السياسية والاقتصادية التي تهم الطرفين ، لعل ابرزها مشكلة فيتنام ، والصفقات والاتفاقيات التجارية الضخمة التي وقعها الطرفان ، السوفياتي والامريكي .

ولعل من المسلم به ان ما يسميه البعض بـ « الوفاق » بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي ، ان هو الا التعايش السلمي ، الذي طالما دعا اليه الاتحاد السوفياتي ، وعارضته ، بل وانكرته ، الولايات المتحدة الامريكية وبقية المعسكر الامبريالي . ومعروف ان الولايات المتحدة كانت قد نظمت ضد الاتحاد السوفياتي ـ منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ـ **حربا باردة** هدفت من ورائها خنق الاتحاد السوفياتي واماتته ببطء ، وقد ارتكزت تلك الحرب الباردة الى احتكار الولايات المتحدة للقنبلة الذرية ، والى نجاحها في اقامة سلسلة محكمة من الاحلاف العسكرية (الاطلنطي ، البلقان ، بغداد ، جنوب شرقي آسيا) أحاطت بالاتحاد السوفياتي وبالمعسكر الاشتراكي احاطة السوار بالمعصم .

وبعد انتقال أسرار القنبلة الذرية الى الاتحاد السوفياتي في أواخر الاربعينات ، وبعد اتساع رقعة المعسكر الاشتراكي ، ورسوخ هذا المعسكر ، وبعد تحول النظام الاشتراكي الى نظام عالمي ، وبعد تفوق الاتحاد السوفياتي في بعض المجالات العسكرية والعلمية غير الهينة (الصواريخ الذرية العابرة للقارات ـ الغواصات الذرية ـ الوصول الى القمر عام ١٩٥٧) حاولت الاوساط العدوانية الامريكية تكثيف الحرب الباردة ضد المعسكر الاشتراكي وحركات التحرر وتصعيدها ، وتوصل جون فوستر دلاس ، وزير الخارجية الامريكية في الخمسينات الى الستراتيجية **حافة الحرب** . الا ان هذه الاستراتيجية أتت متأخرة عن موعدها . اذ كان طبيعيا ان تخف حدة الحرب الباردة لا أن تشتد ، مما دفع بالولايات المتحدة الى اعتماد استراتيجية **الحروب المحدودة** ، التي قسمت بموجبها الدول الوطنية الى حلقات صغيرة ، تمهيدا لاسقاطها الواحدة تلو الاخرى ، باستخدام تكتيكات مختلفة : بالمستشارين العسكريين الامريكيين ، فبالمرتزقة ، واخيرا باللجوء الى سلاح التدخل العسكري المباشر . وكان طبيعيا ـ والامر كذلك ـ ان تتراجع المواجهة بين الدولتين الى مرتبة **المواجهة المرنة** .

واليوم ، وبعد أن افسحت الظروف القديمة مكانها لظروف جديدة ، كان من المنطقي ان يحكم **التعايش السلمي** للعلاقة بين النظامين العالميين : الراسمالي والاشتراكي. وبعيدا عن الارقام والاحصاءات والتفاصيل ، نستطيع ان نلحظ جملة دوافع لدى الطرفين ، الامريكي والسوفياتي ، جعلت من دخولهما مرحلة التعايش السلمي ضرورة ملحة .

فعسكريا ، انهار الوهم الامريكي القائل بامكانية تدمير المعسكر الاشتراكي بضربة خاطفة ، كما فقدت الاحلاف العسكرية الاستعمارية مبررات وجودها ، بل وتجاوزها التاريخ بعد الاختراعات العسكرية الضخمة ، وتكدس أسلحة الدمار البعيدة المدى ، لدى كلا الطرفين معا . وبالتالي ابتعدت ، الى درجة تقترب من الانتفاء ، امكانية نشوب حرب عالمية ثالثة بين الدولتين الكبيرتين ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي .

ومن الناحية السياسية ترمي الولايات المتحدة ، من وراء هذا التعايش ، الى الوقيعة بين الاتحاد السوفياتي وبين الصين ، والى ممارسة التخريب الايديولوجي داخل دول المعسكر الاشتراكي. وتنتسب هذه الاستراتيجية الى هنري كيسنجر، مستشار الرئيس الامريكي الحالي لشؤون الامن القومي .

أما الدوافع الاقتصادية التي ارغمت الولايات المتحدة على هذا التعايش ، فلعلها أتت من احساسها بخطر المنافسة الاقتصادية الاتية لها من اليابان ومن السوق الاوروبية المشتركة . والتي كان من نتائجها ضمور الاسواق التي كانت ترتع الولايات المتحدة فيها الى وقت قريب ، ضمورها لحساب اليابان والسوق الاوروبية المشتركة . فعلى سبيل المثال ، بلغ متوسط صادرات السوق الاوروبية المشتركة الى دول البحر الابيض المتوسط عامي ١٩٧١ و١٩٧٢ ما قيمته ٦،٣ مليار دولار سنويا ، في حين تراجعت صادرات الولايات المتحدة الى الدول نفسها الى ٥،٩ مليار دولار كمتوسط للسنتين المذكورتين(١). هذا مع العلم بأن دول هذه المنطقة كانت على « رأس » أسواق الولايات المتحدة من حيث استيعابها للبضائع الامريكية . وقد كان لكل هذا أثره الكبير في التدهور الملموس لمركز الولايات المتحدة المالي ، وفي ارتفاع معدلات البطالة ، وفي انفجار ازمة المواد الخام في الولايات المتحدة . كل هذا دفع بالولايات المتحدة الى التفتيش الجنوني عن أسواق تعوض بها ما انتزع منها . ويبدو انها وجدت ضالتها في الاسواق السوفياتية والصينية الضخمة. وقد عززت أزمة الطاقة — التي برزت مؤخرا في الولايات المتحدة — هذا التوجه ، نظرا لغنى الاتحاد السوفياتي بمصادر هذه الطاقة .

وتجيء خطوة الولايات المتحدة هذه بعد أن اثبتت سياسة خنق الاتحاد السوفياتي عقمها، وبعد ان قامت معظم حليفات الولايات المتحدة بتوسيع معاملاتها التجارية مع المعسكر الاشتراكي والاتحاد السوفياتي بشكل خاص .

وفي الجانب السوفياتي كانت هناك دوافع من نوع اخر، عسكرية وسياسية واقتصادية. فالاتحاد السوفياتي — انطلاقا من الماركسية اللينينية التي يعتنقها — يرى أن السياسة ان هي الا تعبير مكثف عن الاقتصاد ، وأن الحرب امتداد للسياسة بوسائل عنيفة . ومن ثم فالاتحاد السوفياتي يرى في انتصاره الاقتصادي انتصارا سياسيا وعسكريا محتما . ففي المباراة الاقتصادية بين النظامين — الاشتراكي والرأسمالي — سوف تكون الغلبة للنظام الاشتراكي القائم على الادارة المخططة للاقتصاد ، مما يجنبه الازمات والكوارث الاقتصادية التي ابتلى بها النظام الرأسمالي . وان كان هذا لا ينفي احتياج الاتحاد السوفياتي لبعض السلع والاجهزة العلمية الامريكية ، وعلى وجه الخصوص تلك المستخدمة في تعمير الصحاري ، من أجل تعمير سيبيريا المترامية الاطراف ، والتي لا تزال معظم مصادر المواد الاولية فيها بكرا بدون استثمار .

وفي **المجال السياسي** يرمي الاتحاد السوفياتي الى تعميق التباعد الاوروبي — الامريكي،

والياباني ـــ الامريكي . مما سيكون له أكبر الاثر في التعجيل بانهيار النظام الاستعماري العالمي ، كما يقدم خدمات جلى للمعسكر الاشتراكي ولحركات التحرر الوطني العالمية .

اما **عسكريا** ، فلا شك ان الاتحاد السوفياتي يأمل في الحد من صلف الولايات المتحدة وعدوانيتها ، ويحول دون ممارستها دور البلطجي العالمي . مما يزيد في فرص انحسار موجة الحروب المحدودة الامريكية . وان كان هذا لن يمنع الولايات المتحدة من ابتكار اساليب عدوانية جديدة لضرب حركات التحرر الوطني في العالم !

وتجدر الاشارة هنا الى أن التعايش السلمي لم يلق استجابة كاملة في الدولتين . بل انه ووجه بمعارضة غير بسيطة من قبل بعض العناصر الدوجماتية السوفياتية ؛ تلك التي عجزت عن تفهم الاسباب الموضوعية لهذه السياسة الجديدة . كما قامت في وجه تلك السياسة معارضة اشد داخل الولايات المتحدة ، من رجال الصناعات العسكرية، الذين يرون في هذا التعايش ما يهدد مصالحهم الطبقية ، بسبب الحد من التسلح ، وتضييق نطاق الحروب ، مما سيؤدي الى بوار صناعاتهم . وغني عن القول ان العناصر الصهيونية والمتعاطفين معها في الولايات المتحدة ، تقف ضد هذا التعايش ، لما يحمله من امكانية جعل موقف الولايات المتحدة من اسرائيل محكوما ـــ الى حد ما ـــ بعلاقاته الجديدة مع السوفيات . كما عبر العديد من المعلقين السياسيين الاسرائيليين عن قلقهم من احتمال وقوع مثل هذا التغير ، خاصة وان ازمة الطاقة في الولايات المتحدة تعزز مثل هذا الاحتمال ، بما يشكله من ضغط لصالح الوطن العربي ؛ الغني بمصادر تلك الطاقة. وتخوف الاسرائيليين وانصارهم هنا له ما يبرره ؛ اذ أن قبول الولايات المتحدة بمبدأ التعايش السلمي ـــ في حد ذاته ـــ يعد تراجعا من قبلها لصالح الاشتراكية والاتحاد السوفياتي ، الذي يعتبر التعايش السلمي جزءا أساسيا من سياسته الخارجية . وان كان هذا التعايش ليس جزءا من الماركسية ، الا ان فلاديمير لينين هو الذي استحدثه غداة قيام الدولة الاشتراكية الاولى ، عام ١٩١٧ .

ولا يمتد التعايش السلمي لأبعد من العلاقات الدولية . فلا علاقة له البتة بمسألة الصراع الطبقي في كل دولة على حدة ؛ اذ لا يمكن التعايش بين القاهرين والمقهورين ، كما لا ينسحب التعايش الى ميدان الصراع الايديولوجي؛ فلا تعايش بين الفكر الرأسمالي والفكر الاشتراكي .

ولا يغير التعايش السلمي القوانين التي تحكم العلاقات بين الدول المتباينة الانظمة ، وان كان محتما عليه ان يضعها في اعتباره . وهي قوانين حتمية الصراع الطبقي على المستويين الوطني والعالمي .

وتدعو الاشتراكية العلمية الى التعايش السلمي ، لانه يوفر ظرفا افضل لتقدم الثورة العالمية . وقد اكد لينين على أن التعايش بين النظامين سينتهي بانتصار الاشتراكية .

●

اعربت بعض الدوائر السياسية والصحفية العربية* عن بالغ قلقها من أن يكون التقارب الامريكي ـــ السوفياتي قد تم على حساب حركات التحرر الوطني في العالم بشكل عام والقضية العربية بشكل خاص . وكأن لسان حال تلك الدوائر يقول « في خلافهما رحمة » ! فقد اشار احسان عبد القدوس الى البيان المشترك الصادر في اعقاب اجتماع بريجنيف ونيكسون في موسكو ، في ايار (مايو) من العام الماضي ، والذي تضمن « الاسهام في نجاح مهمة يارينغ » و« تحقيق تسوية سلمية » و« بحث خطوات اخرى لتحقيق استرخاء عسكري في تلك المنطقة » . وقد نوه عبد القدوس الى تزايد تدفق الاسلحة الامريكية الى اسرائيل في اعقاب هذا البيان في حين بقيت اتفاقيات الاسلحة

بين مصر والاتحاد السوفياتي على حالها . ووضع الكاتب المصري احتمالين لتفسير هذا التدفق « أما ان نيكسون وبريجنيف قد اتفقا على أن يكون الاسترخاء العسكري هو الوصول باسرائيل الى القوة العسكرية التي تعجز كل القوى العربية عن مواجهتها ، وتقدر استحالة التحرك العسكري ضدها ، فتسترخي . واما ان نيكسون قد خدع بريجنيف ، وبعد أن اتفق معه على وقف التسلح أسرف في تسليح اسرائيل ، في حين ان بريجنيف ظل محتفظا بكلمته » . وبالرغم من أن احسان عاد وبرأ الاتحاد السوفياتي من تهمة التواطؤ مع نيكسون ، اذ اردف « ومهما تعددت التفسيرات ، فالذي لا شك فيه ان الاتحاد السوفياتي يقف بجانب القضية العربية ، بمبادئه ومصالحه »(٢) . بالرغم من هذا الاستدراك فقد سارعت « المصادر السوفياتية الرسمية » — على حد وصف صحيفة اخبار اليوم لها — سارعت الى الرد على رئيس تحرير الصحيفة المذكورة ، بأنه « لا مجال للحديث عن الاسترخاء العسكري في منطقة الشرق الاوسط ما بقي احتلال اسرائيل للاراضي العربية وما دام لم يتضمن الحقوق الشرعية لعرب فلسطين ، وانه اذا كان السلام هو الموضوع الاساسي لمباحثات بريجنيف ونيكسون القادمة ، فأخطر بؤرة للحرب تهدد السلام في العالم الان هي مشكلة الشرق الاوسط ، وان بريجنيف في هذه المباحثات سيدافع عن مصالح العرب لانها تتفق ومصالح الاتحاد السوفياتي في هذه المنطقة . وان اي انفراج في الوضع الدولي يجعل تصفية ازمة الشرق الأوسط أكثر الحاحا »(٣) .

ومن جهة اخرى حذرت صحيفة الاهرام القاهرية ، في افتتاحيتها يوم السابع عشر من حزيران (يونيو) الماضي ، من أن تكون سياسة الوفاق « سببا في اغفال الازمات المستعصية ، او الكامنة ، عند قاعدة المجتمع الدولي ، او سببا لاتفاقات ، معلنة ، او غير معلنة ، تجرد الاطراف المحلية في أي نزاع من ارادتها المستقلة ، في تقرير مصائرها واختيار سياساتها . والا تعرض عصر الوفاق لمزيد من القلاقل ، واختفى المبرر المعلن لسياسة التعايش في عصر لم يعد يحتمل ان يحتكر فيه عدد محدود من الدول مقررات تطور البشرية كلها » .

واظهرت بعض الدوائر العربية الامر وكأنه تواطؤ ، او ارتباط ، او اتفاق بين العملاقين الامريكي والسوفياتي على حساب الدول الصغرى ، بل ولاقتسام هذه الدول فيما بينهما . وتضع تلك الدوائر — في مقولاتها هذه — النظام الاشتراكي على قدم المساواة مع النظام الاستعماري . وقد عبرت تلك الدوائر عن سخطها لعدم توصل الزعيمين الامريكي والسوفياتي ، نيكسون وبريجنيف ، الى تسوية لازمة الشرق الاوسط . وتخصيصهما أقل من مائة كلمة للشرق الاوسط في بيانهما الاخير الذي حوى نحو أربعة الاف كلمة . (لهواة الدقة ٨٩ كلمة من ٣٧٠٠) .

ونسي هؤلاء — او تناسوا — أن الف باء السياسة تقضي بأن أية تسوية سياسية للمشاكل هي انعكاس لميزان القوى بين الطرفين المتنازعين . وفي أزمة الشرق الاوسط، فان أية تسوية سياسية — في ظل ميزان القوى الحالي — لا بد وان تكون مرادفة للهزيمة . فالتسوية السلمية هنا هي بين طرف مهزوم هزيمة كاملة ، واخر منتصر انتصارا كاملا .

ومن المؤكد ان الاتحاد السوفياتي لا يريد لنا مثل هذه التسوية ، او بشكل أدق هذه التصفية . فهو يرى في الانظمة الوطنية وحركات التحرر الوطني احتياطيا للثورة الاشتراكية ، وذلك بفعل موقف هذه الانظمة والحركات المعادي للاستعمار وبالتالي للرأسمالية !

وهذا محمد حسنين هيكل يؤكد هذا المعنى حين يقول أن الاتحاد السوفياتي لا يريد « أن يرى هزيمة عربية ، لان ذلك من شأنه ان يطيح تماما بما بقي من هيبته في المنطقة . . .

لا يريد الاتحاد السوفياتي ان يكون هناك حل امريكي لازمة الشرق الاوسط ، لانه اذا جاء حل امريكي فان السلام الذي يليه سوف يكون سلاما أمريكيا ، وهذا يؤثر على الميزان السياسي الحساس والمتأرجح في الشرق الاوسط خصوصا بالنسبة له »(٤).

واما اسباب تدحرج ازمة الشرق الاوسط الى ذيل جدول اعمال نيكسون وبريجنيف ، فنحن الذين اخترنا لها هذا الوضع بصمت الموت المخيم على جبهاتنا العسكرية ، وبمدافعنا المكممة أفواهها في الخنادق . وقد أكد ما يقرب من هذا المعنى هيكل نفسه، حين قال « ... فالمشكلة على الطبيعة — اي في أرضها — ليس فيها ما يغري او ما يفرض على الاخرين ان يهتموا بها او يرفعوها من ذيل القائمة الى رأسها ... ولان قضايا اخرى سبقتها في طبيعة سياسة الوفاق ذاتها . كانت هناك أسبقية لمطالب التوازن والتكامل بين القوتين الاعظم (تحديد الاسلحة النووية — التعاون في مجالات ابعاد الفضاء واعماق المحيطات) وكانت هناك أسبقية للمنافع الاقتصادية المتبادلة (التجارة — البترول — التكنولوجيا الصناعية الامريكية) وكانت هناك أسبقية لتصفية آثار عصر الحرب الباردة ومخلفاته (الامن الاوروبي — التخفيض المتوازي لقوات حلف الاطلنطي وحلف وارسو) ثم وعلى مهل ، على مهل ، تتهادى بقية المشاكل حسب درجات حرارتها »(٥).

ان قطاعات شتى من البورجوازية الوطنية العربية تنفر من فكرة القتال ، بل و«تناضل» من أجل عدم خوضه ضد العدو الاسرائيلي المغتصب . وبعض أجنحتها تطمع للوصول الى تسوية سلمية للازمة عن طريق **المضاربة** على التناقضات الدولية ، وليس بالكفاح والتضحية**. فنراها تارة تعلق الامل على غرب اوروبا ، واخرى على لقاء القمة الامريكي — السوفياتي ، وهلم جرا ...

واتجاه المضاربة هذا اتى الى البورجوازية من جناحها الطفيلي، الذي نما واتسع — كما وكيفا — اعتمادا على المضاربة في الاقتصاد . الا ان المضاربة السياسية لم تعد وقفا على هذا الجناح ، بل انتقلت عدواها الى اجنحة اخرى من البورجوازية الوطنية العربية. فالبورجوازية البيروقراطية، بالرغم من وقوفها مع بقاء القطاع العام واستمرار التعامل مع السوفيات ، وهو موقف يعكس مصلحتها الطبقية البحتة ؛ اذ بدون القطاع العام والمساعدات الاقتصادية السوفياتية تضحى امتيازاتها أثر بعد عين. مع ذلك فهذا الجناح من البورجوازية يخشى الحرب مع اسرائيل بحجة أنه « لا قبل لنا بمواجهة اسرائيل » . وهو يقدم مبررا « نضاليا » لرفضه الحرب ، اذ يطالبنا بتجاهل اسرائيل وتجاهل احتلالها للاراضي العربية ، على غرار ما فعلت الصين الشعبية مع فرموزا ، وترك القضية للزمن ليحلها لصالحنا على غرار الحل الصيني لقضية فرموزا !! أما الجناح البورجوازي الاخر فهو الجناح التكنوقراطي وتكاد مواقفه من العدوان الاسرائيلي والحرب لا تختلف مع الجناح السابق ، وان تمايز موقفه عنه فيما يخص القطاع العام والتعامل مع السوفيات . فهذا الجناح مع تصفية القطاع العام والتعامل مع الغرب . اما أشد هذه الاجنحة رجعية واقلها وطنية فهو جناحها الزراعي ، الذي يجتر الفكر الاقطاعي ، نظرا لغياب فكره الخاص ، ويعارض هذا الجناح كل الاجراءات التقدمية في السياسة والاقتصاد والحرب ، مهما تواضعت . ويفزع من الحرب لوعيه بانها ستقترن برفع معدلات الضريبة عليه ، وهو الجناح الذي نجح في التملص من الضرائب وهو الجناح الطفيلي . كما يعي هذا الجناح ان الحرب من شأنها القفز بالطبقات الشعبية للمشاركة في الحكم ، وهو أمر يزعج هذا الجناح ويقض مضجعه .

ومن ذلك فالصورة ليست على هذا القدر من القتامة ، اذ تظل آمال الشعوب العربية معلقة على القيادات الوطنية لانظمة المواجهة العربية ، لقهر تطلعات هذه الاجنحة والانطلاق بالشعب نحو البناء والتحرير .

وتاريخ البورجوازية العربية في المضاربة على التناقضات الدولية ، تاريخ طويل . لعل من أبرز أمثلته لجوء مصطفى كامل — رئيس الحزب الوطني المصري — في مطلع هذا القرن الى فرنسا الاستعمارية تحت وهم الاستعانة بها على الامبريالية البريطانية التي كانت تجثم على صدر الشعب المصري آنذاك . والمثل البارز الثاني ، كان لجوء الحاج امين الحسيني — مفتي القدس ورأس الحركة الوطنية الفلسطينية قبل النكبة — في أواخر الثلاثينات الى المانيا النازية ، طمعا في مناصرتها للحركة الوطنية الفلسطينية !

ولعل فيما يقوله أحد الكتاب المصريين ما يلقي المزيد من الضوء على توجه البورجوازية العربية المعاصرة هذا ، اذ يقول ... والعالم كله لا يقابل هذا الارتباط (يقصد التعايش السوفياتي الامريكي) بارتياح ، حتى لو افترضنا انه ارتباط يؤكد السلام العالمي . وعدم الارتياح يرتبط بالمصالح الواقعية لكل دولة وما يمكن ان تتأثر به نتيجة هذا الارتباط ... أما الدول الصغيرة النامية — ونحن منها — فلا شك انها اكثر قلقا من هذا الارتباط ... فان الدول النامية او معظمها ، أقامت اسلوبها السياسي الدولي على وجود تصارع بين الدولتين ، بحيث تستطيع من خلال هذا التصارع أن تحقق مصالحها الذاتية ، حتى مع افتراض أن الدولتين لن تقدما على مواجهة احداهما الاخرى عسكريا . ولا شك أن هذا الارتباط الجديد قد قضى على التصارع الدولي في صورته الكاملة ، ولم يبق منه الا فقاعات تصارع ، لا تؤثر في اتخاذ أي موقف جدي من احداهما تجاه الاخرى خاص بأي قضيـــة عالمية . أي ان هذا الارتباط يمكن ان يكون عملية تقسيم سياسي بـــين الدولتين الاعظم للاشراف على مصير العالم ، استكمالا للتقسيم الجغرافي الـــذي تم باتفاقية يالتا ، التي اعلنت أيام الحرب العالمية الاخيرة . وهو ما يتطلب مـــن الدول النامية ان تعدل وتغير كل استراتيجيتها ، وفي كل تكتيكاتها ، وفي كل أهدافها. كما حدث بين كوريا الشمالية والجنوبية ، وكما حدث لالمانيا ، وكما حدث في كل مكان تعود ان يبني نفسه على تصارع الكتلتين العالميتين »(٦).

واذا كان الجزء السابق من مقالنا فيه ما يرد على معظم ما قاله عبد القدوس هنا ، فان ثمة مسألتين ، مما اثاره من مسائل ، تحتاجان الى بعض التوضيح والتعليق . الاولى تلك الخاصة بتقسيم العالم السياسي والجغرافي بين أمريكا والاتحاد السوفياتي . والثانية اضطرار الدول النامية الى تغيير استراتيجيتها وكل اهدافها . فبالرغم من كون الاتحاد السوفياتي طرفا أساسيا في علاقات القوى الدولية ، بطبيعة ضخامة تأثيره، كما وكيفا، الا انه ليس ثمة ما يربطه بمناطق النفوذ — التي دأبت الدول الاستعمارية على تقسيمها واقتسامها فيما بينها — وذلك بحكم طبيعة نظامه الاشتراكي . وما العلاقات الامريكية — السوفياتية الجديدة الا صياغة جديدة للعلاقات الدولية،فرضتها ظروف سبق الاشارة اليها . ولم يصبح النظامان الاشتراكي والرأسمالي — ولن يصبحا — سمنا على عسل . وسيظل التناقض بينهما قائما طالما بقيت الرأسمالية ، بل هو التناقض الرئيسي الذي ما فتىء يحكم عالم اليوم . وليس التعايش السلمي الجديد ارتباطا ولا تواطؤا ، كما انه ليس — ابدا — بداية النهاية للثورة الاشتراكية والصراع الطبقي . والتعايش لا يلغـــي التناقضات بين النظامين . وكل ما في الامر ان المرحلة الجديدة ترمي الى تجنب الصدام والتحكم في أسباب المواجهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . واذا كـــان مفهوما ان تغير بعض الدول في تكتيكاتها ، فليس هناك ما يبرر تغييرها لكل استراتيجيتها وكل أهدافها !! فالاستراتيجيات والاهداف ثابتة ، والتغيير لا يلحق الا بالاساليب ، بالتكتيكات .

وليس دافع هذه الاجنحة من البورجوازية للتعلق بسراب التسوية السلمية مجـــرد الضحالة الثورية وحسب ، بل عشمها — أيضا — ان يعيد التاريخ نفسه ، فتنجح في التوصل الى مثل تسوية العدوان الثلاثي لعام ١٩٥٦ . وتجهل هذه الاجنحة — وربمـــا

تتجاهل ـــ اختلاف الظروف وتغيير المواقع ، وبالذات فيما يخص الولايات المتحدة ، التي كانت تتطلع الى ضربة قاضية خاطفة تذهب بالنظام الناصري عام ١٩٥٦ . ولعل في هذا ما يفسر اقدام الولايات المتحدة على مطالبة حليفاتها ـــ بريطانيا وفرنسا واسرائيل ـــ بالانسحاب ، عقب فشلهم في اسقاط عبد الناصر . كما ان موقف الولايات المتحدة هذا جاء منعا لاتساع شعبية الاتحاد السوفياتي في الوطن العربي ، خاصة بعد موقفه الحازم من العدوان المذكور ،وبعد توجيهه انذاره الشهير بضرب لندن وباريس بالصواريخ في حالة عدم انسحاب قوات المعتدين من قناة السويس . اما اليوم فان عدوان ١٩٦٧ من صنع الولايات المتحدة نفسها ، بل ان الانتصار الاسرائيلي في هذا العدوان قد تم صنعه في الولايات المتحدة ، على حد تعبير مندوب صحيفة دافار الاسرائيلية في واشنطن غداة العدوان المشار اليه . ومن جهة اخرى فان اسرائيل التي كانت مجرد تابع لقوات بريطانيا وفرنسا في عدوان ١٩٥٦ ، مما اضطرها للانسحاب في أعقاب انسحاب القوات البريطانية والفرنسية ، قوات اسرائيل هي اليوم التي قامت بالعدوان بنفسها ، دون تدخل مباشر من قوات استعمارية اخرى . كما ان اسرائيل لم تعد مجرد عميلة للاستعمار ، اذ اصبح لها أطماعها الخاصة ، بعد ان استكملت دورتها واكتملت ملامحها كدولة استعمارية .ويفسر احسان عبد القدوس هذا الميل لدى بعض أجنحة البورجوازية الوطنية العربية ، فيقول بأن « قرار انسحاب القوات المصرية من سيناء عقب الضربة الاولى ، كان قرار يغلب فيه التقدير السياسي على التقدير العسكري ، فقد اتخذ هذا القرار تكرارا لقرار الانسحاب الذي اتخذ عام ١٩٥٦ ، خلال معركة الاعتداء الثلاثي ، وعلى أمل ان تحل القضية حلا سياسيا كما حدث عام ٥٦ ، ولكن الذي حدث عام ٥٦ لم يتكرر عام ٦٧ ، وكانت النتيجة ـــ نتيجة الخطأ في التقدير السياسي ـــ ان بقيت الارض العربية تحت الاحتلال الاسرائيلي حتى اليوم »(٧).

وما فتئت هذه الاجنحة الوطنية تمني النفس بحل على غرار الحل الفيتنامي ، ولكن بدون اراقة دماء ، اي بعد انتزاع جانبه الكفاحي ، متوهمة بأن حل المشكلة الفيتنامية انما أتى كنتاج للتفاوض الفيتنامي ـــ الامريكي في باريس ، ولاتفاق نيكسون وبريجنيف في موسكو . والكتاب البورجوازيون هنا يتعمدون اغفال نضال وتضحيات الشعب الفيتنامي التي فاقت كل تصور . وعلى سبيل المثال ، فقد كتب أحد هؤلاء الكتاب يقول عن انسحاب أمريكا من فيتنام « ... رغم أنه تم تحت ضغط تجمعات شعبية داخل أمريكا وخارجها، الا انه لم يتحقق الا بالاتفاق مع الاتحاد السوفياتي ، وهو الاتفاق الذي يعتبر الاساس الذي تقوم عليه اليوم سياسة الاعتماد المتبادل بين الدولتين . وهو ما يؤكد أن الولايات المتحدة اضطرت هي ايضا الى اتخاذ مواقف يمكن ان توصف بالتساهل ، او الاغضاء ، او التجاهل، او الضعف، للوصول الى التعامل المباشر مع الاتحاد السوفياتي »(٨).

ماذ عن المستقبل ؟

لقد وضح ان الاتحاد السوفياتي لم يفرط في حقوقنا ، ولا تزال مساعدته تمدنا بأسباب الصمود . بل أن مؤشر مؤازرة الاتحاد السوفياتي للمقاومة الفلسطينية سجل ارتفاعا ملحوظا في الاشهر القليلة الماضية ، ماديا ومعنويا ، وفي هذا الصدد نكتفي بالاشارة الى المناشدة التي ارسلها مجلس السوفيات الاعلى للملك حسين للحفاظ على حياة ابي داوود ورفاقه . وما يلفت النظر هنا ان هذا العمل هو الثاني من نوعه من جانب هذا المجلس منذ انشائه ، اي منذ اكثر من نصف قرن !

كما عبر البيان المشترك الصادر عن محادثات بريجنيف ـــ نيكسون الاخيرة عن اختلاف وجهتي النظر السوفيتية والامريكية فيما يخص الشرق الاوسط وتمسك كل طرف بوجهة نظره ، وأكد البيان بقاء السوفيات على مواقعهم القديمة بالنسبة لتأييدهم للحق العربي .

ولا شك ان التعايش السلمي يوفر ظروفا أفضل لحركات التحرر الوطني ؛ بازاحته العديد من الاحلاف والقواعد العسكرية الاستعمارية من طريقها .

وتظل للادارة الوطنية التأثير الاساسي في حسم التناقضات . كما أن المتغيرات الدولية الجديدة لا تحد من كفاحنا ان لم توسع آفاق تطوره .

ومن ثمة فعلينا ان لا نهرب من مواجهة مسؤولياتنا النضالية . وان نكف عن البحث على أسباب قصورنا لدى الاخرين .

---

١ — رؤية اقتصادية للقاء القمة — التقارب الاقتصادي بين واشنطن وموسكو لماذا ؟ — بقلم محمد عيسى (انظر : **الاهرام** — ١٩٧٣/٦/٢٢ — ص ٤) .

* نتحدث هنا عن دول المواجهة فقط دون غيرها. كما لا يعنينا هنا سوى مناقشة مواقف القوى الوطنية : اما الطبقات الرجعية وغير الوطنية، من كومبرادور واقطاع وبقايا اقطاع ، فأمرها لا يعنينا ، وهي خارج نطاق هذه المناقشة .

٢ — احسان عبد القدوس — بعد ست سنوات.. لا نزال في مجلس الامن (انظر : **اخبار اليوم** ١٩٧٣/٦/٢ ص ٦) .

٣ — رد من الاتحاد السوفياتي عن معنى الاسترخاء العسكري — راجع : **اخبار اليوم** ١٩٧٣/٦/٩ ص ١ .

٤ — محمد حسنين هيكل : على هامش لقاء نيكسون وبريجنيف (انظر : **الاهرام** ١٩٧٣/٦/٢٢ ص ٣) .

٥ — **المصدر نفسه** .

* * تحضرني، بمناسبة الكفاح، المناقشات التي دارت عقب هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ في مصر ، والتي عارض فيها علي صبري ومحمد فايق استمرار القتال ضد اسرائيل ، وردا على الذين طالبوا بتحويل مصر الى فيتنام جديدة ، بان هناك ثمة أمر يحول دون هذا التحويل ، وهو مجاري القاهرة ، فليس في فيتنام مجاري ، في حين تقوم مثل هذه المجاري في القاهرة ، مما يجعلها عرضة للانفجار في حالة استمرار القتال وتعرض القاهرة للغارات الجوية الاسرائيلية . وقد عرفت هذه المقولة **بنظرية المجاري !!**

٦ — احسان عبد القدوس ، ماذا فهمنا من لقاء بريجنيف ونيكسون ؟ **اخبار اليوم** ١٩٧٣/٦/٢٣ ص ٦ .

٧ — احسان عبد القدوس بعد ست سنوات .. لا نزال في مجلس الامن . **اخبار اليوم** ١٩٧٣/٦/٢ . ص ٦ .

٨ — احسان عبد القدوس . ماذا فهمنا من لقاء بريجنيف ونيكسون ؟ **اخبار اليوم** ١٩٧٣/٦/٢٣ ص ٦ .

مصادر دراسة الارهاب الصهيوني

الدكتور جورج طعمة

يصدر هذا المقال من تجربة قاسية . ففي ايار (مايو) ١٩٦٩ نشرت بالانكليزية في نيويورك مقالا عن الارهاب الصهيوني عنوانه « التحدي والصمود : حكم للتاريخ » وكنت لسنوات خلت قبل ذلك اهتممت بالارهاب الصهيوني فأخذت أجمع اصوله وما كتبه الارهابيون الصهاينة انفسهم وما اكثره تمهيدا لوضع كتاب في الموضوع كنت وما زلت آمل ان اتفرغ اليه . وحين كنت اراجع أبشع صنوف الارهاب الصهيوني لم يكن يخيل الي يوما انني سأستفيق ليلة على اطلاق الرصاص لاعرف في ساعات الصباح الاولى ان الانكشارية الارهابيين الصهاينة — واقصد بالانكشارية هنا كل ما في الكلمة من حرفية المعنى لاننا لا نعرف بعد عن وجود فرقة انكشارية في صفوف الجيش الاسرائيلي — قد ذبحوا تلك الليلة في بيروت على بضعة مائة امتار من حيث أسكن — ابو يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان — الذين انضموا الى ركب قافلة الشهداء العرب. ولم يكتفوا بقتل كمال ناصر ، بل برمزية لا يخفى معناها — صلبوه . ان يصلب الصهاينة كل من يشهد للحق ويظهر بطلان حلمهم بالتحكم الدنيوي جريمة ارتكبوها وما زالوا يرتكبونها ولا يتورعون عن ارتكابها كلما أخافهم صوت الحق الذي يذكرهم بجرائمهم . لكنهم حين يظنون انهم ذبحوا الشهادة للحق فسترتفع شهادات اخرى وسيصلب آخرون .

واذن فموضوع الارهاب مطروح اليوم داخليا من خلال مأساة تقرع على أبوابنا كل يوم وعالميا في المنظمة الدولية . وعندما تنعقد الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها العادية الثامنة والعشرين بعد منتصف ايلول (سبتمبر) فسيكون بند « الارهاب الدولي » مدرجا على جدول اعمالها وذلك تنفيذا للقرار ٣٠٣٤ تاريخ ١٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ (البند رقم ٩٤) في ما يبدو انه جزء من حرب الاستنزاف الفكري الذي تشنه اسرائيل والصهيونية الدولية ضدنا . لكن هذه المرحلة الجديدة من مراحل النضال العربي ضد الد اعدائنا يمكن ، اذا عرفنا ان نخوضها بدقة ومعرفة علمية ، ان تنقلب ضد اسرائيل والصهيونية التي كانت رائدة الارهاب الدولي لسنوات ابعد مما يخيل لنا كما سنظهر في ما بعد . فالصهيونية دخلت التاريخ عن طريق الارهاب ونحن بالتالي ملتزمون بأن نلم بأسس وابعاد الوجود الدموي المأسوي الذي فرضته الصهيونية واسرائيل علينا . ومن هنا ضرورة معرفة التاريخ لا بمراحله الكبرى فحسب بل بجزئياته ودقائقه التفصيلية .

ما هي المعرفة التاريخية ؟ ما هو الحكم التاريخي ؟ ما هي العلاقة بين الاثنين ؟ هل ثمة حكم تاريخي يمكن ان يكون منفصلا عن المعرفة التاريخية او عن التاريخ عندما نعيشه ؟ كيف يصبح الحدث المجهول الذي يفرض بقوة علينا تاريخا ؟ كيف يمكن للحكم التاريخي ان يكون منبثقا عن المعرفة التاريخية ملخصا لها وبمثابة جسر بينها وبين حاضر الانسانية ومستقبلها ؟ لماذا يستيقظ الحس التاريخي عندما يجابه المفكر مأساة انسانية ذات ابعاد كونية ؟ ما هي الرابطة الخفية بين المأساة وتطلعات الانسان التاريخية ؟

أجاب كروتشه Croce المفكر الايطالي الكبير في كتابه « التاريخ — قصة الحرية » على

هذه الاسئلة بقوله : « ليس يكفي ان نقول ان التاريخ هو حكم تاريخي ، بل تقضي الضرورة ان نضيف ان كل حكم هو حكم تاريخي او بكل بساطة التاريخ نفسه . . . وليس الحكم التاريخي مجموعة متنوعة من المعرفة ولكنه المعرفة ذاتها التي لا تترك مجالا لما عداها » .

واذا كانت الطبيعة لا تعرف الفراغ فالتاريخ البشري لا يعرف الفراغ ايضا . وتشكل حوادث فترة تاريخية ما سلسلة وثيقة الترابط لها أسبابها السابقة ونتائجها اللاحقة. وحين تؤدي نتائج احداث معينة الى ما يقرب من اغتيال شعب بكامله ــ كالشعب الفلسطيني العربي ، وتتناول هذه النتائج الملتهبة الامة العربية بكاملها وبأصولها وفروعها ــ شئنا ذلك أم أبيناه ــ ورضينا عنه ام لم نرض به ، كأننا وسط مأساة يونانية نحن من ضحاياها ومتفرجيها معا ، فان الحكم التاريخي يصبح ضرورة الزامية . والتهرب من اتخاذ موقف او اطلاق حكم لا ينفع الهارب شيئا كما لا ينفع الزرافة ان تدفن رأسها في الرمال هربا من العاصفة الهوجاء . ونحن بحكم انسانيتنا وتاريخنا الفاجعي الطويل مدعوون لان نطلق حكما . هذا هو اذن الاطار التاريخي الانساني الذي يحتم علينا ان نتخذ موقفا ازاء مشكلة الارهاب والعنف التي تثير العالم اليوم . فما هو سبيلنا الى ذلك .

مصادر دراسة الارهاب الصهيوني « من فمك ادينك يا اسرائيل » : امام الباحث العربي ــ وخاصة أولئك الذين يخوضون هذه المعركة في منظمة الامم المتحدة الان ــ وسيخوضها العقل والعلم العربيان لعدة سنوات مقبلة ــ فرصة نادرة لا يمكن ان تتاح لاي باحث او عالم او دبلوماسي يريد ان يخوض هذه المعركة الفكرية بمسؤولية وعلم . ذلك ان قادة الارهاب الصهيوني اليهودي نشروا وما زالوا ينشرون حتى اليوم كتبا ومؤلفات ضخمة تناولوا فيها بالاسهاب والتفصيل الدقيق مختلف المنظمات الارهابية التي ينتمون اليها وتنشوءها وتنظيماتها وايديولوجيتها واهدافها التخريبية وجرائمها ومعاركها وفظائعها وكتبوا عنها بكل صراحة ودون خوف . وليس من المبالغة القول انك لا تجد في أي تراث سياسي عسكري لاي شعب من شعوب العالم كهذا التراث الرهيب عن العنف والارهاب الصهيوني . ان مجرد الكشف بهذه الصراحة وهذا الوضوح من قبل القتلة أنفسهم وقادتهم عن أبشع الجرائم التي يمكن ان يرتكبها بشر ضد بشر ، بل وحتى ضد اليهود بالذات عندما كانت المصلحة تقتضي ذلك ، يكون بحد ذاته تحديا للعقل والضمير الانسانيين . وليس على الباحث العربي الا أن يتناول أي مصدر من هذه المصادر او ان يقرأ أي فصل منه . وجل ما اطمح اليه في هذه الدراسة الموجزة هو ان افتح كوة او نافذة صغيرة يستطيع القارىء ان يطل منها على جحيم ذلك الارهاب .

امام القارىء قائمة بالمصادر عن الارهاب الصهيوني اليهودي مقسمة الى ثلاثة اقسام :

أولا : المصادر الاولية وتتكون فقط من كتابات نفر من قادة الارهاب الصهيوني او اعضاء المنظمات الصهيونية البارزين .

ثانيا : المصادر الرسمية وقوامها منشورات رسمية من وزارة الخارجية الاميركية والخارجية البريطانية ووثائق او تقارير صادرة عن منظمة الامم المتحدة ويشمل ذلك بعض محاضر جلسات مجلس الامن .

ثالثا : مصادر نصفها على انها ثانوية وانما كتابها اما ان يكونوا انفسهم صهيونيين اشتركوا في اعمال الارهاب ثم حدثت عندهم نوع من الردة بعد مرور سنوات على أعمالهم ويعيشون في اسرائيل الان ، كأوري افنيري ، او صهيونيين سابقين ارتدوا على الصهيونية واسرائيل وغادروها كموشي مينوحين والد الموسيقار المشهور

يهودا مينوحين او كتاب يعطفون على اسرائيل وعاصروا الاحداث التي يكتبون عنها او شخصيات دولية لعبت دورها في تاريخ فلسطين وكانت نفسها ضحية الارهاب الصهيوني كالوسيط الدولي الكونت فولك برنادوت والمؤرخ كريستوفر سايكس ابن السياسي البريطاني سايكس او كتاب من غير المذهب اليهودي يؤيدون اسرائيل .
وفي ما يلي قائمة هذه المصادر بأقسامها الثلاثة :

ثبت بالمصادر عن الارهاب الصهيوني اليهودي الاسرائيلي

المصادر الاولية *PRIMARY SOURCES*

1. Avner: *Memoirs of an Assassin : Confessions of a Stern Gang Killer.* Thomas Yoseloff, New York, 1959.
   افنر . **مذكرات قاتل . اعترافات مجرم من عصابة سترن** . نيويورك .
2. Bar-Zohar, Michael : *The Avengers: The Drama of the Daring Jews Who are Avenging the Six Million Dead.* Translated from the French by Len Ortzen. Hawthorn Books, Inc., New York, 1967.
   ميشيل بار — زوهار . **المنتقمون . دراما اليهود الجريئين الذين ينتقمون للستة ملايين يهودي الذين ماتوا** . نيويورك ، ١٩٦٧ .
3. Bar-Zohar, Michael: *The Hunt for German Scientists 1944-60.* Translated from the French by Len Ortzen. Hawthorn Books, Inc. New York, 1967.
   ميشيل بار — زوهار . **اصطياد العلماء الالمان . ١٩٤٤ — ١٩٦٠** . نيويورك ، ١٩٦٧ .
4. Begin, Menachem: *The Revolt, Story of the Irgun,* N.Y. 1951.
   مناحيم بيغن . **الثورة . قصة الارغن** . نيويورك ، ١٩٥١ .
5. Cohen, Dov: *The Conquest of Acre Fortress.* Hadar Publishing House Ltd., Tel-Aviv, 1962.
   دوف كوهين . **غزو قلعة عكا** . تل ابيب ، ١٩٦٢ .
6. Cohen, Geula: *Women of Violence, 1943-1948; Memoirs of a Young Terrorist.* The World Publishing Co., Cleveland and New York, 1966.
   غويلا كوهين . **مذكرات ارهابية فتاة . امرأة من اتباع العنف** . نيويورك ، ١٩٦٦ .
7. Allon, Yigal: *The Making of Israel's Army;* Bantam Books, Inc., 1971.
   يغال الون . **تكوين جيش اسرائيل** . نيويورك ، ١٩٧١ .
7. Davis, Mac: *Jews Fight Too;* Hebrew Publishing Co., New York, 1945.
   ماك ديفيس . **اليهود يحاربون أيضا** . نيويورك ، ١٩٤٥ .
8. Dekel, Efraim: *Shai The Exploits of Hagana Intelligence.* Thomas Yoseloff, New York, 1959.
   افرايم ديكل . **شاي . مآثر جاسوسة الهاغاناه** . نيويورك ، ١٩٥٩ .
9. Dinour, Ben Zion: *Sepher Toldot Ha-Haganah (History of the Haganah)* Hebrew. Tel-Aviv: Ma'arachot, 1959.
   بن صهيون دينور . **تاريخ الهاغاناه** . بالعبرية . تل ابيب ، ١٩٥٩ .
10. Frank, Gerold: *The Deed;* Simon and Schuster, Inc., New York, 1963.
    فرانك جيرولد . **الفعل العظيم . اغتيال اللورد موين** . نيويورك ، ١٩٦٣ .

11. Gil'Ad, Zerubbavel: *Sepher Ha-Palmach;* Ha-Quibbutz Ha-Meuchad, Tel-Aviv, 1953, 1954 (in Hebrew).

جلعاد زيرو بافل . **كتاب البالماخ** . تل ابيب ، بالعبرية ، ١٩٥٣ ــ ١٩٥٤ .

12. Golany, B: *«Statehood and Zionism» What the Herut Revisionist Movement Stands for.* The Blue-White Pocket Library. N.Y. 1958.

ب. غولاني . **انشاء الدولة والصهيونية . مبادىء حزب حيروت** . نيويورك ، ١٩٥٨ .

13. Gruber, Ruth: *Destination Palestine: The Story of the Haganah Ship Exodus 1947.* Current Books, Inc., A.A. Wyn, New York, 1948.

روث غروبر . **النهاية فلسطين . قصة باخرة الهاغاناه « الخروج ــ اكسوداس » لعام ١٩٤٧** . نيويورك ، ١٩٤٨ .

14. Irgun Zvai Leumi B'Eretz Israel: *The Hebrew Struggle for National Liberation;* (A selection of Documents on its background and on events punctuating its course-not found).

الارغن زفاي ليومي بأرض اسرائيل . **الكفاح العبري من أجل التحرر القومي**. (مجموعة وثائق بالعبرية عن هذه الحركة وخلفيتها والحوادث التي أدت الى تطورها ــ غير موجود) .

15. Jabotinsky, Vladimir: *The Story of the Jewish Legion.* Bernard Ackerman, Incorporated, New York, 1945.

فلاديمير جابوتنسكي . **قصة الفرقة اليهودية** . نيويورك ، ١٩٤٥ .

16. Katz, Samuel, *Days of Fire:* the Secret History of the Irgun Zvai Leumi and the Making of Israel. Doubleday & Co. N.Y. 1968.

صموئيل كاتز . **ايام من النار . التاريخ السري للارغن زفاي ليومي** . نيويورك ، ١٩٦٨

17. Lorch, Netanel: *The Edge of the Sword;* G.P. Putnam Sons, New York, 1969.

ناتانائيل لورخ . **حافة السيف** . نيويورك ، ١٩٦٩

18. Mardor, Munya: Strictly Illegal: *Haganah;* The New American Library, Inc., New York, 1964.

مونيا ماردور : لا شرعي بكل معنى الكلمة . عنوان الطبعة الانكليزية . **الهاغاناه** . عنوان الطبعة الاميركية وهي التي اعتمدتها . نيويورك ، ١٩٦٤ .

19. Stone, I.F.: *Underground to Palestine.* Boni & Gaer, Inc., New York, 1946.

ا. ف. ستون . **طريق الارهابيين الى فلسطين** . نيويورك ، ١٩٤٦ .

20. Suhl, Yuri: *They Fought Back: The Story of the Jewish Resistance in Nazi Europe.* Edited and translated by Yuri Suhl; Maggibbon & Kee, London, 1968.

يوري شول . **لقد حاربوا قاتليهم . قصة المقاومة اليهودية في المانيا النازية** . لندن ، ١٩٦٨ .

21. *Sepher Hashomer* (The Book of Hashomer). Hebrew. Tel-Aviv: Davar, 1936.

كتاب الهاشومير « **فرق الحراس** » بالعبرية ، تل ابيب ، ١٩٣٦ .

22. Tushnet, Leonard: To Die with Honor: *The Uprising of the Jews in the Warsaw Ghetto.* The Citadel Press, New York, 1965.

ليونارد تاشنت . **الموت بشرف . قتال اليهود في غيتو وارسو** . نيويورك ، ١٩٦٥ .

المصادر الرسمية — *OFFICIAL SOURCES*

1. *«Foreign Relations of the United States» — 1943-Volume IV and Vol VIII, 1943-45 the Near East and Africa:* United States Government Printing Office, Washington 1964. Department of State.

العلاقـــات الخارجية للولايات المتحدة الاميركية • الشـــرق الادنى وافريقيـــا • المجلد الرابع ١٩٤٣ • المجلد الثامن ١٩٤٥ • المطبوعات الرسمية للحكومة الاميركية • ١٩٦٤ و ١٩٦٩ • وزارة الخارجية الاميركية •

2. *United Nations Progress Report of the United Nations Mediator on Palestine Submitted to the Secretary-General for transmission to the Members of the United Nations:* General Assembly, official Records: Third Session Supplement No 21 (A/648) (Part 1 & part 2), Paris, 1948.

تقرير الوسيط الدولي في فلسطين للامين العام من اجل رفعه لاعضاء الامم المتحدة • الجمعية العامة • الوثائق الرسمية • الدورة الثالثة • رقم ٦٤٨/ A اضافة ٢١ • القسمان الاول والثاني • باريس ١٩٤٨ •

3. *Statement Relating to Acts of Violence, July 24, 1946. British Command Paper 6873.*

بيان رسمي يتعلق بأعمال العنف • تموز (يوليو) ١٩٤٦ • الوثيقة الرسمية البريطانية رقم ٦٨٧٣ •

4. *Security Council Official Records, Third Year; 358th Meetings: 18 September 1948.* And *367th and 368th Meetings: 19 October 1948.*

الوثائق الرسمية لمجلس الامن • السنة الثالثة • الاجتمـــاع رقم ٣٥٨ في ١٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٨ والاجتماعان رقم ٣٦٧ و ٣٦٨ في ١٩ تشرين أول (اوكتوبر) ١٩٤٨ •

المصادر الثانوية — *SECONDARY SOURCES*

1. Avnery, Uri, *Israel Without Zionists:* A Plea for Peace in the Middle East; The MacMillan Co., New York, 1968.

أوري أفنيري • **اسرائيل بدون صهيونيين** • دعوة للسلام في الشرق الاوسط • نيويورك، ١٩٦٨ •

2. Ben-Gurion, David; *Israel: Years of Challenge;* Holt, Rhinehart and Winston, New York, 1963.

دافيد بن غوريون (واسمه قبل تغييره دافيد غرين) • **اسرائيل • سنوات التحدي** • نيويورك ، ١٩٦٣ •

3. Bernadotte, Folk: *To Jerusalem;* Hodder and stoughton, London, 1951.

فولك برنادوت • **الى القدس** • لندن • ١٩٥١ (نشر بعد قتله) •

4. Davis, John H. *The Evasive Peace.* London: Cox & Wyman Ltd., 1968.

جون ديفيس • **السلام الهارب** • لندن ، ١٩٦٨ •

5. *Generals of Israel:* Editor: Moshe Ben Shaul-Translated from the Hebrew by I. Hanoch; Hadar Publishing Co. Ltd., Tel-Aviv, 1968.

جنرالات اسرائيل • نشر موشي بن شاوول • بالعبرية أصلا وترجم للانكليزية • تل أبيب ، ١٩٦٨ •

6. Institute for Palestine Studies, The, & The Arab Women's Information Committee: *Who are the Terrorists? Aspects of Zionist and Israeli Terrorism.* Beirut, 1972.

مؤسسة الدراسات الفلسطينية . **من هم الارهابيون** . بيروت ، ١٩٧٢ .

7. Khane, Meir; Churba, Joseph; King, Michael: *The Jewish Stake in Vietnam;* Crossroads Publishing Co., New York, 1967.

مايير كهانه وميشيل كنغ . **المصلحة اليهودية في فيتنام** . نيويورك ، ١٩٦٧ .

8. Kimche, Jon and David: *A Clash of Destinies;* Frederick A. Praeger, Inc, New York, 1960.

جون وداوود كمشه . **اصطدام الاقدار** . نيويورك ، ١٩٦٠ .

9. Lilienthal, *Alfred: What Price Israel ?* Henry Regnery Company, New York, 1953.

الفرد ليلنتال . **أي ثمن اسرائيل** . نيويورك ، ١٩٥٣ .

10. Menuhin, Moshe: *The Decadence of Judaism in our Time;* Exposition Press, New York, 1965.

موشي مينوحين . **انحطاط اليهودية في زمننا** . نيويورك ، ١٩٦٥ .

11. Perlmutter, Amos: *Military and Politics in Israel: Nation-Building and Role Expansion.* Frank Cass & Co. Ltd. London, 1969.

عاموس برلمتر . **العسكرية والسياسة في اسرائيل . بناء الامة ودور التوسع** . لندن ، ١٩٦٩ .

12. Sharef, Zeev: *Three Days;* Doubleday and Co., Inc., New York, 1962.

زيف شارف . **ثلاثة أيام** . نيويورك ، ١٩٦٢ .

13. Slater, Leonard: *The Plege.* Simon and Schuster, New York, 1970.

ليونارد سليتر . **العهـد** . نيويورك ، ١٩٧٠ .

14. Sykes, Christopher: *Crossroads to Israel - 1917-1948:* The World Publishing Company, Cleveland, Ohio, 1965.

كريستوفر سايكس . **الطرق المتقاطعة لاسرائيل ١٩١٧ — ١٩٤٨** . كليفلاند ، ١٩٦٥ .

15. Tuchman, Barbara: *Bible and Sword.* Minerva Press, New York, 1968.

باربارة تاكمان . **التوراة والسيف** . نيويورك ، ١٩٦٨ .

16. Zukerman, Willam, *Voice of Dissent-Jewish Problem, 1948-1961.* New York: Bookman Associates Inc., 1964.

ويليام زوكرمن . **صوت مخالف . المشكلة اليهودية ١٩٤٨ — ١٩٦١** . نيويورك، ١٩٦٤ .

17. Robnet, George W.: *Conquest Through Immigration: How Zionism Turned Palestine into a Jewish State.* Institute for Special Research, Pasadena, California, 1968.

جورج روبنت . **الغزوة بواسطة الهجرة** . كيف حولت الصهيونيـــة فلسطين لدولة يهودية . كاليفورنيا ، ١٩٦٨ .

ولا بد قبل أن نناقش المرتكزات العقائدية والفكرية التي قامت عليها « ايديولوجية » الارهاب الصهيوني من التمييز كما هو معروف في القوانين الجزائية بين التصميم للارهاب وبين الجريمة ذاتها . فالاول ، بديهيا ، سابق للارهاب ويقود اليه ، بدليل ما نصت عليه مقدمة دستور اليونسكو (منظمة الامم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم) التي

جاء فيها : « لما كانت الحروب **تبتدىء** في عقول الرجال ففي عقول الرجال يجب ان تبنى حصون الدفاع عن السلام » فواضح اذن ان التصميم في العقل يسبق التنفيذ بالفعل . والقرار العقلي الذي بموجبه تم تجريد شعب بكامله من حقوقه قبل القضاء على هذا الشعب هو بصورة أكيدة مصدر من مصادر العنف . وعندما كتب هرتزل بشكل جازم عام ١٨٩٦ في كتابه « دولة اليهود » في وقت لم يكن فيه عدد اليهود في فلسطين يزيد كثيرا عن عشرين الفا اذ قال :

« ان دولة اليهود يجب ان تشكل في فلسطين جزءا لا يتجزأ من سور الدفاع عن أوروبا في آسيا وقلعة متقدمة للحضارة ضد البربرية »(١) وعندما كتب في مذكراته : « سنحاول أن نخرج السكان المعدمين عبر الحدود بأن نجد لهم عملا في البلاد التي نطردهم اليها وننكر عليهم أي عمل في بلدنا »(٢). ويتابع قائلا : « اذا انتقلنا لمنطقة حيث توجد حيوانات مفترسة لم يتعود عليها اليهود ـــ كالافاعي الكبيرة مثلا الخ ـــ فسأحاول ان استعمل السكان البدائيين للقضاء على هذه الحيوانات قبل ان اجد لهم عملا في البلاد التي يعبرون اليها »(٣) ذلك كله كان المصدر الاول والاساسي للارهاب والعنف .

وعندما وصف وعد بلفور عام ١٩١٧ الاغلبية الساحقة من العرب في فلسطين بأنها « السكان غير اليهود » فمثل هذا الوصف المبهم وفي ذهنية الزمن الذي صدر فيه التصريح كان يعني ضمنا وبسخرية « السكان البدائيين » «Natives» مما هم أحط من ان ينظر فيهم مشجعا بذلك العنف الصهيوني الاستعماري لان يتمادى ضد اولئك « البدائيين » ـــ فقد كان ذلك عملا اولا من اعمال العنف .

وعندما قدم وايزمن للمجلس الاعلى لمؤتمر السلام المنعقد في باريس مذكرته المعروفة المؤرخة في ٣ شباط (فبراير) ١٩١٩ والتي تضمنت « الحد الادنى لدولة اليهود المقبلة فأدخل فيها كل فلسطين وجنوبي لبنان وجنوبي سوريا حتى دمشق وخليج العقبة ثم خط حديد الحجاز حتى معان ومنابع مياه الاردن في سفوح جبل الشيخ »(٤) ـــ وهي كلها أجزاء لا تتجزأ من الوطن العربي ـــ فقد كان ذلك فعلا من افعال العنف . وعندما نشرت عام ١٩٥٢ الوثائق السرية البريطانية العائدة لعام ١٩١٩ وعرف ان بلفور قال في ١١ آب (اغسطس) من ذلك العام للوزارة البريطانية : « في فلسطين نحن لا نفكر البتة ان نعمد الى أي شكل من استشارة السكان الحاليين ومعرفة رغائبهم »(٥). فقد كان يضع أسسا من أسس الارهاب والعنف الصهيوني الذي نشأ واستمر وما زال مستمرا ضد العرب حتى اليوم .

وهكذا فان ما « ولد في عقول الرجال » قد أدى بالفعل الى الارهاب الصهيوني الذي جعل من فلسطين العربية جحيما حقيقيا لا اسطورة او خرافة . ومن خلال كتابات الارهابيين الصهيونيين نجد العقيدة الصهيونية قد بنيت ـــ بين ما بنيت عليه ـــ على المقدمات التالية : (١) الايمان « بالعسكرية » من أجل ذاتها ايمانا مطلقا وانشاء الاجيال المتعاقبة من الصهيونيين عليها بحيث تصبح قسما من تكوينهم (٢) نقض الحقوق الطبيعية للعرب نقضا مطلقا بحيث تصبح بالنسبة للصهيوني جريمة ابادة الجنس العربي عملا مطلوبا من أجل ذاته (٣) تبرير اللجوء لاية وسيلة مهما كانت ممعنة في الاجرام لتحقيق الاهداف المقدسة لهم في « **أرض اسرائيل** » بحيث يصبح القتل والاغتيال والارهاب من عاديات الحياة اليومية (٤) اعتماد **قانون أعلى** هو المطلق بالنسبة لهم او **مطلق صهيوني** يضع الصهيونيين كلهم في جهة وباقي الجنس البشري في جهة أخرى هي أدنى من حيث يقفون (٥) الارتسام والدخول في كهنوت صهيوني غايته انقاذ « وطن اليهود » بحيث يصبح **الحقد** الاعمى ضد العرب من مقومات الايمان وتطهير « ارض اسرائيل »(٦) من العرب سبيلا لتحقيق الطهارة الصهيونية .

ما أكثر الادلة التي يمكن أن نأتي بها لايضاح هذه المجموعة الرهيبة من العقائد ولكننا نكتفي بقدر يسير .

كتب العالم موشي مينوحين الذي قلنا انه نشأ صهيونيا في فلسطين ثم ارتد على الصهيونية ما يلي :

« لقد كنت يوما فردا من أفراد العصابة (واستعمل بالانكليزية كلمة Gang) ونشأت في نعيم الاستيطان في القدس الى أن بلغت الخامسة عشرة من عمري تشبعت لمدة خمس سنوات صلبة في « الحياة اليهودية الكاملة » من القومية اليهودية السياسية الى أن أدركت سن العشرين . وكانت تلك المدرسة تطعم ابناءها بأفكار مؤسسها هرتزل . وكان من أبناء صفي موشي شاريت (شرتوك قبل أن يغير اسمه بعد قيام اسرائيل) الذي أصبح في ما بعد رئيس وزارة في اسرائيل خلال الفترة الوجيزة التي « انسحب » فيها بن غوريون من الحكم .

« نحن أوائل المتخرجين من « المعبد المقدس » للقومية اليهودية السياسية نذرنا نفوسنا و « ارتسمنا » لننفذ « الوطن اليهودي » بأي ثمن كان ولنطهر فلسطين من العرب «Goyimrien».

« أعرف من أي مصدر أتكلم . فقد تبعت اعمال « عصابتي Gang » خلال هذه السنوات كلها . ولزمني حياة كاملة لكي أفصل نفسي عن هذه الفلسفة البدائية الهوجاء في القومية اليهودية التي أراها شكلا مرضيا من الانانية الجماعية . هذه القومية التي تعتبر ذاتها مطلقة يدين لها العالم بكل شيء ولا تدين بشيء لاحد »(٧) .

« كل انسان آخر هو على خطأ وأنت وحدك على الصواب . لا تحاول أن تجد أعذارا من أجل ذلك فهي غير ضرورية وهي غير صحيحة . وليس بوسعك ان تعتقد بأي شيء في العالم اذا اعترفت ولو مرة واحدة انه ربما يكون خصومك على صواب لا انت . فهذه ليست هي الطريقة لتحقيق اي أمر . لا توجد في العالم الا حقيقة واحدة . وهي بكاملها ملكك أنت . وان لم تكن واثقا بها فابق في بيتك . ولكن ان كنت واثقا لا تتطلع الى الوراء وستأتي في اتجاهك » (جابوتنسكي . الفرقة اليهودية . صفحة ٦٣) .

« لقد أفسدت ابناءكم وعلمتهم كيف يحطمون النظام (وأحيانا زجاج النوافذ) وحاولت أن أعلمهم ان الترجمة الصحيحة لـ «Kamaz alef-o» ليست « تعلم كيف تقرأ » ولكن **« تعلم كيف تطلق الرصاص »** . لقد فعلت ذلك دائما ولا شبهة لدي في انني لم الحق اي ضرر بهم . لذلك اتوسل ان لا يمنعني القدر من القوة والشرف في ان أتابع نفس الاهداف لنهاية حياتي ككاتب وكمرشد » (جابوتنسكي مقالة National) . وهنالك قصة قديمة تروى عن شاب سئل في الكيبوتز كيف ترى المشكلة العربية فأجاب « من خلال فوهة البندقية » (أوري أفنيري . اسرائيل بدون صهيونيين . ص ١٣٥) . « تعلمت منذ حداثة سني عن أبي اننا نحن اليهود لا بد ان « **نعود** » لارض اسرائيل. ولا يجوز مطلقا القول ان « نذهب » او « ان نسافر » او « ان نأتي » بل بكل حزم **أن نعود** . ذلك هو الفارق الكبير . وهو فارق شامل كل الشمول » (بيغن . الثورة ص ٣ وفي حاشية يعطي بيغن التحديد الجغرافي لارض اسرائيل بحيث تشمل كافة ضفتي الاردن حيث عاشت القبائل العبرية) . « انت بحاجة لكي تتمكن من المحافظة على باب مفتوح مع الحركة السرية الى شيء هو أكثر من مجرد استعمال الاسماء الملفقة . ان اكثر الامور ضرورة هو الشعور الداخلي الذي يحول ما هو « شرعي » الى « غير شرعي » وما هو « غير شرعي » الى « شرعي » و« مبرر » . لقد كنا مقتنعين « بالشرعية » المطلقة لاعمالنا « اللاشرعية » (بيغن المصدر السابق ص ١٠٨) .

« القول ان ابني يعمل في الهجرة « اللاشرعية » لايصال اللاجئين اليهود لفلسطين شرف

لا يحق لي ان اناقشه فيه » (جابوتنسكي . مذكرة خاصة قدمها لاعضاء مجلس العموم البريطاني في آذار ١٩٢٠) .

المنظمات الارهابية ــ الهاغاناه

نجد في المصادر التي تبحث في الهاغاناه ــ وهي كلمة عبرية تعني الدفاع ــ روايات مختلفة عن نشأتها واصولها . فمنيا ماردور Munia Mardor في كتابه الذي عنوانه « الهاغاناه » يروي انها نشأت في منتصف الثلاثينات « كتدبير دفاعي ضد قوى النهب والسلب العربية » ويذهب ميناحيم بيغن في كتابه الثورة ان الهاغاناه حلت عام ١٩١٩ محل فرق الحرس (الهاشومير) « التي تأسست اثناء الحكم التركي والتي كانت حرسا ليليا لحماية المستعمرات اليهودية من سطو العرب وقطاع الطرق . وكان معظم الذين تطوعوا بالاصل في صفوف الهاغاناه من الفرقة اليهودية التي اسسها جابوتنسكي عام ١٩١٧ وقاتلت في صفوف الحلفاء في الحرب العالمية الاولى » (بيغن . الثورة . ص ٣٤ . حاشية ٢) . ويذهب اسرائيل غاليلي في « كتاب البالماخ » ان بذور الهاغاناه بدأت في « الشتات » خلال العهد العثماني مع فرق الحرس الليلي (هاشومير) وتطورت في ظل الانتداب البريطاني واصبحت المنظمة السرية المدعوة الهاغاناه . أما افنر Avner في كتابه «مذكرات قاتل ــ اعترافات مجرم من عصابة السترن» فيكتفي بالقول ان الهاغاناه تأسست في ظلال الحكم التركي . وفي كتاب « تكوين الجيش الاسرائيلي » المنشور عام ١٩٧٠ ليغال الون نائب رئيسة الوزراء ووزير التربية حاليا واحد ضباط الهاغاناه ومن قادة البالماخ سابقا يتحدث بتفصيل أكثر عن نشأة الهاغاناه فيقول : « ان المآثر التي حققها جيش اسرائيل والجراة النادرة التي تحلى بها امام قوى عربية تفوقه عددا لا يمكن فهمها الا اذا عرفنا كيف تكونت القوة العسكرية اليهودية (يتحدث ألون هنا عن حرب ١٩٤٨) ــ **وهي قوة نشأت قبل سبعين سنة** كمجموعات من زمر صغيرة من الحراس وتطورت الى ان أصبحت الجيش الحديث البارع الذي ربح حرب الايام الستة » . يتابع الون فيقول : « منذ عام ١٨٨٠ عندما كانت البلاد لا تزال تحت الحكم العثماني ولم يكن عدد السكان ليزيد عن بضعة عشرات من الالوف ــ (يعطي الون عدد اليهود حينذاك في فلسطين كلها على انه ٢٤٠٠٠ نصفهم يعيش في القدس والنصف الاخر موزع في الجليل وصفد وطبريا ويافا وعكا) ــ ابتدأ تشكيل خلايا سرية للدفاع ضد السرقة والسطو والقتل والاغتيال . ولم تكن لهذه التنظيمات صفة سياسية ولكن ترتب عليها بصورة غير مباشرة نتائج سياسية . فاليهود اذ وجدوا انه لم يكن بوسعهم ان يعتمدوا على السلطات العثمانية لحمايتهم اعتادوا أكثر فأكثر ان يعتمدوا من اجل الدفاع عن انفسهم وأملاكهم بل وحقهم ان يعيشوا في الارض المقدسة . وهكذا تشكلت منذ بداية هذا العصر نوى متعددة مختلفة لمنظمات عسكرية يهودية سرية ذات اتجاهات سياسية واهمها فرق « الهاشومير » « الحراس » التي تعتبر بحق على انها المنظمات التي سبقت الهاغاناه . واخذت هذه الفرق تفكر في هذه المرحلة ان يكون دفاعها عن اليهود على مستوى وطني قومي واسع . وكانت مستعدة دوما للدفاع عن اية مستعمرات يهودية مهما كانت بعيدة او نائية ــ بل كلما كانت ابعد كلما كانت أفضل . وأخذت تحمي هذه الضيع النائية بالاشتراك مع الفلاحين والمزارعين فيها » (المصدر السابق ، صفحة ٤ ــ ٥) .

ويكشف لنا الون في سرده تاريخ نشوء المنظمات الارهابية عن عراقتها في التجسس فيقول : « خلال الحرب العالمية الاولى وخاصة بعد اعلان وعد بلفور ودخول الولايات المتحدة الاميركية في الحرب اشتبه الاتراك بحق بخيانة اليهود للامبراطورية العثمانية وتعاونهم سرا مع البريطانيين . وعندما اكتشف الاتراك ان اليهود كانوا يقومون بأعمال تجسس وراء الخطوط التركية الالمانية ، وان منظمة تجسس يهودية تدعى Nili

نيلي — (الاحرف العبرية الاولى من العبارة « نتساح يسرائيل لو يشاكير » — أي — نصيح اسرائيل لا يكذب — عبارة مأخوذة من التوراة صموئيل الاول : الاصحاح ١٥ الفقرة٢٩—) وهي فرقة يهودية تتألف اكثريتها من شباب اوائل المستوطنين اليهود أخذوا بملاحقة جميع المنظمات العسكرية او شبه العسكرية اليهودية وطردوا للشمال في الجليل جميع اليهود الذين استوطنوا في الجنوب على مقربة من مصر وحيث كانت القوات البريطانية تتقدم باتجاه فلسطين . كانت أولى فرق اليهود قد انتظمت في نطاق الجيش البريطاني الذي كان يقاتل في الشرق الاوسط . وكانت هذه الفرق تتألف من جنود يهود متطوعين ونظاميين من فلسطين وبريطانيا واميركا . وكانت هذه اول فرصة للشباب اليهود ان يكتسبوا خبرة وتدريبا في التنظيم العسكري . وتمكنوا ايضا ان يجمعوا مقدارا غير يسير من المعدات العسكرية الخفيفة التي أثبتت في ما بعد انها ذات اهمية قصوى لليهود » (المصدر السابق صفحة ٥) .

خلال السنوات الواقعة ما بين الحربين العالميتين (١٩٢٠ — ١٩٣٩) اشتدت المقاومة العربية وعلى حد تعبير ألون جاءت في موجات كل موجة منها اكبر من الثانية وبينها ثلاث نزاعات رئيسية عام ١٩٢١ و ١٩٢٩ و ١٩٣٦ — ١٩٣٩ . ومرت فترات كثيرة عصيبة كانت تمضي ساعات واحيانا ايام قبل ان يتمكن اليهود من نجدة المستعمرات المحاصرة مما جعلهم يضاعفون جهودهم لانشاء قواتهم العسكرية . وقد اعلنت سلطات الانتداب ان انشاء مثل هذه القوات امر غير شرعي لكن هذا لم يمنع اليهود في فلسطين من ان يمضوا قدما في تنظيم قواهم العسكرية بصورة سرية ودون توقف . هكذا وعلى التدريج تكونت الهاغاناه .

ومما ادى الى تقوية الهاغاناه في هذه الفترة تدفق المهاجرين اليهود من عدة بلاد وخاصة من اوروبا الشرقية . ولم تكن هذه التقوية في الكم فحسب بل وفي النوع ايضا اذ ان اغلبية المهاجرين الجدد كانت من الشباب وكلهم مثالي متحمس والعديد منهم كانت له خبرة بالتنظيمات شبه العسكرية والسرية عندما كانوا يدافعون عن الاحياء اليهودية في شرقي اوروبا حين كانت هذه الاحياء تتعرض للهجوم .
وقد اثر على تكوين الهاغانا ، وذهنية المنخرطين فيها اختيار امكنة المستعمرات اليهودية التي كانت خاضعة لاهداف استراتيجية وسياسية محضة . ولم يكن العامل الاقتصادي هو العامل المؤثر في اختيار المستعمرات فحسب ولكن اكثر من ذلك وبصورة رئيسية حاجات الدفاع المركزي والستراتيجية الشاملة للاستيطان التي كان هدفها الرئيسي ضمان وجود سياسي يهودي في جميع انحاء البلاد والدور الذي يمكن يوما أن تلعبه مثل هذه المستعمرات في المستقبل وخاصة في مجابهة حاسمة لا بد من وقوعها يوما في نظر المخططين للاستيطان الصهيوني. وهكذا نشأت المستعمرات على مختلف انواعها منعزلة الواحدة عن الاخرى بالمسافات الجغرافية والعراقيل والفوارق الطبيعية . والنتيجة أن كل مستعمرة يهودية جاءت قلعة محصنة للهاغاناه . وكان يرافق التخطيط الاقتصادي والزراعي التخطيط العسكري وكانت موازنة الهجرة تعنى بالسيف والمحراث معا وتؤمن احتياجاتهما .
وقد ادخلت هذه الحاجات عدة عناصر جديدة في تفكير الهاجاناه العسكري وتنفيذ مخططاتها . ويشمل ذلك وضع ستراتيجية متماسكة شاملة تأخذ بعين الاعتبار الحاجات العسكرية في مختلف أنحاء البلاد . مقدرة على التحرك السريع . استعمال اكبر للاسلحة الاوتوماتيكية الخفيفة . وفوق ذلك كله ادى تطور الهاغاناه الى اقامة قيادتين سريتين قيادة مدنية عليا وقيادة عسكرية عليا لها رئاسة اركان كاملة وتخضع القيادتان الى التنظيم الصهيوني المتمركز في الوكالة اليهودية المسماة ايضا بالمنظمة الصهيونية العالمية .

ان افضل مصدر عبري لدراسة الهاغاناه هو تاريخ الهاغاناه لمؤلفه بن صهيون دينور نشر في تل ابيب عام ١٩٥٩ وقد اعتمد الكاتب الاسرائيلي الصهيوني عاموس برلمتر في كتابه العسكرية والسياسية في اسرائيل — بناء الامة ودور التوسع الذي نشر عام ١٩٦٩ وهو حاليا استاذ في جامعة هارفرد . يقول برلمتر :

تعود جذور جيش اسرائيل الحالي الى بنيات الامن ووحدات الدفاع التي اوجدتها حركة الرواد اليهود في فلسطين . وقد خلق هذه الوحدات الاشتراكيون الصهيونيون وهم أقوى العناصر في الاستعمار الصهيوني وأشدها بأسا واكثرها فاعلية في تجنيد القوى اليهودية . وقد شملت الحركة الاشتراكية الصهيونية نطاقا واسعا من الرجال والافكار والمنظمات في الشتات وفي فلسطين ولكنها في فلسطين فقط اصبحت حركة قوية ذات نتائج بعيدة . والدور الذي اضطلعت باعبائه فيها هو التفاعل بين الالتزامات الايديولوجية الاشتراكية ومقتضيات الواقع التي عدلتها . وكانت النتيجة التحويل التدريجي للجهد الاستعماري الى برنامج حركة تحرير قومية . واصبحت الحركة الاشتراكية الصهيونية الاداة الرئيسية في بناء الامة والعامل الدافع في ثورة الرواد . خالقة مجتمع جديد ومؤسسة الهاغاناه وبالتالي الجيش الاسرائيلي .

وفي المراحل الاولى من الاستعمار الصهيوني في فلسطين نشأ مفهومان مختلفان حول دور العسكريين وهما مفهوم النموذج المهني ومفهوم نموذج الرواد . كان يمثل الاول فلاديمير جابوتنسكي وكان هدفه انشاء جيش وطني غير منحاز لاية ايديولوجية او حزب سياسي على أن يكون هذا الجيش تحت تصرف الدولة المنتدبة من أجل توطيد سيطرة اليهود على فلسطين .

ولكن الفكرة التي رجحت على فكرة جابوتنسكي حول الدور القيادي العسكري كانت فكرة « الجندي الرائد » المبنية على نظريات يوسف ترمبلدور وطبقت على ما سمي « فوق العمال » . وكان يرى وظيفتها الدفاعية على أنها لضمان بقاء المستعمرات التعاونية ويرى في الانضباط العسكري وفي الجندي الرائد في الاستيطان طريقة لتحقيق الخلاص على المستوى الفردي والقومي . وتصور ترمبلدور شراكة عسكرية سياسية تسيطر القيادة السياسية فيها بصورة مستمرة . وكان على العسكريين ان يتشبعوا بايديولوجية الصفوة السياسية وان يعملوا باعتبارهم السلاح التنظيمي . وعندما تعمل هاتان الصفوتان العسكرية والسياسية مع بعضهما فلتجنيد كامل قوى الامة خالقان بذلك نوعا جديدا من المجتمع ودولة جديدة .

الهاشومير : فرق الحراس — يذهب برلمتر كسابقيه ان اولى قوى الدفاع اليهودية تشكلت في الشتات في اواخر القرن التاسع عشر، وان حزب بوعالي صهيون وهو الحزب الذي سبق الحركة الاشتراكية الصهيونية هو الذي شكلها من اجل الدفاع عن الاحياء اليهودية (الغيتو) من الهجوم عليها . وهذا الحزب هو الذي أشرف أيضا على تشكيل فرق الحرس في فلسطين عام ١٩٠٥ والتي حلت محلها عام ١٩٠٩ فرق الحرس المعروفة بـ هاشومير . وكانت فرق الهاشومير في بدايتها لا تشكل مجموعة متماسكة من الصهيونيين بل مزيجا من الصهيونيين من شرقي اوروبا واوكرانيا والقفقاس ثم انضم اليها يهود روسيون ماركسيون وبثوا فيها روحا محاربة . والذي أبقى على فرق الحرس « الهاشومير » حتى منتصف العشرينات كان قرب التزامها الايديولوجي والقومي من الفئات الاشتراكية الرائدة في فلسطين .

وكانت فرق الهاشومير تعمل كنواة تآمرية (استعمل برلمتر كلمة Conspirational) تغلغلت في معظم المنظمات الاشتراكية الصهيونية في فلسطين لتتدخل وتنافس عمل

الهستدروت (الاتحاد العام للعمال في فلسطين) . وهكذا تحت ستار تأمين الدفاع سعت فرق الهاشومير الماركسية ان تحول فعالية الصهيونية الاشتراكية الى اتجاه ماركسي.وفي عام ١٩١٢ حددت الهاشومير عقائديتها كما يلي:(١) لن تحصر فرق الحرس دورها بالحماية المادية للمستوطنات اليهودية . بل يجب ان تدخل في اذهان المستوطنين الوعي بضرورة الدفاع عن أنفسهم (٢) تشكل فرق الحراس نواة توسيع الوظائف الدفاعية للمجتمع اليهودي (٣) يجب أن تكون هي صاحبة الامتياز للدفاع عن المجتمع اليهودي في فلسطين (٤) يتبع ما تقدم ان فرق الحرس يجب ان تصبح القوى المسلحة المتآمرة للمجتمع اليهودي في فلسطين . ولتحقيق هذه الاهداف اقامت الهاشومير التي كانت منظمة سرية الاجراءات التنظيمية لمثل هذه الفعالية . وفي عام ١٩١٩ اصبحت الهاشومير رابطة متماسكة لا يزيد عدد اعضائها على المائة ولم تكن مجرد اتحاد للحرس بل نشأ تماسكها عن عدة اسباب : العقائد الاشتراكية ، تجربة الحراسة ، الحياة الشيوعية المشتركة ، الترابط القومي والفلكلور البطولي . ولم يكن الشكل الاخير الذي عرفت به مجرد جمعية حراس ولكن نواة اجتماعية سياسية تقودها نخبة اشتراكية قومية نظروا لانفسهم على أنهم يمثلون الاندفاع الصهيوني الاشتراكي .

فرق العمل : قاد الجهد الثاني لتشكيل فرق دفاعية ترمبلدور وهو صهيوني اشتراكي راديكالي ومحارب قديم اشترك في الحرب الروسية اليابانية عام ١٩٠٥ وقد اشترك مع جابوتنسكي ووايزمن في الدعوة لتشكيل فرقة يهودية تحارب في صفوف الحلفاء في الحرب العالمية الاولى . وقد تم تشكيلها بالفعل وكانت القاعدة لبنية سياسية تنافس حولها عدد من الاحزاب الصهيونية عندما قاربت الحرب العالمية الاولى من نهايتها .وقد نظر جابوتنسكي الى الفرق اليهودية على انها المرحلة الاولى لتطوير جيش يهودي في فلسطين وقام جابوتنسكي بجهود جبارة لابقاء الفرق اليهودية كطلائع جيش الاحتلال اليهودي في فلسطين وضروري ان نتوقف قليلا هنا لنلقي نظرة اجمالية ونستخلص بعض النتائج المترتبة على هذه المرحلة الاولى مرحلة ولادة الارهاب الصهيوني . ويبدو أن هذه الروايات المتعددة عن نشأة الارهاب الصهيوني تثبت النتائج التالية :

١ ــ تعود نشأة الحركات الارهابية الصهيونية الى ولادة الحركة الصهيونية في اواخر القرن التاسع عشر في اوروبا وانها بدأت بكل تأكيد في مطلع هذا القرن في اوروبا الشرقية مما يجعل مجيء اليهود لفلسطين او على حد تعبيرهم « عودتهم لارضهم » غزوة عسكرية استيطانية . ومع ان الجيل العربي الذي كان في الجامعات في الحرب العالمية الثانية واخرها لم يسمع عن الارهاب الصهيوني والتشكيلات الارهابية اليهودية الا في اواخر الحرب العالمية الثانية فان قواعده واطار تشكيلاته تعود حتما الى ما قبل وعد بلفور والى ما قبل الانتداب البريطاني على فلسطين .

٢ ــ ان المستعمرات اليهودية منذ تأسيسها كانت قلاعا عسكرية وهي وان كانت دفاعية في مرحلتها الاولى لكنها كانت معدة لان تصبح قلاعا للهجوم والتوسع بدليل ما كتبه الون عن الاستراتيجية الشاملة والاعتبارات التي املت اختيار مواقعها .

٣ ــ الدمج الكامل في الاستيطان اليهودي بين المؤسسة العسكرية والمؤسسة المدنية بحيث تغذي الواحدة الاخرى باستمرار وكلما قضت الحاجة لذلك : بل لا بد من التأكيد أن المؤسسة العسكرية هي القاعدة الكبرى التي تغذت وتتغذى منها المؤسسة المدنية. والانتقال من الواحدة للاخرى في زمن الحرب والسلم شامل سهل وشبه آلي . ويترتب على ذلك اننا سنجابه لعدة اجيال اخرى مجتمعا اسرائيليا هو في اصله وتكوينه وبنيته واتجاهه مجتمع عسكري .

٤ ــ ان جمع الاسلحة واخفاءها والتدرب عليها يعود لاواخر الحرب العالمية الاولى .

٥ ــ ان المؤسسة الجاسوسية الاسرائيلية وهي كلها جزء لا يتجزأ من الارهاب الاسرائيلي وقسم منه ، رافقت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية منذ الحرب العالمية الاولى .

٦ ــ الاثر القوي الذي كان للفرقة اليهودية التي حاربت في صفوف الحلفاء في الحرب العالمية الاولى في تكوين العسكرية الاسرائيلية التي قام عليها الارهاب الاسرائيلي وفي ازدواجية الولاء عند كل صهيوني بحيث ان الجنود والمتطوعين الاميركيين والبريطانيين اليهود منذ ذلك الحين احسوا بواجب الخدمة العسكرية في صفوف المستعمرين اليهود في فلسطين واسفار المستعمرات اليهودية بالقوة .

٧ ــ تتضح العرقية الاستيطانية الصهيونية منذ بداية الحركة الصهيونية، فالاشارات في جميع المصادر عن الارهاب اليهودي التي اعتمدنا عليها حتى الان كلها تشير الى العرب « كبدو » « ورجال عصابات » و« لصوص » و« قتلة » مما يضع اليهود الصهاينة منذ بدء المجابهة على مستوى اعلى في نظر انفسهم عن العرب ولا يتركون ثمة مجال لشك القارىء انهم من طينة اعلى .

٨ ــ هذا كله لم يمنع الذين ارخوا للارهاب الصهيوني الذي كان قاعدة العسكرية الاسرائيلية من الاعتراف بقوة المقاومة العربية للغزوة الصهيونية منذ بداية الغزوة في العشرينات وانها كانت عاملا فعالا في تقوية المنظمات الارهابية الصهيونية .

في ثلاثمائة صفحة يعظم الكاتب ماردور وهو من ضباط الهاغاناه سابقا اعمال العنف والارهاب والتآمر التي خططت لها الهاغاناه ونفذتها ، يروي انه في عام ١٩٣٦ « كان علينا ان نحصل على السلاح حيث كان بل كان علينا ان نشرع بصنع اسلحتنا . [ص ٥] » ويتابع « كانت الهاغاناه منظمة سرية ولكن اعضاء وحدات « البم » POM كان عليهم أن يمعنوا اكثر في السرية(٨). كانت فرق العمليات الخاصة فرق كوماندوس . وكانت المفاجأة ضرورية لنجاح اية عملية قدر ما كانت شجاعة اولئك الذين يقومون بها ضرورية . » (ص ٧) وكان على الفتيات في صفوف الهاغاناه ان يهيئن البزز العسكرية المسروقة من الشرطة الانكليزية لاستعمالها في خديعة العرب ونسف بيوت المخاتير . ويقول « لقد تم نسف بيت مختار اخر من قبل وحدة كان يقودها دايان الذي سيصبح في المستقبل رئيس اركان للجيش الاسرائيلي » (ص ١٥). وهكذا يتضح ان نسف البيوت العربية نوع من الارهاب الذي تدرب عليه دايان ولم يحدد الكاتب الارهابي ان كان دايان في هذه العملية يرتدي ثياب الشرطة البريطانية. اما اليوم فدايان يرتدي ثوب وزير الدفاع الاسرائيلي . وبين الاهداف الرئيسية للهاغاناه كان فتح الطريق لفلسطين امام المهاجرين اليهود غير الشرعيين .

ومن الفصول التي تلقي ضوءا كبيرا على تغلغل الهاغاناه في البلاد العربية الفصل العاشر الذي عنوانه «الاتجاه لليهود الشرقيين» . اقول «تلقي ضوءا كبيرا» لان الرواية المألوفة التي ترددها الدعاية الصهيونية ان يهود البلاد العربية غادروا لاسرائيل بسبب اضطهاد العرب لهم وان مجرد تبادل للسكان قد تم عندما طردت الاكثرية العربية من فلسطين بين ١٩٤٧ و١٩٤٨ . لكن الكاتب يروي لنا انه هو ذاته كان مكلفا عام ١٩٤١ بمهمة التغلغل بين اليهود في البلاد العربية وتركيا وايران لاقناعهم بالهجرة لاسرائيل عندما تقوم هذه الدولة . ولتحقيق هذا الهدف انشأت الهاغاناه سرا طريقا من ايران للعراق مارة بشرق الاردن او سوريا ولبنان حتى تتصل بفلسطين ، ولتسهيل هذا التغلغل ــ يقول الكاتب ــ انه تم اقناع عائلات يهودية لتقيم محطات على الطريق احيانا بشكل « وكالات للتصدير والتوريد » كما كانت الحال في كل من دمشق وبيروت وبغداد . ومما سهل في نقل هذه الطوائف اليهودية من البلاد العربية ان عددا من

اعضاء الهاغاناه كانوا ضباطا في الجيش البريطاني وكان بوسعهم بالتالي ان يمونوا المهاجرين بوثائق مزورة .

يتابع هذا المؤلف فيقول : « سعيا وراء اغراء اليهود بالهجرة لفلسطين تمكنت **وانا ارتدي الثياب العسكرية البريطانية** تمكنت من السفر من دمشق للرطبة فبغداد . » (ص ٩٤) . وفي العراق « كنت اجتمع بفرق يهودية اسسناها للدفاع الذاتي في بغداد واتحدث اليهم عن الهاغاناه ومآثرها في فلسطين . وكانت هذه الفرق تضم شبابا وشابات معا » (ص ٩٧) . وفي عام ١٩٤٣ سافر الارهابي الكاتب لايران للقيام « بوظيفة تمثيلية وهي اهداء الجيش السوفياتي سيارتي اسعاف مقدمتين من يهود فلسطين » . وقد مهدت له هذه المهمة الطريق لان يقيم خلايا سرية في ايران (ص ٧٧) .

وكان بين الاهداف الرئيسية للهاغاناه الحصول على أكبر قدر ممكن من السلاح من الجيش البريطاني . وفي عام ١٩٤١ كانت الوحدات اليهودية مقيمة في مصر والصحراء الغربية مما وسع الى حد كبير مجال الاستيلاء على الاسلحة البريطانية . يقول :

« أخذ رجال الهاغاناه الذين انخرطوا في الجيش البريطاني على عاتقهم مهمة **مزدوجة** : أن يحاربوا في صفوف الجيش البريطاني على أية جبهة يرسلون اليها وفي الوقت ذاته أن يقوموا بكل ما يستطيعون القيام به من اجل تسليح يهود فلسطين — اليشوف — » . (ص ١٦٣) .

وكانت مهمة تزوير جوازات السفر والثياب ملقاة على عاتق فرقة اختصاصية من الرجال والنساء . وكان للاذاعة السرية للهاغاناه — صوت اسرائيل «كول اسرائيل» — رمزا خاصا للاتصال بجميع خلايا الهاغاناه الممتدة من شمالي افريقيا لايران .

وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية أخذت « ريكش » — فرق الهاغاناه المكلفة بالحصول على السلاح تجوب انحاء اوروبا بحثا عنه وفي ٣٠ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٧ يروي المؤلف ان بن غوريون امره بالعودة لاوروبا من أجل استئناف عمليات — ريكش — وانه كان مسؤولا لاثنين من قادة الهاغاناه اسرائيل غاليلي ويعقوب دوري . وفور التصويت على قرار التقسيم كانت مهمة « ريكش » الحصول على جميع انواع الاسلحة بما في ذلك أثقلها لتهريبها لفلسطين من أجل الحرب المقبلة مع العرب . يقول في وصف عمليات ريكش التي اشترك فيها :

« لقد كنا هناك نشتري الاسلحة في بلاد غريبة ونعبئها في صناديق عجيبة ونحملها على مراكب اجنبية في بلاد أجنبية . ويرافق ذلك كله الضرورة القاهرة للسرية المطلقة . **لقد كنا متآمرين خارج القانون ومع ذلك كنا نطيع ما هو قانون اعلى بالنسبة الينا .** » (ص ٢٣٠) .

هذا هو « القانون الاعلى » الذي أشرنا اليه في ما تقدم من هذا البحث والذي حلل الصهاينة اليهود والاسرائيليين من كل الضوابط الاخلاقية العادية التي يأخذ بها جميع الناس وبررت في اعينهم ارتكاب أية جرائم وحشية بربرية بما في ذلك جرائم الاغتيال من أجل الدولة . ويهم القارىء العربي ان يعرف أن كتاب « تاريخ الهاغاناه » لبن زيون دينور الذي اوردناه في قائمة المصادر تضمن لوائح باسماء الزعماء العرب الذين قررت قيادة الهاغاناه اغتيالهم — منذ عام ١٩٤٥ — ومن اعضاء هذه القيادة وزراء في دولة اسرائيل اليوم — ولكن الهاغاناه اجلت التنفيذ .

وأكملت الهاغاناه رسالتها وبلغت ذروة مهمتها في ٣١ ايار (مايو) ١٩٤٨ عندما أصدر رئيس الوزارة بن غوريون الامر التالي :

« مع اقامة دولة اسرائيل خرجت الهاغاناه من مخبئها وتحولت الى جيش نظامي . » (ص ٢٣٠) .

وفي القسم الرابع والاخير من الكتاب يروي لنا الكاتب كيف أن جيش اسرائيل النظامي انتهز فرصة وقف اطلاق النار في ٢٢ ايار (مايو) ١٩٤٨ والتعليمات الصادرة عن مجلس الامن بتاريخ ١٩ آب (اغسطس) ١٩٤٨ لانهاء عمليتين : الاولى عملية « بلق » Belek — وتعني الطائر — والثانية عملية « وعاء الغبار » التي انتهت في ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ . اما العملية الاولى فقوامها تهريب ثلاث قاذفات قنابل ثقيلة من المطارات العسكرية من اميركا طراز ب — ١٧ المعروفة بالقلاع الطائرة والتي هربت عن طريق باناما وحطت في مطارات سرية في اوروبا الشرقية ومنها لاسرائيل ثم استعملت في قصف كل من دمشق والقاهرة في صيف ١٩٤٨ . وانتهت العملية بتوسيع رقعة أسرائيل ٢٢ ٪ عن حدود التقسيم وقد قامت الهاغاناه بهذا التوسع مع فرق البالماخ الارهابية والتي سنتحدث عنها في ما بعد . وشملت العملية الثانية عملية « الآفات العشر » التي قادها يغال الون وانتهت باحتلال النقب . لقد تغير اسم الهاغاناه فعلا بعد قيام اسرائيل . ولكنها احتفظت جوهرا بالموقف الارهابي كما « ولد في عقول » مؤسسيها وقادتها .

يتحدث الكثيرون ان العرب لم يقبلوا قرار التقسيم الذي صوتت عليه الامم المتحدة عام ١٩٤٧ . ويفعل حسنا هؤلاء لو قرأوا بعض التاريخ . فالتقسيم لم يكن في نظر اسرائيل اكثر من نقطة ارتكاز للتوسع . ونجد احد الادلة الكثيرة على ذلك في الوثائق الرسمية لوزارة الخارجية الاميركية التي تظهر دور الهاغاناه في الموضوع كله . ففي برقية مؤرخة في ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٣ من الوزير المفوض الاميركي كيرك لوزير خارجيته جاء ما يلي : « وجدت من ناحية اليهود الموظفين الصهاينة في الوكالة اليهودية في القدس جازمين « أن فلسطين ستصبح في نهاية هذه الحرب لا مجرد وطن قومي لليهود ولكن دولة يهودية بالرغم من أية معارضة تأتي من أكثرية مليون العربي الذين يعيشون الان هناك . ويبدو بشكل قاطع ان جهودهم منصرفة لارغام العرب على خرق الهدنة غير الرسمية التي قامت بينهم منذ أن ابتدأت الحرب . وليس سرا ان الهاغاناه وهي المنظمة العسكرية السرية اليهودية مسلحة تمام التسليح وقد اعدت خططا كاملة لتحقيق هذا الهدف »(٨) .

وفي ٥ ايار (مايو) ١٩٤٣ بعث الجنرال باتريك هرلي الممثل الشخصي للرئيس روزفلت برسالة جاء فيها : « اشارت المنظمة الصهيونية في فلسطين الى التزامها لبرنامج موسع يشمل (١) دولة يهودية ذات سيادة تضم فلسطين وشرقي الاردن (٢) اخراج السكان العرب من فلسطين للعراق (٣) ان يصبح الشرق الاوسط بكامله خاضعا للقيادة اليهودية في اقتصادياته وتنميته »(٩) .

البالماخ : كانت تشكل القوة الضاربة للهاغاناه وانتخب الذين انخرطوا في صفوفها من اقوى عناصر الهاغاناه وشباب المستعمرات . وكان تشكيلها نتيجة للتذمر بين جيل الشباب وفي الكيبوتزات ان الهاغاناه ويهود فلسطين اجمالا اما أنهم يتعاونون مع السلطة المنتدبة أو لا يأخذون موقفا هجوميا من العرب وكانوا يريدون العكس . اما افضل مصدر عن البالماخ فهو كتاب في جزئين بالعبرية عنوانه « **سفر البالماخ** » لزروبجافل جلعاد نشر في تل ابيب ١٩٥٣ . يبتدىء الجزء الاول بـ ١٩ نيسان (ابريل) ١٩٣٦ وينتهي في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ اي تاريخ تصويت الامم المتحدة على التقسيم . أما الجزء الثاني فيتابع التغطية حتى نهاية عام ١٩٥٢ وفي اوله رثاء يغال الون للارهابي اسحق سعده Isaac Sadeh الذي يشير اليه كبطل وهو الذي ادت جهوده الى تشكيل فرق البالماخ . كان قد أسس

فرق **« الدوريات »** Ha-modedet من المستعمرات الجماعية الشيوعية بالاشتراك مع Wingate والتي عرفت أيضا « بمشمار » او **« الحرس المتنقل »** Mishmar'na وكان يطالب بتأسيس صفوة عسكرية محترفة ومستقلة تكون نواة لجيش مستقل يبنى حولها . وقد تمكن سعده من اقناع غولمب قائد الهاغاناه وموشي سنيه رئيس اركانها بمخططه فعين سعده قائدا للبالماخ على ان يكون مقره في رئاسة أركان الهاغاناه فشكل فرقا دعيت باسمه . وكان عددها ست فرق تعمل كل واحدة منها في جهة من جهات فلسطين . وفي ١٥ أيار (مايو) ١٩٤١ دمجت بالهاغاناه على انها القوة الضاربة لها . وهكذا اصبحت البالماخ اول وحدات عسكرية محترفة للهاغاناه لها هدف شامل وهو الاشراف على الوضع العسكري في فلسطين بكاملها كما انها تمثل الاتجاه التوسعي العسكري في الحركة الصهيونية وتحقيقه على مستوى واسع لا الاكتفاء بمجرد الدفاع عن المستعمرات ولها ايديولوجيتها ونظامها الدقيق . وبين ١٩٤١ و ١٩٤٨ تطورت البالماخ وتشعبت بحيث اصبحت لها تنظيماتها العسكرية في كامل انحاء فلسطين . والى الجانب السياسي كانت هناك العقيدة السياسية لرجال البالماخ .

وكنموذج لعقيدة التوسع في الارض التي كانت الدافع الاساسي والهدف الاعلى للبالماخ نورد ما القاه اسرائيل غاليلي لضباط الهاغاناه والبالماخ في ٢٠ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٤٧ قال : « ان مجرى الصهيونية على طريق تحقيقها هو في الاساس حرب اليهود في الشتات وككل حرب له طبيعته السياسية ويجابه عقبات سياسية يجب التغلب عليها. واسرائيل هي تجسيد لذلك » (سفر البالماخ . الجزء ٢ . ص ١٤) « يجب أن لا ننسى ان اسرائيل التي نحارب من اجل اقامتها هي قبل كل شيء تصور للارض . والتصور ليس تصور الامم المتحدة في مشروع التقسيم وانما اسرائيل بكاملها . وليست ستراتيجيتنا خاضعة للقواعد التكتيكية الروتينية . وانما هي خاضعة لقدرنا وقدرنا ان نكون في أرضنا . ان نكون في جميع ما اعطتنا اياه الامم المتحدة على الاقل مع الامل ان **نستولي على كامل أرض الوطن الام »** (المصدر السابق ص ٢٠) . وفي ١٧ شباط (فبراير) ١٩٤٨ خطب اسرائيل غاليلي في جماعة يقول : « سندافع لا عن كل بقعة يوجد فيها يهود ولكن عن جميع الاراضي التي خصصت لنا بموجب التقسيم وما وراءها». (المصدر السابق ، ص ١٨) .

وقد لخص يغال آلون كل مرحلة من مراحل معركة الصهيونية من أجل اسرائيل في اقسام عناوينها « الاهداف والواقع » و« حقيقة الامر » . يقول في القسم الرابع من هذه الاقسام «لم تبتدىء حرب الاستقلال في ١٤ أيار (مايو) ١٩٤٨ باعلان قيام الدولة وغزوة الجيوش العربية . بل لا يستطيع أحدنا ان يقول انها بدأت باتخاذ قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ . بل من الاصح ان نضع بدايتها عند تاريخ وصول اول باخرة ــ الباخرة دولين ــ التي كانت تحمل لاجئين من اوروبا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية أي في آب (اغسطس) ١٩٤٥ » . وفي حرب ١٩٤٨ كانت فرق البالماخ هي التي احتلت النقب وكانت تقاتل في الجبهة الجنوبية .

من الادوار الرئيسية التي قامت فيها البالماخ هي اخراج الاكثرية العربية من فلسطين. فمذبحة دير ياسين اشتركت فيها الهاغاناه والبالماخ مع عصابة الارغن كما سنظهر في ما بعد . ونشير هنا الى ما كتبه يغال الون في الفصل الذي عنوانه « تنظيف الجليل » ، الذي قام على تنفيذ خطة عرفت « بخطة دالت » . وكان قوام هذه الخطة القاء الرعب في قلوب الجماهير العربية في الجليل عن طريق مخاتير اليهود بالايحاء لمخاتير القرى العربية ولمن لهم اتصال فيها ان جيشا يهوديا قويا يتقدم وانه يحرق جميع القرى العربية في طريقه وانه لم يبق للعرب سوى ان ينجوا بأنفسهم فأخذ العرب بالهرب بالآلاف وكان ذلك قبل خمسة ايام من اعلان الدولة اليهودية . وقد حققت هذه الخطة تمام المقصود

منها بشكل مدهش . هنالك مصادر اخرى روت تفاصيل « خطة دالت » بالاضافة الى كتاب البالماخ ذكر الاستاذ وليد الخالدي ثلاثا منها — في بحث منشور عام ١٩٦١ — وهي معارك اسرائيل ١٩٤٨ بالعبرية (كورفت) Qurvot وهو مرجع ثقة عن البالماخ والهاغاناه ، وبالانكليزية The Edge of the Sword — «حافة السيف» لمؤلفه ناتانائيل لورش وهو من ارهابيي الهاغاناه سابقا كما يروي في كتابه ثم عين في السلك الدبلوماسي الاسرائيلي ومن مهازل القدر انه كان يمثل بلاده مرارا في اللجنة الثالثة للجمعية العامة التي تبحث في حقوق الانسان والشؤون الثقافية . وكتاب « تصادم الاقدار » لمؤلفه داوود كمشه . وقد جاء في الاول من هذه الكتب الثلاث « ان الهدف من « خطة دالت » كان السيطرة على جميع المناطق التي اعطيت لليهود بموجب قرار التقسيم بالاضافة الى المناطق التي احتلتها البالماخ خارج حدود التقسيم . ويروي انه من اصل ثلاث عشرة عملية لتحقيق اهداف « خطة دالت » والتي يرد ذكرها بتفصيل واسهاب في « كتاب البالماخ » « فان ثمان منها قد نفذت في أراض عربية تقع خارج حدود التقسيم » .

يتخلل المجلدين الضخمين عن البالماخ اللذين يتناولان كما ذكرنا من عام ١٩٣٦ الى عام ١٩٥٢ اشارات متعددة للعرب بوصفهم « العدو » . ومما تجدر ملاحظته ايضا وجود عشرات الخرائط فيهما عن جولات للبالماخ « اثناء قيام أفرادها بالواجب » في مختلف انحاء فلسطين والمناطق المعدة للاحتلال . وقد تضمن المجلد الاول صفحة ٩٨ خطة وضعتها البالماخ عام ١٩٤١ من اجل احتلال دمشق عسكريا بالاشتراك مع قوات الحلفاء .

ومن ارهابيي البالماخ الذين اشتهروا واصبحوا رؤساء أركان الجيش الاسرائيلي موشي دايان (١٩٥٣ — ١٩٥٧) واسحق رابين (١٩٦٣ — ١٩٦٧) وحاييم بارليف (١٩٦٨ — ١٩٧١) وعرف الجيش الاسرائيلي ٤٥ لواء كانوا من ارهابيي البالماخ السابقين ومنهم من اصبحوا وزراء وهم : الجنرال موشي دايان وزير الدفاع . الجنرال ألون وزير العمل . الكولونيل موشي كرمل الذي اصبح وزيرا للنقل واسرائيل غاليلي احد مؤسسي البالماخ ورئيس اركان سابق للمنظمة الارهابية الام الهاغاناه اصبح معاونا لوزير الدفاع عام ١٩٤٨ وبعد انتخابات ١٩٦٥ وزيرا للاعلام .

قدرت الحكومة البريطانية في الوثيقة الرسمية التي أذاعتها في ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٤٦ (رقم ٦٨٧٣) والتي عنوانها « بيان حول اعمال العنف » قدرت قوى الهاغاناه والبالماخ ووصفتها كما يلي :

« الهاغاناه والبالماخ : منظمة عسكرية غير شرعية مجهزة تجهيزا قويا تأتمر بقيادة مركزية ولها قيادات اقليمية تابعة لها وتتألف من ثلاثة فروع تحت كل فرع منها نساء مجندات كما يلي :

قوة ثابتة تتشكل من المستوطنين وسكان المدن يقدر عدد جنودها بأربعين ألفا .

جيش ميداني يستند الى قوة الشرطة في المستعمرات ومدرب لعمليات متحركة يقدر عدده بستة عشر الفا .

قوة ضاربة تحت السلاح بصورة دائمة (البالماخ) معبأة ولها وسائل نقلها تقدر قوتها بألفين في وقت السلم وبستة الاف في وقت الحرب . وجميع هذه القوى خاضعة للتجنيد الاجباري . فتلامذة المدارس ذكورا وأناثا بين سني ١٧ و ١٨ يمضون سنة في الخدمة الالزامية . وقد ذكرت الصحيفة الاسرائيلية هابوكر انه كان ينبغي قبل ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥ ان تقدم كل منظمة لائحة بأعضائها الذين سينخرطون في الخدمة الالزامية لقسم التجنيد في الوكالة اليهودية » .

الارغن زفاي ليومي او المنظمة العسكرية القومية : لا يزال المصدر الاساسي لدراسة هذه المنظمة الارهابية المتطرفة كتاب زعيمها مناحيم بيغن وعنوانه الثورة: قصة الارغن. ويليه كتاب صموئيل كاتز ــ ايام من النار ــ التاريخ السري للارغن زفاي ليومي وهو من قادة الارغن هاجر من افريقيا الجنوبية لفلسطين وأصبح بعد قيام اسرائيل عضوا في الكنيست الاسرائيلي .

يقول بيغن الذي ولد ونشأ في بولونيا انه كطالب كان ناشطا في حركة « بيتار » التي أسسها جابوتنسكي بين يهود أوروبا الشرقية والتي كان هدفها العمل من اجل العودة لفلسطين . وقد أصبح رئيسا لهذه الحركة في بولونيا التي ضمت الملايين من اليهود الفقراء . يقول : « لقد ناضلنا أصدقائي وأنا لنعلم جيلا بكامله أن يتهيأ ليكافح لا من أجل اعادة بناء دولة يهودية فحسب بل ايضا ليحارب ويتألم ويموت من أجلها اذا اقتضت الحاجة . واذ كنا ملتزمين بتعليم الشباب وتنظيم عودتهم لارض اسرائيل بالرغم من ممانعة بريطانيا ارتفع في ارض اسرائيل علم الانبعاث القومي اليهودي وطلائع القوة اليهودية : الارغن زفاي ليومي وكان ذلك في نيسان (ابريل) عام ١٩٣٧ . وقد استندت الى تعاليم جابوتنسكي (١٨٨٠ ــ ١٩٤٠) اكبر قائد سياسي ــ على حد تعبير بيغن ــ لليهودية المعاصرة بعد هرتزل . وقد تنبأ بدقة أن الشعب اليهودي لن يحقق دولته واستقلاله قط الا اذا كان مستعدا أن يحارب من أجلهما . وقد رأى جابوتنسكي في الارغن القوة الحاسمة في الحرب الذي لا بد منه من اجل التحرر القومي » . (الثورة ص ٣) . لكن زمن قيام الارغن ــ في ما يؤكده بيغن ــ يسبق زمن الهجرة اليهودية الواسعة لفلسطين ويعود الى زمن تأسيس « الفرقة اليهودية » اثناء الحرب العالمية الاولى من قبل يعقوب جابوتنسكي ــ وهو الذي اسس ايضا الحركة الصهيونية التصحيحية عام ١٩٢٥ ــ وليوسف ترمبلدور .

سبق أن اشرنا الى جابوتنسكي الذي يعتبر الاب الفكري للارغن وانه وضع كتابا عن « الفرقة اليهودية » يحمل هذا العنوان . وانه لمن المفيد حتما أن نتعرف على نوعية تفكيره . قال في الفصل الاول من كتابه : « مولد فكرة الفرقة » « ان الامل الوحيد في اعادة فلسطين لنا هو في تجزئة الامبراطورية العثمانية ولم أشك قط انه اذا دخلت تركيا الحرب فستقهر وستجزأ . وانه لتعتريني الدهشة هنا كيف يمكن لانسان ان يتصور خلاف ذلك أو أن تعتريه اية شكوك في الموضوع . . . اعتقد انه كان واضحا بالنسبة الي تماما ــ ومنذ الولادة اذا صح القول ــ انه اذا وقعت حرب بين انكلترا وتركيا فالسلوك السليم بالنسبة لليهود هو **أن يشكلوا فرقة منهم وأن يساهموا في غــزو فلسطين** . وحقيقة الامر ان هذه الفكرة هي فكرة طبيعية لا بد أن تأتي في مثل هذه الظروف لاي انسان في حالة سليمة طبيعية » . (الفرقة اليهودية ، ص ٣٠ ــ ٣١) .

وفي حوار مع صديق له في ما اذا كان اليهود ابنــاء عم للاتراك يقول : « لن نسمح للمعتوهين والمجانين ان يملوا سياستنا . فالاتراك ليسوا ابناء عم لنا على الاطلاق . بل لا توجد اية صلة البتة بيننا وبين اسماعيل [الذي تحدر العرب منه] . **نحن قسم من اوروبا واننا لنحمد الله على ذلك : فخلال الفي سنــة ساعدنا على بنــاء الحضارة الاوروبية . نحن ذاهبون لفلسطين لنوسع حدود أوروبا الاخلاقيــة الى الفرات .** ان الد عدو لنا في هذا المشروع هم الاتراك . ولن ندع ساعة سقوطهم تدق دون ان نفعل شيئا في ذلك » . (المصدر السابق ، ص ٣٢) .

وعندما اعلنت الحرب « منع الاتراك اللافتات باللغة العبــرية فوق المحلات التجارية واوقفوا زعيم الحركة الصهيونية في فلسطين مع انه المائي الجنسية ونفوا عددا كبيرا من يهودها للخارج وأعلنوا صراحة انهم **لن يسمحوا باستمرار اي استعمار يهودي فيها بعد الحرب** » . (المصدر السابق ، ص ٤٠) .

وبعد أن تشكلت الفرقة اليهودية يعلق : « تلك الفرقة المجهزة بحراب وبنادق لويس Lewis **ساهمت اخيراً في غزوة فلسطين وتأمينها لليهود** » . (المصدر السابق، ص ٤٥).

لست أعتقد أن كلام جابوتنسكي الاب الروحي الذي تدعيه الارغن والذي تدعيه الهاغاناه يحتاج الى شرح أو تفسير او تعليق . فاليهود في نظره غزاة أوروبيون لا تربطهم بالعرب أية صلة ويجب ان يحتلوا فلسطين بالقوة لتوسيع رقعة أوروبا الى الفـــرات . وقد ساهمت الفرقة اليهودية فعلا بغزو فلسطين لانها كانت تحت امرة الجيش البريطاني الذي دخلها . ومن روحها وصفوفها نشأت العسكرية الاسرائيلية التي كانت ولادتها في شكل الارهاب فقامت الهاغاناه اولا والارغن ثانيا لانها وجدت ان الهاغاناه كانت معتدلة وكان عليها أن تلتزم منذ البداية بخطة الهجوم لا بخطة الدفاع .

يقول بيغن في مقدمة كتابه الثورة « لقد كتبت هذا الكتاب لشعبي بالدرجة الاولى كي لا ينسى الفرد اليهودي في الحاضر كما نسي في الماضي وبشكـــل مفجع هذه الحقيقـــة البسيطة : « توجد اشياء اثمن من الحياة واكثر فظاعة من الموت » .

« ولكنني كتبت هذا الكتاب ايضا لغير اليهود — خشية أن لا يكون قد ثبت لديهم او خوفا من ان يكونوا قد نسوا انه من الدماء والنار والدموع والرماد قد خلق صنف جديد من البشر لم يعرفه العالم لاكثر من ألف وثمانمائة سنة وهو **« اليهودي المحارب »** . ذلك اليهودي الذي ظنه العالم ميتا ومدفونا ولن يبعث قط قد بعث حيا من جديد لانه قد تعلم تلك « الحقيقة البسيطة » عن الحياة والموت وانه لن يساق ثانية قط الى حافـــة القبر وانه لن يزول عن وجه الارض » . (الثورة . المقدمة . ص ١) .

والكتاب ينبض بالحقد في كل صفحة من صفحاته وبيغن لا يحاول اخفاء ذلك بأي شكل او يداور فيه بل يعلنه في المقدمة ويعترف انه بين الدوافع الاولى التي استوحى منها فلسفته ومنطقه . يقول : « قال ديكارت أفكر فأنا اذن موجود. وأقول أحارب فأنا اذن موجود » . وهذا القول الاخير عنوان للفصل الرابع في الكتاب الذي يشرح فيـــه بيغن عقيدته . واني لاجزم أن كل مثقف عربي يجب ان يقرأه . ومن المؤسف ان ما نكتبه اليوم في هذا الموضوع كان يجب أن يكتب قبل ربع قرن على الاقل وان يصبح قراءة الزامية على التلامذة والطلاب العرب ليعرفوا القدر المرسوم أمامهم : قدر يترجم بالدم والحديد والنار وليدركوا تلك الحقيقة البسيطة التي أدركها اليهود وليتيقنوا ان المآسي التي تفرض على الافراد والجماعات ليست من ابداع الخيال بل هي حقائق سنعيشها وسنعيش أرهب منها لان الاسوأ لم يقع بعد .

كتب بيغن منذ ١٩٥٠ معلقا على مأساة الشعب اليهودي « الانسانية بكاملها ستتقهقر الى الوراء الى ظلام الوحشية اذا سمحت لنفسها أن تنسى قدر الملايين من اليهود من أمثال « دريفس » أو اذا فشلت ان تنتج كاتبا كاميل زولا Zola ليذكرها بمأساة ذلك الضابط الفرنسي اليهودي الذي اتهم بالخيانة ظلما . واذا كانت الانسانية بكاملها مهددة بعدو اسمه اللامبالاة فهذا التهديد هو أكبر بما لا يقاس بالنسبة لليهود انفسهم . لذلك فان أكبر تحذير لليهود وغير اليهود يوجه الينا بالكلمات البليغة التي قالها الشاعر كبلنغ « لكي لا ننسى » . وواجب الثورة هي ان تبقي مأساة اليهود حية في أذهان الناس وان تذكرهم بها أبدا ودائما وبكل وسيلة ممكنة وبأي ثمن كان .

واليوم وبعد اقتلاع ثلاثة ملايين عربي من جذورهم وتهديد ملايين أكثر بالاقتلاع والزوال يجب أن نتوجه للعالم وللعرب قبل العالم بذات الكلمات البليغة « لكي لا ننسى » .

الصراع بكامله منذ نشوء قضية فلسطين الى اعلان قيام اسرائيل هو في نظر بيغن بين قوتين متقاطبتين : اليهود من جهة والبريطانيون المحتلون من جهة اخرى . أما العرب فوجودهم هامشي في هذا الصراع التاريخي بين القوتين . وان وجدوا فهم مجرد دمية في

يد البريطانيين لتحارب اليهود بهم . ولذلك فالارهاب اليهودي ارتكز الى مقدمة تستنتج منها كل مواقفه . لا وجود « شرعي » للعرب . وما هو « شرعي » للاكثرية العربية هو مجرد « لاشرعية » بريطانية . لذلك يقول « بيغن » اخذت « الارغن » على عاتقها بالاشتراك مع حزب جابوتنسكي الصهيوني التصحيحي ومع منظمة « بيتار » بين الشبيبة اليهودية في أوروبا الشرقية ان تأتي بآلاف المهاجرين اليهود « غير الشرعيين » للبلاد رغم معارضة بريطانيا والعرب للهجرة اليهودية غير الشرعية . وبعد فبن غوريون ذاته وباقراره كان مهاجرا غير شرعي .

« الثورة » التي اختارها بيغن عنوانا لكتابه واسما لحركته هي التي تحول اللاشرعية الى شرعية . ولكنها ليست أكثر من ستارة للارهاب الدموي والبطش الانساني الذي تميزت به حركته . وليس ضروريا ان يكون الارهاب ارهابا يهوديا صهيونيا ضد العرب بل كان في أحيان كثيرة ارهابا يهوديا ضد اليهود . ففي الفصل ذاته الذي عنوانه « أحارب فأنا اذن موجود » كتب بيغن عن حرب عصابته ضد الحيلولة في وجه الهجرة اليهودية لفلسطين : « ان الباخرة باتريا Patria التي وصلت لحيفا تقل مهاجرين يهود لم تبحر قط . **فالارهابيون اليهود** — وقد استعمل هذه اللفظة بالذات Jewish Terrorists وضعوا قنبلة في الباخرة ليحولوا دون اقلاعها . وقد انفجرت القنبلة فقتل وغرق أكثر من مائتي يهودي » . (الثورة ، ص ٣٥) .

وماذا عن ارهاب الارغن ضد العرب ؟ يقول بيغن « لقد نجحنا في المراحل الاولى من الثورة ان نحقق هدفا ستراتيجيا هاما : لقد نجحنا في تعطيل العامل العربي الموضعي .

عندما وقعت الهجومات العربية ضد اليهود اعوام ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٩ و ١٩٣٣ و ١٩٣٦ — ١٩٣٩ فقد كان البريطانيون يبررون وجودهم في فلسطين من اجل الدفاع عن اليهود . ولكن بعد ان نجحنا في تعطيل القوة البريطانية دون ان نتعرض للعرب اخذ البريطانيون يبررون وجودهم في فلسطين من اجل حماية العرب » . (المصدر السابق ، ص ٤٨) . « قلنا للعرب انه لم تكن لدينا اية رغبة في محاربتهم او الحاق الاذى بهم . واننا حريصون كل الحرص ان نراهم مواطنين مسالمين في الدولة اليهودية المقبلة . واستشهدنا بالحقيقة التي لا تنكر في اننا في العمليات التي قمنا بها في المناطق العربية لم نقم بأي عمل ضد سلام العرب أو أمنهم » . (المصدر السابق ، ص ٤٩) . لكن بيغن لا يلبث ان يكذب نفسه بنفسه . فمنذ عام ١٩٣٧ مارس الارهابيون اليهود قتل العرب واغتيالهم مستعملين ابشع انواع الارهاب والتحدي . وعندما اقتضت الستراتيجية الارهابية مهاجمة العرب فقد فعلوا ذلك .وفي ما يلي ما كتبه مناحيم بيغن نفسه عن مذبحة دير ياسين التي أنكرت الهاغاناه والبالماخ الاشتراك بها ووصفتها « بأنها غير ذات فائدة عسكرية وانها ضد الخطة العسكرية العامة من أجل الدفاع عن القدس » . (المصدر السابق ، ص ١٦٢) . ولتكذيب ادعاء قيادة الهاغاناه يورد مناحيم بيغن نص رسالة تلقاها قائد الارغن في منطقة القدس من قائد الهاغاناه في المنطقة ذاتها . وفي ما يلي نص الرسالة : « لقد علمت انكم تخططون لهجوم على دير ياسين . وأرغب أن أشير هنا ان احتلال دير ياسين والمحافظة عليها يشكلان مرحلة في خطتنا العامة ... وعلاوة على ذلك فاذا دخلت قوة اجنبية لدير ياسين فان هذا يعطل خطتنا من اجل اقامة مطار في دير ياسين » . (المصدر السابق ، ص ١٦٣) . ويتابع بيغن فيقول : « ان المطار أقيم في دير ياسين وان احتلال دير ياسين تم بمعرفة الهاغاناه وموافقة قائدها » . (المصدر السابق ، ص ١٦٣) . ثم ينتقد رياء بن غوريون لانه اعتذر للعرب عن هذه المذبحة .

يمضي بيغن في التعليق على نتائج مذبحة دير ياسين فيقول : « لقد سيطر الذعر على العرب . فقرية كولونيا التي صدت حتى ذلك الحين كل الهجمات التي قامت بها الهاغاناه أخلاها سكانها في ليلة وسقطت دون اي قتال . كذلك اخليت قرية بيت

الاقصى . وكانت هاتان القريتان تطلان على الطريق الرئيسية المؤدية للقدس التي أمكن فتحها والاحتفاظ بها بعد ذلك بعد ان تمكنت الهاغاناه من احتلال القسطل . وفي ما تبقى من البلاد سيطر الرعب على العرب واخذوا يهربون لينجوا بأرواحهم . وسرعان ما تحول هذا الفزع الجماعي الى اندفاع جنوني للهرب لم يعد بالامكان السيطرة عليه . ومن مجموع ٨٠٠ الف عربي كانوا يعيشون على بقعة اسرائيل الحالية (كتب بيغن كتابه بالعبرية ونشره عام ١٩٤٩) لم يتبق غير ١٥٦ الف عربي . وانه لتصعب المبالغة في الاهمية السياسية والاقتصادية لهذا التطور .ولقد مهدت دير ياسين الطريق لانتصاراتنا الحاسمة في طبريا واحتلال حيفا » . (المصدر السابق ، ص ١٦٤ — ١٦٥ والحاشية رقم ١) .

وخصص بيغن الفصل ٢٩ من كتابه لـ «احتلال يافا» .وهذا الفصل برمته يجب ان يصبح جزءا لا يتجزأ من وثائق الامم المتحدة ومحاضرها لانه يظهر بشكل قاطع (١) كيف ان الصهاينة اليهود كانوا مصممين على « تطهير » فلسطين من جميع السكان العرب بما في ذلك المناطق العربية التي أعطيت للعرب بموجب التقسيم (٢) كيف ان جميع المنظمات الارهابية كانت تتعاون في ما بينها لتحقيق هذا الهدف رغم ان الوكالة اليهودية الناطقة باسم يهود فلسطين ويهود العالم حينذاك كانت تعلن عكس ذلك . فاذا تذكرنا ان التقسيم تم التصويت عليه في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ وان الجيوش العربية لم تدخل فلسطين الا في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ فان الاشهر الواقعة بين هذين التاريخين كانت حاسمة وهي الاشهر التي كان الجهد العسكري السياسي الصهيوني منصبا خلالها على هدف مزدوج:تعطيل التقسيم فعليا وعمليا والدعاية في الوقت ذاته أن اليهود قبلوا التقسيم وان العرب رفضوه . يقول بيغن في الفصل عن « غزوة يافا » : « في الاشهر التي سبقت الغزوة العربية تابعنا القيام بهجمات في كامل المنطقة العربية . **وفي الايام الاولى من عام ١٩٤٨** كنا نفسر لضباطنا انه حتى هذا لا يكفي . فهجمات من هذا النوع تقوم بها قوى يهودية كانت دون ريب ذات اهمية نفسية كبرى . ونتيجتها العسكرية من حيث توسيع الجبهة العربية وارغام العدو على الدفاع لم تكن بدون قيمة . ولكن كان واضحا بالنسبة الينا ان اكثر الهجمات جرأة لم تكن وحدها كافية لتحسم الموقف . **كان أملنا ان نسيطر اكثر فأكثر على الارض** » .

« وفي نهاية كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ في اجتماع لقيادة الارغن اشترك فيه قسم التخطيط حددنا أربعة أهداف ستراتيجية : (١) القدس . (٢) يافا . (٣) سهل اللد — رمله . (٤) المثلث (والمقصود بالمثلث مجموعة الاراضي التي تضم المدن العربية الثلاث نابلس طولكرم جنين) » . (المصدر السابق ، ص ٣٤٨) . ومن العودة لمشروع التقسيم وخارطته يتضح أن منطقة القدس كان مقررا ان تصبح منطقة دولية . وان يافا التي كانت مدينة عربية بكاملها اتبعت للدولة العربية وان كانت تقع ضمن منطقة يهودية وان المثلث بكامله كان داخلا في الدولة العربية . ثم يتابع بيغن فيقول : « حين قررنا على **ستراتيجية الغزو** لم تكن لدينا الاسلحة الكافية » . (المصدر السابق ، الصفحة ذاتها). واذن كان لا بد من الحصول على الاسلحة لا سيما وان الهجمات الاولى على يافا أثبتت ان احتلال هذه المدينة المقاومة كان أمرا صعبا . وعندها نصب ارهابيو الارغن كمينا لقطار مسلح كان يحمل عشرين طنا من الاسلحة فأوقفوه واخذوا بتفريغه وساعد الجنود البريطانيون مدة **اربع ساعات** على تفريغه ونقله لسيارات الشحن . وفي تلك الاثناء وزع رجال الارغن البرتقال على الجنود البريطانيين كمرطبات لهم . ويصفهم بيغن « بأنهم عملوا بمشقة وايمان . فنقلوا صندوقا بعد صندوق . وحملوا سيارة شاحنة بعد سيارة الى أن تم تفريغ القطار » . (المصدر السابق ، ص ٣٥٢ — ٣٥٤) .

وعندما استعدت فرقة الارغن لتزحف على يافا خطب بيغن في رجاله يقول : « يا رجال الارغن . نحن الان على طريقنا لنغزو يافا . نحن الان مقبلون لنخوض احدى المعارك

الحاسمة في حرب استقلال العبرانيين » . ويختتم بيغن الفصل بقوله : « كانت غزوة يافا احدى الاحداث المصيرية في حـــرب الاستقلال العبراني » . (المصدر السابق ، ص ٣٧١) .

بعد كل ما تقدم يحسن بنا أن نستذكر قول بيغن الذي سبق ان استشهدنا به : « قلنا للعرب انه لم تكن لدينا أية رغبة في محاربتهم أو الحاق الاذى بهم واننا حريصون كل الحرص ان نراهم مواطنين مسالمين في الدولة اليهودية المقبلة ... الخ »

جاء في البيان الرسمي للحكومة البريطانية رقـــم ٦٨٧٣ تاريخ ٢٤ تموز ١٩٤٦ عـــن الارغن ما يلي :

« الارغن زفاي ليومي ـــ المنظمة الحربية القومية ـــ تشكلت عام ١٩٣٥ من العناصر المنفصلة عن الهاغاناه . لها قيادة سرية ويقدر عدد جنودها بين ٣٠٠٠ و ٥٠٠٠ مقاتل » .

ليحي أو عصابة سترن The Lehi, Stern Gang : زمرة انشقت عام ١٩٤٠ عن الارغن أسسها ابراهيم سترن Abraham Stern ـــ اسمه المستعار « يوري » وقد قتل عام ١٩٤٢ .

قد يكون أفضل مدخل لتعريف عصابة سترن عناوين كتب ثلاث ترد في ثبت المصادر اثنان منها كتبها أفراد من عصابة سترن هما (١) مذكرات قاتل : اعترافات مجرم من عصابة سترن لأفنر وهو اسم مستعار ، (٢) غويلا كوهين : امرأة من اتباع العنف . مذكرات فتاة ارهابية ١٩٤٣ ـــ ١٩٤٨ ، والثالث كتاب لصحفي اميركي جيرولد فرانك : الفعل العظيم : اغتيال اللورد موين الوزير البريطاني في القاهرة من قبل شابين يهوديين حاولا استعجال التاريخ بمسدس وشنقا من أجل ذلك . ويضيف الناشر الاميركي على غلاف الكتاب لتوضيح محتواه : « هنا القصة الصحيحة المؤثرة لجريمة قتل ساعدت في تغيير مجرى التاريخ » . وكنماذج مما يجده القارىء في هذه الكتب نورد ما ذكره أفنر عن السطو على مصرف باركلي في ٢٦ أيلول سبتمبر (١٩٤٧) في الفصـــل الذي عنوانه « وقت للقتل » . قال « اقتربنا ببطء من السيارة المسلحة التي كانت تنقل المال . لم يخامر أفراد الشرطة الثلاث الذين كانوا يحرسون السيارة أي ريب . وكانت ثلاثة ظهور عريضة مندارة لنا ومستعدة أن تتلقى الموت المخزي الذي يجدر بها . سحبت مسدسي وأطلقت النار فوقع الجندي الاول صريعا بدون صوت . واطلق رفيقي يوآف Yoav النار على الثاني فتهاوى قليلا ثم وقع ميتا . وكانت نهاية الرجل الثالث داخل السيارة غير مسرة . فقد اطلق يوري الرصاص عليه من الباب فأصابه في ساقيه وبطنه . وبدا كأنما نهاية العالم تجثم فوق شارع اللنبي . فرصاصنا أخلى المكان من الناس ... » (أفنر . مذكرات قاتل . ص ٩٣ ـــ ٩٤) . وروى عن مهاجمة **دار سكن** كان يقطنها احد ضباط الجيش : « كان يحرس الفيلا شرطيان عربيان . وعوضا عن ان نتغلب عليهما ببطء فقد أطلق أوزي Ouzy الرصاص عليهما ثلاث عشرة مرة فوقعا يتضرجان بدمائهما . وهنا ركض الرجال الاربعة الذين يحملون الديناميت باتجاه المنزل . عندها فتحت نافذة على الطابق الاول وظهر الضابط يصوب بندقيته ... فرفعت الرشيش الذي أحمله وأطلقت اربع طلقات . وبعد بضع ثوان تداعت الدار بفعل انفجار مائة كيلوغرام من المتفجرات . وفي ساعة متأخرة من تلك الليلة التي تم بها الهجـــوم اغتسلت ولبست قميصا ابيض وذهبت للسينما » . (افنر . مذكرات قاتل . ص ٨٥ ـــ ٨٦) .

ولهذا الاجرام فلسفته . فقد عبرت عنه غويلا يوهين كما يلي : « لقد عشنا المطلق » (امرأة من اتباع العنف . ص ٥٤) « كل ما ينفع الامة حتى ان كان يعود بالضرر على عدة أفراد فهو أخلاقيا مرغوب به . وأي شيء يعود بالضرر على الامة حتى ان كان نعمة بالنسبة لافراد كثيرين فهو أخلاقيا غير مرغوب به » (المصدر السابق ، ص ٥٥) « ان مجرد الامر الواقع اننا كنا حركة سرية خلع علينا السلطة لان نشرع وان نحكم .

والتبرير الرسمي لهذا القانون هو في فكرة واحدة : ان نحمي الضعيف من القوي . فالذين كانت بيدهم السلطة والذين كانوا يتحكمون بأعمال الشرعية كانوا دائما الجانب القوي » (المصدر السابق ، ص ٥٥) .

وبالرغم من الانكارات المتعددة التي ادلى بها كل من بن غوريون وشاريت في عامي ١٩٤٥ و١٩٤٦ وفي انه لا صلة لهما وللهاغاناه بجرائم عصابة سترن وارهاب الارغن . لكن المصدرين الاساسيين عن عصابة السترن يثبتان العكس . فقد اكدت الارهابية كوهين « ان التعاون كان وثيقا ومنسقا بحيث ان الهاغاناه والبالماخ والارغن والسترن كانوا يستطيعون ان يضربوا معا وفي آن واحد . وهكذا ولدت قوة يهودية محاربة واحدة عرفت باسم «الجبهة المقاتلة»«The Insurrectionary Front». ففي ليلة ٢١ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٤٦ استطاعت هذه المنظمات كلها وعلى قدم من المساواة ان تشترك في سلسلة من الضربات من عكا الى غزة ومن الشاطىء الى هضاب القدس » (المصدر السابق ، ص ٩٨) .واما بن غوريون — الذي سماه مؤرخه بار زوهار رجل الدولة النبي فقد شجب جرائم عصابة السترن ولكنه بعد بضعة أشهر من قيام دولة اسرائيل عبر عن احترامه « للذين نذروا نفوسهم كالرجلين اللذين شنقا في القاهرة لانهما قتلا اللورد موين . واما ابراهيم سترن فهو أحد ارفع الرجال الذين عرفهم عصرنا » (جرولد فرانك . الجريمة . غلاف الكتاب) .

وصف البيان الرسمي البريطاني الذي سبقت الاشارة اليه عصابة سترن بأنها انشقت عن الارغن عندما قررت الارغن ايقاف عملياتها عام ١٩٣٩ . ويقدر رجال السترن من ٢٠٠ الى ٣٠٠ متعصبين خطرين لا يتورعون عن اية جريمة . وقد تعاونوا لمدة مع جماعة الارغن لان كلتا العصابتين تؤمنان بالتطرف الذي لا حدود له كما اكد البيان البريطاني الرسمي النتائج التالية :

(١) ان الهاغاناه وقوتها الضاربة المرتبطة بها البالماخ — وكلتاهما تحت القيادة السياسية لاعضاء بارزين في الوكالة اليهودية — تقومان باستمرار بأعمال تخريب وعنف خطط لها بعناية فائقة تحت ستار « حركة المقاومة اليهودية » .

(٢) ان منظمة الارغن زفاي ليومي وعصابة السترن قد عملتا منذ الخريف الماضي بالتعاون التام مع قيادة الهاغاناه في تنفيذ بعض العمليات المشتركة وان (٣) محطة الاذاعة المسماة « كول اسرائيل » التي تدعي انها « صوت حركة المقاومة » والتي كانت تعمل بتوجيه كامل من الوكالة اليهودية كانت تدعم هذه المنظمات .

هنالك مصادر حكومية ودولية اخرى — مما اسميناه في ثبت المصادر بالمصادر الرسمية — بحثت عن الارهاب الصهيوني اليهودي غير نص البيان الرسمي للحكومة البريطانية الذي سبق الاستشهاد به . فهنالك كتاب العلاقات الخارجية للحكومة الاميركية من المنشورات الرسمية والذي يتضمن الوثائق السرية الرسمية الاميركية التي ترفع السرية عنها بعد عشرين عاما . ففي المجلدين الرابع والثامن ما يثبت ان الحكومة الاميركية كانت على علم منذ عام ١٩٤٣ ان الوكالة اليهودية والمنظمة الارهابية الهاغاناه التابعة لها والمنظمات الارهابية الاخرى كانت لها خطط موضوعية لاخراج الاكثرية العربية من فلسطين والسيطرة سيطرة كاملة عليها وعلى مقدرات الشرق الاوسط ان كتب لها تنفيذ هذا الامر الاخير .

وهنالك قراران صوت عليهما مجلس الامن الدولي في ١٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٨ اذ انعقد المجلس فور اغتيال برنادوت الوسيط الدولي من قبل الارهابيين اليهود وتحت انظار حكومة اسرائيل رقم ٥٧ جاء فيه « ان مجلس الامن ، أصيب بصدمة عنيفة للموت المفجع الذي أصاب وسيط الامم المتحدة الكونت فولك برنادوت نتيجة لفعل أثيم

جبان ارتكبته زمرة مجرمة من **الارهابيين** Terrorists في القدس حين كان ممثل الامم المتحدة يقوم بواجبه من أجل تحقيق السلام في الارض المقدسة » . والثاني رقم ٥٩ تاريخ ١٩ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٤٨ الذي نص على ما يلي :

(١) يسجل مجلس الامن باهتمام ان حكومة اسرائيل الموقتة لم تقدم حتى اليوم تقريرا لمجلس الامن او للوسيط بالوكالة حول تطور التحقيق عن اغتيال الوسيط الدولي .

(٢) تطلب من تلك الحكومة ان تقدم لمجلس الامن في وقت مبكر تقريرا عن التطور الذي تم في التحقيق وان تبين فيه الاجراءات التي اتخذت ازاء اهمال الموظفين او اية عوامل أخرى أثرت في ارتكاب الجريمة .

لكن الثابت الان ان حكومة اسرائيل في التقرير الذي قدمه مندوبها لدى الامم المتحدة ايبان الحالي والذي كان اسمه قبل تغييره اودري ايفان Audrey Evan وهو ضابط مخابرات في الجيش البريطاني من جنوبي افريقيا في الاصل — قد تنصلت من الجريمة وحاولت طمس معالمها وان الارهابي اليهودي الذي اشرف على تنفيذ قتل برنادوت اعتقل بعد محاكمة صورية ثم صدر عفو عام عن المعتقلين فأفرج عنه وانتخب في ما بعد عضوا في الكنيست الاسرائيلي .

ان كيفية اغتيال برنادوت وتنفيذ القتل ومناقشات مجلس الامن ومسرحية حكومة اسرائيل في تقديم تقرير واخفاء معالم هذا العمل الارهابي الشنيع تشكل كلها موضوعا لدراسة مستقلة عن ارهاب الدولة . وقد جاء في التقرير الذي رفعه لمجلس الامن الوسيط بالوكالة الدكتور رالف بانش عن اغتيال برنادوت الذي قتل معه ضابط فرنسي كان مساعدا له : « ان هذه الاغتيالات تشكل تحديا كبيرا من قبل عصابة مستهترة من الارهابيين اليهود » (وثيقة مجلس الامن رقم ١٠١٨ / S تاريخ ١٩٤٧/١٢/٣١) .

لقد توقفت في هذا المقال عند عام ١٩٤٨ وباستثناء اغتيال برنادوت لم أتناول بالبحث ارهاب دولة اسرائيل والعصابات التي شكلتها الجاسوسية الاسرائيلية واشرفت عليها لتنفيذ أبشع الجرائم . فالباحث الذي يريد تقصي الارهاب الاسرائيلي الرسمي بوسعه الرجوع لكتابي بار زوهار « **المنتقمون** » بحث فيه ما قامت به عصابات ارهابية يهودية في المانيا الغربية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية من تسميم الخبز والمياه في بعض المدن الالمانية و« اصطياد العلماء الالمان » وكيف لاحقهم الاسرائيليون واغتالوا عددا كبيرا منهم . واغتيال الشهداء الثلاثة ابو يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان ليلة العاشر من نيسان (ابريل) من هذه السنة وفي هذه المدينة بالذات نموذج حي لما يمكن لاسرائيل أن لا تتورع عن القيام به ومما يجعل بحث الارهاب الاسرائيلي موضوعا يتناول حياتنا بالصميم . ويكفي ان نذكر ان ايبان دافع عن هذه الجريمة الشنعاء بقحة مذهلة .

ثمة بضع نتائج يمكن استخلاصها من هذا البحث :

١ — ان النفسية الارهابية الاجرامية لا يمكن ان تتغير بتغيير الاسماء . فتغيير اسماء الهاغاناه والبالماخ والارغن وعصابة سترن الى جيش اسرائيل الدفاعي وتغيير اسماء قادة اسرائيل ورجالها من ديفيد غرين الى بن غوريون وشرتوك الى شاريت وأودري ايفان الى ابا ايبان لا يعني مطلقا ان التركيب النفسي والخلقي وتصور العلاقات الانسانية قد تغير . فرجال هذه العصابات الارهابية وقادتها أكثرهم اليوم من قادة اسرائيل ورجالها . ويكفي ان نستذكر ما ارتكبته اسرائيل وترتكبه ضد العرب من سكانها وفي المناطق المحتلة . فلقد أحصت سجلات الامم المتحدة خمس عشرة مخالفة لاتفاقيات جنيف على الاقل أدينت اسرائيل من أجلها وكان أوضحها وأقواها ادانتها « بجرائم الحرب » بدليل ما جاء في الفقرة ٧ من القرار رقم ٣ الذي صوتت عليه لجنة

حقوق الانسان في ٢٢ آذار (مارس) ١٩٧٢ والتي نصت على ما يلي : « ان لجنة حقوق الانسان »

« تعتبر ان المخالفات الخطيرة لاتفاقية جنيف الرابعة التي اقترفتها اسرائيل في المناطق المحتلة تشكل **جرائم حرب واهانة للانسانية** »

ووفقا للتشريع الدولي الحديث في جرائم الحرب لا تسقط الجريمة عن المجرم بتقادم الزمن بل تجب محاكمته مهما كان انقضاء الزمن على جريمته .

ثانيا ــ من العودة لثبت المصادر التي استندت اليها في هذا البحث يتضح ان الصهاينة والاسرائيليين الذين قادوا عمليات الارهاب ثم كتبوا عنها وصفوا أنفسهم بالقتلة والارهابيين واحيانا في عناوين كتبهم لا في بطونها فحسب حيث وصفوا جرائمهم بدقة وتفصيل .

ثالثا ــ تشكل هذه المصادر الاولى في الارهاب الصهيوني الاسرائيلي مجموعة فريدة لا يوجد مثيل لها في أي تراث تاريخي او سياسي . ذلك انك تجد في عدة لغات كتبا مثلا كتبها « الكوماندوس » عن أفعالهم أثناء الحرب . اما ان تجد تراثا بكامله يبحث في الارهاب ويؤكده ويعطي تفاصيل أبشع الجرائم فهذه ظاهرة يجدر بنا أن نتوقف عليها طويلا وان نسبر أغوارها ومعانيها . وكتب هذا التراث « الارهابي » جاءتنا من الغرب من اكبر دور النشر في أميركا وبريطانيا فهلا فكر الغرب بهذا القسم من نتاجه ؟ ولا يمكن ان يرد على ذلك بالقول ان الغرب الحضاري يضج بالمتناقضات التي تعطل بعضها البعض . فالموضوع هنا جوهري اكثر مما هو صوري او شكلي لان الغرب سيوصم ــ كما هو موصوم الان ــ بخطيئة الازدواجية والتناقض في القيم اذ اعتبر مجرم الحرب الالماني مجرما واعتبر مجرم الحرب الاسرائيلي او الصهيوني مؤسس دولة ورجل دولة . اما ان تطبع كبريات دور النشر في لندن كتبا لارهابيين صهاينة يذكرون فيها كيف قتلوا ضباطا وجنودا وأفرادا ومدنيين بريطانيين فهذا بدوره ووحده كاف لان يكشف عن مسرحية مقاومة الانتداب البريطاني للارهاب الصهيوني اليهودي الذي كانت نتيجته الاغتيال الجغرافي ــ السياسي لفلسطين ولشعبها العربي بكامله .

رابعا ــ في مرحلة الانهيار المخزية التي نجتازها يحسن بالذين يتحكمون اليوم بالقضايا الكبرى المصيرية ان يتذكروا نوع الدولة التي هي اسرائيل وتكوينها الاجرامي وتطلعاتها . ان نظرة المسؤولين الاسرائيليين للعرب لم تتغير اليوم عن النظرة الاساسية التي قامت عليها ايديولوجية الارهاب الصهيوني .

خامسا ــ اننا في مجابهة اسرائيل نجابه مجتمعا عسكريا « سبارتيا » . لقد كتب بالعربية الكثير والقيم عن اننا نجابه مجتمعا علميا تكنولوجيا واننا يجب ان نقابل هذا المجتمع بأساليبه وكل هذا صحيح . لكن المرحلة التي سبقت مرحلة العلم والتكنولوجيا كانت ــ كما أؤمل ان يكون هذا البحث قد أظهر ــ مرحلة تكوين وتأهب عسكريين وتربية عسكرية قادت كلها الى ضرورات العلم والتكنولوجيا . ولا بد ان ننطلق من مجتمع سبارتي بكل مقوماته الذهنية والفكرية والروحية والارادية للتغلب على الانحلال ومقابلة المجتمع السبارتي الذي في جوارنا . ودفعا لاي التباس أقول ان الفرق أساسي وجوهري وكياني بين مجتمع يحكمه الجيش ومجتمع « سبارتي » بحيث يمكن ان يفرد لهذا التمييز بحث مستقل .

واذا عدنا أخيرا لهذا السجل الارهابي الصهيوني الاسرائيلي الذي أدى لمأساة فلسطين فأي حكم نستطيع اطلاقه ؟ الاحكام التي أطلقت حتى الان ليست قليلة . ولكني أفضل أن أورد منها ما ليس عربيا بل ما يدين اسرائيل من اسرائيل . قال موشيه ديان في رثاء صديق له اسمه روي روتنبرج قتل في صدام مع العرب قبل بضعة أشهر من حرب

١٩٥٦ : « لنتوقف اليوم عن قذف الذين قتلوه بالاتهامات . من نحن لنناقش حقدهم ؟ » « ها قد انقضت ثمانية أعوام الان وهم يجلسون في مخيماتهم في غزة وتحت أعينهم وأبصارهم نحول لمتلكاتنا الاراضي والقرى التي عاش عليها آباؤهم وأجدادهم »

« . . . نحن جيل من **المستوطنين** ودون الخوذة الفولاذية والمدفع لا نستطيع ان نزرع شجرة او ان نبني بيتا » . (استشهد به اوري أفنيري في كتابه . اسرائيل بدون صهيونيين ، ص ١٣٤) .

وكتب الفيلسوف الاسرائيلي مارتن بوبر Martin Buber في كتابه اسرائيل والعالم « ان أكثر التعاليم فسادا بين جميع التعاليم المتهافتة هو الذي يذهب الى ان طريق التاريخ تقرره القوة وحدها دون غيرها . وقد تغلغلت هذه النظرية في تفكير الشعوب وتفكير حكوماتها ولم يبق من الايمان بالروح الا مجرد أقوال معادة » . ثم ينتقل الى نقد الفظائع الارهابية ضد العرب ويعلق على مذبحة دير ياسين بالذات فيقول : « هنا كانت الجريمة جريمتنا او جريمتي انا بالذات جريمة اليهود ضد الروح . انني حتى اليوم لا أفكر بما وقع دون أن أشعر نفسي مذنبا » . (مارتن بوبر . اسرائيل والعالم . نيويورك ١٩٦٣ ، ص ٢٥٦ — ٢٥٧) .

وقد رأينا كروتشه في مطلع هذا البحث يؤكد ان « كل حكم هو حكم تاريخي او بكل بساطة التاريخ » فهل يستطيع العالم أن يحجم عن اطلاق حكم ؟

يقول المفكر الفرنسي كامو Camus في كتابه « السقوط » في حوار بين صديقين عن يوم القيامة يقول : « يا صديقي سوف أكشف لك عن سر خطير . لا تنتظر يوم الحساب لتصدر حكما . ان الحكم يصدر يوم » . (كامو . السقوط . الطبعة الانكليزية . نيويورك ١٩٦٨ . ص ٢٠٥) .

---

١ — هرتزبرغ آرثر . **الفكرة الصهيونية** . نيويورك . الطبعة الثانية ، ١٩٦٦ . ص ٢٢٢ .

٢ — تيودور هرتزل . **المذكرات** . نيويورك ١٩٦٠ في خمسة أجزاء . الجزء الاول . ص٨٨ .

٣ — **المصدر السابق** ، ص ٩٨٠ .

٤ — **الدبلوماسية في الشرق الاوسط . مجموعة وثائق . ١٩١٤ — ١٩٥٦** . الجزء الثاني . نيويورك ١٩٥٦ . ص ٤٥ — ٥٠ .

٥ — **وثائق السياسة البريطانية . ١٩١٩ — ١٩٣٩** . لندن . منشورات صاحبة الجلالة . ١٩٥٢ . ص ٣٤٥ .

٦ — من أجل تحديد رسمي « لارض اسرائيل » راجع **الكتاب الحكومي السنوي ٥٧١٣ (١٩٥٣) دولة اسرائيل** . مقدمة بقلم دافيد بن غوريون **والكتاب الحكومي السنوي ٥٧١٦ (١٩٥٥) اسرائيل الدولة والامة** ص ٣٢٠ — ٣٢١ .

٧ — موشي مينوحين . مجلة **قضايا** [اشوز]. عدد الخريف ١٩٦١ . ص ٣ .

٨ — الحكومة الاميركية . وزارة الخارجية . **العلاقات الخارجية ١٩٤٣** . المجلد الرابع . **الشرق الاوسط وافريقيا** . ص ٧٧٧ .

٩ — **المصدر السابق** . ص ٧٤٨ .

غرباء في وطنهم :
البيئة والاوضاع السياسية للعرب في اسرائيل

صبري جريس

في المطبعة حاليا طبعة جديدة ، منقحة ومعدلة ، لكتاب « العرب في اسرائيل » للاستاذ صبري جريس الذي نشره أول الامر باللغة العبرية في الارض المحتلة ، وقد سبق لمركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية أن ترجمه الى العربية ونشره في العام ١٩٦٧ — ١٩٦٨ ونفد بعد صدوره باشهر قليلة . ثم ترجم الى عدة لغات اجنبية . اما الطبعة الجديدة ، التي أضاف المؤلف اليها أقساما تغطي أوضاع العرب في الارض المحتلة في السنوات الست الاخيرة ، فتصدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية . وفيما يلي أجزاء من الفصل الرابع ننشرها على حلقتين :

البيئة والاوضاع السياسية

يتصف النظام السياسي الاسرائيلي بكثرة الاحزاب والفئات السياسية التي تشترك فيه ، وتعتبر جزءا لا يتجزأ منه . وهو وضع تعود جذوره الى أسس الحياة السياسية بين المستوطنين اليهود في فلسطين ايام الانتداب البريطاني من جهة والى واقع الحركة الصهيونية العالمية ، على كثرة منظماتها وأحزابها ، من جهة أخرى .

ان هذه الاوضاع التي ساعدت على استمرارها تلك الطرق السهلة ، نسبيا ، التي يمكن بواسطتها اقامة تنظيمات سياسية جديدة ، أو الانفصال عن تنظيمات قائمة ، أو الاتحاد معها ، رافقت الحياة السياسية في اسرائيل منذ انشائها بحيث ان الحكومة الموقتة ، وهي أول حكومة تشكل في اسرائيل بعد اعلان قيامها ، كانت عبارة عن ائتلاف بين القوى السياسية الكبيرة ، بينما كان « مجلس الشعب » الذي اعتبر بمثابة برلمان موقت مشكلا من ممثلين عن كل الفئات السياسية التي كانت قائمة وقتها . ففي الانتخابات العامة الاولى ، التي جرت في مطلع سنة ١٩٤٩ ، اشتركت ٢١ قائمة انتخابية ، فازت ١٢ قائمة منها بمقاعد في الكنيست(١) . وقد لازم هذا الوضع الانتخابات في اسرائيل حتى الآن . ففي الانتخابات العامة الستة (١٩٥١ — ١٩٦٩) التي تلت الانتخابات الاولى ، والتي جرت حتى الان في اسرائيل ، اشترك ما يزيد على ١٠٠ قائمة ، فازت منها ٧٧ قائمة بمقاعد في الكنيست ، اي بمعدل يزيد على ١٢ قائمة لكل كنيست(٢) . ولقد نتجت عن هذا الوضع حقيقتان مهمتان : أولاهما ان اي حزب ، او قائمة انتخابية ، لم يفز مرة بأكثرية مطلقة تمكنه وحده من تشكيل حكومة ، ولهذا كانت الحكومات الاسرائيلية دائما حكومات ائتلافية تعتمد على عدة أحزاب ، وثانيتهما ان النشاط السياسي امتاز ، بصورة عامة ، بصراع وتناحر حادين بين مختلف الاحزاب والفئات السياسية للحصول على أصوات الناخبين .

ان الوضع السياسي الذي أشرنا اليه ، على تعدد تجمعاته السياسية ، كان مقتصرا

اساسا على اليهود في فلسطين ايام الانتداب دون غيرهـم ، بحيث بدا وكأنه عنصر اساسي من وجودهم في البلد . ويظهر ان معظم المستوطنين اليهود وزعماءهـم كانوا راضين عن هذا الوضع ، اذ بدت على الكثيرين منهم دلائل الحيرة تجاه حقوق الاقلية العربية السياسية التي بقيت في اسرائيل بعد اعلان قيامها . ومما زاد في حيرة السلطات الاسرائيلية ان معظم أبناء تلك الاقلية كان من القرويين أو البدو الذين لم يتمتعوا أصلا بخبرة ملحوظة بالتنظيم او العمل السياسي ، خصوصا وانه بعد حرب ١٩٤٨ كان معظم القيادة السياسية العربية ، ان وجدت ، قد انتقل الى خارج اسرائيل . غير ان الاوضاع الداخلية في اسرائيل التي استوجبت اجراء انتخابات عامة هناك في مطلع سنة ١٩٤٩ ، وحتى قبل انتهاء القتال وتوقيع اتفاقيات الهدنة مع الدول العربية المجاورة ، اجبرت السلطات الاسرائيلية على تحديد موقفها السياسي من العرب هناك والسماح لهـم بالاشتراك في تلك الانتخابات ، بعد أن أسكتت تلـك الاصوات التي كانت تدعو الى ابعادهم عن الحياة السياسية الاسرائيلية .

ان القوة السياسية الرئيسية التي نشطت بين العرب في اسرائيل ، قبيل الانتخابات للكنيست الاول ، كانت السلطة الاسرائيلية نفسها ، ممثلة في حزب مباي الذي اشترك في الانتخابات بقائمتين عربيتين مرتبطتين به ، فازت احداهما بمقعدين في الكنيست . اما القوة الثانية فكانت الحزب الشيوعي الاسرائيلي الذي اشترك في تلك الانتخابات ايضا ، مشكلا المعارضة الرئيسية لمباي،وكان من بين مرشحيه الذين فازوا بمقعد في الكنيست احد اعضائه العرب.كذلك نشط حزب مبام بين العرب في تلك الانتخابات، والذي شكل قائمة عربية مرتبطة به ، الا أنها لم تحصل على أي مقعد في الكنيست(٣) ونشط معـه باقي الاحزاب الصهيونية الاسرائيلية « التي كادت تجتاح الناخبين العرب »(٤) بوعودها، الا أن أيا منها لم يتجه الى تشكيل قوائم عربية مرتبطة به او الى اضافة عرب الى قوائم مرشحيه ، واكتفى ببذل المحاولات للحصول على أصوات العرب « الذين اشتركوا في الانتخابات دون حماسة بالغة »(٥). ويبدو ان طريقة العمل السياسي هذه التي اتبعت خلال أول انتخابات عامة في اسرائيل أصبحت من يومها الطريق التقليدي والوحيد لهذا النشاط بين العرب في اسرائيل . فعدا تغيير بسيط طرأ قبيل الانتخابات للكنيست الثاني (١٩٥١) عندما دخل حزب مبام الحلبة ، وهذه المرة بضم مرشح عربي دائم الى قائمة مرشحيه للانتخابات لا بقائمة عربية منفصلة مرتبطة به ، والعمل للحصول على جزء من أصوات العرب ، لم يطرأ أي تغيير أساسي على هذا الوضع الذي لا يزال حتى الآن على ما كان عليه ، وعلى الرغم من بعض المحاولات التي بذلت لتغييره والتي باءت كلهـا بالفشل . وهكذا بقي النشاط السياسي بين العرب في اسرائيل ، منذ اقامتها ، محصورا في الاحزاب الصهيونية من جهة والحزب الشيوعي من جهة اخرى .

ان طريقة التمثيل السياسي التي رسمت للعرب في اسرائيل ، كما اشرنا اليها ، أسفرت عن انتخاب ٧ أو ٨ أعضاء عرب في كل انتخابات عامة تجري في اسرائيل ، عدا الكنيست الاول اذ كان عددهم ثلاثة (انظر الجدول ١ ادناه) مرتبطين ارتباطا وثيقـا بالقوى السياسية التي تحتضنهم ، ويفترض انهم يمثلون مصالح ناخبيهم العرب في الكنيست . واما تلك القوى ، من جهة ثانية ، فقد بذلت كل ما في وسعها ، كل حسب امكانـاته ، لقصر «تمثيل» العرب عليها دون غيرها ولمنع تدخل اية جهة اخرى، خصوصا التنظيمات العربية القومية ، ان وجدت في هذا المجال . والسلطة الاسرائيلية ، بأسلوبها هـذا ، أدخلت العرب في اسرائيل في دوامة الحياة السياسية الاسرائيلية وجعلت الكثير منهم ، ربما أغلبيتهم ، يقبلون بفرح على الاشتراك في اللعبة ، معتقديـن انهم بعملهم هذا يمارسون حقوقهم المدنية وتأثيرهم في الحكم في اسرائيل ، بينما لم تكـن تلك الطريقة عمليا ، كما وصفها مستشار سابق لرئيس الحكومة الاسرائيلية في الشؤون العربية ، وكما سنرى ، الا « صراعا ، باسم العرب ، بين اليهود ولمصلحة اليهود »(٦).

الجدول ١

أعضاء الكنيست العرب وانتماءاتهم

الكنيست	تاريخ انتخابه	عـــدد الاعضـــاء العـــرب القوائم العربية(١)	الحزب الشيوعي الاسرائيلي(٢)	مبام	المجموع(٧)
الاول	١٩٤٩/١/٢٥	٢	١	—	٣
الثاني	١٩٥١/٧/٣٠	٥	٢	١	٨
الثالث	١٩٥٥/٧/٢٦	٥	٢	١(٥)	٨
الرابع	١٩٥٩/١١/٣	٥	١	١	٧
الخامس	١٩٦١/٨/١٥	٤	٢(٣)	١	٧
السادس	١٩٦٥/١١/٢	٤	٢	١	٧(٨)
السابع	١٩٦٩/١٠/٢٨	٤	٢(٤)	١(٦)	٧

(١) في الكنيست الاول قائمة واحدة ، وفي الكنيست الثاني والثالث والرابع ٣ قوائم ، وفي الكنيست الخامس والسادس والسابع قائمتان . هذه القوائم كانت مرتبطة بمباي حتى الكنيست الخامس ، وفي السادس كانت مرتبطة بتجمع مباي — أحدوت همعوداه ، وفي السابع بتجمع حزب العمل — مبام .

(٢) منذ الكنيست السادس : القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) .

(٣) احدهما اميل حبيبي ، ابتداء من ١٩٦١/١٠/٤ .

(٤) احدهما اميل حبيبي ، استقال بتاريخ ١٩٧٢/٢/١٥ .

(٥) منذ ١٩٥٥/٩/٢١ .

(٦) منذ الكنيست السابع : تجمع حزب العمل — مبام .

(٧) من ١٢٠ عضوا .

(٨) ابتداء من ١٩٦٤/٥/٥ حتى نهاية ولاية الكنيست السادس سنة ١٩٦٥ ، انضم عضو عربي آخر الى الكنيست ، سليم جباره ، على قائمة أحدوت همعوداه ، بعد أن استقال احد اعضاء الحـــزب اليهـــود فحل محله .

*

كان مباي القوة السياسية الرئيسية في اسرائيل التي عملت على صياغة أسلوب العمل السياسي بين العرب بالصورة التي صيغ بها ، ولا يزال يعتبر العامل الحاسم في هذا المجال حتى الآن(٧)، بينما لم يكن نشاط الاحزاب الاخرى ، عامة ، الا عبارة عن رد فعل لنشاطه . ومباي ، حزب عمال ارض — اسرائيل (وهذا اسمه الرسمي) كان ، منذ مطلع الثلاثينات ، أكبر القوى السياسية بين المستوطنين اليهود في فلسطين واستمر في الاحتفاظ بمركزه هذا بعد اقامة اسرائيل اذ لم ينقص عدد أعضائه في الكنيست مرة عن ثلث مجموع الاعضاء ، ولهذا كان دائما الحـــزب الرئيسي الذي شكـــل الحكومات الاسرائيلية . ونكتفي ، للدلالة على مدى تأثير الحزب في السياسة الاسرائيلية، بالاشارة الى أن أربعا من أهم الوزارات الاسرائيلية ، وهي رئاسة الحكومة ووزارات الدفاع والخارجية والمالية ، كانت دائما في أيدي اعضاء الحزب او المحسوبين عليه . وكنتيجة لمركزه وحجمه هذين ، لعب مباي الدور الرئيسي في صراع الحركة الصهيونية مع العرب في فلسطين وخارجها ، خلال السنوات الاربعين الاخيرة .

أن موقف مباي الذي يعتبر نفسه جزءا من التيار الاشتراكي — الديمقراطي في العالم ، من الحركة القومية العربية عامة ومن عرب فلسطين خاصة لم يتصف بوضوح بالغ .

فبالنسبة الى الحركة القومية العربية ، يندر أن يجد المرء رأيا معتمدا من الحزب يوضح موقفه . اما بالنسبة الى عرب فلسطين ، فقد كان الحزب يكتفي باعلان انهم « سكان في ارض اسرائيل » ، لهم الحق في العيش في الدولة اليهودية بعد اقامتها ، والذين اصبحوا فيما بعد « مواطنين في اسرائيل » . لكن الاوضاع السياسية التي نشأت في اسرائيل بعد اقامتها لم تسمح للحزب بالاستمرار في موقفه الغامض هذا ، اذ نتج عن وجود اقلية عربية في اسرائيل وضع مغر للحزب دفعه الى العمل بينها . اما الاسباب التي دفعت مباي الى السير في هذا الاتجاه فكانت عديدة : منها ان الحزب ، بصفته اكبر الاحزاب بين اليهود ، لا يستطيع ان يسمح لنفسه بالتخلي عن محاولة احتلال هذا المركز بين العرب ايضا . ومنها أن الحصول على تأييد العرب داخل اسرائيل لسياسة الحكومة الرسمية ، والاثبات ان العرب واليهود يستطيعون العيش بسلام في ظل حكم صهيوني ، أمر لا بد ان يكون له تأثيره ، على المدى الطويل ، في الصراع العربي — الاسرائيلي ، خصوصا في ضوء الادعاءات المبائية التقليدية بأنه لا تناقض اساسي بين مصالح العرب والصهيونية في فلسطين ، وان اي تناقض بين الطرفين هو من صنع الزعامة العربية التقليدية التي تبغض الصهيونية .

ولكن قرار مباي بالعمل سياسيا بين العرب جوبه بصعاب واضحة ، لم يكن من السهل التغلب عليها من جهة . وبمحاذير لا يجوز تجاوزها من جهة اخرى . فالحزب ، نظرا الى ماضيه وحاضره ، ومركزه وعقيدته ، لم يكن يملك بضاعة سياسية مغرية لعرضها على العرب بالذات وكسب تأييدهم ، وهو أساسا لا يقبل العرب حتى اعضاء في صفوفه(٨)، لاعتقاده ان العربي لا يستطيع ان يكون عضوا مخلصا في حزب صهيوني كمباي . ومن جهة اخرى ، اضطر الحزب ، بسبب نظرته الى العرب — داخل اسرائيل بالذات — الى التريث قليلا قبل البدء باعطاء الاشارة للعمل السياسي بينهم ، خشية ان يفلت الزمام ، مع مرور الزمن ، من يد الحزب فيؤدي الى بروز قيادات او اتجاهات سياسية معينة بين العرب ، يصعب على الحزب التحكم فيها . ولكن الذين يسمون بالخبراء بالشؤون العربية لدى الحزب سرعان ما قدموا حلولهم لهذه المشكلات ولغيرها ، عندما قرروا ان على العرب الاشتراك في الحياة السياسية الاسرائيلية بقوائم انتخابية (لا باحزاب) تشكل قبيل كل انتخابات عامة في اسرائيل ، ويختار اعضاؤها من بين المتعاونين مع السلطة ، على اساس اقليمي — محلي وطائفي . ويتولى جهاز الحزب دعم هذه القوائم ، ماليا ومعنويا ، خلال الانتخابات ، وبهذا « يحررها » من عناء اقامة أجهزة سياسية خاصة بها ، ويكفل تعلق المرشحين او من ينتخب منهم به ، ويضمن ولاءهم لكل مواقفه السياسية .

ان الاسس التي اشرنا اليها لا تزال الصفات المميزة لنشاط مباي السياسي بين العرب . فالصبغة الاقليمية — المحلية والطائفية تظهر بوضوح في تركيب القوائم الانتخابية التي شكلها الحزب في كل انتخابات جرت للكنيست . ففي الانتخابات الاولى (١٩٤٩) ، دفع مباي قائمتين عربيتين الى الاشتراك فيها ، فازت احداهما (« القائمة الديمقراطية للناصرة ») بمقعدين ، شغل احدهما سيف الدين الزعبي (مسلم من الناصرة) ، وشغل الثاني امين جرجورة (مسيحي من الناصرة)(٩). اما في الانتخابات الثانية (١٩٥١) ، فقد طرأ تغيير على موقف السلطة من العرب ، اذ كان المثلث قد ضم الى اسرائيل بعد اتفاقية الهدنة الاسرائيلية — الاردنية لسنة ١٩٤٩ . وكانت الاوضاع قد استقرت في الجليل ايضا ، بحيث كان من الملائم ارسال اعضاء عرب الى الكنيست يحسبون على هذه المناطق . وفي الوقت نفسه كانت السلطات الاسرائيلية قد بدأت وقتها محاولاتها لفصل أبناء الطائفة الدرزية عن باقي العرب في اسرائيل ثم اعتبارهم « امة » منفردة قائمة بذاتها ، ولذلك كان من الواجب ضمان تمثيل درزي في الكنيست.وقد تصرف مباي

على هذا الاساس ، فاشتركت في الانتخابات ثلاث قوائم : اولاها « القائمة الديمقراطية للناصرة » التي تغير اسمها الى « القائمة الديمقراطية لعرب اسرائيل » ، ففازت بثلاثة مقاعد احتلها الزعبي بالاضافة الى عضوين جديدين : جبر معدي (درزي من بركا في الجليل) ، ومسعد قسيس (مسيحي من معليا في الجليل) . اما القائمتان الاخريان فكانتا قائمتي « التقدم والعمل » التي انتخب منها عضو واحد ، صالح خنيفس (درزي من شفاعمرو في الجليل) ، و« الزراعة والانماء » التي انتخب منها فارس حمدان (مسلم من باقة الغربية في المثلث) . وقد استمر وضع هذه القوائم على ما هو عليه خلال الانتخابات الثالثة (١٩٥٥) أيضا ، ولكن « القائمة الديمقراطية لعرب اسرائيل » فازت بمقعدين بدلا من ثلاثة في الانتخابات السابقة ، فحل معدي مكان الزعبي الذي استقال من منصبه ، بينما فازت قائمة « التقدم والعمل » بمقعدين بدلا من واحد ، فدخل صالح سليم (مسلم من شفاعمرو) الى الكنيست ، الى جانب زميله في القائمة ، صالح خنيفس .

اما في الانتخابات الرابعة (١٩٥٩) ، فقد تخلى مباي عن خدمات جميع اعوانه السابقين وغيرهم كلهم(١٠)، بعد أن ادخل تغييرات على أسماء تلك القوائم وتركيبها ، ولكنه استمر في دعم ثلاث قوائم : « التعاون والاخاء » التي فازت بمقعدين شغلهما كل من لبيب أبو ركن (درزي من عسفيا قرب حيفا) ، ويوسف دياب (مسلم من طمره في الجليل) ، و« التقدم والانماء » التي فاز عنها احمد الضاهر (مسلم من الناصرة) ؛ والياس نخله (مسيحي من الرامة في الجليل) ، و« الزراعة والانماء » التي فاز عنها محمود الناشف (مسلم من الطيبة في المثلث) . وقد عاد مباي وادخل تغييرات اخرى على هذه القوائم ، قبيل الانتخابات الخامسة (١٩٦١) ، فجعلها قائمتين بدلا من ثلاث : « التقدم والانماء » و« التعاون والاخاء » ، واعاد جبر معدي الى الكنيست واستبدل « نائب المثلث » محمود الناشف بدياب عبيد (مسلم من الطيبة) . ومنذ ذلك الوقت ، وبعد أن انخفض ايضا عدد الاعضاء المرتبطين بالحزب من خمسة الى اربعة ، حرص مباي على أن يكون دائما اثنان منهما مسلمين ، وثالث درزي ، ورابع مسيحي .

اما في الانتخابات السادسة (١٩٦٥) ، فقد اعيد الزعبي الى الكنيست ، بينما طرأ تغيير آخر على تلك القوائم قبيل الانتخابات السابعة (١٩٦٩) ، أثر خلاف نشب بين أولئك الاعضاء ، فتحالف الزعبي مع معدي ، ونخله مع عبيد . ويظهر من طريقة تشكيل هذه القوائم ان المرشحين انفسهم ليس لهم اي رأي في ذلك ، وانما قيادة مباي هي التي تتخذ القرار النهائي والملزم ، « اذ لا اعتقد ان لنا وزنا ما » ، كما يقول الزعبي ، «فنحن نلتزم بقرار مركز الحزب بشأن هذا الموضوع »(١١). وغني عن القول ان مباي ، باسلوبه هذا ، قوّى النزعات الحمائلية ــ الطائفية والاقليمية ــ المحلية بين الجماهير العربية في اسرائيل ، وقلص كثيرا امكانات قيام قيادة عربية قومية على صعيد قطري ، وهو ما كان يتحسب منه دائما . ويبدو ، من ناحية ثانية ، ان مباي لم يكن اساسا حرا في انتهاج الطريق التي اشرنا اليها ، فاضطر في البداية ، تحت ضغط الظروف ، الى اتباع هذا الاسلوب الذي لاقى استحسانا لديه فيما بعد فرفض التنازل عنه . « فمع قيام دولة اسرائيل تحفظ المثقفون العرب من كل نشاط او اتصال سياسي بسلطات اسرائيل التي لم يبق لها الا تشجيع كل مبادرة ممكنة اخرى . وهكذا حدث ان العرب لم يكونوا هم الذين قرروا من هم المرشحون العرب في الانتخابات للكنيست الاول ، وأية قوائم ستشكل ، وكم عددها . وبهذا تقررت ثلاث اسبقيات :

١ ــ ان المثقفين العرب لا يحتلون المكان الطبيعي اللائق بهم في التمثيل السياسي . . .

٢ ــ عمليا ، ليس العرب هم الذين يقررون من هم الاعضاء العرب في الكنيست .

٣ ــ الاعضاء العرب والقوائم العربية اتباع لغيرهم ... اما الاحزاب الاسرائيلية فلا تريد التنازل عن هذه الورقة ... »(١٢).

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو كيف يختار مباي (ومن بعده حزب العمل) الاعضاء العرب المرتبطين به ؟ ان سيرة اولئك الاعضاء تظهر أن قسما منهم ينتمي الى ذلك النوع من العملاء المستعد للتعاون مع أي محتل لقاء منفعة مادية ، بينما القسم الآخر هو من ابناء العائلات الكبيرة أو الزعماء المحليين الذين أبدوا استعدادهم للتعاون مع الحزب . فسيف الدين الزعبي وجبر معدي ، « الرجلان القويان » في القوائم العربية واللذان لم يستطع الحزب الاستغناء عن خدماتهما نهائيا على الرغم من انه حاول ذلك أكثر من مرة ، هما ، بشهادتيهما ، عميلان سابقان لمخابرات الهاغاناه ، تدرجا في مجال التعاون مع السلطات الاسرائيلية حتى وصلا الى مركزيهما الحاليين . وسيف الدين الزعبي يحمل وسام محاربي الاستقلال الاسرائيلي والذي منح له «لمساهمته في أمن المستوطنات [اليهودية] ، ورعاية شؤون الدفاع في المروج [المحيطة بالناصرة] ، وكذلك احباط محاولات العصابات للهجوم على المستوطنات اليهودية، من خلال المخاطرة بحياته»(١٣). وكان الزعبي قد بدأ اتصالاته بالتنظيمات الصهيونية في فلسطين خلال أواخر الثلاثينات، بعد أن باع قطعة أرض يملكها الى الكيرن كاييمت ثم اصبح سمسارا لشراء الاراضي العربية لحساب الشركة ، حيث تعرف فيما بعد الى مديرها في حيفا ، ومن خلاله الى آبا حوشي ، حيث كانت الطريق ممهدة أمامه للاستمرار في تعاونه مع الصهيونيين(١٤)، وكان من ابرز المتعاونين مع الحكم العسكري في الناصرة ، بعد احتلال المدينة سنة ١٩٤٨ . اما جبر معدي ، فقد كان يعمل لمصلحة المخابرات الاسرائيلية لقاء راتب شهري قدره ٤٠ ليرة(١٥)، وساعد القوات الاسرائيلية ، خلال حرب ١٩٤٨، على احتلال بعض القرى الدرزية في الجليل . وبسبب نشاطه هذا رشح لنيل وسام الاستقلال الاسرائيلي ، ولكن منح الوسام تأجل بعد أن أبدت دوائر اسرائيلية معينة شكوكها في ان الشيخ معدي كان ، في حقيقة الامر ، عميلا مزدوجا لمصلحة الاسرائيليين ولمصلحة قوات جيش الانقاذ العربية(١٦). كذلك رشح معه لنيل الوسام نفسه وللاسباب نفسها(١٧) عضوا الكنيست السابقان الآخران لبيب ابو ركن (عضو من ١٩٥٩ الى ١٩٦١) ، وصالح خنيفس (عضو من ١٩٥١ الى ١٩٥٩)(١٨)، والاخير كان أيضا قد ساعد القوات الاسرائيلية على احتلال عكا في سنة ١٩٤٨(١٩). اما الياس نخله الذي انتخب للكنيست في سنة ١٩٥٩ ، وكان في الانتخابات التي سبقتها مرشحا من قبل حزب الصهيونيين العموميين ، فيرى ان مباي « فضله على الآخرين بسبب سمعة عائلته الطيبة »(٢٠)، بينما يصف فارس حمدان (عضو من ١٩٥١ الى ١٩٥٩) بداية علاقته بمباي بقوله : « حضر الي ، في سنة ١٩٥١ ، رجال مباي ، واقترحوا علي أن أصبح عضو كنيست من قبل قائمة عربية مرتبطة بالحزب ، وقد وافقت حالا وانضممت اليهم »(٢١). وعندما سئل حمدان عن سبب موافقته على هذا الاقتراح ، أجاب « لان مباي هو الحزب الكبير في البلد ، والحكومة تستند اليه . ومباي وحده فقط يستطيع ان يساعدنا . ومن المعروف ان الضعيف يسارع الى الامساك بيد القوي ، فحبذنا السير مع الحكومة والاستفادة من ذلك »(٢٢).

ولكن ، على الرغم من ذلك ، يبدو ان « السير مع الحكومة » لم يعد بفوائد جمة على أولئك الاعضاء ، ولا على ناخبيهم . فالمعلومات المتوفرة ، في هذا الشأن ، تشير الى ان ما حصل عليه أولئك الاعضاء كان عبارة عن منافع مادية ضئيلة ، كتعيين أحدهم عضوا في مجلس ادارة شركة تسويق المنتوجات الزراعية العربية(٢٣)، وتأجيل جباية الضرائب المطلوبة منه ، ومنحه رخصا لحمل أسلحة مختلفة(٢٤)، أو تأجير آخرين بضع مئات من الدونمات من الاراضي الزراعية ، من أملاك الغائبين(٢٥)، حيث يقومون باعادة تأجيرها

للمزارعين العرب لقاء عمولة . ويظهر ان الوحيد من بين أولئك الاعضاء الذي حاولت السلطات مساعدته فعلا كان فارس حمدان الذي اشتركت وزارة الصناعة والتجارة معه في تمويل مصنع للمعلبات أقيم في باقة الغربية(٢٦)، ووظفت في ذلك المشروع مئات الآلاف من الليرات . غير ان المشروع أفلس ، في نهاية الامر ، لسوء ادارته(٢٧). كذلك فان حظ ناخبيهم لم يكن أحسن من حظهم كثيرا ، وسنعود للبحث في هذا ، فيما بعد .

كذلك فان الدعم المعنوي الذي حصل عليه أولئك الاعضاء لم يختلف كثيرا عن المنافع المادية التي قدمت اليهم . فمباي لم يعتبر هؤلاء الاعضاء الا مجرد تابعين له ، وظيفتهم التصويت الى جانبه في الكنيست ودعمه عند تشكيل الحكومات الاسرائيلية ، على الرغم من انهم لم يستشاروا مرة في تشكيل تلك الحكومات ولم يحصلوا على أي منصب وزاري او غيره الا مؤخرا ونتيجة مبادرات أحزاب اسرائيلية أخرى اضطر مباي الى الاستجابة لها . ومما يجدر ذكره هنا ان بن — غوريون ، زعيم الحزب المرتبط به أولئك الاعضاء ، لم يجد لديه وقتا كافيا لاجراء مقابلة معهم الا بعد مرور عشر سنوات على قيام اسرائيل، عندما اجتمع اليهم أول مرة سنة ١٩٥٨ ، وهو الاجتماع الذي تم على ما يبدو للتخفيف من الاستياء الذي نجم يومها عن موقف بن — غوريون ، عندما شاع نبأ رفضه استلام بطاقة هويته الاسرائيلية لانها طبعت ايضا باللغة العربية ، الى جانب العبرية(٢٨). ثم اجتمع بن — غوريون ثانية الى أولئك الاعضاء في أواخر سنة ١٩٥٨ . وصرح ، خلال اعلانه التغييرات التي تقرر ادخالها على الحكم العسكري سنة ١٩٥٩ بأنها جاءت نتيجة مشاورات معهم ، في محاولة لتعزيز موقفهم ، مـــع ان الواقع هو ان بن — غوريون اضطر الى اعلان تلك التغييرات نتيجة ضغوط الاحزاب المشتركة في الائتلاف الحكومي عليه(٢٩). ويظهر السجل البرلماني لاولئك الاعضاء ، على أية حال ، ان نشاطهم في الكنيست ينحصر ، ان حضروا الجلسات ، عدا تصويتهم الى جانب الحكومة عند طرح الثقة ، في ابداء رأيهم بصورة عامة في المشكلات التي تجابه العرب في اسرائيل ، والطلب من السلطات العمل على حلها بطريقة تميل عادة نحو التزلف والاستعطاف ، واذا ما تطرقوا الى الشؤون السياسية الخارجية فيكتفـــون بمناشدة الدول العربية باحلال السلام مع اسرائيل . ومن جهة أخرى ، نتج عن مركز الاعضاء العرب المبائيين هذا ان تقلص دورهم ، وانحصر في التوسط للعرب لدى الدوائر الاسرائيلية المختلفة أو تعاطي المحسوبية على صعيد محلي . وقد وصف أحدهم ، دياب عبيد ، طريقة عمله لخدمة العرب في اسرائيل خلال فترة عضويته في الكنيست من ١٩٦١ الى ١٩٦٥(٣٠)، فذكر انه كتب خلال هذه الفترة نحو ٢٠٠٠ رسالة الى مختلف الدوائر الحكومية ، اسفرت عن حل ٣٢٣٣ قضية ، منها ٢١٤ مشكلة عامة تتعلق بالقرى والمجالس المحلية العربية . كذلك تمت ٧٢٣ مقابلة بين عرب اسرائيليين وبين أقاربهم في الدول المجاورة ، ومنح ١٣١٩ قرضا ماليا لافراد عرب ، وحلت ٣٦٨ مشكلة خاصة في وزارة المعارف والثقافة و٥٩٤ مشكلة خاصة أخرى في وزارات حكومية أخرى ، واجتمعت ١٥ عائلة عربية الى أقاربها من اللاجئين الذين يسكنون خارج اسرائيل . وأضاف مراسل « هآرتس » تعليقا على هذه الاقوال ، « ان عضو الكنيست عبيد الذي استطاعت الحكومة ، بفضل صوته، الحصول على أكثرية لشطب مشاريع القوانين لالغاء الحكم العسكري(٣١)، لا يذكر ، بين انجازاته ، ولو استجوابا واحدا أو مشروع قانون واحد . ان كل نشاطه ، ومصـــدر فخره ، ينحصر في أعمال وساطته لتعيين مدرس او نقله من مكان [عمل] بعيد الى مكان أقرب لمحل اقامته ، او توصية باجراء مقابلة على بوابة مندلباوم [في القدس] بين مواطنين عرب مع أقاربهم في الاردن ، أو الاسراع في منح قرض . ان مواطنا اعتياديا يتوقع ، في حكم ديمقراطي ، انجاز هذه الاعمال دون الحاجة الى اللجوء الى عضو في الكنيست »(٣٢). والظاهر ان اعمال الوساطة التي اشرنا اليها هي فعلا قمة نشاط عبيد السياسي ، فعندما سئل مرة عن رأيه في السلام بين اسرائيل والعرب ، اجاب « ان

احلال السلام لا يتعلق بنا ، وانما بالسياسة العليا ... التي لا أتدخل فيها »(٣٣). اما حالة الاعضاء العرب الآخرين فلا تختلف كثيرا عن حالة زميلهم عبيد ، فكلهم أيضا لا يتدخلون في شؤون « السياسة العليا » ، ويكتفون بممارسة نشاط مماثل لنشاط زميلهم، كل في منطقته وبين معارفه . ان وضع الاعضاء العرب هذا يعيد الى الاذهان ، حقا ، شخصية العربي « رشيد » الذي تصوره هيرتسل يعيش في دولة المستقبل الصهيونية ، وهو قانع بما كتب له ، ويتصرف تماما كما يتوقعه منه المجتمع الصهيوني ان يتصرف ، بل ويبدو ان هذه أولى نبوءات هيرتسل التي تحققت في اسرائيل ، كما نشاهدها حاليا ، وربما كانت الوحيدة(٣٤).

ولكن على الرغم مما ذكرناه ، فان القوائم العربية لا تزال حتى الان تحصل على نسبة غير قليلة من أصوات الناخبين العرب في اسرائيل ، وعلى الرغم من ان نسبة الاصوات التي يحصلون عليها تقل من انتخابات الى أخرى ، فانها لا تزال تشكل نحو ٤٠ ٪ من أصوات العرب (انظر الجدول ٢ ادناه) . ولم تكن المنافـــع المادية والخدمات التي يستطيع اعضاء القوائم العربية ، بحكم تعاونهم مع السلطة ، تقديمها الى الناخبين العرب هي السبب المباشر الوحيد لحصولهم على تلك النسبة من الاصوات ، اذ ان جهاز مباي قد استغل أيضا ما لديه من سلطة يتمتع بها عادة الحزب الحاكم لدعم أولئك الاعضاء وتأمين أكبر عدد من الاصوات لهم(٣٥) وكان أول الاجهزة التي استغلت من أجل ذلك جهاز الحكم العسكري ، وهذا ما ذكـــر في الفصل الاول(٣٦). ولا تزال السلطة الاسرائيلية ، حتى الآن ، تستغل صلاحيات الحكم العسكري الباقية لفرض القيود على العديد من العناصر العربية النشيطة في القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) ، وهي القوة السياسية الرئيسية التي تنافس القوائم العربية انتخابيـــا بين العرب (أنظر الجدول ٢ ادناه) فتعرقل بذلك نشاطها السياسي(٣٧). اما الجهة الثانية التي استغلت في هذا المجال ، فكانت مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ومساعديه ، الذين على الرغم من كونهم موظفين رسميين يمارسون نشاطهم وكأنهم جزء من مباي وأجهزته. وقد وصف أحدهم مرة المستشار بأنه « ليس مستشارا بل منفذا . وعلى أية حال فانه ليس مستشارا لرئيس الحكومة . انه منفذ ، وربما يقوم حتى بارشاد بعض الدوائر الحكومية . وهناك ، الى حد كبير ... علاقات متبادلة بينه وبين الحكم العسكري . وليس واضحا تماما ما اذا كان المستشار هو الذي يرشد الحكم العسكري أم ان الحكم العسكري هو الذي يرشد المستشار ... ويبدو ... ان رئيس الحكومة لا يلجأ كثيرا الى نصائح مستشاره للشؤون العربية »(٣٨). (وفعلا فان أحد المستشارين للشؤون العربية ، أوري لوبراني ، أعلن فيما بعد انه يتلقى النصح من بن ــ غوريون ، رئيس الحكومة ، أكثر مما يقدمه هو الى بن ــ غوريون)(٣٩). وكان مكتب المستشار قد أعد ، في سنة ١٩٦٨ ، قبيل الانتخابات للكنيست السابع وبناء على طلب حزب العمل ، دراسة عن أوضاع الناخبين العرب وأفضل الطرق للحصول على أصواتهم في الانتخابات المقبلة. وقد أثارت هذه الدراسة حنق كتلة غاحال اليمينية التي كانت مشتركة يومها في الحكومة، ضمن اطار حكومة التكتل القومي ، والتي اعتبرت هذا العمل تدخلا لمصلحة حزب دون آخر ، فطالبت ببحث الامر في اجتماع عام للكنيست ، الا ان اقتراحها رفض(٤٠). وفي أواخر كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ ، عاد المستشار للشـــؤون العربية واشترك في اجتماع عقده رؤساء الاجهزة العربية في حزب العمل للبحث في كيفية العمل بين العرب في الانتخابات المقبلة(٤١).

اما الجهة الرئيسية الثالثة التي نشطت لمصلحة مباي وقوائمه العربية بين الناخبين العرب ، فكانت الدائرة العربية في الهستدروت ، النقابة العامة للعمال في اسرائيل ، وهي الدائرة التي يشرف مباي ومؤيدوه على نشاطها بصورة شبه مطلقة . وعدا النشاط الثقافي الذي حاولت هذه الدائرة القيام به بين العمال العرب ، قبل قبولهم اعضاء في

توزيع أصوات الناخبين العرب بحسب القوائم الانتخابية(١)

(في المناطق العربية(٢) فقط)

القائمة	الكنيست الرابع (١٩٥٩)		الكنيست الخامس (١٩٦١)		الكنيست السادس (١٩٦٥)		الكنيست السابع (١٩٦٩)	
	عدد الاصوات	نسبة مئوية	عدد الاصوات	نسبة مئوية	عدد الاصوات	نسبة مئوية	عدد الاصوات	نسبة مئوية
كل الاصوات	٧١٬٧٢٣	١٠٠٫٠	٧٦٬٩١٨	١٠٠٫٠	٨٨٬١٠٢	١٠٠٫٠	١٠١٬١٠٩	١٠٠٫٠
القوائم العربية(٣)	٤٢٬٠٢٩	٥٨٫٦	٣٥٬٠٢٦	٤٥٫٥	٣٧٬٧٩٩	٤٢٫٩	٤١٬٢٠٥	٤٠٫٨
الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي)	٨٬٠٩٧	١١٫٣	١٧٬٢٨٧	٢٢٫٥	٥١١	٠٫٦	٧٤٤	٠٫٧
القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح)	—	—	—	—	٢٠٬٦٩١	٢٣٫٥	٢٩٬٨٧١	٢٩٫٥
مبـــاي	٣٬٣٠٤	٤٫٦	٦٬٢٦٨	٨٫١	٧٬٤٨٧(٤)	٨٫٥	(٥)١٣٬٤٦٤	١٣٫٣
أحدوت هعفوداه	٦٤٧	٠٫٩	٣٬٦٨٢	٤٫٨				
مبـــام	١٠٬٣٦٣	١٤٫٤	٩٬٢٣٢	١٢٫٠	٩٠٬٨٧	١٠٫٣		
القائمة الرسمية (رافي)	—	—	—	—	٢٬٤٧٥	٢٫٨	٩٩٢	١٫٠
احزاب المتدينين(٦)	٢٬٧٦٢	٣٫٩	٣٬٢٣٦	٤٫٢	٤٬٨٦٨	٥٫٥	٨٬٨٣٤	٨٫٧
احزاب اليمين(٧)	٣٬٤٧٤	٤٫٨	٢٬٠٧٨	٢٫٧	٣٬٠١٧	٣٫٥	٣٬٤٢٩	٣٫٥
حامولام هازيه (افنيري)	—	—	—	—	١٬٧٩٧	٢٫٠	١٬٢٣٣	١٫٢
آخـــرون	١٬١٤٧	١٫٥	١٠٩	٠٫٢	٣٧٠	٠٫٤	١٬٣٣٧	١٫٣

(١) Israel, Central Bureau of Statistics, *Results of the Elections to the Fifth Knesset...*, Special Series No 166, (Jerusalem, 1964), pp. 20-25; *Results of the Elections to the Sixth Knesset...*, Special Series No 216, (Jerusalem, 1967), pp. 96-103 and *Results of the Elections to the Seventh Knesset...*, Special Series No 309, (Jerusalem, 1970), pp. 60-62.

٢) تضم نحو ٩٠ ٪ من اصوات العرب في اسرائيل ، ولا يمكن معرفة توزيع اصوات العرب في المدن المختلطة ، لان اصوات العرب واليهود هناك يندمج بعضها في بعض .

٣) في الكنيست الرابع ثلاث قوائم ، وفي الكنيست الخامس والسادس والسابع قائمتان .

٤) « التجمع ، مباي — احدوت هعفوداه » .

٥) « التجمع ، حزب العمل — مبام » .

٦) هي الحزب الديني القومي الذي يحصل على أكثرية الاصوات ، واغودات يسرائيل ، وعمال اغودات يسرائيل .

٧) في الكنيست الرابع : حيروت ، الصهيونيون العموميون ، وفي الخامس : حيروت والاحرار ، وفي السادس : كتلة حيروت — الاحرار (غاحال) ، والاحرار المستقلون . وفي الكنيست السابع أضيف اليهم المركز الحر .

الهستدروت وبعد ذلك ، فقد كانت هي الجهاز الذي تولى القيام بالنشاط الاعلامي بين العرب . وقد أشرفت هذه الدائرة على اصدار صحيفة « اليوم » ، الصحيفة اليومية الوحيدة باللغة العربية التي كانت تصدر في اسرائيل منذ أوائل أيلول (سبتمبر) ١٩٤٨ حتى اواخر ايار (مايو) ١٩٦٨ . وكانت « اليوم » قد صدرت أصلا عن جماعة من المستشرقين اليهود على رأسهم ميخائيل آساف(٤٢)، مراسل الصحيفة الهستدروتية « دافار » للشؤون العربية ، والذي عمل محررا لـ « اليوم » خلال عدة سنوات ، بمساعدة وزارة الاقليات ، ثم حولت الى ادارة « جمعية اليوم » التي شكلت في نيسان (ابريل) ١٩٥٣ لهذا الغرض(٤٣). وفي تموز (يوليو) ١٩٦٠ ، عقد اتفاق بين الجمعية والهستدروت والحكومة ، تعهدت الحكومة بموجبه تغطية نصف نفقات الصحيفة(٤٤) بما في ذلك تغطية عجز السنوات السابقة ، « ذلك بأن الحكومة تعتقد انه لا ينبغي التنازل عن صحيفة يومية لمواطني الدولة الذين يقرأون العربية ، ولهذا فانها تشارك في تمويل « اليوم » »(٤٥). ولكن صحيفة « اليوم » على الرغم من كونها صحيفة شبه حكومية مدعمة بأموال تقدمها الدولة ، فانها كانت عمليا نسخة مصغرة عن « دافار » ، مهمتها الرئيسية الدعاية لمواقف مباي والمتعاونين معه بين العرب ، ولم تحجم عند الضرورة عن مهاجمة باقي الفئات السياسية الاسرائيلية ، ومن ضمنها حتى الاحزاب المشتركة في الائتلاف الحكومي . الا أنه على الرغم من ذلك فان الصحيفة لم تتمتع بانتشار واسع بين العرب ، اذ ارتفع توزيعها من ١٥٠٠ نسخة يوميا في سنة ١٩٤٨ الى ٥٠٠٠ نسخة في سنة ١٩٦٢(٤٦)، منها نحو ١٨٠٠ نسخة كانت ترسل الى مشتركين دائمين(٤٧) ومعظمهم من المدرسين العرب في المدارس الاسرائيلية ، التي كانت اشتراكاتهم تحسم من رواتبهم وتحول الى الصحيفة ، دون أخذ رأيهم . ويبدو ان العجز المالي المتراكم من اصدار هذه الصحيفة ، مقارنا بكمية التوزيع الضئيلة من جهة وعدم قدرتها على جذب عدد أكبر من القراء ، نتيجة حظها السياسي المتزمت في تأييده للسياسة الاسرائيلية الرسمية ومحاولتها تبرير كل موقف اسرائيلي مهما بلغ من تطرفه من جهة اخرى ، دفع الدوائر المختصة الى العمل على اقفالها ، فتوقفت عن الصدور في اواخر ايار (مايو) ١٩٦٨(٤٨). غير ان حرص السلطات الاسرائيلية على تزويد القارىء العربي في اسرائيل بصحيفة يومية باللغة العربية سرعان ما دفعها الى مواصلة جهودها في هذه الناحية ، ولم يمض أكثر من خمسة اشهر على توقف « اليوم » عن الصدور ، حتى بدأت في أواخر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٨ ، صحيفة عربية يومية أخرى ، « الانباء » ، تصدر في القدس على أسس مشابهة لتلك التي صدرت بموجبها « اليوم » ، اذ تحظى « الانباء » كسابقتها « اليوم » ، بمساعدة مالية (« واشراف ») من قبل الحكومة(٤٩). الا انه يبدو ان الدوائر الاسرائيلية المختصة استفادت من تجربة « اليوم » فاتجهت الى العمل لتعديل لهجة « الانباء » ، وجعلها غير منفرة ، ليس بالنسبة الى القارىء العربي في اسرائيل فحسب ، وانما بالنسبة الى العرب في المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ ايضا(٥٠) بعد ان اوكلت رئاسة تحريرها الى مدير سابق للاذاعة الاسرائيلية باللغة العربية .

ومما يجدر ذكره هنا ان مباي لم يكتف بالعمل بين العرب بموجب الطرق التي أشرنا اليها ، وانما حاول التعامل معهم على اساس « عقائدي » ايضا ، في فترات منقطعة . فقد بدأ مؤيدوه عملهم في هذا المجال في سنة ١٩٦٢ عندما راحوا يدعون الى نشر ما أسموه « الوعي العربي الاسرائيلي »(٥١)، الا انه سرعان ما فترت حماستهم فتوقفوا عن العمل قرابة السنتين ثم استأنفوا نشاطهم من جديد . ففي آب (اغسطس) ١٩٦٤ ، عقد في حيفا ما سمي « مؤتمر المثقفين » الذي ضم معظم مؤيدي مباي بين العرب ، معلنا انه يؤمل ان تكون خلاصة ابحاثه « الثقل الايديولوجي المضاد لاهداف الثورة العربية »(٥٢). اما هذا الثقل الايديولوجي ، فقد انحصر في اعلان معارضة حق اللاجئين العرب في العودة الى وطنهم ، لانه لا تجوز « المطالبة بزيادة سكان البلد بنحو ٤٠ بالمائة

يعتبرها الحكم في الدولة معادية » ، وتوجيه اللوم الى العرب في اسرائيل لانهم « لم يثبتوا اخلاصهم غير المتحفظ للدولة ... وأمنها . وقسم منهم راودهم الامل المكبوت ان يتغير التوازن السياسي في المنطقة »(٥٣). غير ان « مؤتمر المثقفين » ، على اية حال ، لم يمارس اي نشاط يذكر عدا انعقاده ، فعاد مباي وقرر استئناف نشاطه بعد سنتين اخريين . ففي حزيران (يونيو) ١٩٦٦ ، أعلن عن اقامة « لجنة العمل العربية — الاسرائيلية في سبيل اسرائيل » . اما رئيس اللجنة ، رستم بستوني ، فقد أعلن ان لجنته وضعت أمامها ثلاثة أهداف ، وستعمل في ثلاثة مجالات : « الاول : المجال المحلي وبلورة العلاقات العربية اليهودية داخل اسرائيل ... ذلك لان مشكلة عرب اسرائيل هي في حد ذاتها يهودية وقضية وجهة نظر الجماهير اليهودية في البلد بالدرجة الاولى... والثاني : محاولة العمل لدى الوفود العربية في الامم المتحدة لشرح موقف عرب اسرائيل ازاء النزاع القائم بين اسرائيل والدول العربية وموقف عرب اسرائيل من منظمة التحرير الفلسطينية . والثالث : العمل في المجال الدولي لتسوية النزاع الاسرائيلي — العربي بطريق المفاوضات المباشرة بين جميع الاطراف ... والاهابة بالرأي العالمي ان يعمل لحمل الحكومات العربية على مبدأ المفاوضات المباشرة »(٥٤). ومرة اخرى لم تسفر هذه الحماسة عن نتيجة تذكر ، ولهذا استمر التفتيش عن « عقيدة » للعرب في اسرائيل ، الذي يبدو انه ضاع اخيرا في غمرة التفتيش عن « عقيدة » للعرب في المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ ايضا .

ان الاطر والاتجاهات التي أشرنا اليها كانت الملامح الرئيسية لنشاط مباي السياسي بين العرب في اسرائيل ، وقد استمر هذا الوضع قائما منذ اقامة اسرائيل حتى ١٩٦٨ — ١٩٦٩ ، عندما أقيم حزب العمل الاسرائيلي بعد اتحاد حزبي مباي واحدوت هعفوداه ، ثم تحالف هذا الحزب مع مبام ضمن « تجمع حزب العمل — مبام » قبيل الانتخابات للكنيست السابع في سنة ١٩٦٩ . ولقد رافق هذه الاحلاف السياسية بعض التغييرات التي أدخلت على نشاط تلك الاحزاب الصهيونية المشتركة فيها بين العرب ، وبالتالي على نشاط المتعاونين معها من العرب ، وهو ما سنعرضه عند بحثنا في نشاط تلك الاحزاب .

●

لم يكن مباي ، كما أشرنا ، الحزب الاسرائيلي الوحيد الذي حاول ممارسة العمل السياسي بين العرب في اسرائيل ، فمعظم الاحزاب الصهيونية الاخرى حاول اقتفاء اثره لكسب تأييد العرب والحصول على نصيب من اصواتهم . أما أول هذه الاحزاب فكان مبام ، حزب العمال الموحد الذي يتخذ بالنسبة الى باقي الاحزاب الصهيونية موقفا فريدا ، وأحيانا غريبا ، في نوعه من القضية الفلسطينية خاصة ومن العرب عامة ، وهو الموقف الذي يعود الى طبيعة تكوين هذا الحزب . فجذور مبام نبتت بعد فترة قصيرة من بدء تبلور زميله الاكبر ، مباي ، اذ أن اجداد مبام كانوا قد ظهروا في فلسطين مع مطلع العشرينات في صورة حركة كشفية ، سرعان ما اتجهت الى العمل للاستيطان في البلد . ومع اواخر العشرينات ، كانت الحركة قد اتخذت طابع مؤسسة استيطانية تعمل لتأسيس الكيبوتسات لاعضائها في مختلف انحاء فلسطين ، ضمن اتحاد كيبوتسات هاشومير هاتسعير (الحارس الفتى) ، وهو الاسم الذي أطلقته على نفسها . وحتى هذه المرحلة لم يكن هاشومير هاتسعير ليختلف كثيرا عن باقي اتحادات الكيبوتسات التي كانت تسعى مثله للاستيطان في انحاء فلسطين كافة . غير أنه سرعان ما اكتسب صفة ميزته عن باقي التجمعات العمالية الصهيونية في الكيبوتسات وخارجها عندما اعتنق ، خلال تفتيشه عن عقيدة خاصة به ، ما أسماه التفسير الماركسي للصهيونية الذي وضعه بير بروخوف . ولقد دفعت هذه العقيدة هاشومير هاتسعير (ومن بعده مبام) الى اتخاذ مواقف متناقضة مرة بعد اخرى ، لا مجال لعرضها هنا ، والتي وجد نفسه معرضا للنقد بسببها من الماركسيين والصهيونيين في آن واحد .

غير ان ما يهمنا هنا من عقيدة هاشومير هاتسعير هو ذلك الشعار الذي تبناه ايام الانتداب والذي دعا بموجبه الى اقامة دولة ثنائية القومية ، من العرب واليهود في فلسطين ، وهو الشعار الذي انهمك هاشومير هاتسعير فترة غير قصيرة في مناقشته ، بينه وبين نفسه من جهة وبينه وبين باقي الفئات العمالية الصهيونية من جهة اخرى . ولكن هذا الشعار ، على أية حال ، اختفى بعد اقامة اسرائيل ، ذلك بأنه « كان واضحا لاولئك الذين ايدوا ثنائية القومية ، ان دولة اسرائيل التي قامت من خلال تقسيم البلد [فلسطين] يجب ان تكون دولة يهودية . كما كان واضحاً لهم ان الدولة اليهودية ملزمة بمنح السكان العرب الذين يسكنون داخل حدودها المساواة الكاملة ، وعليها الاعتراف بهم بصفتهم أقلية قومية»مع كل الحقوق والواجبات الناتجة عن مثل هذا الاعتراف»(٥٥) . وعليه فان هاشومير هاتسعير ، انطلاقا من عقيدته هذه ، كان مؤهلا اكثر من اي حزب صهيوني آخر ، بعد اقامة اسرائيل ، للتعامل مع العرب الذين بقوا داخلها . ولكن اوضاع الحركة الداخلية يومها حالت دون ذلك ، اذ انه عندما اعلن قيام اسرائيل كان هاشومير هاتسعير قد اتحد ، في مطلع سنة ١٩٤٨ ، مع فئة عمالية أخرى ، كانت قد انشقت عن مباي في سنة ١٩٤٦ ، ليقيم حزب مبام . ولقد عارضت تلك الفئة التي عرفت ، فيما بعد ، باسم احدوت هعفوداه والتي كان العديد من زعمائها من نشيطي الهاغاناه والبلماح سابقا، موقف هاشومير هاتسعير القديم من العرب وحالت دون تقرب مبام منهم . ولهذا اضطر الحزب الى ان يتبع ، خلال الانتخابات للكنيست الاول ، الوسائل نفسها التي اتبعها مباي ، فأيد قائمة عربية مرتبطة به خاضت الانتخابات وحدها ، الا ان أحداً من مرشحيها لم ينجح في الانتخابات(٥٦) . اما في الانتخابات للكنيست الثاني ، فقد ضم الى قائمة الحزب أحد المرشحين العرب ، رستم بستوني ، الذي كان من بين الفائزين في الانتخابات حيث شغل مقعده في الكنيست الى جانب باقي أعضاء الحزب اليهود . ومنذ ذلك الوقت ، يصر مبام على ان يكون أحد أعضائه في الكنيست عربيا (يوسف خميس في الكنيست الثالث والرابع والخامس ، وعبدالعزيز الزعبي في الكنيست السادس والسابع) . ولكن مبام لم يتمكن من اقرار موقفه هذا بسهولة اذ ان الخلافات بين شطريه ، ومن ضمنها موقف الحزب من قبول العرب اعضاء فيه ، استمرت حتى سنة ١٩٥٤ عندما انفصل عنه احدوت هعفوداه واقام حزبا مستقلا وتمكن مبام على اثر ذلك من تنفيذ قرار سابق له وقبول العرب أعضاء فيه متساوين في الحقوق والواجبات ، رسميا على الاقل . ومنذ ذلك الوقت ، لا يزال مبام عند موقفه هذا ، فبقي الحزب الصهيوني الوحيد الذي يسمح بانضمام العرب الى صفوفه . وقبل انشقاق احدوت هعفوداه عن مبام كانت قد انشقت عنه ايضا فئة يسارية صغيرة(٥٧) بقيادة موشيه سنيه ، كان من بين أعضائها رستم بستوني ، انضمت فيما بعد الى الحزب الشيوعي الاسرائيلي . اما بستوني فقد ترك هذه الفئة ايضا وتقرب من مباي ، اذ عمل في خدمته فترة غير قصيرة ، وفي نهاية المطاف هاجر من اسرائيل(٥٨) .

اتخذ نشاط مبام بين العرب طابعا يختلف عن طابع باقي الاحزاب الصهيونية الاخرى ، اذ انه لم يكتف بالعمل بينهم على اساس مادي نفعي بل اتجه الى العمل على اساس عقائدي ايضا ، عارضا صهيونيته الاشتراكية على العرب ومحاولا جذبهم الى صفوفه . وقد حاول مبام العمل بجد بين العرب ، فبدأ اقامة خلاياه بينهم في وقت مبكر ، ومنذ سنة ١٩٥١ بدأ اصدار مجلته الاسبوعية باللغة العربية ، « المرصاد » التي لا تزال تصدر حتى يومنا هذا . وفي أواسط الخمسينات ، اقام ما أسماه حركة الشباب العربي الطلائعي(٥٩) التي حاولت العمل على حل بعض مشكلات الشباب العربي في اسرائيل ، ثم ساعد بعد ذلك في اقامة اتحاد المزارعين العرب الذي حاول العمل على تنشيط الزراعة العربية في اسرائيل ، غير ان المنظمتين لم تخرجا عن كونهما منظمات هامشية صغيرة . وفي سنة ١٩٥٨ ، ساهم في اصدار مجلة ادبية شهرية بالعربية ، « الفجر » ،

التي استمرت في الصدور عدة سنوات . وكذلك أسس ، في السنة نفسها ، شركة الكتاب العربي(٦٠) التي تولت اعادة نشر العديد من الكتب العربية لكبار الكتاب العرب من خارج اسرائيل وتوزيعها ، فسدت بذلك نقصا ملحوظا لقراء العربية في فترة كان دخول الكتب العربية فيها الى اسرائيل محظورا — ولفتت بذلك انظار دور النشر التجارية الى امكان استغلال هذه الظاهرة ، التي قامت بدورها باعادة اصدار وتوزيع العشرات من الكتب العربية . وفي الوقت نفسه كانت الكيبوتسات التابعة للحزب توفر العمل للكثيرين من العرب في مرحلة كان من الصعب خلالها على العمال العرب ايجاد اعمال لهم في اسرائيل ، بينما نشطت الوزارات الحكومية التي رئسها اعضاء الحزب ، عندما كان مبام ينضم الى الحكومة ، في العمل على حل العديد من المشكلات المتعلقة بالعرب . كذلك يشعر المرء بأن أعضاء الحزب العرب ، بعكس غيرهم من الذين ارتبطوا بأحزاب صهيونية أخرى ، يحرصون الى حد معين على « الاستقلال » فيما يتعلق بآرائهم وهويتهم وانتمائهم القومي .

ولكن مبام لم يحظ بنجاح ملحوظ بين العرب فبقي تأثيره محدودا بينهم ، بينما كانت نسبة الاصوات العربية التي يحصل عليها تقل من انتخابات الى اخرى (انظر الجدول٢ اعلاه) . ويعود هذا أساسا الى الخط الذي اتبعه الحزب بين العرب ومحاولته التصدي للقوتين الرئيسيتين العاملتين بينهم ، مباي والشيوعيون ، وعرض نفسه كبديل لكليهما ، في حين انه لم يكن باستطاعته تقديم المنافع المادية التي كان بامكان مباي تقديمها الى مؤيديه من جهة ما ، او تولي الدفاع عن قضايا العرب ، محليا وخارجيا ، لكسب تأييدهم كما فعل الشيوعيون من جهة اخرى ، ولهذا وقع بين فكي كماشة ضيقت الخناق عليه . اما هذا الوضع بحد ذاته فيعود الى طابع الحزب ومواقفه العديدة المتناقض بعضها مع بعض ، بحيث ظهر اكثر من مرة بأنه ذو وجهين وذو لسانين وهي المواقف التي تنعكس على الكثير من تصرفاته . فالحزب يتحدث ، مثلا ، مع اليهود بلهجة معينة ومع العرب بلهجة اخرى . وبينما تحمل الصحيفة العبرية اليومية «عل هامشمار» ، شعار «للصهيونية ، للاشتراكية ، لاخوة الشعوب » تعلن الصحيفة العربية « المرصاد » انها من اجل « التحرر القومي والاجتماعي واخاء الشعوب » . والامر لا يتوقف عند الاختلاف في الشعارات فحسب ، بل يتعداه الى اختلاف في موقف كل من الصحيفتين تجاه العديد من القضايا ، وهو ما لم يكن خافيا على الشباب العربي الذي يتوجه الحزب عادة اليه والذي يقرأ بأغلبيته العربية والعبرية ، مما يضعه وجها لوجه امام تلك التناقضات ، وبالتالي يحمله عن الابتعاد عن الحزب . كذلك فان موقف الحزب ، مثلا ، من الحركة القومية العربية لم يحظ بموافقة اعضائه العرب ، على الرغم من ان مبام يعلن تأييده لحركات التحرر القومي . اما موقفه من حق الشعوب في تقرير مصيرها ، فلم يتفق ابدا مع آرائه ونشاطه تجاه القضية الفلسطينية ، بينما لم تمنعه معارضته لمصادرة اراضي العرب من اقامة كيبوتساته على الاراضي المصادرة(٦١) . يضاف الى ذلك كله ان موافقة الحزب على الانضمام الى الحكومات الاسرائيلية من حين الى آخر وذلك « للنضال من الداخل » وتحمل مسؤوليات السياسة الاسرائيلية ، داخليا وخارجيا ، في الوقت الذي كان يدعو فيه الى النضال « المعتدل » (لئلا « يغضب » الحكم العسكري . . .) بحيث ظهر ان الحزب عاجز عن احداث تغييرات جوهرية في السياسة الاسرائيلية ، ان كان داخل الحكومة او خارجها ، لم يكن كل هذا ليدعم موقفه ومكانته بين العرب عامة .

وقد استمر مبام في محاولته العمل مستقلا بين العرب منذ اقامة اسرائيل حتى قبيل الانتخابات للكنيست السابع عندما وافق في سنة ١٩٦٨ على الاشتراك في الانتخابات المقبلة ضمن قائمة موحدة مع حزب العمل ، ضمن اطار « تجمع حزب العمل — مبام »، مقلصا بذلك حرية عمله السياسي بين العرب ، فحصل سوية مع حزب العمل على نسبة أقل من الاصوات التي حصلا عليها معا في الانتخابات السابقة (انظر الجدول ٢

اعلاه) . ولكن مبام لم يدع هذه الفرصة تمر دون الحصول على ما يعتبره انجازا لسياسته العربية ، فأصر على ادخال اسم مرشحه العربي ، عبد العزيز الزعبي ، ضمن قائمة مرشحي التجمع أسوة بباقي المرشحين اليهود ، وكان له ما اراد . ثم أعلن ، في مرحلة لاحقة ، انه سيسعى لتعيين هذا المرشح نائبا لاحد وزرائه بعد الانتخابات ، ولكن هذا الموقف اثار حنق مرشحي القوائم العربية المرتبطة بمباي ، الذين اعتبروا مثل هذا العمل مكافأة لاعضاء مبام العرب على نشاطهم المعادي لعرب مباي . ورأوا انه يشكل اهانة لهم حيث انهم أولى بذلك ، وينبغي تعيينهم للمناصب الحكومية قبل غيرهم ، بينما أعرب احدهم ، سيف الدين الزعبي ، وهو ابن عم عبد العزيز ، عن تقديره لمبام « الذي لا يتخلى عن اعضائه ، ولا يرميهم للكلاب » ، معلنا ان « عرب اسرائيل الذين يشجبوننا هم على حق » لان بعض الدوائر في حزب العمل « لم يبق على احترام كبير لاعضاء الكنيست العرب . فقد مسوا بنا واهانونا وجعلوا منا لعبة كرة قدم »(٦٢) . اما نتيجة هذه الضغوط ، فكانت ان استجاب حزب العمل لطلبات المتعاونين معه من العرب ، فانتخب سيف الدين الزعبي نائبا لرئيس الكنيست مع افتتاح جلسات الكنيست السابع في سنة ١٩٦٩ ، ولم تمنح الموافقة لمبام على تعيين وزير عربي ، الا خلال ايار (مايو) ١٩٧١ ، وبعد مرور نحو السنتين من تعيين سيف الدين نائبا لرئيس الكنيست ، فعين عبد العزيز الزعبي نائبا لوزير الصحة المبامي ، وهو اول عربي في اسرائيل يعين في مثل هذا المنصب . وبعد ذلك بمدة قصيرة عين جبر معدي نائبا لوزير المواصلات ، بينما استقال سيف الدين الزعبي من نيابة رئاسة الكنيست ليحل محله الياس نخلة .

ولا شك في أن مبام هو الذي وقف أساسا وراء حركة التعيينات هذه ، « فهو الذي اقترح ... تعيين نائب رئيس كنيست عربي ... وهو الذي اقترح أيضا تعيين نائب وزير عربي » ، كما أعلن عبد العزيز الزعبي عند تعيينه(٦٣) . والزعبي ، نائب الوزير ، يختلف في تاريخه ونشأته السياسية عن باقي زملائه العرب الذين عينوا معه ، والذين كنا قد أوردنا لمحة عنهم فيما سبق(٦٤) ، اذ أن الرجل يمثل تلك القلة من العرب التي عملت باخلاص مع مبام ، وتدرجت حتى احتلت مراكز مختلفة في جهاز الحزب . فالزعبي انضم الى مبام في سنة ١٩٥٥ ، وكان يومها يعمل موظفا في مكتب القيم على أموال الغائبين في الناصرة ، ثم استقال من عمله هذا في سنة ١٩٥٨ ليعمل في صحيفة « المرصاد » ومجلة « الفجر » ، ثم تراس دار الكتاب العربي التي أسسها الحزب ، ومنذ ذلك الوقت وهو يعمل في جهاز الحزب . ويبدو ان مبام ، على أية حال ، لم يتعب نفسه كثيرا في دراسة مدى الفائدة التي سيعود بها تعيين عرب في مناصب وزارية على الحزب او على العرب الذين يؤيدونه او في نوع الصلاحيات التي سيتمتع بها مرشحه ، او طبيعة الاعمال التي يستطيع هو او باقي الاعضاء العرب الذين عينوا في مناصب مماثلة القيام بها(٦٥) . اما الزعبي نفسه فيرى أن تعيينه نائبا لوزير كان « خطوة الى الامام نحو المساواة الكاملة للجمهور العربي ودمجه في الدولة بصورة اوثق . ولهذا مغزى سياسي ، داخلي ودولي ، لجهة ازدياد مشاركة المواطنين العرب في شؤون الدولة... طبعا ، سيكون هناك من يقول ان تعييني جاء كي يشار الى السياح « ها ان لدينا نائب وزير عربيا ... » ، ولكن الامر سيحمل على وجود نية حسنة لدى حكومة اسرائيل لاتباع التعاون والاحترام المتبادل بين دولة اسرائيل المستقلة وبين الدول العربية المستقلة المجاورة — عندما يحل السلام »(٦٦) . ويبدو ايضا ان مبام لم ينتبه ، على أية حال ، الى أنه عندما كان يسعى لتعيين عرب في مناصب تنفيذية وتشريعية رفيعة في اسرائيل فيما يعتبره مساعدة للعرب على نيل حقوقهم كمواطنين ، كان في الوقت نفسه يشترك في حكومة اسرائيلية لا تصر على التنكر لحقوق الفلسطينيين في

المناطق المحتلة فحسب وانما تحظر عليهم حتى مجرد العمل السياسي — موقف آخر من مواقف مبام المتناقضة ، والتي يظهر احيانا وكأنها غير قابلة للتفسير .

●

ان مباي ومبام لم يكونا الحزبين الوحيدين اللذين حاولا العمل سياسيا بين العـــرب في اسرائيل ، اذ ان باقي الاحزاب الصهيونية ادلى بدلوه أيضا وحاول التقرب من العرب للحصول على نصيب من أصواتهم عند اجراء الانتخابات العامة في البلد . ولكن ما يميز نشاط مباي ومبام عن نشاط الاحزاب الباقية ، في هذا المجال ، هو أن نشاطهما كان نشاطا دائما وثابتا تولت أجهزة خاصة ، اقيمت داخل هذين الحزبين ، الاشراف عليه ومتابعته ، بينما لم يكن نشاط باقي الاحزاب عامة الا عبارة عن حماسة موسمية تشتد قبل اجراء الانتخابات ، للحصول على اكبر عدد من الاصوات العربية، ثم تعود لتضمحل بعدها . ولقد تكررت هذه الظاهرة من قبل اكثر من حزب اسرائيلي .

أما أول الاحزاب التي حاولت التعامل مع العرب بالطريقة التي أشرنا اليها . فكان حزب الصهيونيين العموميين الذي كان يعتبر نفسه جزءا من اليمين الصهيوني ويدعي بأنه يعمل ليصبح بديلا لمباي في الحكم . فقبل الانتخابات للكنيست الثالث (١٩٥٥) ، تقرب الصهيونيون العموميون الذين كانوا يومها مشتركين في الائتلاف الحكومي ، مـــن بعض الفئات العربية من صغار الملاكين الذين تضرروا من سياسة اسرائيل الاقتصادية في اولى خطواتها ، وساعدوها على تأليف قائمة انتخابية مرتبطة بهم (ترأسها الياس نخله الذي ارتبط ، فيما بعد ، بمباي) ، خاضت الانتخابات منفردة . وقد ساعد الحزب على القيام بنشاطه هذا كون أحد أعضائه ، يوئيل روكاح ، وزيرا للداخلية وقتهـــا (وسنلاحظ ، فيما يلي ، ان اكثر من حزب اسرائيلي حاول الاستفادة من منصب وزير الداخلية في الانتخابات عندما كان هذا المنصب موكلا الى احد اعضائه) ، غير انه على الرغم من ذلك لم يفز احد من مرشحي تلك القائمة(٦٧). ولقـــد اكتفـــى الصهيونيون العموميون بهذه التجربة ، فلم يعاودوا الكرة في الانتخابات التالية (١٩٥٩) . ولكـــن زملاءهم ، التقدميون ، حاولوا القيام بهذا الدور خلال هذه الانتخابات ، فاضافوا بعض المرشحين العرب الى قائمتهم ، في أماكن غير مضمونة ، فلم ينتخب اي منهم . امـــا خلال انتخابات ١٩٦١ ، وبعد أن كان الصهيونيون العموميون قد اتحدوا مع التقدميين واقاموا حزب الاحرار ، فقد قلص الحزب الجديد من نشاطه بين العرب . ولقد تقلص هذا النشاط اكثر خلال انتخابات ١٩٦٥ (و١٩٦٩) ، بعد أن تحالف الحزب مع حيروت، ضمن اطار كتلة حيروت — الاحرار (غاحال) التي اكتفت بدعاية سطحية محدودة بين العرب ، دون القيام بأية محاولة جادة للحصول على تأييد اية فئة منهم ، وهو ما يعود أساسا الى الموقف المتطرف الذي يتخذه حيروت من القضايا العربية خـــاصة والعرب عامة(٦٨).

كذلك حاول حزب احدوت هعفوداه العمل بين العرب استنادا الى الاسس نفسها التي أشرنا اليها ، ولكن الحزب بدأ نشاطه متأخرا . ففي اول انتخابات خاضها منفردا في سنة ١٩٥٥ ، بعد انشقاقه عن مبام ، لم يبذل الحزب أي نشاط يذكر بين العرب لكسب أصواتهم . ولكن هذا الموقف تغير قبل انتخابات ١٩٥٩ ، بعد أن كان الحزب قد انضم الى الحكومة وعين احد اعضائه ، يسرائيل بار — يهودا ، وزيرا للداخلية ، فبذل نشاطا كبيرا للتقرب من العرب . ولقد رأى الحزب يومها ان يخرج عن النمط الذي اتبعه باقي الاحزاب الاسرائيلية حتى ذلك الوقت، فعمد الى اقامة حزب عربي مرتبط به، هو حزب العمل العربي ، وذلك على الرغم من معارضة الحكم العسكري ومحاولته منع مثل هذا النشاط ، وبدأ باصدار صحيفة اسبوعية باللغة العربية ، « العمل » ، ثم ساعد على اقامة قائمة عربية متحالفة معه خاضت الانتخابات منفردة ، غير أن احدا من مرشحيها

لم ينتخب ايضا . أما خلال انتخابات ١٩٦١ ، فقد عدل الحزب خطته وبدلا من تأييد قائمة عربية متحالفة معه اضاف بعض المرشحين العرب الى قائمته في اماكن شبه مضمونة ، الا ان أيا من اولئك المرشحين لم يدخل الكنيست بعد الانتخابات . غير ان الحزب ، في محاولة لاظهار حسن نيته تجاه المتعاونين معه من العرب ، حمل احد اعضائه اليهود ، يتسحاق بن ــ اهرون ، على الاستقالة من عضويته في الكنيست في سنة ١٩٦٤ ، وحل محله احد المرشحين العرب ، سليم خليل جباره (من الطيرة ، المثلث) الذي استمرت عضويته في الكنيست قرابة سنة ونصف السنة ، حتى نهاية ولاية الكنيست الخامس سنة ١٩٦٥ . ولقد بدل احدوت هعفوداه ثانية سياسته تجاه العرب قبل انتخابات ١٩٦٥ (و١٩٦٩) ، عندما تحالف مع مباي ضمن اطار « تجمع مباي ــ احدوت هعفوداه » ، وهو التجمع الذي اشترك بقائمة موحدة للحزبين في انتخابات ١٩٦٥ ، والذي انتهى في سنة ١٩٦٨ بعد اتحاد الحزبين واقامتهما حزب العمل الاسرائيلي الذي تحالف بدوره أيضا مع مبام خلال انتخابات سنة ١٩٦٩ ضمن اطار « تجمع حزب العمل ــ مبام » فاشترك في هذه الانتخابات بقائمة موحدة ايضا . أما احدى نتائج هذه التحالفات ، فكانت ان توقف احدوت هعفوداه عن ممارسة اي نشاط سياسي مستقل بين العرب ، ومع مرور الزمن دمج نشاطه في نشاط مباي، وفيما بعد في حزب العمل .

ان تحالف مباي واحدوت هعفوداه ، واشتراك مبام معهما فيما بعد ، لم يسفرا عن توحيد كل قوى المعسكر العالمي الصهيوني في اسرائيل ، وبالتالي لم يؤد الى توحيد جهودهم في المجال العربي الداخلي . ففي الوقت الذي اتفق فيه مباي واحدوت هعفوداه على توحيد قواهما خلال انتخابات سنة ١٩٦٥ ، انشقت فئة صغيرة معارضة لهذا الاتجاه داخل مباي عن الحزب الام ، تزعمها دافيد بن ــ غوريون (لاول مرة في المعارضة) وموشيه ديان وشمعون بيريس ، والتي سرعان ما قررت الاشتراك في الانتخابات بقائمة منفصلة خاصة بها ، هي قائمة عمال اسرائيل ، رافي . ولكن رافي لم يكتف بالعمل بين اليهود فقط وانما اتجه الى العمل بين العرب ايضا فأقام قائمة انتخابية عربية مرتبطة به (« قائمة السلام ») جمعت حولها غلاة المتعاونين مع السلطة بين العرب « والمعجبين » بالحكم العسكري الذي « يحافظ على الامن » ، واشتركت في الانتخابات منفردة وحصلت على بضعة الاف من اصوات العرب (انظر الجدول ٢ اعلاه) ، لم تكن كافية لانتخاب أي من مرشحيها(٦٩). ولقد عاد رافي واتبع الاسلوب نفسه في انتخابات سنة ١٩٦٩ ، ولكنه لم يتبن قائمة عربية منفصلة هذه المرة وانما اتجه الى العرب للتصويت له مباشرة وحصل على نصيب من اصواتهم . غير انه ليس بالامكان ، على اية حال ، تلخيص تجربة رافي الانتخابية مع العرب دون الاشارة الى ذلك المدى من التزلف الذي تبديه الاحزاب الاسرائيلية وزعماؤها تجاه الناخبين العرب للحصول على اصواتهم . فخلال المعركة الانتخابية لسنة ١٩٦٥ ، شن رافي اوسع هجوم له ضد خصومه السياسيين . وعلى راسهم طبعا مباي الذي انشق رافي عنه. ولم يكتف رافي بانتقاد خصومه امام اليهود فقط وانما وسع انتقاداته وعرضها امام العرب ايضا . ففي اجتماع انتخابي عقد في قرية الطيرة بالمثلث ، حضره نحو ٣ آلاف شخص ، وصف موشيه ديان السياسة الاسرائيلية الرسمية الداعية الى دمج العرب في الدولة « بأنها هراء . فهذا لن يكون وهو غير ضروري »(٧٠). واضاف ديان يقول لمستمعيه العرب : « انني اعترف قطعا بأن لكم ، كعرب ، لغة وتاريخا وثقافة وتقاليد خاصة بكم، ولهذا لا أرى اية مصيبة في وجود علاقات لكم بشعوب الشرق الاوسط . اقرأوا صحفها واستمعوا الى اذاعاتها . ويمكنكم ان تخلقوا من بينكم كتابكم وشعراءكم ولا تسمحوا لاي كان بكتابة صحفكم . اكتبوها بأنفسكم . . . وكان ديان قد دعا المستمعين ، في بداية حديثه ، الى عدم الخضوع للضغط بالاغراء لبيع اصواتهم بالنقود »(٧١). بقي ان نشير

فقط الى ان السياسة الاسرائيلية تجاه العرب التي انتقدها ديان والمحاذير التي نبه مستمعيه العرب منها ، في محاولة منه للحصول على أصواتهم ، كانت أساسا من عمل زملائه في قائمته الانتخابية ، والتي يتحمل ديان نفسه ، الى حد ما ، نصيبه في المسؤولية عنها .

أما الفئة الاخيرة من الاحزاب الصهيونية الاسرائيلية التي حاولت العمل بين العرب ، فكانت مجموعة الاحزاب المتدينة : الحزب الديني القومي وهو أكبر هذه الاحزاب ، واغودات يسرائيل وعمال اغودات يسرائيل . والاحزاب المتدينة ، انطلاقا من عقيدتها ومفهومها للواقع الاسرائيلي ، لم تعلق آمالا كبيرة على الناخبين العرب ، ولم تحاول العمل بجد بينهم . فالمتدينون يعلمون ان كفاحهم لاضفاء الطابع الديني اليهودي على الحياة في اسرائيل ، العامة او الخاصة ، وصراعهم للحفاظ على حرمة يوم السبت ، مثلا ، واتباع قواعد الاطعمة المحللة او اقامة المزيد من المدارس الدينية اليهودية ، لم يكن ليهم أكثرية العرب في قليل او كثير ، ولهذا غالبا ما حاولوا التعامل مع الناخبين العرب على أساس المنفعة المادية عارضين عليهم شراء أصواتهم بالنقود . وقد شذ عن هذه القاعدة قليلا الحزب الديني القومي الذي عرف ، بالاضافة الى ذلك ، كيف يستغل منصب وزير الداخلية ، الذي شغله أحد اعضائه منذ مطلع الستينات دون انقطاع ، لتحقيق منافع للحزب والحصول على كمية من اصوات العرب لمصلحته خلال كل انتخابات عامة تجري في اسرائيل . وهو ما كان يتم عادة عن طريق عقد صفقات انتخابية مع عناصر عربية محلية ، تتعهد بموجبها تلك العناصر بتأييد الحزب خلال الانتخابات للكنيست ، مقابل تأييد الحزب لها ، ماديا ومعنويا ، خلال انتخابات البلديات والمجالس المحلية العربية(٧٢) ، وحمل وزارة الداخلية على تسهيل نشاطها ومساعدتها . ولقد أظهرت نتائج الانتخابات أكثر من مرة (انظر الجدول ٢ أعلاه) ان المتدينين استطاعوا بهذه الاساليب الحصول على نصيب من اصوات الناخبين العرب لا يقل عن النصيب الذي حصلت عليه الاحزاب الاخرى .

والواقع أن مجمل نتائج الانتخابات العامة في اسرائيل تظهر انه ما من فئة اشتركت في أي انتخابات الا ووجدت بين العرب مناصرين لها ، قلوا او كثروا ، كانوا على استعداد لمنحها أصواتهم . أما آخر هذه الفئات . فكان قائمة هاعولام هازيه التي ترأسها اوري افنيري ، وهو محرر المجلة الاسبوعية التي عرفت بهذا الاسم والمعروفة بدفاعها عن العديد من القضايا العربية المحلية في اسرائيل ، والتي ظهرت في الانتخابات اول مرة في سنة ١٩٦٥ ، فحصلت على ٢ ٪ من مجموع اصوات الناخبين العرب في المناطق العربية ، غير ان هذه النسبة انخفضت الى ١،٢ ٪ في سنة ١٩٦٩ . ويبدو ان تقرب افنيري ، خلال نشاطه في الكنيست ، من المؤسسة الاسرائيلية التي استطاعت احتواءه تدريجا ثم محاولته محادثة اليهود بلهجة والعرب بلهجة اخرى(٧٣) (والتي أدت في النهاية الى استقالة سميح القاسم وعثمان برانسي محرري الطبعة العربية لمجلته ، « هذا العالم »(٧٤) نفر عددا من مؤيديه العرب الذين تخلوا عنه .

●

---

١ — آشر تسيدون ، « **بيت هانفخاريم** » ، (« مجلس النواب ») ، تل ابيب ، احياسان ، الطبعة السادسة ، ١٩٧١ ، ص ٤٠ .

٢ — **المصدر نفسه** ، ص ٤١ — ٤٤ و ٤٧٧ و ٥١٣ .

٣ — انظر « **هآرتس** » ، ٧ و٢٦ و١٩٤٩/١/٢٧ .

٤ — ميخائيل آساف ، « تطور اندماج العرب في دولة اسرائيل » ، « **هامزراح هيحاداش** » ، السنة الاولى ، العدد ١ ، ١٩٤٩ ، ص ٤ .

٥ — **المصدر نفسه** .

٦ — يهوشاع بلمون في « **هآرتس** » ، ١/١٤/ ١٩٦٦ .

٧ — اتحد مباي مع حزب احدوت هعفوداه في سنة ١٩٦٨ ، واقاما « حزب العمل الاسرائيلي » الذي انضم اليه ، فيما بعد ، قسم من جماعة رافي . ولكن على الرغم من اقامة الحزب الجديد ، لا يزال اعضاء مباي السابقين هم الذين يسيطرون على نشاط الحزب في المجال العربي .

٨ — بدأ حزب العمل الاسرائيلي مؤخرا بمنح العديد من مؤيديه بين العرب بطاقات عضوية ، خصوصا اولئك الذين « خدموا في اجهزة الامن » (« **معاريف** » ، ١٩٧٢/٩/١٤) ، وكان بعض الزعماء الاسرائيليين قد اقترح ، قبل ذلك ، اقامة حزب عمل عربي مستقل في اسرائيل (« **دافار** » ، ١٩٧٢/٢/٢٤) .

٩ — للاطلاع على نتائج هذه الانتخابات وتركيب القوائم المشتركة فيها ، انظر آشر تسيدون ، « **مجلس النواب** » ، **المصدر السابق** ، ص ٣٨٢ — ٣٩٩ و ٥١٤ — ٥١٥ .

١٠ — ولم يحظ هذا القرار بموافقة خنيفس وتسيس ، فاشتركا في الانتخابات بقائمتين منفصلتين خاصتين بهما ، غير انهما فشلا في الانتخابات اذ لم يتمكنا من الحصول على اصوات كافية .

١١ — من مقابلة له مع يوئيل دار في « **دافار** » ، ١٩٦٨/١٠/٦ .

١٢ — يهوشاع بلمون في « **هآرتس** » ، ١٩٦٦/١/١٤ .

١٣ — من مقابلة له مع نحمان غبيان في «هآرتس»، ١٩٧١/١/٢٠ .

١٤ — **المصدر نفسه** .

١٥ — من مقابلة له مع تسفي طال في « **يديعوت احرونوت** » ، ١٩٧٠/٣/٢٥ .

١٦ — **المصدر نفسه** .

١٧ — حتى أوائل سنة ١٩٧٢ ، منحت السلطات ٨٢ عربيا في اسرائيل اوسمة من هذا النوع . « **دافار** » ، ١٩٧١/٨/١٣ ، و ١٩٧٢/٣/٢ .

١٨ — « **يديعوت احرونوت** » ، ١٩٧٠/٣/٢٥ .

١٩ — Shabtai Teveth, *Moshe Dayan*, (Jerusalem, Weidenfeld and Nicholson, 1972), pp. 133-134.

٢٠ — من مقابلة له مع مع رؤوفين مروز في ملحق « **عل هامشمار** » ، ١٩٧١/٢/٢٦ .

٢١ — من مقابلة له مع زئيف شيف في «هآرتس»، ١٩٥٥/٧/١٥ .

٢٢ — **المصدر نفسه** .

٢٣ — وزير الزراعة ، ردا على استجواب ، في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٥٢/١/٧ ، ص ٨٩٣ .

٢٤ — « **معاريف** » ، ١٩٥٥/١٠/٧ .

٢٥ — وزيرا المالية والزراعة ، ردا على استجوابين ، في « **محاضر الكنيست** » ، ٢١/١/١٩٥٢ ، ص ١٠٢٩ و ١٩٦٩/٥/١٣ ، ص ٢٤٨٠ . انظر ايضا مقابلة سيف الدين الزعبي مع يوئيل دار في « **دافار** » ، ١٩٦٨/١٠/٦ .

٢٦ — وزير الصناعة والتجارة ، ردا على استجواب ، في « **محاضر الكنيست** » ، ٧/٥/١٩٦٠ ، ص ١٧٦٧ .

٢٧ — انظر **المصدر نفسه** ، ١٩٦٨/٧/٣ ، ص ١٩٦٨ .

٢٨ — « **هآرتس** » ، ١٩٥٨/٤/٣٠ .

٢٩ — بحسب رأي عضو الكنيست السابق ، موشيه اونا ، في مذكراته . « **هاتسوفيه** » ، ١٩٧١/٧/٢٢ ، نقلا عن مجلة « **عموديم** » .

٣٠ — في مقابلة له مع « **اليوم** » ، ٢٠/١٠/١٩٦٥ ، كما نقلتها « **هآرتس** » ، ٢٨/١٠/١٩٦٥ .

٣١ — انظر ص ٨٧ اعلاه .

٣٢ — عطاالله منصور في « **هآرتس** » ، ٢٨/١٠/١٩٦٥ .

٣٣ — في مقابلة له مع ملحق « عل همشمار » ، ١٩٧١/٢/٢٦ .

٣٤ — للمقارنة انظر تيودور هيرتسل في « التنويلاند » ، (البلد القديم — الجديد) ، نقلا عن الترجمة العبرية من « كتفي هيرتسل » (مؤلفات هيرتسل) ، القدس ، المكتبة الصهيونية ، ١٩٦٠ ، المجلد الاول ، ص ١٦٥ — ١٧٢ .

٣٥ — ويصف يهودا اريئيل ، في هآرتس (٤/١١/١٩٦٥) ، عملية فرز الاصوات في قضاء عكا ، حيث تكثر نسبة العرب بين السكان ، بعد الانتخابات بقوله ان الحضور توقعوا العثور على بطاقات انتخابات داخل الصناديق « مطوية ومؤشر عليها بصورة خاصة من قبل عائلات بأسرها في قرى الاقليات ، وذلك لمعرفة عدد ابناء العائلة الذين صوتوا لقائمة معينة » . وتتبع هذه الطريقة عادة بناء على اتفاق مسبق بين « زعماء » العائلات والاحزاب المختلفة ،

وتعتبر من أكثر الطرق فعالية لاجبار الناخبين على التصويت لجهة معينة ، حيث تقرر كمية الاصوات نوع المعاملة التي يحظى بها ابنـــاء العائلة فيما بعد .

٣٦ ــ بحث في الفصل الاول عند الحديث عـــن الحكم العسكري .

٣٧ ــ انظر ، مثلا ، تفاصيل حملة الاعتقالات بين نشيطي الحزب العربي قبيل انتخابات ١٩٦٩ في « **الاتحـــاد** » ، ١٠ و٢٤ و٣١/١٠/١٩٦٩ .

٣٨ ــ حنان روبين (مبلم) في «**محاضر الكنيست**»، ١٩٦١/٣/٢٣ ، ص ١٩٦٨ .

٣٩ ــ من محاضرة له نقلهـــا زئيـــف شـــيف في « **هآرتس** »، ١٩٦١/٤/٤ .

٤٠ ــ انظر الاستجوابات والنقاش في «**محـــاضر الكنيست** » ، ١٩٦٨/١٠/٣٠ ، ص ١٢٤ ــ ١٢٩ .

٤١ ــ « **دافار** » ، ١٩٧٣/١/٢١ .

٤٢ ــ انظر اقواله عن الصحيفة في « **هامزراح هيحاداش** » ، السنة الاولى ، العدد الاول ، ١٩٤٩/١٩٥٠ ، ص ٦ .

٤٣ ــ حاييم موشيه شابيرا ، وزير الداخلية ، ردا على استجواب في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٦٢/٧/٢ ، ص ٢٥٢٦ .

٤٤ ــ تقرير مراقب الدولة للسنة المالية ١٩٦٣/ ١٩٦٤ ، رقم ١٥ ، ١٩٦٥ ، ص ١٠٧ ــ ١٠٨.

٤٥ ــ دافيد بن غوريون ، رئيس الحكومة ، ردا على استجواب في « **محاضر الكنيســـت** » ، ١٩٦٢/٧/١٨ ، ص ٢٧٦١ . انظر ايضا اقوال ليفي اشكول ، رئيس الحكومة ، ردا عـــلى استجواب في المصدر نفسه ، ١٩٦٧/٤/١٠ ، ص ٢٠٦٣ .

٤٦ ــ ميخائيل اساف في « **هامزراح هيحاداش** »، **المصدر السابق** ، و « مجموعة معلومات عن نشاط الهستدروت بين العرب » ، تشرين الثاني ــ كانون الاول (نوفمبر ــ ديسمبر) ١٩٦٢ ، ص ١ .

٤٧ ــ بن ــ غوريون فـــي « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٦٢/٧/١٨ ، ص ٢٧٦١ .

٤٨ ــ وقد « نعت » صحيفة « **الاتحاد** » (٦/١١/ ١٩٦٨) الناطقة باسم القائمة الشيوعيـــة الجديدة (راكاح) ، صحيفة « اليوم » عند توقفها عن الصدور بقولها : « صحيفة اليوم ذات السمعة السيئة ، اضطرت الى الخروج من الميدان » .

« لقد نعاها اصحابها ، في الاسبوع الماضي ، ولعل أحدا لم يأسف عليها الا الذين ربوها وتعبدوها بالغذاء السياسي والمادي ، وارادوا بها تضليل الجماهير العربية وتحطـــــيم معنوياتها ...

« ان افلاس جريدة « اليوم » لم يكن افلاسا ماديا أدى بها الى الانكماش والانقراض ولكن هو افلاس سياسي ، لانها عجزت عن كسب عطف القراء ... ولم تكن اكثر من بوق عنصري ... من أبواق الدعاية الرسمية » .

٤٩ ــ يسرائيل شلومو بن ــ مئير ، نائب وزير الداخلية ، ردا على استجواب في « **محـــاضر الكنيست** » ، ١٩٦٨/١٢/٣٠ ، ص ٩٨٠ .

٥٠ ــ للاطلاع على عرض للصحف العربيـــة في اسرائيل والمناطق المحتلة واتجاه كل منها ، انظر « **يديعوت احرونوت** » ، ١٩٧٢/٧/٣٠ . وانظر ايضا مقالة توفيق خوري عن صحيفـــة « **الانباء** » في « **دافار** » ، ١٩٧١/١٢/٥ .

٥١ ــ بحث في الفصل الاول من الكتاب .

٥٢ ــ « **الاتحـــاد** » ، ١٩٦٤/٨/٢٨ .

٥٣ ــ **المصدر نفسه** ، نقلا عن « **معاريف** » ، ١٩٦٤/٨/٢٣ .

٥٤ ــ من مقال له في « **اليوم** » ، ١٩٦٦/٦/٢٤، كما نقلته « **الاتحـــاد** » ، ١٩٦٦/٧/١ .

٥٥ ــ بيرتس مرحاف ، «**تولدوت تنوعات هابوعليم بايرتس يسرائيل** »، (تاريخ حركة العمال في ارض ــ اسرائيل) ، تل ابيب ، سفريات بوعاليم ، ١٩٦٧ ، ص ١٤٣ .

٥٦ ــ انظر «**هآرتس**»، ٧ و٢٦ و٢٧/١/١٩٤٩.

٥٧ ــ للمزيد من المعلومات انظر بيرتس مرحاف، **المصدر السابق** ، ص ١٦٥ ــ ١٧٣ . انظر ايضا موشيه براسلافسكي ،« **تنوعات هابوعليم هآبريتس ــ يسرائيليت** » ، (« حركة العمال في ارض ــ اسرائيل ») ، تل ابيب، هاكيبوتس هامئيدحاد ، ١٩٦٢ ، الجزء الرابع ، ص ٢٠١ و٢٠٨ .

٥٨ ــ ومما يلفت النظر في موقف بستوني رأيه في اعضاء الكنيست العرب الذين كان مرة واحدا منهم ، اذ يرى « أنهم ، لكونهم مرشحـــي احزاب لا يمثلون في حقيقة الامر ، المواطنين العرب في اسرائيل ولكن في داخل احزابهم تسمع آراؤهم في مشكلات الاقليات ... » ــ انظـــر

مقالته « المجتمع العربي في اسرائيل » ، « **هامزراح هيحاداش** » ، السنة الخامسة عشرة، العدد ١ — ٢ ، ١٩٦٥ ، ص ٢ .

٥٩ — للاطلاع على رأي امين سر الحركة في حركته ، انظر

Mahmoud Yunis, «Arab Pioneer Youth Movement », *New Outlook*, February, 1958, pp. 54-56.

وانظر ايضا

Abdul Aziz Zubi, « Discontent of Arab Youth,» *ibid*, January, 1958, pp. 12-17.

٦٠ — *New Outlook*, September 1958, pp. 55-56.

٦١ — ومن بين هذه الاراضي اراضي قرية كفربرعم التي أقيم عليها كيبوتس برعم التابع للحزب ، وهي الواقعة التي هوجم الحزب كثيرا بسببها .

٦٢ — من مقابلة له مع يوئيل دار في « **دافار** » ، ١٩٦٨/١٠/٦ .

٦٣ — من مقابلة له مع رفائيل بنكلر في « **عل هامشمار** » ، ١٩٧١/٥/٢١ . انظر ايضا شلومو افنيري في « **معاريف** » ١٩٧١/٨/٦ .

٦٤ — Jacob M. Landau, *The Arabs in Israel*, pp. 190-201.

٦٥ — علق عضو الكنيست اوري افنيري على تعيين جبر معدي نائبا لوزير المواصلات بقوله : « انه [معدي] يظهر في الكنيست مرة كل ربع سنة ، ويخطب مرة في السنة . واشك في انني استمعت الى خطبه الستة خلال السنوات الست التي قضيتها في الكنيست . فالشيخ يخطب بالعربية ، وهو يقرأ كل كلمة من ورقة مكتوبة بصعوبة بالغة . من الناحية العلمية ، من الصعب ان تعرف ماذا سيفعل الشيخ ... في اكثر الوزارات التي تعتمد على التكنولوجيا في الدولة ، وهي وزارة عقول الكترونية ، واقمار فضائية ، واجهزة تليفون معقدة ، ومحطات اذاعة عصرية ... ان ادخال الشيخ في هذه الورطة خطأ يضاهي الجريمة ، والارخص ادخال فيل الى مخزن للادوات الخزفية » — (**هاعولام هازيه** ، ١٩٧١/١٠/١٣) .

٦٦ — من مقابلة له مع رفائيل بنكلر في « **عل هامشمار** » ، ١٩٧١/٥/٢١ .

٦٧ — انظر تحليل يعقوب افيئيل لنتائج تلك الانتخابات بين العرب في « **هآرتس** » ، ١٠/٨/١٩٥٥ .

٦٨ — انظر ايضا :

Jacob M. Landau, *The Arabs in Israel*, pp. 119, 125, 132 and 144.

٦٩ — وانظر ايضا :

Jacob M. Landau, *The Arabs in Israel*, p. 139.

٧٠ — « **معاريف** » ، ١٩٦٥/١٠/١٠ .

٧١ — **المصدر نفسه** .

٧٢ — انظر ، مثلا ، « **هآرتس** » ١٩٦٥/١٢/١ ، و ١٩٦٦/١١/٢٠ عن طريقة عمل الحزب في الانتخابات العامة والانتخابات لبلدية الناصرة. وانظر ايضا تعليق صحيفة الحزب «**هاتسوفيه**» ، ٨ و ١٠ و ١٩٧٠/١٢/١١ ، حول نشاط الحزب في الانتخابات لبلدية الناصرة في سنة ١٩٧٠ .

٧٣ — انظر مقال عطاالله منصور ، « وجها هاعولام هازيه » ، في « **هآرتس** » ، ١٩٦٦/٣/٢٣ .

٧٤ — انظر بيانهما ، « شد الحبل مع افنيري » ، في « **الاتحاد** » ، ١٩٦٦/٩/٢ .

خواطر حول
مشكلات التعبير والاتصال الشعريين
في المجتمع العربي

أدونيس

I

تشكل مسألة التعبير والاتصال الشعريين أو مسألة العلاقة بين المبدع والمتلقي ، في التراث النقدي العربي ، مدارا للجدل منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا . فقد بدأت هذه المسألة تظهر في النقد العربي مع ظهور الاسلام .

كان الاسلام رؤيا جديدة للكون ونظاما جديدا للحياة، أي انه لم يكن استمرارا «للقديم»، للجاهلية العربية ، بل كان انفصالا عنها . لكن ، على الرغم من انه كان تأسيسا جديدا لبنى اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية تغاير البنى الجاهلية ، **فقد احتفظ بالشكل الشعري الجاهلي كطريقة للتعبير الشعري** . وهكذا كان الاسلام انقطاعا عن الجاهلية، على صعيد النظر أو المضمون ، واستمرارا للجاهلية على صعيد الشكل أو التعبير .

هذا الموقف يطرح عددا من التساؤلات : هل كان تبني الاسلام للشكل الجاهلي عائدا الى انه يعبر التعبير الاكمل عن شخصية العربي ، اللغوية والذهنية ، بحيث استحال تغييره حتى على الاسلام ذاته ؟ هل هو عائد الى كونه نموذجا بيانيا كاملا اكتسب ، بفضل الخبرات الطويلة المتراكمة ، خاصية الثبات والاطلاق ، حتى أصبح شكلا موجودا بذاته، منفصلا ، ومستقلا ؟ أم لعله يعود الى حرص الاسلام على الاتصال — اذ ادرك أن الشكل الشعري الجاهلي بنية لغوية — تعبيرية ينفعل بها العربي ، ويفهمها بسهولة الحياة اليومية ذاتها، فتبنى الشكل لكي يكون أداة وواسطة تنقل « المضمون » الاسلامي الجديد ؟ أم لعله يعود الى أن الاسلام كنظرة للثقافة ، وللكون بعامة ، يفصل بين الذات والموضوع ، الانسان والطبيعة ، اللغة والشيء ، الشكل والمضمون ، وهكذا صارت « حياة » العربي اسلامية ، أما « روحه » فبقيت جاهلية ؟

ليس من غرض هذا البحث ان يجيب عن هذه التساؤلات ، بقدر ما يريد اثارتها تدليلا على أن لمسألة التعبير والاتصال جذورا قديمة في التراث العربي ، وعلى انها بالتالي مسألة لا تحتاج الى الدراسات الجمالية وحسب ، وانما تحتاج كذلك الى دراسات انتروبولوجية .

الثابت ، تاريخيا ، هو أن الشاعر المسلم افصح عن ايديولوجيته الاسلامية بالشكل الجاهلي . فقد حارب الجاهلية بأسلوب التعبير الذي ابتكرته الجاهلية نفسها . وعبر عن الصراع من أجل انتصار الدين بالطريقة الفنية ذاتها التي كان يعبر بها الشاعر الجاهلي عن انتصار قبيلته في صراعها مع القبائل الاخرى . وامتدح النبي والخلفاء

بالطرق الفنية ذاتها التي كان شعراء الجاهلية يمتدحون بها الملوك والامراء ، أو قادة القبائل .

وقد أدى هذا الموقف الاسلامي من الشعر الى نتائج كثيرة أذكر منها ما يتصل بموضوعنا:

١ ــ الفصل بين « الشكل » و« المضمون » . الشكل وعاء حيادي ، قائم بذاته ، موجود سلفا ، هو الشكل الجاهلي . والمضمون هو الاسلام ، بقيمه وموحياته .

٢ ــ ليس الشكل بالنسبة الى الشاعر هو وحده الموجود مسبقا ، بل « المضمون » هو كذلك موجود مسبقا في الرؤيا الاسلامية .

٣ ــ اذا كان الشاعر يرث « شكله » و« مضمونه » فان ما يطلب منه هو أن يصوغ ويؤالف ، وان يحسن الصياغة والمؤالفة ، وليس أن يبدع : فالله أبدع له المضمون (العقيدة الاسلامية) ، والتاريخ العريق ، لغة وشعرا ، أبدع له الشكل . فمن اين له هو أن يبدع ما يفوقهما ؟ ان مهمته هي في أن يأخذ ما أعطي له ، وأن يجيد في محاكاته واستعادته . فهو لا يبدع بل ينسخ ويصوغ .

٤ ــ الشعر في الجاهلية فاعلية أولى ، في مستوى العمل والحلم والدين ، اي في مستوى الطبيعة والغريزة . فهو حدس أساسي في المعرفة ، بل هو الحدس الاكمل .

غير أن النبوة ، في الاسلام ، هي الحدس الوحيد ، والمعرفة كلهـا تصدر عن هـذا الحدس . وهكذا **حلت النبوة محل الشعر ، وتراجع الشعـر الى مستوى الفاعلية الثانية** . صار ثقافة : أداة لخدمة الدين ، ينشره ويدافع عنه ويمجده . وهذا **يعني أن الاسلام ألغى الشعر من حيث انه مصدر للمعرفة ، أو من حيث انه طريقة أصلية في استبطان العالم والكشف عنه ومعرفته** ، وأثبته كأداة كلامية للدفاع عن الدين .

٥ ــ ليس الشاعر في الاسلام « ذاتا » ، وانما هو جزء في « الجماعة » الاسلامية . فليس هو الذي يفكر ، بل الجماعة ــ وليس هو الذي يكتب بـل الشكل ــ اللغة . والشعر جزء من عملية Processus النشاط العام الذي تقوم به « الجماعة » .

II

تلك هي الجذور التاريخية لمسألة التعبير والاتصال في الشعر العربي ، عرضتها بايجاز ، وهي تفيدنا في ملاحظة الامور التالية :

١ ــ الامر الاول هو أن النتاج الشعري العربي ضعف كما ونوعا في العقود الخمسة الاولى التي تلت ظهور الاسلام .

وهذه ظاهرة فسرت بانشغال العرب عن الشعر ، بالقرآن أو بانشغالهم عنه بالفتوحات . وهو تفسير يجد في الدين والنشاط الحربي العملي أسباب ضعف الشعر وقلة الاهتمام به . غير أن هذا التفسير قد يوضح الاسباب التي **تتصل بكمية الشعر ، لكنه لا يوضح تلك التي تتصل بنوعيته** . ولعلها تكمن في الموقف الايديولوجي الاسلامي ذاته من الشعر .

فحين نقل الاسلام الشعر من مستوى الطاقة الخلاقة ، الى مستوى العادة والصنعة ، جعل الشعر أمرا نافلا يمكن الاستغناء عنه ، وأكد بالتالي علـى انه حين يستخدم ، كشكل تعبيري ، لا يقوّم من حيث انه شعر ، بل من حيث أنه كلام يحسن اذا كان حسنا اي اذا كان يخدم الاسلام ، ويقبح اذا كان قبيحا ، أي اذا كان لا يخدم الاسلام ، أو يتناقض ما يفصح عنه مع ما يفصح عنه الاسلام .

٢ ــ الامر الثاني هو ان الشعر العربي لم يبدأ بالنهوض الا حين بدأ الشاعر يقيم مسافة بينه وبين الايديولوجية الدينية من جهة ، وبينه وبين « الجماعة » بالمعنى الديني ، من

جهة ثانية ، أو حين بدأ الانفصال ، بتعبير آخر ، بين الذات والجماعة ، في محاولة من الشاعر لاستعادة ذاته « الضائعة » في « الجماعة » وفي « الدين » . في هذا الانفصال اخذ الشاعر يدخل العالم « المحرم » — ويرفض الاشكال والافكار المسبقة . **واذا كان هذا الانفصال عزله عن الجمهور الوارث ، القديم ، فقد وصله بجمهور ناشىء جديد .** وقد بلغت هذه الحركة من الانفصال والاتصال أوجها في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، في نتاج ابي نواس وابي تمام .

٣ — الامر الثالث هو نشوء نظرتين في فهم الشعر وكتابته : نظرة تستند الى الاسلام ، كرؤيا وكممارسة ، ونظرة تستند الى الشعر ذاته ، من حيث انه تجربة متميزة ، او فعالية انسانية تتصل بأخص خصائصه الانسانية . واستندت النظرة الاولى الى التقليد ، أما الثانية فاستندت الى الابداع . وتبعا لذلك ، نشأ نوعان من الجمهور . ويكشف لنا النقد الذي أثير حول ابي تمام ، عن خصائص كل من النظرتين ، وعن القيم التي يتمسك بها كل من « الجمهورين » .

غير أن التطور الثقافي ، والعوامل التي رافقت هذا التطور ، وبخاصة العوامل الخارجية ، جعلت المجتمع العربي ينكفىء على ماضيه ، مما أدى الى سيطرة النظرة التقليدية ، وسيادة القيم المنبثقة عنها . وتقوم هذه النظرة التقليدية على الاسس التالية :

١ — الاساس الاول هو الفصل بين المعنى والكلام ، واعتبار المعنى سابقا ، وليس الكلام الا صورة له أو رسما تزيينيا .

٢ — الاساس الثاني هو الفصل بين الشكل والوظيفة . ففي كل تطور حضاري يتطابق الشكل والوظيفة ، بحيث ان تغير الوظيفة يستتبع تغير الشكل . لكن مع ان وظيفة الشعر في المجتمع العربي تغيرت في الاسلام ، كما أشرنا ، عما كانت عليه في الجاهلية ، فان شكله لم يتغير . وهذا مما أكد الانفصال بين المعنى والكلام ، وأدى الى جعل التعبير الشعري **نوعا من المطابقة بين الكلام والمعنى ، او تكيفا مع القديم .**

٣ — التكيف لغوي — أخلاقي في آن : يتطابق سلوك الخلف مع النموذج الاصلي السلفي للسلوك ، ويتطابق تعبير الفرد ، مع النموذج البياني الاصلي للتعبير . وينطلق هذا التطابق أو التكيف مع القديم ، سواء كان فكرا أو تعبيرا ، من الايمان بأن القديم كامل ثابت ، وبأنه واضح ، وبأنه عقلي منطقي . وهذا مما يفترض ان يكون التعبير عنه واضحا ، وان لا يجيء بما يغير القديم ، بل على العكس يجب ان يجيء بما يزيده ثباتا .

٤ — يعني هذا التكيف ان الشعر العربي القديم هو ، بالنسبة الى الحديث ، في مقام الاجمال ، كما أن القرآن ، مثلا ، هو ، بالنسبة الى الفكر الديني في مقام الاجمال ، وما يأتي بعده في مقام التفصيل .

فالتفصيل هو لسان الاجمال وترجمانه وشرحه ومرآته . والمفصل اذن ليس ابتكارا وانما هو شرح للمجمل ومظهر له . وهذا يعني ان الاقدم هو ، بالضرورة ، الافضل ، وان الاسبق هو الاعلم . فالنور العربي واحد أوله ، دينيا ، النبوة ، وأوله ، شعريا ، الجاهلية . والافضلية تتدرج تبعا لتدرج القرب من الاولية . وليست الحياة اليومية الا تمرسا بمحاكاة الاول . وفي هذا ما يشير الى أن الشعر ، شأن الدين ، يحدد بنشأته الاصلية الكاملة . فكما أن الدين تدين اي تكرار طقسي ، فان الشعر هو ، كذلك ، نوع من التمرس بفهم الماضي واستعادته في تكرار طقسي .

٥ — ومن هنا انطبع الذهن العربي بما أسميه **الماضوية** ، وأبرز ما تؤدي اليه الماضوية ، في اطار بحثنا ، هو رفض المجهول ، أو غير المألوف بل الخوف منه . وفي

هذا ما يفسر ايمان العربي بأن الانسان لا يقدر أن يتكيف الا مع الاشياء والافكار التي يستطيع خياله أن يجاريها ويقبل بها ، أما تلك التي يعجز عن تفسيرها ، فانه يرفضها . وهو ، حين يواجه فكرا او شعرا لا ينبع مما يعرفه مباشرة ، يحاول اولا ان يفهمه بالمقارنة مع تراثه الذي يعرفه ، أي مع ما يفهمه ، وحين لا يكون ثمة مجال للمقارنة ، فان هذا الشعر أو الفكر يبدو له غريبا وخطرا . المهم ، بالنسبة اليه ، هو الواضح ، هو ما يفهمه ويسمح له بالتوجه في الطبيعة والثقافة ، في الحياة والمجتمع . ومن هنا يستخدم العربي موروثه لكي يفهم كل شيء ، وما يتناقض مع هذا الموروث لا يكون جديرا بأن يعطى اية قيمة .

٦ — في ضوء هذا كله ، ندرك الدلالة في صراع الافكار ، داخل المجتمع العربي ، بدءا مما سمي بعصر النهضة ، حتى اليوم . فهو يكاد ان يكون استعادة للصراع الماضي بين قيم الثبات الماضوية ، وقيم التحول المستقبلية ، حتى ليبدو غالبا انه يجري بالكيفية الماضية ذاتها تقريبا ، وبوسائلها ، القمعية والانعتاقية ذاتها تقريبا .

ندرك ، بالتالي ، الدلالة في موقف العربي المتناقض مما نسميه الحداثة . فهو يقبل منها كل ما يحسن الحياة وطرقها المعيشية بخاصة ، لكنه يرفض الموقف العقلي الذي أدى الى نشوء الحداثة . انه ، بتعبير آخر ، يأخذ من الحداثة منجزاتها العلمية التقنية ، لكنه يرفض النظرة التي أبدعتها . **والحداثة الحقيقية في الابداع ، لا في المنجزات بذاتها .**

III

حين نقول اليوم : « يجب أن يكتب الشاعر العربي بلغة يفهمها الجمهور » ، يبدو هذا القول ، في ضوء المسار التاريخي لمشكلة التعبير والاتصال، كما عرضتها بايجاز ، مبهما، لا يقول شيئا ، وخارج المشكلة الحقيقية .

آ — فهو مبهم لانه لا يحدد هذا الجمهور : هل هو الخاضع للثقافة الشعرية التقليدية ، أم هو المتحرر منها وما طبيعة هذا التحرر ؟ وهو مبهم ايضا لانه لا يحدد اللغة الشعرية : هل هي اللغة التقليدية ، أم هي اللغة الجديدة — وما طبيعة هذه الجدة ؟

ب — وهو لا يقول شيئا لانه يكرر بداهة . فالشعر يكون للآخر ، لجمهور ما ، او لا يكون شيئا .

ج — وهو خارج المشكلة الحقيقية ، لان هذه المشكلة ليست في تقرير الصلة بين الشعر والجمهور ، بل في **تحديد معنى هذه الصلة ، وتحديد الجمهور ، وتحديد اللغة الشعرية .**

IV

نحدد الجمهور السائد ، على صعيد فهم الشعر وتذوقه ، بالثقافة السائدة والتي هي جزء من الايديولوجية السائدة. هذه الايديولوجية المتحققة في مؤسسات المجتمع العربي: (العائلة ، المدرسة ، الجامعة ، التشريع ، السياسة ، الدين ، الثقافة بأشكالها الاعلامية والادبية) والمجسدة في ممارسات الاجهزة الايديولوجية للنظام العربي السائد، **لا تؤسس شروطا جديدة وعلاقات جديدة ، وانما تعيد انتاج العلاقات الاستغلالية الماضية** . فهذه الايديولوجية السائدة ليست الا استعادة للايديولوجية الاستغلالية الماضية ، وليس التحول السياسي ، الظاهري ، اكثر من ازاحة للطبقة القديمة المستغلة ، من أجل أن تحل محلها طبقة جديدة مماثلة ، لا من أجل تحرير الطبقة المستغلة . وهكذا فان العائلة في المجتمع العربي ما تزال أسيرة التكوين القبلي — الثيوقراطي ، والمدرسة العربية ليست تقليدية وحسب ، بل رجعية ايضا فيما تدرسه

وفي طرق تدريسها على السواء ، والدين ما يزال مهيمنا على الحياة المدنية بكاملها ، وعلى الحياة الثقافية والتشريعية والسياسية ، وما يزال الوعي الطبقي مطموسا بهذه الهيمنة الدينية ، على الاخص ، (المؤمنون **جماعة** واحدة ، **أمة** واحدة . . . الخ) ، ولذلك فان الصراع الطبقي ما يزال هو الآخر مطموسا .

والواقع ان الموضوعات السائدة في الشعر العربي اليوم ، هي الموضوعات الغزلية والجنسية ، والموضوعات الاجتماعية ـ السياسية . الاولى رومنطيقية من حيث الطبيعة ورجعية من حيث النظرة . اما الثانية فهي المعادل السياسي للرومنطيقية العاطفية . ذلك انها صيغ وشعارات حماسية وليست كشفا عن آفاق جديدة لعلاقات جديدة .

والجمهور الذي يخاطبه هذا الشعر ، ليس من طبقة واحدة ، وليس ذا ثقافة واحدة . وانما هو مجموعات من الافراد الذين أخذوا بنصيب قليل او كثير، من المعرفة المدرسية. وهذا الشعر **ينقل اليهم ما يعرفونه** . وهو ، اذن ، **لا يقدم وعيا جديدا لانه لا يقدم متعة فنية متميزة وجديدة .**

لكن ، اذا كانت عبارة « سائدة » هنا تعني ان الفئات القاهرة في المجتمع العربي تسود بايديولوجيتها الفئات المقهورة ، فانها تتضمن ايضا ان لهذه الفئات المقهورة ذاتها ، **طليعة تمتلك وعيها الخاص بوضعها** ، بكونها مقهورة ، وانها تتململ من اجل التحرر والانعتاق من شروط حياتها هذه ، ومن الايديولوجية السائدة .

لنقل ، اذن ، ان المجتمع العربي ما يزال في بنيته الايديولوجية الغالبة ، مجتمعا تقليديا، غير انه ، مع ذلك ، **يتحرك ايديولوجيا ، بقيادة اقلية طليعية في اتجاه الحداثة الثورية .**

V

هذا هو الوضع الذي يعيش فيه الشاعر العربي المبدع ، ويعانيه : اقول المبدع لاشير الى ارتباطه بما سميته **الحداثة الثورية** ، من جهة ، ولاميزه من جهة ثانية ، عن اسماء كثيرة تنتحل هذه الحداثة او تكتب الشعر بقوة الاستمرار التقليدي ، دون ان تعاني أية مشكلة ، على هذا المستوى . ولكي أقول ، بالتالي ، ان مشكلات التعبير والاتصال انما هي مشكلاته هو، وحده دون غيره من هؤلاء المنتحلين او الواقفين في الموقع الاستمراري الذي لا يتيح طرح مثل هذه المشكلات .

ان هذا الشاعر يواجه ، على الصعيد الفني ، مشكلة ذات وجهين متلازمين : كيف يعبر بحداثة ثورية (توكيدا لانفصاله عن الالية الايديولوجية السائدة) ، وكيف يوصل هذا التعبير (توكيدا لارتباطه العضوي مع الفئات الطليعية المقهورة العاملة للتغلب على الايديولوجية السائدة وعلاقاتها) . **هكذا يبدو ان دور هذا الشاعر هو في أن ينتج فعالية جمالية لا يستوحيها من المعادة السائدة بقوة الايديولوجية السائدة ، بل يستوحيها ، على العكس ، من الطاقة الكامنة ، المقموعة لكن القادرة على تغيير شروطها القهرية وابداع شروط جديدة لحياة جديدة .**

VI

هناك ، اليوم ، في الشعر والنقد العربيين مستويان لهذه الفعالية الجمالية : الاول تبسيطي ، توفيقي وهو السائد . والثاني تعميقي ، جذري . في المستوى الاول نجد نتاجا شعريا ينتحل الحداثة الثورية ، اعني ان هذه الحداثة آتية من **الحيلة الكتابية** لا

من الهوية الاصلية . فالاسس التي يصدر عنها هذا النتاج سواء ما اتصل منها بالايقاع، والصورة ، والجملة ، والكلمة ، والبنية اللغوية بعامة ، هي نفسها الاسس التقليدية.

وهذه الحيلة شكلية تقوم على تفكيك بنية البيت القديمة الى جزيئات ، ومن ثم اعادة تركيب هذه الجزيئات في نمط آخر . فهي تغير في البنية النمطية لكنها تحتفظ بالموقف القديم من اللغة الشعرية ، الذي أدى الى هذه البنية . والموقف اذن ما يزال قديما ، فان الجدة هي في الرؤيا الجديدة للغة الشعرية ذاتها ــ وليست في مجرد تنميط آخر للبنية الشكلية القديمة . وهكذا ما يزال الشكل اناء جاهزا يعبأ بالأفكار ، كما كان في الماضي . اختلف حجم الاناء وابعاده ، لكن طبيعة العلاقة بينه وبين ما يحتويه ، ما تزال هي نفسها العلاقة القديمة . فبدلا من تعبئته ، مثلا ، بفضائل الخليفة او القبيلة ، فانه يعبأ اليوم بفضائل الثورة .

الشعر ، في هذا المستوى ، **يعمم النمطية القديمة** . وتعميم هذه النمطية مشاركة في تعميم الاستلاب . فاللغة الجمالية التقليدية المعممة في مجتمع يتململ باتجاه الثورة كالمجتمع العربي ، انما هي قوة ايديولوجية تستلب العربي لانها تشارك في اخضاعه لقمع معمم .

والشعر ، في هذا المستوى ، ينظر الى الجمهور **كميا** : يهمل الفروقات النوعية ، بين فئة وفئة وبين فرد وفرد ضمن الفئة الواحدة . وهو في الحالتين ينطلق من قناعة نظرية مسبقة أن الشعر كلام كغيره من الكلام ، وان الجمهور يفهم الكلام ، بالضرورة ، ولذلك لا بد من ان يفهم الشعر بالضرورة . وفي هذا ما يشير الى أن اللغة الشعرية ، بالنسبة اليه هي الكلام لكن الذي يختلف عن غيره بكونه موزونا ، يحمل مضمونا تقدميا او يكشف عن موقف تقدمي .

والشعر ، في هذا المستوى ، يقف من الناحية الظاهرية مع الطاقة المقموعة العاملة لتغيير بنية المجتمع العربي بكاملها ، لكنه في الوقت نفسه يقف مع العادة السائدة ــ اي انه يتبنى الطرائق التقليدية التي عبرت وتعبر بها هذه البنية عن نفسها . وفي هذا استعادة للموقف الاسلامي من الشعر الجاهلي : ابداع بنية جديدة للمجتمع ، والابقاء على أشكال التعبير التي انتجتها البنية القديمة .

وتنتج عن هذا الموقف نتائج تتناقض مع كون الشعر فعالية جمالية ثورية . من هذه النتائج اعطاء الاولية للمضمون . وهذا يعني ان موقف الشاعر عقلي ، يفكر ويحلل ويعاني ويختار . ثم يجيء التعبير فيبحث عن الشكل الذي يرى انه يلائم لنقل ما يعانيه.

ومن هذه النتائج اعطاء الاولية للقارىء او السامع أيا كان ، دون تحديد ، لان الغاية افهامه واقناعه ، اكثر مما هي الكشف عن أعماق الشاعر وعوالمه الداخلية ، حتى الجوانب الثورية منها . ومن هذه النتائج اعتبار الشعر نشاطا تثقيفيا ، يراقبه العقل ويوجهه ، وهو اذن وسيلة اعلامية مرحلية ، تنبع قيمته من فعاليته كوسيلة . ومن هذه النتائج تجريد الشعر من طبيعته الخاصة كفعالية انسانية متميزة بكونها **انتاجا جماليا** ، ومن ثم مزجه بأشكال التعبير الاخرى عن الذات ، وانعدام التمييز ، جماليا، بينه وبينها.

والشعر ، في هذا المنظور ، مؤسسة : انه الزواج لا الحب ، والوصول لا المغامرة ، والفكرة لا المعاناة ، والموضوع لا الذات ، والعادة لا الطاقة . فهذا المنظور يشدد على الوسيلة الفعالة . والسؤال : « ما العمل ؟ » ، مطروح ، في المستوى نفسه على العامل والسياسي والشاعر.والمقياس هو في الفعالية الكمية، وهي هنا في مدى الانتشار.وهذا يعني ضمنيا أن الجمهور هو العدد ، وان أية رواية بوليسية أو جنسية أفضل من نتاج شكسبير أو غوته ، لانها أكثر انتشارا .

هذا الموقف لا يهتم بتحديد او ابداع طراز جديد من الممارسة الشعرية يختلف عن الطراز الموروث ، أو نمط من التعبير يختلف عن الانماط التقليدية . المسألة ، بالنسبة اليه ، ليست في الفعالية التي تؤدي الى تغيير القيم الفنية التقليدية ، والحساسية وطرق الفهم والتذوق الناتجة عنها ، وانما هي في تقديم مادة استهلاكية تجذب الجمهور وتنمي فيه القيم الموروثة ذاتها ، وتحافظ على استمراريتها .

وفي هذا الموقف ما يشير الى اعتبار النتاج اللغوي كأنه نتاج يدوي ، أو اعتبار اللغة طريقة من طرق العمل . فكما ان نتاج العامل ليس فرديا ولا يحصر في اطار الفرد ، وانما هو شامل ، اي قابل للتبادل اي أنه ، بمعنى آخر ، **سلعة** ، وقيمته في مدى قدرته على ان يكون سلعة ، فان القصيدة يجب ، هي أيضا ، أن تكون قابلة للتبادل ، أي سلعة . وقيمتها تكمن في مدى قدرتها على أن تغري الناس بقبولها وتداولها .

VII

اما في المستوى الثاني فينطلق الشعر والنقد العربيان من موقف يرى ان الشعر فاعلية اولى كالحب ، كالحلم ، كالجنس ، وليس مجرد عادة ثقافية . ولهذا قبل البحث في مسألة الاتصال لا بد من البحث في النص ذاته : هل هو شعر أم انه نص يتزيا بشكل الشعر ؟ خصوصا ان الاتصال هو في الدرجة الاولى **جمالي** ، وليس اعلاميا ، او ايديولوجيا بالمعنى المباشر المحدد . وهذا ما يفترض مقدمات مبدئية لكل بحث في مسألة التعبير والاتصال الشعريين .

١ ــ أصوغ المقدمة الاولى كما يلي : حيث نجد في نص ما ، استخداما للكلمات يحيد بها عما وضعت له أصلا ، على الصعيد اللغوي العام ، ونجد طريقة في هذا الاستخدام أصيلة تغاير الطرق الموروثة أو المألوفة ، على الصعيد الابداعي الخاص ، فاننا نجد شعرا . كل نص لا يتوفر فيه هذا الحد الادنى لا يمكن اعتباره شعرا ، حتى حين يستخدم الوزن .

٢ ــ المقدمة الثانية هي أن الشعر ، كشريحة من الايديولوجية الثقافية ، ليس له وجود مادي شأن الايديولوجية الدينية ، مثلا ، أو السياسية . فالشخص المؤمن بالله مثلا ، يصلي ويصوم ويزكي ... الخ ، أي يقوم بأعمال مادية تطابق أو تحقق ايمانه . لكن الشخص الذي يقرأ ، مثلا ، قصيدة (أو يكتب قصيدة) عن الموت ، فانه لا يسلك بالضرورة عمليا ، أي لا يقوم بعمل مادي يطابق انفعاله الجمالي بالموت . وحتى حين يقرأ (أو يكتب) قصيدة عن الحب ، فقد لا يتيسر له ان يسلك عمليا ، ماديا ، بشكل يطابق انفعاله الجمالي بالحب . فالشعر لا يفترض بالضرورة ، مطابقة مادية لمضمونه على النقيض ، من الدين او السياسة او التشريع ... الخ . فأفكار الشاعر ، كذات تنتج الشعر ، ليست بالضرورة الاعمال المادية التي يقوم بها ، كذات تقوم بأفعال مادية معينة .

٣ ــ المقدمة الثالثة هي أن قانون التفاوت أو التطور اللامتساوي والذي يعني ان تطور البنية التحتية لا يلازمه بالضرورة ، مباشرة ، تطور البنية الفوقية (والعكس صحيح) ، يسمح لنا بالقول أن من الممكن ان يكون الشعر ، متقدمسا في مجتمع ذي بنية تحتية متخلفة ، أو أن يكون متخلفا في المجتمع ذي البنية التحتية المتقدمة .

وبما ان الحالة الاولى هي حالة المجتمع العربي ، فلا بد ، في بحث مسألة التعبير والاتصال من ملاحظة القضايا التالية :

أ ــ ان الثقافة السائدة في المجتمع العربي ، أي ثقافة الجماهير ، ثقافة متخلفة بحكم خضوعها لبنية اقتصادية وعلاقات اقتصادية متخلفة .

ب ــ ان الشعر ، كشريحة مستقلة نسبيا من الايديولوجية الثقافيـــة متقدمة جدا ، بالقياس الى الايديولوجية السائدة .

ج ــ ان التطور ، المستقل نسبيا ، للتعبير الجمالي أتاح ابتكار اشكال تعبيرية لم تتجاوز الاشكال الموروثة وحسب ، وانما فرضت اعادة النظر في الاسس الجمالية الموروثة ، وفي معنى الشعر ذاته .

د ــ ان هذا التطور أدى موضوعيا الى الانفصال عن الثقافة السائدة وقيمها ، أي أدى الى الانفصال عن الجمهور الشعري السائد .

هـ ــ لكي يتذوق الانسان الفن أو يتمتع به لا يكفي ان تكون له ثقافة عامة ، وانما يجب ان تكون له ، كما يقول ماركس ، **ثقافة فنية** .

VIII

أقف قليلا ، في ضوء هذه المقدمات ، عند المشكلة النقدية ــ الايديولوجية حول الشعر وأشكاله التعبيرية المتقدمة ، والتي نصوغها في السؤال التالي : أيهما أكثر تقدمية أو ثورية ، الشكل التقليدي ، المشترك بين الجماهير ، أي الذي تفهمه الجماهير ، والذي يحمل مضمونا تقدميا ، أم الشكل الثوري ، غير المشترك ، والذي يصعب فهمه ، لكن الذي يحمل هو ايضا مضمونا تقدميا ؟ (افصل هنـــا بين الشكل والمضمون بغايـــة تبسيطية ، توضيحية) . والجواب السائد هو الذي يفضل النتاج الاول ، وهو ، في رأيي ، خاطىء ، شعريا وثوريا . ذلك انه يفصل ، في الفعالية الجمالية ، بين محتواها وشكلها ، ويتبنى الشكل المتخلف للتعبير بحجة سهولته . وهو رأي ينظر الى الشعر بمقاييس من خارج الشعر .

والواقع ان هذه المشكلة تكشف عن نوعين من العلاقة مع الجمهور الشعري السائد ، في الشعر العربي اليوم : الاولى **مدحية** ، بشكل عام ، ويمثلها النتاج الشعري الاول . والثانية **نقدية** ، بشكل عام يمثلها النتاج الثاني . الاولى **تبشيرية ، تعليمية** ، والثانية **ابداعية ، جمالية** .

تؤدي العلاقة الاولى بالشاعر الى المغالاة في اسقاط أحلامه على الواقع ، فيسلك ويكتب كأنه في وضع ثوري حقيقي ، مما يذكر بأسلوب الفخر المتشدق ، عند شعراء الماضي ، وكأنه يخاطب جمهورا حول الحياة العربية تحويلا شاملا . الشاعر هنا يتوهم واقعا ويشيع هذا التوهم بانتفاخ تبشيري . ومن هنا يبدو شعره تعبيرا عن ظاهرة نفسية مرضية : فهو تعويض او عزاء عن عجز وفشل مستمرين . انه ثورة من لا ثورة له ، انه الشعر الايهام ، الشعر ــ الافيون . انه الضياع وقد انتظم بيانيا : مرآة لفظيـــة تصقلها الحماسة ، لا يكتشف فيها الجمهور رجاءه ، بل عزاءه . وهذا شعر يندرج في الاطار التقليدي المتخلف ، محتوى وطريقة تعبير .

اما العلاقة الثانية فتكشف عن ان الشاعر ينظر الى العمل الثوري ككل لا يتجزأ ، لكنه يميز بين مستوياته وطرائقه . فللشعر ، مثلا ، **طبيعة تخصه** ولذلك له صفات تميزه ، ان له ، بالتالي **خصوصيته** في الاداء وفي التلقي . وهو لذلك ، يمارس التعبير ويفهم الاتصال انطلاقا من وعيه هذه الطبيعة من جهة ، ووعيه الثقافة السلفية السائدة من جهة ثانية . ومن هنا لا يأخذ المتلقي ــ القارىء ، كما هو ، بثقافته السلفية فيخاطبه بطريقة تمليها او تفرضها هذه الثقافة ، وانما يأخذه **كقوة ثورية** آخـــذة في التكون ، فيخاطبه بطريقة تمليها هذه القوة . انه ، بتعبير آخر ، لا ينظر اليه كعادة ، وانما ينظر اليه **كطاقة** .

الشاعر في العلاقة الاولى يموه اغتراب القارىء ، اما في العلاقة الثانية فان الشاعر يكشف عن هذا الاغتراب . الاول يقول له ان ما ترثه من دين ونظم اخلاقية وتقاليد ... الخ ، مجد عظيم لا يضاهى ، والثاني يقول له ان عليك ان تعيد النظر ، جذريا ، في هذا المجد لانه مبعث اغترابك عن ذاتك ، اليوم . الاول يقول له ان طرائق التعبير التي ترثها ذات جمال لا يستنفد ، والثاني يقول له ان هذه الطرائق ، تكتنز اشكال اغترابك ، ولهذا يجب ان تتجاوزها ، بحثا عن طرائق لا تجد فيها عادتك بل طاقتك . الاول يزين له الجمال الموروث ، الجاهز ، والثاني يقول له : اخلق جمالك الخاص — فالجمال يكون ابداعا ثوريا ، او لا يكون .

IX

ان النقد الايديولوجي للشعر يطرح بذاته قضايا غنية كثيرة ، من حيث تناوله النتاج الشعري ، أي من حيث التطور لا من حيث النظرية . ومع ان اطـــار بحثنا لا يسمح بمناقشته ، فلا بد من الاشارة الى اكثرها أهمية مما تفيـــد في اضاءة مسألة التعبير والاتصال ، ويرتبط بها مباشرة . أوجز هذه القضايا فيما يلي :

١ — اذا كان الشاعر يخاطب القارىء كطاقة ، فان هذه الطاقة ليست قوة وحيدة . وانما هي قوة كثيرة متعددة الاوجه . فالشاعر يخاطب القارىء بدءا من تجربته هو لا من تجربة القارىء ، لكن دون أن يعني ذلك ان هناك تناقضا بين التجربتين ، بل بمعنى ان الشعر هو أولا معاناة — يصدر عن ذات تعـــاني . وهكذا قد يخاطب الشاعـــر القارىء من حيث انه طاقة حلم ، او من حيث انه طاقة حب ، او من حيث انه طاقة عمل ، او من حيث انه طاقة استباق وتجاوز ، او من حيث انه هذه القوى جميعا . وطبيعي ان يتغير نوع الاداء بحسب الحالة التي يعانيها ، وان يتغير تبعا لذلك نوع **التلقي** .

وبما أن القارىء العربي ليست له ، اجمالا ، ثقافة غنية ، لا كما ولا نوعا ، فان مستوى المشكلات التي يعانيها هو مستوى مبتذل ، أعني انه سريع وتعميمي . وهو ، عامة ، بعيد عن الآفاق التي فتحتها العلوم والتجارب الانسانية الحديثة . والشاعر الذي يسر له أن ينخرط في هذه الآفاق ، لا بد من أن يتأثر بها في تعبيره ، لذلك لا بد من ان يكتنز شعره بأبعاد حضارية وجمالية يصعب على هذا القارىء ، موضوعيا ، ان ينفذ اليها . واذا كان من نقد يوجه هنا فلا يجوز ان يوجه الى الشعر ، وانما يجب ان يوجه الى **النقص والعجز في العمل التحويلي الثوري العام** .

٢ — اذا صح ان الشاعر يخاطب القارىء من حيث انه **طـــاقة** ، وان هـــذه الطـــاقة كثيرة ، فان ثمة اراء في الكتابة الشعرية تتباين تبعا لتباين الشعراء والنقاد ومتذوقـــي الشعر ، بعامة ، في البنية النفسية والعقلية . ومثل هذا التباين في مجال الحساسية والتعبير عنها قائم حتى بين الشعراء الذين ينتمون الى ايديولوجية واحدة . وهذا يعني ان ثمة تنوعا او تباينا ، على صعيد التعبير الشعري ، ضمن الوحدة الايديولوجية .

غير أن النقد السائد قلما يلحظ هذا التباين . اسأل ، مثلا : هل في الماركسية ما يحول دون ان يخلق الشاعر الماركسي للعشق وابعاده ، او لعوالم الحلم او المســـتقبل او لكشوف العلم معادلا جماليا بالشعر ؟ واذا كان لا يكتب مثلا ، بشكل مباشر ، عن الصراع الطبقي او المنجزات والقضايا السياسية والاجتماعية اليومية ، فهل يعني ذلك انه غير ماركسي ، او أنه مناوىء للجمهور وقيم التقدم ؟

ان التقويم الشعري السائد يعتبر ، مثلا ، ان الشاعر الذي يكتب قصيدة في التأميـــم او هجاء الاستعمار او الاقطاع ، بشكل مباشر ، اكثر ثورية من الشاعر الذي يحاول ان

بخلق للحب ، مثلا ، او للحرية ، او للتفتح الانساني ، الثوري، بمعناه الجذري الشامل، بعدا جماليا بالشعر .

٣ ــ صحيح ان الشعر كجزء من البنية الفوقية مشروط بالبنية التحتية الاقتصادية وعلاقاتها الاساسية .لكن صحيح ايضا ان المشروط غير شروطه. فاذا كان نمو العشب مشروطا بالماء ، فان العشب يظل شيئا اخر غير الماء . فالانسان المشروط بالاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، هو غير هذه الشروط . والا لما استطاع ان يغير الواقع او أن يخلق واقعا جديدا . **وهكذا فان العلاقات الاساسية في البنية التحتية تأطر الشعر وتشحنه ، لكنها لا تخلقه** . الانسان هو الذي يخلق الاقتصاد ويخلق الشعر . ان الشروط تؤثر في كيفية التكون لكنها ليست التكون ذاته وليست الشيء المتكون . وعلى هذا **فان جوهر الانسان ليس في كونه مشروطا ، بل في كونه يفلت من الشروط كلها، ليس في كونه مخلوقا ، بل في كونه خالقا** . فجوهر الانسان هو في انه كائن خلاق مغير. وجوهر الثقافة ، بالتالي ، هو اذن في الابداع المغير .

٤ ــ ان القيم الجمالية الموروثة التي تستعاد بزي جديد، بحيث يرى فيها القارىء صفات زخرفية اغرائية ، فيستهلكها بسهولة ومتعة ، انما هي **وسيلة لتحييد الشعر** ، من جهة ، وهي من جهة ثانية ، **مادة استهلاك** . وكل ثقافة استهلاكية لا يمكن ان تكون عنصر تغيير . على العكس ، ان هذه الثقافة ترتكز الى الثوابت النفسية الموروثة والى ثوابت القيم ، وهي اذن عنصر ترسيخ لما يجب هدمه .

ومن هنا ندرك كيف أن ثقافة الاستهلاك تشارك في ترسيخ القمع والحيلولة دون التحرر . وندرك بالتالي الاسباب التي تجعل الانظمة القمعية تشجع ثقافة الاستهلاك . فهي تشيع الاعتقاد بأن التلبية التي تقدمها هذه الثقافة تطابق حاجات حقيقية ، **فتخلق ، استنادا الى الجماهير وبأسمها ، القيود التي تكبل بها الجماهير . ان الثقافة التي تستعيد القيم الموروثة والتي تشجعها الانظمة ، كثقافة مشروعة وكحاجة ضرورية ، تكشف عن ممارستها الايديولوجية القمعية . انها رمز لقوة كابحة في اتجاه الماضي ، لا رمز لقوة دافعة في اتجاه المستقبل .**

٥ ــ الشكل الحديث يصدم لجدته . وهو ، بجدته نفسها ، تجاوز للراهن ، احتجاج على الصورة الثابتة . وهو ، بهذا المعنى ، ثوري . ان تفجر الشكل عند الشاعر يشير الى الرغبة في الانفصال عن واقع ايديولوجي واجتماعي قمعي . فكل تجديد شكلي يدخل ، بخلاف الظاهر ، في اطار الممارسة السياسية التي تهدف الى تغيير الواقع القائم . **اما ممارسة الشكل الموروث فتهدف الى المصالحة العاطفية والعقلية مع الواقع. وهكذا فان طريقة التعبير هي التي تكشف عن الاتجاه السياسي الصحيح . ان السياسة الرديئة لا تنتج الا الشعر الرديء . ومن هنا لا يمكن ان يكون الاتجاه السياسي الذي تفصح عنه قصيدة ما صحيحا الا اذا كان اتجاهها الفني صحيحا** . ومن هنا كان رفض الحداثة كما تبدو بخاصة في طرق التعبير ، يدل على نزعة محافظة غايتها اما الابقاء على الفصل التقليدي بين الشكل والمحتوى ، واما المزج والمصالحة بينهما بطريقة مزيفة . وهو ما يسود في المجتمع العربي . ولذلك فان ما يسود في هذا المجتمع انما هو **الاعلام الموزون ، واللهو الموزون ، والجمالية الشكلية الموزونة .**

٦ ــ ان اللغة الشعرية القديمة، شأن علاقات الانتاج القديمة، عامل اغتراب وتغريب. ان الشاعر الذي يكتب اليوم بالطرق الشعرية القديمة ، لا يكون مغتربا عن ذاته وعصره وحسب ، وانما يكون ايضا مشاركا في تغريب الانسان . ان شاعرا يؤمن بالثورة ، بتغيير المجتمع جذريا ، لكنه يعبر باشكال نشأت في ظل الاقطاع والتيوقراطية ، يخون الثورة والانسان في آن . انه بهذه الكتابة يطيل أمد الحساسية والقيم الاقطاعية

التيوقراطية ، ويضفي عليها الشرعية الثورية بحيث يوحي ان ثمة لقاء او وحدة بين التيوقراطية والثورة . **وانها لمفارقة غريبة ان نرى اليوم في المجتمع العربي شعراء يؤمنون بالاشتراكية والشيوعية ويعبرون عن ايمانهم بالطرق ذاتها التي عبر بها الشعراء القدامى الذين مجدوا الخلافة والتيوقراطية .**

يجب ، في هذا الصدد ، ان نشير الى امرين : الاول هو ان جدة اللغة الشعرية او ثوريتها تتضمن ، بالضرورة ، نفي اللغة الشعرية القديمة ، والامر الثاني هو ان **هذا النفي جدلي ، فالجديد حين ينفي القديم يكون طالعا ، في الوقت نفسه من هذا القديم ذاته .**

X

يبدو مما تقدم ان الشعر العربي السائد والنقد الشعري السائد والتذوق الشعري السائد ، انما هي جميعا **تنويع على الشعر القديم والنقد القديم والتذوق القديم . بل ان التقويم الايديولوجي الحالي للشعر انما هو نفسه تنويع على التقويم الايديولوجي الاسلامي .**

ان سيادة الانتاج والتقويم ، على الصعيد الجمالي ، انما هي انعكاس لسيادة الثقافة التقليدية ، على الصعيد الايديولوجي ، وسيادة هذه الثقافة نتيجة طبيعية لسيادة العلاقات الانتاجية القديمة .

ومن هنا نقول ، بصيغة أخرى ، ان الجمالية السائدة هي الجمالية الموروثة ، جمالية الخضوع للمعيار . وهي وليدة الايديولوجية الدينية التي تعلم الانسان انه ليس موجودا في طبيعته الخاصة ، وان وجوده الحقيقي انما هو خارج هذه الطبيعة .
وهكذا تبدو الايديولوجية التقليدية السائدة انها دفاع عن استمرار ما لم يعد يحمل الطاقة على الاستمرار ، وانها تضفي على الواقع ما أصبح غريبا عنه ، وانها تفرض عليه ان يتنفس بقلب اصطناعي . انها في التحليل الاخير ، ليست الا تسويغا لقمع الانسان . ولهذا فان هدمها ، وهدم اشكالها الجمالية ، على الاخص ، انما هو اسهام في هدم الاسس التي يقوم عليها هذا القمع خصوصا ان الفرد العربي ما يزال ضائعا على مستويين : عام وخاص ، عام يتصل بالايديولوجية ، وخاص يتصل بمستوى أعمق جذورا ، مستوى الطبيعة . انه ، بتعبير آخر ، يعيش حياتين : عامة لا يستطيع ان يجد نفسه الحقيقية فيها ، وخاصة لا يستطيع أن يحققها بسبب أنواع القمع الكثيرة . ان موروثه الايديولوجي السائد ، متناقض مع حضوره في العالم الراهن ، عالم الحداثة الثورية ، ومقتضياته . وفي هذه الحالة تبدو الدولة نفسها ضائعة ، بل يبدو المجتمع كله ضائعا .

ولا حرية للعربي في هذا الضياع العام الا حرية الخضوع للسلطة السائدة وايديولوجيتها: « نعم » لكل شيء تقوله او تفعله السلطة ، هي المعادل المدني الارضي لـ « آمين » كلمة الخضوع لكل ما يأمر به الله .

ولا يفيد هنا تحرر العربي على الصعيد العام أو السياسي وحده ، مع انه لم يتحرر بعد، وانما يجب أن يتحرر على الصعيد الخاص ، من القمع الخاص . فكل تحرير لا يتناول العام والخاص معا ، في حياة الفرد العربي ، لا يؤدي الا الى مزيد من الاغتراب . ان التحرر السياسي ، بتعبير آخر ، اذا لم يرافقه تحرر من الايديولوجية التقليدية ، ليس تحررا ، ذلك ان **التحرر السياسي ليس التحرر الانساني الكامل (ماركس)** . فالمسألة هي في أن الفرد العربي ليس متحررا داخل ذاته ، هي في انه تقليدي ، داخل ذاته ايضا وليس في العلاقات الاجتماعية ، او خارج ذاته وحسب .

ويبدو ان **العلامة الاولى للجدة الشعرية هي في ايصال الانفصال ، ان صح التعبير ، اي هي في نفي السائد المعمم ، ورفض الاندراج فيه ، والانفصال عن هذا الكل القمعي . فالرفض او النفي هو ، بهذا المعنى ، علامة الاصالة ، الى كونه علامة الجدة** . ذلك انه هو وحده ، بنفيه المظهر المخادع للكل القمعي ، قادر **ان يظهر الطاقة الخلاقة في المجتمع. والنفي هنا هو ، بذاته ، ذو دلالة ايجابية .**

ولا بد من التوكيد هنا على انني لا اقصد ان اعزل الشعر عن الجمهور او الحياة العامة او اقول ان الشعر ظاهرة كافية بذاتها . ذلك ان الشعر مرتبط عضويا بالحياة العامة ، **وهو ، جوهريا ، سياسي** . وانما اريد ان اشير الى ان **الشعر نتاج فعالية عالية** ، ولا ينتج تأثيره الصحيح الا في جمهور يقدر ان يتجاوب مع هذه الفعالية ، اي مع جمهور مسلح بالثقافة الفنية العالية . خصوصا ان الجمهور ، على الصعيد الفني ، هو غيره ، على الصعيد السياسي ، مثلا . **فهو في الفن لا يمكن أن يكون كميا أو عدديا .**

كل رفض للحداثة الشعرية الحقيقية ، بحجة أو بأخرى يتضمن اذن الرغبة في المحافظة على القيم القديمة للغة الشعرية ، سواء ظلت محافظة على الفصل بين المحتوى والشكل ، او مزجت بينهما ، بنمطية توهم بالتغير ، أي بنمطية زائفة .

وهكذا فان رفض الشكل ، الحديث حقا ، انما هو رفض لتفجير الواقع وقيم الثقافة التقليدية : انه توكيد على ان **تبني النمطية الزائفة ، ليس الا وسيلة تستخدمها البنية السياسية الراهنة لتقنيع القمع الذي تمارسه هي ويمارسه الواقع .**

ان استمرار البنية التعبيرية القديمة دليل على استمرار البنية الثقافية الذهنية القديمة. فتحطيم البنية التعبيرية اذن ، وهو ما يبرز فنيا في الشكل ، دليل على الخروج من البنية الثقافية القديمة . وعلى هذا فان تحرير الشكل يكشف عن الرغبة في تحرير المجتمع ، ذلك ان الشكل ، اي الاطار الجمالي ، لا يمثل العلاقات الفنية وحسب ، وانما يمثل كذلك العلاقات الاجتماعية . فالاجتماعي قائم موضوعيا في بنية التعبير ، أي في الشكل. ومن هنا لا تكمن قيمة الشعر في مجرد التزامه السياسي ، وانما تكمن فيما **تطرحه رؤياه ككل ، أو فيما تكشف عنه ككل . وهكذا يصبح الالتزام تعبيرا عن فعالية جمالية كلية ، أي عن رؤيا الثورة الاقتصادية الاجتماعية السياسية في صورها وتجلياتها وابعادها الجمالية . فالالتزام الشعري الثوري هو الالتزام بالكشف لا بالوصف .**

وفي هذا الالتزام ، وحده ، يتحقق تجاوز الثقافة الموروثة ، وتجاوز بنيتها التعبيرية ، وارساء قواعد جديدة لتأسيس كتابة جديدة .

ان في هذا كله ما يشير أخيرا الى ان مشكلات التعبير والاتصال في مجتمع يتحول ، شأن المجتمع العربي ، لا يمكن ان يصل البحث فيها الى الوضوح الكامل ، ذلك انها مشكلات هي نفسها متحولة . ولهذا يصعب التنبؤ بوضع الشعر العربي المقبل . ان مستقبل هذا الشعر رهن بتحرر المجتمع العربي ذاته ، تحررا شاملا ، موضوعيا وذاتيا ، اجتماعيا وفرديا . ولعل القيمة الحاضرة للشعر العربي كامنة في مدى تعبيره عن طاقة التحول في المجتمع العربي واحتضانه القيم والآفاق التي تختزنها هذه الطاقة او تكشف عنهـــا .

خروج محمود درويش :
هل قتل الشاعر أم بعثه ؟

ريتا عوض

يوم الثلاثاء ، في التاسع من شهر شباط عام ١٩٧١ ، وصل محمود درويش فجأة الى القاهرة(١)، وأعلن في مؤتمر صحفي عقده يوم الخميس في الحادي عشر من الشهر نفسه أن القضية التي يناضل من أجلها هي العنصر الذي دفعه « الى اتخاذ موقع جديد وعنصر جديد للجبهة التي أحارب فيها »(٢). وكان محمود درويش يعي أن الخطوة التي اقدم عليها برحيله عن الارض المحتلة « خطيرة »(٣)، ويبدو انه كان يشعر ان هذه الخطوة ستثير التساؤل والنقاش ، لذلك كان مدخله الى تقديم نفسه في هذا المؤتمر الصحفي قوله : « أريد أن أعلن منذ البداية ، انني أعتبر مسألة وجودي في القاهرة مسألة شخصية أتحمل وحدي مسؤولية اختيارها دون تحويلها الى موضوع للمناقشة والاخذ والرد »(٤).

وكان ما تخوف محمود درويش منه ، اذ انبرت أقلام كثيرة لمناقشة « قضية خروجه » من الوطن المحتل . وحملت بعض الصحف والمجلات عليه بشدة ، ورمي بالهروب وبالتخلي عن النضال . وأجلس محمود درويش في قفص الاتهام ، « . . . وتكاد العيون تخرج من محاجرها اصابع اتهام ، وتنطلق الالسنة خناجر في الظهر : لقد تعب من النضال . هرب وخلى الساح والرفاق . لهفي على البطل يصير لاجئا سياسيا »(٥). ولعل المجلة التي قادت حملة التهجم على محمود درويش هي مجلة « الجديد » اللبنانية، التي اتهمت الشاعر بالخيانة العظمى حين اعتبرته « هدية تل أبيب الى القاهرة »(٦)، وقالت ان خيانته « تستحق الاعدام ، والتشهير بمرتكبها ، واحراق كتبه ، وجعل اسمه لا يذكر الا مقرونا باللعنات ، كما يذكر اسم (ابليس) لعنه الله »(٧).

هذا الكلام يعطي فكرة عن طبيعة الحملة التي تعرض لها محمود درويش اثر وصوله الى القاهرة . ولعل الاحكام السريعة التي يلقيها حملة الاقلام تشير الى التضعضع السياسي والاجتماعي والفكري الذي يعيشه العالم العربي ، اذ تؤكد اللامسؤولية التي وقع فريسة لها من يفترض فيهم أن يكونوا أكثر الناس مسؤولية وهم رجال القلم . ولعل هذا التضعضع يتضح في اختلاط المعايير ، وضياع القياس الحتمي الصحيح مما يسمح أن يعتبر الانسان الواحد مناضلا وخائنا في الوقت نفسه .

من الواضح أن من اتهم محمود درويش بالخيانة لم يكن ينظر الى الشاعر فيه ، بل الى المناضل الذي تخلى عن موقع نضاله . وقد قالها بعض مهاجميه صراحة « فما كان الذي يعنينا من أمر محمود درويش انه شاعر ، وان الصحيح أن نقول ان الذي يعنينا من شعره انه محمود درويش »(٨). وقد كانت هذه النظرة غالبة ، الى حد بعيد ، على جانب كبير مما كتب في محمود درويش وزملائه من شعراء الارض المحتلة ، اذ ظل هذا النقد محصورا في الناحية السياسية ولم يتجاوزها الى الناحية الفنية في نتاجهم الشعري .

ولعله يصح ان نعتبر ان ما يقوله الشاعر نزار قباني يقع في هذا الاتجاه حين يقرر « ان اهمية شعراء المقاومة تنبع من كونهم تحولوا في أذهاننا الى رموز . وعلى هذا الاساس نفهمهم ونرحب بهم كمحاربين دون ان نتدخل في تفاصيل ملابسهم وطراز بنادقهم وعدد الازرار في معاطفهم العسكرية . ما دام شعراء المقاومة في فلسطين المحتلة يطلقون الرصاص في صفوفنا فاننا نرحب برصاصهم ... أما بقية التفاصيل الجمالية والفنية فليس هذا وقتها ... »(٩). ويقع في الاتجاه نفسه قول ادوار البستاني ، « فنحن ميالون — عندما نعالج فعالية أدب المقاومة في فلسطين المحتلة — الى ان نتخطى القواعد الجمالية الشكلية وأن نضحي ببعض متارف الشعر ، لننتقل رأسا الى الطاقة الحيوية والثورية التي يمكن لهذا الادب ان يفجرها في بيئته الضيقة أولا ، ومن ثم في الضمير الانساني على النطاق الاوسع »(١٠).

ويتوجب علينا ان نسجل ، ان فريقا آخر من النقاد اهتم بالناحية الفنية لشعر المقاومة وحاول ابرازها ، كما نلاحظ من الاستفتاء الذي أجرته مجلة « الطريق » مع بعض النقاد حول هذا الشعر ، حين طرحت السؤال : « كيف تقيمون الدور الوطني والاجتماعي والجمالي الذي أداه شعر المقاومة في فلسطين المحتلة ؟ »(١١). ولعل النظرة الاقرب الى الصواب هي تلك التي جعلت قيمة هذا الشعر الفنية توأما للتجربة النضالية التي ولدته؛ فلا يعود هناك فاصل بين حدس وتعبير . ومن ذلك قول الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي مخاطبا محمود درويش : « فأنت شاعر مجيد لانك شاعر مناضل . هذه هي فرسك كما عودتها . لن يستجيب لك الشعر الا وأنت على تلك الفرس الخطرة . وانت تسلحت بنظرية ثورية ، وتربيت في حزب ، وسوف ينتظر الناس وننتظر نحن أيضا ، في أي شيء تختلف تجربتك أنت — وقد صرت وحدك — عن تجارب الذين لا يملكون هذا التراث »(١٢).

هذا الحديث يطرح قضية الالتزام ، حيث يصبح الشعر والنضال وجهين لحقيقة واحدة ، ولا يكون هناك شعر الا بالتجربة النضالية التي ولدته. وهنا يكون الالتزام فرسا خطرة، لان على الشاعر أن لا يستسلم للفرس الهائجة تقذفه كما تشاء فيقع . بل عليه ان يروض هذه الفرس ، وأن يكون هو المسيطر عليها ، فينطلق بها كيفما أراد . لذا فالالتزام الصحيح ليس انسياقا مع عقيدة تفرض على الشاعر ، بل هو فعل حرية ؛ بمعنى ان الشاعر يعود بنفسه فيكتشف العقيدة التي تصبح جزءا من ذاته لا سلاسل خارجية تقيده .

من هنا نجد اجابة على السؤال : هل محمود درويش مناضل أم شاعر ؟ حيث لا يعود هناك مجال لفصل بين الشعر والنضال . ومن هنا يكتسب خروج محمود درويش من الارض المحتلة خطورته ، اذ أن التجربة النضالية هي التي خلقت الشاعر الملتزم . وقد وعى محمود درويش هذه الحقيقة فقال : « ومن هنا لم يعد من حقي التصرف كمسافر او سائح ، ولهذا السبب أشعر انني مطالب أمام الرأي العام بتوضيح هذا ، وسأقدم تحديدات عامة لاتابع بعدها طريقي »(١٣).

ولكن النضال لا يرتبط ببقعة جغرافية ، بل هو في الاساس موقف ، والاحتلال الصهيوني لا يختص بفلسطين فحسب ، بل هو قضية الامة العربية بأسرها ، المهددة حضاريا في وجودها واستمرارها . ويلوح لي ان خروج محمود درويش من الارض المحتلة مرتبط بايمانه بوحدة مصير هذه الامة اذ يقول : « انني أحدق في أعماق نهر النيل وأرى رحلة التاريخ الصاعدة دائما ، وأسمع خرير الاردن وبردى والفرات في نغم واحد تتدفق على الرغم من الركود المؤقت الذي لن يستمر طويلا »(١٤). لذا لا يعود خروج محمود درويش من فلسطين المحتلة هروبا بالضرورة ، بل يمكن أن يشكل تغييرا لموقع

النضال . ولن يكون الحكم في المستقبل الا لتجربة الشاعر النضالية والقومية ، التي لن يكون شاعرا لولاها .

ويلاحظ ان الموقف السياسي الذي يرى في الاحتلال الصهيوني تحديـا للامة العربية بأسرها يلتحم مع موقف آخر فني يجعل من الشعر الذي يكتب في ظل الاحتلال انبثاقا من التراث الشعري العربي ، ومواكبة للشعر العربي المعاصر الذي يكتب في بقية اقطار العالم العربي . ولكن معظم الذين تعرضوا لنقد الشعر العربي في فلسطين المحتلة لم يحاولوا أن يربطوه بتيار الشعر المعاصر في الوطن العربي ، بل نظروا اليه من حيث هو ظاهرة قائمة بذاتها . فلم يستطيعوا أن يجدوا له مكانا في سلم الشعر الحديث ، مع ان الشعراء الفلسطينيين اعتبروا ان شعرهم جزء لا يتجزأ من الشعر العربي المعاصر، وانهم تلامذة للشعراء العرب القدماء والمحدثين ، فقال محمود درويش : « وشعرنا ليس ندا أو بديلا للشعر العربي المعاصر .. انه جزء غير متجزىء منه ورافد من روافد النهر الكبير . لقد تربينا على أيدي الشعراء العرب القدامى والمعاصرين ، وحاولنا اللحاق بأسلوب الشعر الحديث بعد أن تعرفنا على رواد هذا الشعر في العراق ومصر ولبنان وسوريا ، ونحن لا يمكن الا ان نعتبر انفسنا تلامذة لاولئك الشعراء »(١٥).

كما أكد سميح القاسم موقفا مماثلا في قوله : « أعتقد ان شعرنا جزء لا يتجزأ من الحركة الشعرية العربية ، تأثر بها وتفاعل معها ، والملامح الخاصة به تقابلها الملامح الخاصة بالشعر الجزائري أو الملامح الخاصة بالشعر العراقي مثلا . ومن الطبيعي ان كل عمل شعري يتأثر بالبيئة الضيقة التي يعيش فيها بالاضافة الى تأثره بالبيئة العربية الواسعة وبالعالم وأية مرحلة قادمة ستكون جزءا من الحركة الشعرية العربية في مسيرتها بكافة انجازاتها ونكساتها أيضا »(١٦).

ولعل السبب في عدم ربط هذا التيار الشعري بجذوره العربيـة وتضخيم صورته في الاذهان عائد الى أن من تعرضوا لنقده لم يستطيعوا التحرر من النظرة السياسية او العاطفة الوطنية عندما اكتشفوا فجأة بعد هزيمة عام ١٩٦٧ ، ان هناك حركة شعرية في الارض المحتلة، لا سيما وان الامة العربية كانت خارجة من هزيمة عسكرية وسياسية رهيبة أفقدتها توازنها لبعض الوقت ، ودفعت الشعب الى البحث عن ابطال يملأون الفراغ الذي خلفه الابطال المهزومون، ويعوضون عن الهزيمة النفسية التي كان الشعب العربي يعاني منها ، فوجد في الشعراء الفلسطينيين الذين يقاومون الاحتلال الصهيوني بالكلمة ، تعويضا عن الهزيمة العسكرية .

وقد أحس محمود درويش ، وهو في الارض المحتلة ، بخطورة موقف هؤلاء النقاد فكتب مقالة بعنوان « انقذونا من هذا الحب القاسي » في مجلة « الجديد » التي تصدر في فلسطين المحتلة في حزيران عام ١٩٦٩(١٧). ولكن السنتين الماضيتـين شهدتا موجة انحسار في الاهتمام بالشعر الذي يكتب في الوطن المحتل كما لاحظ ذلك محمود درويش نفسه(١٨). ويبدو أن السبب فيه هو أن هذه الفترة شهدت ارتفاعا ملحوظا في العمليات العسكرية التي تقوم بها الثورة الفلسطينية في الارض المحتلة ، مما ساعـد الشعب العربي على استعادة ثقته بنفسه والاستعاضة بأبطال الفداء والاستشهاد عن « أبطال الكلمة ». وأحسب ان الظروف السياسية التي ارتفعت بالشعر الفلسطيني هي الظروف نفسها التي أسقطت الكثير منه ، ولم يصمد في الحالة هذه غير الشعر الذي يتمتع بمستوى فني جيد ، تحله قيمته الفنيـة مكانـا في سلم الشعر العربي المعـاصر ، هو موضعه الحق .

من هنا لا يفقد شعر محمود درويش هويته خارج فلسطين المحتلة لانه ينتمي الى التيار الشعري العربي الكبير . ولا يفقد هذا الشعر صفته النضالية خارج الارض المحتلة لان قضيته تخطت المنطقة الجغرافية المحتلة ، واكتسبت بعدا عـربيا قوميا بل وعالميـا

انسانيا . لذا لا يعود « خروج » محمود درويش من الارض المحتلة هو المحك لقياس شاعريته ، بل المحك هو في استمرارية تجربة الشاعر النضالية ، وفي ارتقاء شعره فنيا . فيغدو تقويمنا لقضية خروج الشاعر معتمدا على هذين العنصرين اللذين هما في حقيقتهما وجهان لحقيقة واحدة . فتصبح عودتنا الى نتاج محمود درويش الشعري أساس حكمنا عليه ، فننظر كيف أثرت الفترة التي عاشها خارج الارض المحتلة في تجربته النضالية ، وكيف تجلت هذه التجربة في صورتها الفنية ؟ وهل يشكل ديوانه الاخير « أحبك أو لا أحبك » ، الذي كتب قصائده بعد خروجه ، تطورا في مسيرته الشعرية ؟ وكيف ؟

انبثقت تجربة محمود درويش النضالية والفنية من قضية طرحها بقوله : « كيف أوفق بين شق الطريق أمام الكلمة لتمارس مفعولها بين الجماهير بصفتها كلمة ثورية من ناحية ، وبين متطلبات الشروط الفنية المتطورة لهذه الكلمة ؟ »(١٩) . هنا يطرح الشاعر قضية الالتزام في الادب : فالشاعر الملتزم يسعى الى ايصال نتاجه للجماهير شرط ألا يضحي بالمستوى الفني لهذا النتاج . كيف عالج محمود درويش هذه القضية ، وكيف تطورت نظرته اليها خلال مسيرته الشعرية ؟

تقع مسيرة محمود درويش الشعرية ، على ما أرى ، في مراحل ثلاث : تشمل الاولى الفترة التي سبقت حرب حزيران . وتمتد الثانية في السنوات التي تلت الحرب وحتى قرار الشاعر بالخروج نهائيا من فلسطين المحتلة . وتتمثل الثالثة — التي تمتد حتى اليوم — في المدة التي قضاها خارج الوطن المحتل ، وجاء ديوانه الاخير « أحبك أو لا أحبك » صورة عنها .

أصدر محمود درويش في المرحلة الاولى مجموعات شعرية ثلاث هي : « عصافير بلا اجنحة » عام ١٩٦٠ ، و« أوراق الزيتون » عام ١٩٦٤ ، و« عاشق من فلسطين » عام ١٩٦٦ . وشهدت هذه المرحلة انضمام الشاعر الى الحزب الشيوعي في عام ١٩٦١ ، بعد أن قرأ مبادىء الماركسية وتأثر بها : « وصرنا نقرأ مبادىء الماركسية التي أشعلتنا حماسا وأملا ، وتعمق شعورنا بضرورة الانتماء الى الحزب الشيوعي الذي كان يخوض المعارك دفاعا عن الحقوق القومية ودفاعا عن حقوق العمال الاجتماعية . وحين شعرت اني أملك القدرة على أن أكون عضوا في الحزب دخلت اليه في عام ١٩٦١ ، فتحددت معالم طريقي وازدادت رؤيتي وضوحا وصرت أنظر الى المستقبل بثقة وايمان . وترك هذا الانتماء آثارا حاسمة على سلوكي وعلى شعري »(٢٠) .

ولكن التزام الشاعر سبق انضمامه الى الحزب الشيوعي ، اذ انعكس هذا الالتزام في ديوانه الاول « عصافير بلا أجنحة » الصادر قبل سنة من تاريخ انتماء الشاعر الحزبي . وقد عبر محمود درويش في هذا الديوان عن تجربة هي وليدة « الحب .. والعذاب .. والكفاح .. والثورة .. والالم .. والنداء المبحوح القادم من البعيد .. من البعيد .. »(٢١) فاختص جانبا من قصائد الديوان بالقضية النضالية ، وأفرد الشاعر الجانب الاكبر من قصائده للغزل . وظلت قصائد الديوان ، وبخاصة ما ارتبط منها بالقضية النضالية ، خطابية مباشرة ، التزم فيها الشاعر عمود الشعر الكلاسيكي ، كقوله مثلا :

لا تلمني ! اشعل الحقد دمي ... وحنيني في عروقي يتضخم !
لا تلمني انها ارضي تبكي ... أطيق الصمت والام تالم ؟!
انها أمي ولا اعرفها ... ايها الافق الذي حولي تضرم
انا جيل لست وحدي ثائرا ... قد تعاهدنا على ان نتقدم !

لكن الانتماء الحزبي انتقل بالشاعر ، على حد تعبيره ، من « سمة (الثوري الحالم)

الى الثوري الاكثر وعيا »(٢٣) كما يظهر في ديوانه الثاني « أوراق الزيتون » ١٩٦٤ ، اذ انطلقت التجربة التي ولدته من تمسك الانسان الفلسطيني بهويته العربية في ظل سياسة التهويد التي اعتمدتها السلطة المحتلة . ويقول محمود درويش : « وتشيع في جو الديوان رائحة الريف ، وآلام الناس ، والتغني بالارض والوطن والكفاح والاصرار على رفض الامر الواقع ، وحنين المشردين الى بلادهم ، ومحاولة العثور على مبرر لصمود الانسان أمام مثل هذا العذاب »(٢٤). ويتضح ، في هذا الديوان ، تأثر الشاعر بانتمائه الى الحزب الشيوعي حيث يضع للشعر وظيفة مساعدة العمال والفلاحين والمكافحين ، فيقول :

لو كانت هذي الاشعار
ازميلا في قبضة كادح
قنبلة في كف مكافح !
لو كانت هذي الاشعار !
لو كانت هذه الكلمات
محراثا بين يدي فلاح
ومنجلا .. أو بابا .. أو مفتاح !
لو كانت هذي الكلمات(٢٥).

ولم يكن محمود درويش ، في هذه المرحلة ، يعاني قضية التوفيق بين ايصال الشعر للجماهير وبين المحافظة على سمو المستوى الفني ، لانه كان يعتقد ، حينئذ ، بضرورة تبسيط الشعر كي يؤدي وظيفته بين الجماهير . فجاءت قصائد « أوراق الزيتون » مباشرة خطابية في مجملها . يقول :

قصائدنا ، بلا لون
بلا طعم .. بلا صوت !
اذا لم تحمل المصباح من بيت الى بيت !
وان لم يفهم « البسطا » معانيها
فاولى ان نذريها
ونخلد نحن .. للصمت !!(٢٦)

وفي عام ١٩٦٦ صدر ديوان الشاعر الثالث « عاشق من فلسطين » حيث عبر محمود درويش عن تجربة نضالية قاسية ، اذ أن « القسم الاكبر من الديوان كتب في السجن أو عن السجن »(٢٧). ولعل الفترة التي قضاها الشاعر في السجن أتاحت له فرصة التأمل ، وبالتالي المزج بين رافدين رفدا ديوانيه السابقين ، هما الغزل والتغني بالوطن. فاتحدت في بعض قصائد هذه المجموعة المرأة بالارض ، وأصبح التغزل بالمرأة غزلا بالارض والوطن كما في قوله مثلا :

يود الثغر لو يمتص عن شفتيك
ملح البحر .. والزمن ..
يود .. يود .. لكني
وراء حديد شباكي
أودع وجهك الباكي
غريقا فوق دم الشمس مهدورا على الافق(٢٨).

وقد توهجت رؤيا الشاعر خلال انعزاله في السجن « لان السجن » ، على حد قوله ، « لم يبعدني عن الناس والاشياء والقضية ، وانما جعلني أهضمها بشهية ونهم »(٢٩). وشهدت هذه المجموعة الشعرية تطورا في مفهوم الشاعر للالتزام ، عبر عنه محمود

درويش بقوله : « ولعل التزامي هنا لم يعد مبدأ او وجهة نظر او طريقة ، وانما صار نبضا في الدم »(٣٠). كما شهدت تطورا في تعبير الشاعر الفني ، حيث خرج في معظم قصائد الديوان عن عمود الشعر الكلاسيكي . يقول درويش : « وهكذا ، أرى اني خطوت خطوة نحو المزج بين الاشياء مما استدعى صيغة أكثر مرونة تتسع لحركة المزج، أسفرت عن انزال ضربة ، غير مقصودة لذاتها ، ببناء القصيدة الكلاسيكي . وقد حدث ذلك بما يشبه التلقائية ، اذ لا خيار لك وسط هذه الحركات والرموز في ان « تقرر » شكلا ما فالعملية هنا هي التي اخذت اطارها وشكلها »(٣١).

ثم كانت المرحلة الثانية من مراحل مسيرة محمود درويش الشعرية، حيث عانى الشاعر هزيمة حرب حزيران ، فتعمدت تجربته الشعرية بالنار وبالدماء ، فجاء ديوانه « آخر الليل » ١٩٦٧ ، الذي كتب قصائده بعد الهزيمة ، اكثر اعماله الشعرية نضجا حتى هذه الفترة ، وأرفعها من الناحية الفنية . ويعبر محمود درويش عن تجربته الشعرية في هذه المرحلة بقوله : « وأنا شخصيا ، وانا قابع في السجن تعطلت اعصابي . وبعد خروجي لم اجرؤ على القيام بمحاولة الكتابة ، لان التشنج والرؤية الغارقة في الدم والحروق لم تتح لي بلورة المدخل الذي سأنفذ منه الى مثل هذا الموضوع المهلك ... بعد شهور وجدت نفسي اكتب بهدوء ظاهري هذه القصائد التي يحتويها ديوان « آخر الليل » وقد سهّل علي العملية ، الى حد ما ، ادراكي انه لم يتبق لي شيء الا العقيدة والكلمة . فلماذا تسقطان ؟ وهما وسيلتاي للصداقة مع الحياة والتعويض الباقي . لقد استطعت في هذه القصائد ، واقول ذلك بنبرة فخر ، ان انقذ انسانيتي من الموت ، في تلك الفترة العنيفة التي هددت انسانية الانسان بأفدح الاخطار . وعندما انفجر الحلم ، وجدت اني ما زلت متشبثا بانبل تراث : انسانيتي »(٣٢). من هنا استطاع الشاعر ان يقف بتحد امام الموت ، رافضا ان يكون جزءا من الماضي الميت ، ومنطلقا برؤيا جديدة للبحث عن شعر جديد . لذلك كان الموت الذي أحاط بالشاعر سبيلا الى ولادة جديدة اكتسبها في هذا الديوان ؛ يقول :

وليكن
لا بد لي أن ارفض الموت ،
وان كانت أساطيري تموت
انني أبحث في الانقاض عن ضوء وعن شعر جديد
آه .. هل أدركت قبل اليوم
ان الحرف في القاموس يا حبي بليد(٣٣).

هكذا انتصر الشاعر على الموت بالعقيدة ، دون ان تتدخل عقيدته بشكل ظاهر ، اذ لم تعد القصائد نظما لشعارات سياسية ، يقول محمود درويش : « وفي الحوار القاسي او الصراع بين الموت والحياة انتصرت على الموت دون ان اجعل ايديولوجيتي تتدخل ظاهريا »(٣٤) من هنا كان التطور في مفهوم الشاعر للالتزام ، فأصبح الانتماء الحزبي تجربة تغني رؤيا الشاعر ، فكفت القصيدة عن كونها خطبة سياسية ، وخرجت صور الطبيعة في « آخر الليل » عن محدوديتها ، وتعددت دلالاتها فاكتسب بعضها دلالات رمزية ؛ كقوله مثلا :

كان الخريف يمر في لحمي جنازة برتقال
قمرا نحاسيا تفتته الحجارة والرمال
وتساقط الاطفال في قلبي على مهج الرجال
كل الوجوم نصيب عيني .. كل شيء لا يقال ..
ومن الدم المسفوك اذرعة تناديني تعال !(٣٥)

هنا لا يغض التزام الشاعر من مستوى القصيدة الفني ، بل تسمو القصيدة فنيا بمفهوم الشاعر الجديد للالتزام .

لكن تطور مفهوم محمود درويش لمعنى الالتزام طرح امامه قضية جديدة : كيف يستطيع الشاعر الملتزم ان يصل بنتاجه الشعري الى الجماهير ، ويحافظ في الوقت نفسه على مستوى فني رفيع للقصيدة ؟ يقول درويش: «ولكن «اخر الليل » الذي اعتبره افضل ما كتبت ، استقبل بفتور علني من أغلبية القراء في بلادنا . وقال لي عشرات من المثقفين : يا محمود ! عد الى الوراء . اذا كان هذا هو التقدم الفني فليتك لم تتقدم ؛ وقيل لي بشفقة : «ليتك لم ترحل عن القرية .. هذا الشعر غير مفهوم» ...من المكابرة ان اقول اني لم أشعر بعذاب نفسي . هل يترتب علي ، لكي لا ينقطع التفاعل بين شعري وبين الناس ، ان اعود الى التعبير المباشر ، والحث الصريح على الكفاح والتمسك بالامل والعقيدة ؟ ... ان هذه الاسئلة تشغل بالي بشكل ملح ، وخاصة انني اعتبر نفسي شاعرا ثوريا يخاطب الجماهير ويلتزم بقضية الجماهير ويكتب من اجل الجماهير »(٣٦). والاجابة ، في رأيي ، هي أن على الشاعر أن يروض القراء على تلقي الشعر الجيد الذي لا يخضع لسهولة التعبير المباشر ، لا ان يستجيب للسهولة المبتغاة ، وبذلك يتحمل الشاعر الملتزم بالاضافة الى مسؤولية النضال والتعبير ، مسؤولية النهوض بالذوق العام ، والانتقال به من طور القصيدة الكلاسيكية الخطابية الى القصيدة الحديثة التي لا تستسلم للخطابية والمباشرة .

لم ينشر محمود درويش مجموعة شعرية قبل ديوانه « العصافير تموت في الجليل » الصادر عن دار الاداب في حزيران عام ١٩٧٠ . وان كانت قد « أصدرت » للشاعر ثلاثة دواوين لم يختر قصائدها ولا عناوينها : اثنان منها عام ١٩٦٩ ، حمل احدهما عنوان « حبيبتي تنهض من نومها » ، والثاني عنوان « يوميات جرح فلسطيني » ، وثالث عام ١٩٧٠ حمل عنوان « الكتابة على ضوء بندقية » . وقد كانت هذه الدواوين تجميعا لقصائد مختلفة ظهرت للشاعر في المجلات والجرائد ، لا تربطها تجربة واحدة ولا زمن متقارب ، وتكرر بعضها في اكثر من مجموعة شعرية ، وشاعت فيها اخطاء كثيرة مختلفة(٣٧).

وقد أشار محمود درويش الى هذه القضية في مقابلة اجرتها معه مجلة الاداب حين قال: « لست متحمسا للطريقة التي تنشر فيها كتبي في بيروت . اني اسمع عن صدور كتب لم أصدرها . لماذا ؟ لم أمت بعد ، عندما أموت افعلوا بي ما تشاؤون ، ولكن الان دعوني اعمل على مهلي . دعوني اكتب في الظل ، واتركوا لي ان اقرر متى اخرج الى الضوء . وارجو ان يكون لي الحق في مطالبة النقاد بالا يحاسبونني الا على ما أصدره أنا . ولذلك من الضروري ان اقول اني لم أصدر منذ مجموعة « آخر الليل » الصادرة في كانون الاول ١٩٦٧ الا مجموعة واحدة هي « العصافير تموت في الجليل » . ومع ذلك اريد أن اشكر الناشرين الذين يهتمون باعمالي . ولكنه شكر مشوب بالعتاب الودي »(٣٨).

لهذا السبب لن أتوقف عند هذه المجموعات الشعرية ، بل عند ديوان « العصافير تموت في الجليل » ، الذي صدر خلال اقامة الشاعر في موسكو ، وكتبت معظم قصائده عام ١٩٦٩ ، عندما وصلت القضية الفلسطينية الى ذروة تأزمها : فالعدو الصهيوني يضم الاراضي التي احتلت ، ويواصل ارهابه اليومي ضد الشعب الفلسطيني ، والعالم يتفرج على المجازر المتواصلة ولا يحرك ساكنا ، والثورة الفلسطينية تواصل عملياتها العسكرية لتحرير الوطن المغتصب . وقد انطلقت تجربة محمود درويش الشعرية من هذا الواقع ، فقال في التعبير عن تجربته الشعرية في هذا الديوان : « دم على الطرقات وفي كل الحدائق ... وعلى مرايا العالم ، والحقيقة تأخذ شكل المذبحة . والضحية مطالبة باثبات براءتها ، ولا قاض الا الموت . هل استطاع وطني ان يملك الا حريته في

ان يموت كما يشاء ؟ الموت هو البطاقة التي يقدم بها وطني نفسه الى العالم . فاتخذ لك موقفا من الموت الاختياري . ان مجموعة « العصافير تموت في الجليل » غارقة في التعامل مع الموت الذي ليس موتا في جوهره »(٣٩).

شهدت هذه المرحلة تطورا جديدا في مفهوم محمود درويش للشعر الملتزم ، اذ اصبحت رسالة الشاعر أقرب ما تكون الى الكشف حيث أصبح الشعر رؤيا للمستقبل . يقول : « وسنعرف الان ان الشعر هو رؤية ثورية للحاضر ورؤيا للمستقبل . ولماذا نكتب ؟ لاننا جديرون بانتمائنا الى الحياة ومحتاجون الى الاحساس الدائم بهذه الجدارة »(٤٠). هذا، على ما أرى ، هو التفهم الصحيح لمدلول الالتزام في الشعر ، حيث لا يعود الشعر الملتزم صورة فوتوغرافية للواقع بل كشفا للمستقبل ، فيصبح الشاعر نبي الثورة التي ستخلق الغد الافضل . من هنا جاء هذا الديوان بداية تحول واضح في مسيرة محمود درويش الشعرية ، فقد تخلص الشاعر نهائيا من القصائد العمودية ، واستطاع — الى حد كبير — ان يتخلص من الخطابية والمباشرة اللذين طبعا دواوينه الاولى ، واكتسبت صوره الشعرية دلالات رمزية تخطى فيها جميع مجموعاته الشعرية السابقة؛ يقول مثلا:

في الحلم ، ينضم الخيال اليك ،
يرتد المغني
عن كل نافذة . ويرتفع الاصيل
عن جسمك المحروق بالاغلال
والشهوات والزمن البخيل
نامي على حلمي . مذاقك لاذع .
عيناك ضائعتان في صمتي
وجسمك حائل بالصيف والموت الجميل .
في آخر الدنيا اضمك
حين تبتعدين ملء المستحيل(٤١).

ثم كانت المرحلة الثالثة من مراحل مسيرة محمود درويش الشعرية ، التي شهدت تجربته الكبرى بخروجه نهائيا من فلسطين المحتلة ولجوئه الى مصر ، في شباط عام ١٩٧١ . ولا يصح الاعتبار ان تجربة محمود درويش الشعرية تساوت مع تجارب غيره من الشعراء العرب بعد خروجه من فلسطين المحتلة ، لانه اصبح ، مثلهم ، ينظر الى القضية من الخارج . ذلك ان خروج محمود درويش من فلسطين ، في رأيي ، لم يمح تجاربه التي عاشها في ظل الاحتلال ، بل ان تلك التجارب قد اتسعت الان لتشتمل على نظرة جديدة لا تلغي الاولى بل تغنيها . وهذا ما قصد اليه محمود درويش في مؤتمره الصحفي الذي عقده بعد يومين من وصوله الى القاهرة ، حين قال : « ولست اول مواطن او شاعر يبتعد عن بلاده ليقترب منها »(٤٢).

وقد اغتنت تجربة محمود درويش النضالية بعد سنة عاشها في العالم العربي ، اكتشف خلالها سر الهزائم العربية ، عندما كشف احتكاكه بالواقع المهترىء ، ستار التمويه الذي فرضه هذا الواقع حول نفسه . يقول محمود درويش : « عندما كنت في اسرائيل كان صعبا علي ان افهم بشكل مباشر سر الهزائم العربية لان خيالي كان يتعامل مع ارقام كبيرة . مع واحد وعلى يمينه ثمانية اصفار . وهذا التعامل مع الارقام كان يبعدني عن حقيقة مضمون هذا الرقم الكبير . كنت مقتنعا بأن المعركة في الشرق الاوسط هي معركة بين قوى التحرر وبين قوى أجنبية ومحلية تعيق هذا التحرر . لا زال هذا التحديد صحيحا ، ولكن في الاطار الواسع للكلمة . ان حركة التحرر تعترضها معارك داخلية أشد خطورة . انها مليئة بالمناهج القبلية المغرقة في التخلف الفكري والسياسي . لم تتخذ حركة التحرر مسارا واحدا ، وربما يتضح لنا بعد قليل ان الكثير من فرضياتنا

السابقة كانت خاطئة . نحن الآن بدأنا الشك في قدرة العسكر على تحقيق منجزات اجتماعية . ان بعض الدول العربية تحكمها احذية عسكرية تحت ستار التقدم والاشتراكية والتحرر . وعندما تعيش في العالم العربي تدخل في تفاصيل الصورة . هذا هو الفارق بين النظرة من بعيد والنظرة من قريب . باسم التقدم تحارب محاولات خلق صيغة ثورية للتقدم ، ونضرب على سبيل المثال المقاومة الفلسطينية . ان اعداء المقاومة ليست الرجعية فقط . كنت اعرف العالم العربي في السابق عن طريق الاذاعة . وليست هناك في العالم اذاعة تقول الحقيقة . ان الاذاعة هي تعبير مهذب عن كذبة شرعية او مشروعة . انا الآن لا أسمع الاذاعة . ولكنني أرى . ارى ان المعركة هي آخر ما يشغل اغلبية الحكام العرب . انهم يخوضون فعلا معركة ويخوضون فعلا حربا، ليس ضد الغزاة ، ولكن ضد المواطنين . وباسم المعركة مع العدو يقمع كل صوت داخلي »(٤٣) .

من هنا اكتسبت تجربة محمود درويش النضالية بخروجه من الارض المحتلة بعدا جديدا ، اذ أصبحت علاقته بالعالم العربي علاقة معايشة يومية ، كشفت له أسرار الهزائم العربية المتواصلة . فاذ الهزيمة أكثر من ضعف في التخطيط العسكري ، او مفاجأة عسكرية غير متوقعة . فهي في أساسها ، نتيجة للتخلف الحضاري الذي تعاني الامة العربية منه ، والمتمثل في غياب الفكر الاصيل الموجه ، والانسياق الجماهيري المتهور وراء قيادات تقليدية اثبتت انهيارها عبر الهزائم المتلاحقة ، وظلت مومياء محنطة جالسة حيث كانت قبل أن تموت . ولعل هذا التخلف الحضاري يتمثل في انتصار صور الجمود والتحجر على كل صوت او فعل يسعى الى تغيير الواقع والمطالبة بتخطي الهزيمة بفعل يتعدى الخطب الحماسية . (ولعل ضرب الحركة الطلابية التي شهدتها شوارع القاهرة في السنتين الماضيتين ، والتي طالبت برفض المساومات والتنازلات والاتجاه الى الفعل لا الكلام ، واتهام الطلبة الذين فجروا هذا التحرك بالخيانة ، دليل على صحة ما نذهب اليه) . من هنا تقع على كاهل المناضل خارج الارض المحتلة ، مسؤوليات قد تكون أكبر من مسؤوليات المناضل في ظل الاحتلال . فعلى المناضل في الخارج تقع مسؤولية حضارية تتمثل في النهوض بالحضارة العربية ، والانتصار على أسباب التخلف والانهيار ، وبناء المجتمع العربي الجديد القادر على مجابهة العدو ، فضلا عن مسؤولية التحرير .

من هذه التجربة الجديدة ، مضافا اليها ، تجربة الشاعر في المعاناة والنضال في ظل الاحتلال الصهيوني ، وآلام الغربة والحنين الى الوطن ، انطلقت قصائد مجموعته الاخيرة « أحبك أو لا أحبك » ، التي صدرت عن دار الآداب في بيروت في شباط عام ١٩٧٢ ، وكتبت قصائدها بين عامي ١٩٧٠ و١٩٧١ في موسكو والقاهرة . وقد عمقت الغربة والحنين الى الوطن مأساة الشاعر ، فاستطاع ــ على اغترابه عن وطنه ــ ان يتحد بهذا الوطن ، بينما لم يستطع الوصول الى هذه المرحلة في أي من قصائده التي كتبها في فلسطين المحتلة . ويعتبر اتحاد الشاعر بالوطن سمة من ابرز السمات التي يتميز بها ديوانه الاخير « أحبك او لا احبك » .

يتألف هذا الديوان من قصيدة طويلة في سبعة عشر نشيدا بعنوان « مزامير » واحدى عشرة قصيدة اخرى . ونلاحظ ان محمود درويش اختار « مزامير » عنوانا لقصيدته الطويلة ، وكأنه يصلي لوطنه كما صلى داود لربه . وقد قرأ محمود درويش التوراة باللغة العبرية وتأثر بها ؛ قال : « وانا شخصيا أشعر بأن تأثير اللغة العبرية عليّ قادم من منطقة بعيدة في التاريخ هي منطقة التوراة ... ولهذا فأنا لا اخشى التوراة كأثر أدبي وان كنت أرفضها كتعاليم لان فيها فصولا مغرقة في العنصرية . اما من الناحية الاخرى ، فتحتوي التوراة على صفحات مشرقة ومغرقة في الشاعرية والبناء

الاسطوري والبناء الملحمي . انني أشارك ناظم حكمت الرأي بأن نشيد الاناشيد هو اعظم كتاب حب في تاريخ الشعر ... »(٤٤). وقد استطاع محمود درويش في مزاميره ان يتخطى الصلاة للمعشوق الى نوع من الاتحاد معه ، فصارت الارض جزءا من كيانه، ودما يمده بالحياة ، فيقول :

اريدك ، او لا اريدك —
ان خرير الجداول . ان حفيف الصنوبر
ان هدير البحار . وريش البلابل محترق في دمي — ذات
يوم اراك ، واذهب(٤٥).

هنا تتجسد قضية الشاعر في نزوحه عن وطنه : هل كان نزوحه هروبا ؟ لا . لان الوطن لم يعد صورة منفصلة عن ذات الشاعر ، بل اصبح حقيقة داخلية تسكن دماءه ، فوصل الى اتحاد صوفي مع الوطن المعشوق . ويصبح العشق قدرا لا يقـدر الشاعر على الهروب منه ؛ وهو يتمنى ان يهرب لكن قدره يلاحقه أينما ذهب . ويتجسد قدر الشاعر وحشا رهيبا يسعى الى خنقه بعد ان افترس أصدقاءه ، ولا يجدي الشاعر هروب من الوطن المعشوق ، لان الحدود التي ظن انه سيبتعد عنها برحيله ، تعدو وراءه ، يقول :

هارب من الحدود التي افترست اصدقائي
والحدود تعود ورائي
الحدود تقترب تقترب
وتلامس حلقي(٤٦).

ويصطدم الشاعر بمأساة الواقع ، حيث تصبح كل مذبحة صورة لمأساة الوطن ، وتتكرر المذابح والمآسي ، فلا يعود هناك جديد يتوقع ، فيفقد الشاعر دهشته امام صور الدماء المتكررة ، وتضيع الطفولة منه ، لان الدهشة من سمات الطفولة التي ترى الاشياء عذراء . ويتجمد الشاعر حجرا بضياع دهشته ، فتصبح الطفولة الضائعة معادلة للحياة التي رحلت . ويتحول الوطن بابتعاد الشاعر عنه حلما مساويا للحقيقة في صدقه، ان لم يكن اكثر صدقا . ولعل الشاعر هرب من فساد الواقع الى الحلم حيث تتبدى الحقائق اكثر جمالا ، وكأنه بهذا يعيد خلق الواقع في عالم ما فوق الواقع ؛ يقول :

ويا أيها الوطن المتكرر في الاغاني والمذابح
كيف تتحول الى حلم وتسرق الدهشة
لتتركني حجرا
لعلك اجمل في صيرورتك حلما
لعلك اجمل(٤٧).

وتضيع هوية الشاعر باغترابه عن وطنه ، فيحاول ان يجسد شكلا صورة مرسومة في لاوعيه للوطن ، وكأنه بهذا يجد الانتماء الذي يحدد شخصيته . ولكن الشاعر يعيش صراعا مع القدر ، فتخطف قوة لا يعيها يده ، ويقف ضائعا لا يعرف هويته ولا مبدأ انتمائه ، يقول :

اريد ان ارسم شكلك
فتخطف السماء يدي
اريد ان ارسم شكلك
ايها الماحصر بين الريح والخنجر
اريد أن ارسم شكلك
كي أجد شكلي فيك(٤٨).

ويجد الشاعر هويته في ذكرياته عن الماضي ، ولكن الزمن مصمم حتى على انتزاع الذكرى من اللاجئين ، فيصبح اللجوء والاغتراب هوية لهم ؛ يقول :

والذكريات هوية الغرباء احيانا ، ولكن الزمان
يضاجع الذكرى وينجب لاجئين ، ويرحل الماضي ،
ويتركهم بلا ذكرى . اتذكرنا ؟ وماذا لو تقول : بلى !
أتذكر كل شيء عنك ؟ ماذا لو تقول بلى ! وفي الدنيا
قضاة يعبدون الاقوياء(٤٩).

ولكن الذكريات تصبح وجها آخر للموت ، اذ أن الذكريات والموت هما وسيلة الرجوع الى وطن ، يتأرجح جريحا على حبل مشنقة بين عدد لامتناه من الخناجر ، فيعود الشاعر الى اكتشاف نفسه بالانتماء ؛ فيقول :

والذكريات تمر مثل البرق في لحمي ، وترجعني اليك ..
اليك . ان الموت مثل الذكريات كلاهما يمشي اليك ..
اليك ، يا وطنا تأرجح بين كل خناجر الدنيا وخاصرة
السماء(٥٠).

ويظل الشاعر منقطع الجذور بدون تربة يزرع فيها فتمده بأسباب البقاء ، ويظل معلقا بين أرض غريبة وبين سماء غريبة ، ولا يبقى له سوى الاتحاد الكامل بالوطن المعشوق، فيقول :

لم يبق لي
الا ان اتشرد في ظلك الذي هو ظلي
ولم يبق لي
الا ان اسكن صوتك الذي هو صوتي(٥١).

وفي غمرة انفعال الشاعر يكتسب الواقع بعدا أسطوريا فيعادل رمز بابل — المزروع في اللاوعي الانساني — صورة الوطن الذي اتحد الشاعر معه ، فلا يعود الوطن حدودا جغرافية يعيش الشاعر خارجها ، بل يصبح روحا حلت في الشاعر ، ولذلك فهو معه اينما ذهب ؛ فيقول :

أيتها النوافذ البعيدة كالحب الاول
أنا لا اقيم في بابل
بابل هي التي تسكن تقاطيع وجهي
أينما ذهبت .
ويا أيتها النوافذ البعيدة كالحب الاول
أنا لست منفيا
في قلبي نفيت المنفى ، وذهبت(٥٢).

وتتشعب حدود الوطن في جسم الشاعر ، فتحفر خطوطها في جبينه وتحت عينيه، فيقول:

هذه الشقوق المحفورة في جبيني
ليست بصمات السنين
وهذه الخطوط الزرقاء تحت عيني
ليست دليلا على السهر مع النساء
انها الحدود التي تتشعب في جسمي(٥٣).

وتتجسد مأساة الوطن المحتل في القدس التي ضاعت هويتها ، وتقلبت كالحرباء متخذة في كل مرة صورة مختلفة من صور المأساة : فتتخذ صورة اله اسطوري عار ، وتتجسد فيها

آلام الجلجلة والصلب ، وتذوب معالم المأساة ، فتتحول الى فضاء ممتد لا تحد آلامه حدود ، فيقول :

ترسم القدس :
اله يتعرى فوق خط داكن الخضرة . أشباه عصافير
تهاجر .
وصليب واقف في الشارع الخلفي شيء يشبه
البرقوق والدهشة من خلف القناطر
وفضاء واسع يمتد من عورة جندي الى تاريخ شاعر(٥٤).

ويزيد من وقع المأساة ان الشعب يحقن بمورفين الامل الكاذب ، فتتسع الاحلام وترتفع، وبذلك يكون الوقوع الى أرض الواقع أكثر ايلاما . وتتحد مأساة اللجوء الفلسطيني بمأساة سقوط بابل ، فتتعمق المأساة وتتخذ بعدا جديدا ؛ فيقول الشاعر :

ونغني القدس :
يا أطفال بابل
يا مواليد السلاسل
ستعودون الى القدس قريبا
وقريبا تكبرون .
وقريبا تحصدون القمح من ذاكرة الماضي
قريبا يصبح الدمع سنابل .
آه ، يا أطفال بابل
ستعودون الى القدس قريبا
وقريبا تكبرون
وقريبا
وقريبا
هللويا
هللويا !(٥٥)

وتنتهي عند هذا « المزامير » السبعة عشر بما يشبه الصلاة ، ولكنها صلاة غير المؤمن الذي يتفوه بكلمات رددت على مسامعه ، وهو لا يصدقها ، ففقدت حرارة الايمان ، وتكثف وقع المأساة التي اقترنت بلون من ألوان السخرية ساعد الشاعر على الارتفاع عنها وتخطيها .

ويواصل محمود درويش في قصائد الديوان الباقية تغنيه بالمعشوقة الارض ، ويتخطى الحب معناه الحصري الضيق ليصبح وسيلة لبث الحياة في الاشياء. ويصبح الحب معادلا للحياة ، لان الشاعر يحيا باسم المعشوقة بياتريس ، التي تمنحه بالحب الحياة ؛ فيقول في قصيدة « تقاسيم على الماء » :

احبك يوما
احبك قرب الخريف البعيد
تمر العصافير باسمي
طليقه
وباسمي يمر النهار
حديقه
وباسمك أحيـــا
احبك يوما ،
وأحـــــيا ..
وراء الخريف البعيد(٥٦).

وتتجلى بياتريس فيحجب نورها الأشياء ، وتستطيع بجمالها الالهي ان تحل المعجزة بأن تعيد الحياة للتربة العاقر فتنمو سنابل القمح ، وتمنح الحياة للانسان . وتزيح المعشوقة عن الارض موت الشتاء ، وتحل الحياة في الطبيعة ؛ فيقول الشاعر في قصيدة « قتلوك في الوادي » :

طلعت من الوادي
يقال تضاءل الوادي وغاب
وجمالها السري لف سنابل القمح الصغيرة
حل اسئلة التراب
هل تذكرون الصيف يا أبناء جيلي
يا كل ازهار الجليل
وكل ايتام الجليل
هل تذكرون الصيف يصعد من انامله
ويفتح كل باب(٥٧).

وتبعث عشتروت ربيعا بعد كل مجزرة ، وتصعد صبية خضراء من نهر الدماء ، وتكون انبعاثا متكررا في الموت المتكرر ؛ فيقول :

ولتذكرينا ..
نحن نذكرك اخضرارا طالعا من كل دم
طين .. ودم
شمس .. ودم
زهر .. ودم
ليل .. ودم
وسنشتهيك —
وانت طالعة من الوادي
ونازلة من الوادي
غزالا سابحا في حقل دم
دم
دم
دم(٥٨)

وتعود عشتروت التي قتلت في الوادي ، الى الحياة ويضيع الموت في ضجة الميلاد ، فتكتسي جسدا أثيريا الهيا وتحل في الوجود ؛ فيقول :

كبرت مراسيم الوداع
والموت مرحلة بدأناها
وضـــاع الموت
ضـــاع ...
في ضجة الميلاد
فامتدي
من الوادي الى سبب الرحيل
جسما على الاوتار يركض
كالغزال المستحيل(٥٩).

ولكن الشاعر يعاني آلام الفراق والاغتراب ، ويصبح الموت وسيلة للجمع بين المحب والمعشوقة ، بعد أن عجزت الحياة عن الجمع بينهما . ولكن المحب لا يستطيع أن يصل حتى الى الخلاص بالموت ، لان عصورا تمتد بينه وبين الموت المخلص ، وتمتد بينهما آلام

الجلجلة والصلب . عندها يصبح كل طفل مسيحا، ويعاني الشاعر آلام الطفولة المعذبة، وهذا اقسى ألوان العذاب ، لأن الطفولة تجسد البراءة والايمان ؛ فيقول :

بيني وبينك برهة في زي مشنقة
ولم اشنق .. فعدت بلا جبين
بيني وبين البرهة امتدت عصور ،
والمسيح
يلج الصليب ، ولا مسيح بلا صليب
أي طفل ليس في وطني مسيح(٦٠)!

ذلك ان الشاعر عانى آلام الطفولة المنفية المعذبة ، عندما وضعت مأساة عام ١٩٤٨ حدا لطفولته الهادئة . يوم غادر موطنه لاجئا الى لبنان ، قبل ان « يتسلل » عائدا الى الوطن ، فيصبح لاجئا فلسطينيا في فلسطين . ولم تعد طفولة الشاعر مجرد مرحلة من مراحل حياته ، لكنها ، على حد قوله « كانت وطني »(٦١). لان سعادة الطفولة ما قبل المأساة اتحدت في لاوعي الشاعر مع صورة الوطن ، عندما كان ملكا لابنائه قبل ان يغتصبه الاعداء .

أفاد محمود درويش من تجربته التي عاشها في العالم العربي في قصيدة الديوان الاخيرة « سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا » ، بشكل خاص . وتمثل هذه القصيدة مأساة الفلسطيني التائه الذي يعاني آلام الرحيل والاغتراب ، حيث استعار الشاعر قصة الشاب الفلسطيني سرحان بشاره سرحان ، الذي اغتال روبرت كندي ، احد المرشحين لرئاسة الولايات المتحدة الاميركية — الذي كان يخوض معركته الانتخابية تحت شعار دعم دولة اسرائيل بالمال والسلاح — في الخامس من حزيران عام ١٩٦٨ . وقد اختار سرحان هذا اليوم بالذات ليؤكد للعالم انه فدائي ينتقم لآلاف الضحايا من ابنـاء شعبه الفلسطيني ، الذين قتلهم الصهاينة بالاسلحة الاميركية . واصبح سرحان في قصيدة محمود درويش رمزا للشعب الفلسطيني الذي يعاني آلام المنفى ، وعندما حمل السلاح لينتقم لشهدائه ويستعيد بلاده اتهم بأنه قاتل . ونلاحظ في القصيدة ان سرحان ولد وتربى في مطبخ سفينة . وتظل السفينة تمضي وتبتعد به عن وطن لا يعرفه . ويعيش سرحان آلام اللاانتماء : فهو معلق على خشبة بين البحر والسماء ، يبحث عن هويته ومعنى وجـــوده :

ولكن سرحان
قطرة دم تفتش عن جبهة نزفتها .. وسرحان قطرة دم
تفتش عن جثة نسيتها . واين(٦٢)؟

ويصور محمود درويش خيبة أمله في الواقع العربي بعد أن عايش هذا الواقع لمدة سنة، وعلم ان المجتمع العربي ما زال مليئا بالمناهج القبلية . فباتت فلسطين ناقة يمتطيها ليصل الى السلطة ويحتفظ بالمراكز ، ولم تكن القدس سوى منبر للخطب الرنانة التي تحول الهزيمة انتصارا . ويتخذ اسم القدس وسيلة لبث السوداوية او اللهو والشماتة:

وما القدس والمدن الضائعه
سوى ناقة تمتطيها البداوة
الى السلطة الجائعة
وما القدس والمدن الضائعه
سوى منبر للخطابه
ومستودع للكآبه
وما القدس الا زجاجة خمر وصندوق تبغ(٦٣)...

وازاء هذا الواقع العربي الزري يعيش الشعب الفلسطيني بالاضافة الى مأساة الغربة عن الوطن المحتل مأساة الخيانة واللامبالاة العربية التي تلبس اثواب الوطنية والتقدمية محاولة بذلك ان تختفي وراء هذه الاقنعة المواهية ، فيبدو الواقع اكثر ايلاما . وتظل أرض الوطن تحت الاحتلال بينما تتلهى الانظمة العربية بالتساؤل عن جدوى القتال ، وتساوم — بقبولها مشاريع الحلول المستوردة — على بضعة امتار مما تعتبره أتربة ووحولا ، لانها عاجزة عن خط الفعل المحول :

وما الارض ؟ ما قيمة الارض ؟
أتربة ووحول ، نقاتل او لا نقاتل ؟ ليس مهما سؤالك
ما دامت الثورة العربية محفوظة في الاناشيد والعيد والبنك
والبرلمان(٦٤).

هنا تتجسد مأساة الشعب العربي بالواقع الفاسد ، حين يفقد الوطن قيمته المعنوية ويصبح قطعة من أرض ، وحين يستغل اسم الثورة للتهرب من القتال ، وحين يتحجر معنى الثورة ويتحول من فعل يولد الانبعاث الى ستار تختفي وراءه العيوب ، فيمتنع الانبعاث الصحيح . ولكن هذه الارض ليست أتربة ووحولا للفلسطيني . هي جزء من ذاته : فعصير ثمارها يجري في شرايينه ، وحقولها محفورة في كفه ، ومساء كرملها يعيش في ذاكرته :

... ولكنها وطني
من الصعب ان تعزلوا
عصير الفواكه عن كريات دمي
ولكنها وطني
من الصعب ان تجدوا فارقا واحدا
بين حقل الذرة
وبين تجاعيد كفي
ولكنها وطني ..
لا فوارق بين المساء الذي يسكن الذاكرة
وبين المساء الذي يسكن الكرملا(٦٥).

لكن مأساة الهزائم المتكررة ومهزلة التخاذل العربي المتمثل في البحث عن افضل العروض الدولية لاكتساب بضعة أمتار اضافية من «الاتربة والوحول» دفعت الشعب الفلسطيني الى أن يهب رافضا ان تكون الخيمة وطنا له وهوية ، ويذهب هو للقتال ليفتدي ارض الوطن :

وليست خيامك ورد الرياح ، وليست مظلات شاطىء
تدجج باعمدة الخيمة ، احترقي يا هويتنا — صاح لاجيء(٦٦).

ولكن الفلسطيني الثائر لا يواجه حربا واحدة بل حربين ، لان « ما الفرق بين الغزاة وبين الطغاة »(٦٧). ففي الوقت نفسه الذي يقاوم فيه الاحتلال ، عليه ان يخوض حربا ضد وجود التخلف في الداخل ، التي فرضت على الشعب العربي الهزائم المتواصلة ؛ « وحربك حربان . حربك حربان . سرحان !... »(٦٨). لذا يتوجب على الانسان العربي ان يخلق الحضارة العربية الجديدة ، لان المعركة ضد الاحتلال الصهيوني ليست مجرد حرب ننتصر فيها او نهزم ، بل هي صراع حضاري طويل .

يبقى السؤال : ما هي قيمة ديوان « أحبك او لا احبك » الفنية ، وماذا اضاف الى تجربة محمود درويش الشعرية ؟ لا شك في ان هذا الديوان يعتبر نقطة تحول جديدة في مسيرة محمود درويش الشعرية ، او هو تطوير للتحول الذي بدأ في « العصافير تموت

في الجليل » . فبعد ان تخلص الشاعر من القصائد العمودية في « العصافير تموت في الجليل » ، واعتمد وحدة التفعيلة في السطر الشعري ، حاول ان يزاوج بين الجملة الشعرية التي تعتمد التفعيلة والجملة النثرية التي لا تعتمدها في « احبك او لا احبك » ، كما هو واضح في « المزامير » . واعتمد في مواضع كثيرة من ديوانه الجملة الشعرية التي كتبها على صورة الكتابة النثرية ، بدلا من السطر الشعري ، وبخاصة في « المزامير » و« سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا » .

عبر محمود درويش عن تجربته الفنية في هذا الديوان بقوله : « كنت شديد الحماس الى عدم التنازل عن التفعيلة ، ولكن ايماننا بالحداثة ، وقبولنا التنازل عن القافية ووحدة السطر قد يجرنا الى التنازل عن التفعيلة أيضا لان كل مبررات الشعر الحديث اذا سرنا بها حتى النهاية قد توصلنا الى اكتشاف عدم وجود قواعد ثابتة في الشعر ، على الرغم من كون التفعيلة قاعدة مهما قلنا فيها ، وقد نستغني عنها في يوم من الايام. هذا اذا كنا نؤمن ان الشعر ليس بناء لغويا فقط وليس قاعدة مقررة ، وانما هو حالة شعرية والحالة الشعرية قد يكون احسن وسائل التعبير عنها كلمات لا تفعيلة لها ، وقد يكون الزواج بين الجملة الشعرية ، كما هو شائع والجملة النثرية منتصف الطريق نحو الغاء التفعيلة نهائيا في يوم ما . أنا شخصيا احزن كثيرا عندما أتصور مستقبلا للشعر لا تفعيلة فيه ، ولكن حزني هذا قد يضحك الاجيال القادمة عندما يقودها التطور الشعري الى الاستغناء عن أشكال نعتبرها اليوم ثورية وستكون ذات يوم متخلفة . ويبدو أن الاحظ هنا بعض بوادر ازمة الشعر العربي الحديث الذي بنى كل مبرراته على التحرر من اطر جاهزة ووجد نفسه في السبعينات أسير اطر جاهزة خلقها هو . ان الحرية لا تكون في التحرر من قيود الاخرين فقط ولن أكون حرا ما دمت اسير قيود خلقتها »(٦٩) .

من الملاحظ في هذا الحديث ان محمود درويش لم يستقر على رأي حول « الشكل » الذي سيتخذه وسيلة للتعبير . وهو ضائع ، على ما يبدو ، بين اعتماد التفعيلة او الغائها ، او المزج بين الجمل الموزونة والجمل المنثورة . لذلك فهو يقع في بعض التناقض عندما يعتبر التفعيلة قاعدة يؤسفه التخلي عنها ، ويتحدث في الوقت نفسه عن « قيود » التفعيلة التي وقع الشعر الحديث اسيرا لها ، بعد أن تخلص من قيد وحدة البيت والقافية . ولعل الخطأ الذي وقع فيه محمود درويش هو انه ينظر الى ما هو « شائع » ولا يعود الى الاصول النقدية الفلسفية التي تغني تجربة الشاعر بالثقافة الاصيلة . فليست جميع التجارب المختلفة التي يشهدها شعرنا الحديث صحيحة بالضرورة ، وبخاصة تلك التي تتحرر الى حل بعيد مما يسمى « بالقيود » ، فتنساح القصيدة وتتشتت ، وبالتالي تفقد وحدتها العضوية . ولعله يصح في هذا المجال العودة الى ما قاله الناقد البريطاني رتشاردز ، من « ان الكثير مما يمكن ادأوه بنجاح في الشعر يكون معيبا لو جاء نثرا لانه يكون حينئذ مفرطا في الذاتية والانفعال باعثا على الافكار والظنون الدخيلة . . . وحينما يصل الكلام الى اقصى درجات الدقة والصعوبة حينئذ يصبح الوزن الوسيلة الحتمية الوحيدة »(٧٠). من هنا تميل التجارب الشعرية التي تعتمد العاطفة القوية الى التعبير عن نفسها تلقائيا داخل اطار الوزن ، حتى أن بعض القطع النثرية الصادرة عن عاطفة قوية تحمل ايقاعا واضحا ، وتتخذ لنفسها وزنا في حالات كثيرة كنثر جبران مثلا .

أما من ناحية الصورة الشعرية فقد استطاع محمود درويش في ديوان « احبك او لا احبك » ان يصل الى الصورة الشعرية ذات الدلالات الرمزية وان لم يستطع ان يصل الى الرمز في أعلى مستوياته . فالصورة الرمزية في درجات ، لذلك يجب ان نفرق بين الصور التي تحمل قيمة رمزية لانها تحمل الكثير من المدلولات والتعقيدات وبين الرمز

الحقيقي الذي يمتاز بالحيوية والاستقلال وحرية الحركة داخل القصيدة . لنأخذ مثلا قصيدة الديوان الاخيرة « سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا » ، التي يعتبرها الشاعر اكثر قصائده « حداثة وتعقيدا »(٧١) . فمع ان الشاعر قصد ان تكون شخصية سرحان رمزا للشعب الفلسطيني فهو لم يستطع بلوغ الرمز من حيث هو صورة مستقلة تفعل بذاتها وتنمو داخل القصيدة . ولم يستطع أن يتقمص شخصية سرحان ولذلك اعتمدت القصيدة السرد لا الفعل الدرامي ، فظل الشاعر يتدخل من الخارج ليحدثنا عن سرحان، ولم تظهر شخصية سرحان بذاتها كصاحب فعل في القصيدة . ولم يستطع محمود درويش ان يتخلص من التعبير المباشر في مواضع كثيرة من مجموعته الشعرية هذه كأن يقول مثلا : « وسرحان متهم بالضياع وبالعدمية »(٧٢)، و« سرحان لا يقرأ الصحف العربية..لا يعرف المهرجانات والتوصيات.فكيف اذن جاءه الحزن..كيف تقيأ؟ »(٧٣)، و« جراحك مطبعة للبلاغات والتوصيات ، وباسمك تنتصر الابجدية ، باسمك يجلس عيسى الى مكتب ويوقع صفقة خمر واقمشة ويحيي العساكر باسمك »(٧٤) .

كذلك ، ومع ان محمود درويش استغل في مجموعته هذه ، الاشارات الاسطورية ، فهو لم يستطع أن يعيد خلق الاسطورة ، ويكسبها معاني جديدة اذ أن الاسطورة التي تعبر عن حقائق النفس البشرية ، توحد بين العيني والمطلق ، وترتفع بالتجربة الشعرية من الفردية الى الحقيقة الانسانية الخالدة . فالشاعر وان استطاع ان يتحد مع الوطن في مواضع كثيرة ــ أشرنا الى بعضها ــ في ديوانه ، فانه لم يستطع ان يجعل من هذا الوطن اسطورة . وان تخطى التجربة الفردية الى القومية وشارف التجربة الانسانية المطلقة ، فانه لم يبلغها .

لكن هذه الاحكام لا تغض من قيمة ديوان « احبك او لا احبك » . فهذا الديوان الذي يمكن اعتباره تحولا ملحوظا في مسيرة محمود درويش الشعرية ، هو بداية انطلاق الشاعر نحو آفاق جديدة من الصعب ان نعرف الان الى أي مدى ستصل به . وقد حكمت على هذه المجموعة الشعرية بالمعايير النقدية نفسها التي يحكم بها على أي شاعر عربي آخر ، لايماني ان الشعر الفلسطيني ليس ظاهرة منقطعة عن تيار الشعر العربي الحديث ، بل هو جزء من هذا التيار . ومن البديهي ان محمود درويش ليس من جيل رواد الشعر العربي الحديث كالسياب والحاوي والبياتي وادونيس وعبد الصبور ، واذا فنحن نتجنى عليه اذا حاولنا ان نجد له مكانا بينهم . ولكنه من الجيل الثاني من شعراء التيار الحديث ؛ هذا الجيل الذي ما زال يبحث عن طريق : فهو تارة يقتفي آثار الرواد ، وطورا يحاول اشكالا جديدة من خلال قراءاته للشعر العالمي . ولكن المهم ان محمود درويش اكتسب تجربة نضالية وفنية جديدة ظهرت بوضوح في مجموعته الشعرية الاخيرة ، فبلغ فيها مستوى لم يبلغه في قصائده التي نظمت في الوطن المحتل. لان وجوده في العالم العربي فتح امامه مجال الاستفادة من تجربة الشعراء الرواد في الادب الحديث ، ومواكبة النشاط الادبي العربي والعالمي بشكل مباشر ، فضلا عن الابعاد النضالية الجديدة التي اغنت بها تجربته الشعرية . ولا تعد السنة او السنتان كثيرا في مسار التجارب الشعرية . وأرى أن أمام محمود درويش آفاقا واسعة في الشعر يستطيع ان يصل اليها بموهبته ، اذا انكب على تعميق ثقافته الفلسفية والنقدية ، واذا واصل تكثيف تجربته النضالية ، فيكون ما عرف « بقضية خروج محمود درويش » انبعاثا جديدا للشاعر .

---

١ ــ جريدة **الانوار** ، بيروت ، ١٩٧١/٢/١٠ ، ص ١ .

٢ ــ جريدة **الانوار** ، نص البيان الصحفي الذي تلاه محمود درويش ، بيروت ، ١٩٧١/٢/١٢ ، ص ٦ .

٣ ــ م. ن. ، البيان .

٤ ــ م. ن. ، البيان .

٥ ــ مجلة **الصياد** ، بيروت ، ١٩٧١/٣/٢٥ ،

ص ٦٠ — ٦١ .

٦ — مجلة **الجديد** ، بيروت ، ١٩٧١/٤/٢ ، ص ٣٤ .

٧ — م. ن. ص ٣٢ .

٨ — علي جواد الطاهر ، مجلة **الاداب**، بيروت، ايار ، ١٩٧١ ص ١٤ .

٩ — مجلة **الطريق** ، بيروت ، تشرين الثاني ، كانون الاول ، ١٩٦٨ ، ص ١٣ .

١٠ — م. ن. ص ٢٤ .

١١ — م. ن. ص ١٠ . لعل هذا الاتجاه ظهر اوضح ما ظهر في اجابات بلند الحيدري وجورج غانم وفؤاد الخشن .

١٢ — احمد عبد المعطي حجازي ، مجلة **روز اليوسف** ، ١٩٧١/٢/٢٢ ، ص ٤٤ .

١٣ — **الانوار** ، بيانه الصحفي .

١٤ — م. ن. البيان .

١٥ — محمود درويش ، مجلة **الاداب** ، من مقاله بعنوان « انقذونا من هذا الحب القاسي » آب ١٩٦٩ ، ص ٥ .

١٦ — **الاداب** ، حديث مع سميح القاسم ، تشرين الاول ، ١٩٧٠ ، ص ٥ .

١٧ — نشرت مجلة **الاداب** هذه المقالة في عددها الصادر في شهر آب ١٩٦٩ .

١٩ — مجلة **الاسبوع العربي** ، حديث لمحمود درويش ، بيروت ١٩٧٢/٣/١٣ ، ص ٤٦ .

١٩ — مجلة **الطريق** ، ع. ن. ص ٥٧ .

٢٠ — م. ن. ص ٥٤ .

٢١ — محمود درويش ، **عصافير بلا أجنحة** ، بيروت ، دار العودة ، لا. ت. . مقدمة الشاعر للديوان ، ص ٥ .

٢٢ — م. ن. ص ٢١ — ٢٢ .

٢٣ — مجلة **الطريق** ، ع. ن. ، ص ٥٥ .

٢٤ — م. ن. ص ٥٥ .

٢٥ — يوسف الخطيب ، **ديوان الوطن المحتل** ، دمشق ، دار فلسطين ، ١٩٦٨ ، ص ١٣٦ .

٢٦ — م. ن. ص ١٣٦ .

٢٧ — مجلة **الطريق** ، ع. ن. ص ٥٦ .

٢٨ — **ديوان الوطن المحتل** ، ص ١٩٠ .

٢٩ — مجلة **الطريق** ، ع. ن. ص ٥٦ .

٣٠ — م. ن. ص ٥٦ .

٣١ — م. ن. ص ٥٦ — ٥٧ .

٣٢ — م. ن. ص ٦٠ .

٣٣ — « **ديوان الوطن المحتل** » ، ص ٢١٦ .

٣٤ — مجلة **الطريق** ، ع. ن. ص ٥٧ .

٣٥ — « **ديوان الوطن المحتل** » ، ص ٢٣٥ .

٣٦ — مجلة **الطريق** ، ع. ن. ، ص ٥٧ .

٣٧ — راجع مثلا قصيدة « سقوط المطر » في مجموعة « **يوميات جرح فلسطيني** » ص ١١ ، وراجع القصيدة نفسها في « **العصافير تموت في الجليل** » ص ٥٦ . وقصيدة « ربتا أحبيني » في « **يوميات جرح فلسطيني** » ص ٧١ ، وراجع القصيدة نفسها في «**العصافير تموت في الجليل**» ص ٣٩ . وقصيدة «العصافير تموت في الجليل» في الديوان الذي يحمل هذا الاسم ص ١٨ ، والقصيدة نفسها التي اطلق عليها ناشر ديوان « يوميات جرح فلسطيني » اسم « العصافير تموت في الجليل » ص ٨٥ . ليس هذا حصرا للاخطاء ، وانما هذه امثلة قليلة .

٣٨ — مجلة **الاداب** ، ايلول ١٩٧٠ ، ص ٦ . وقد نشر الحديث في كتاب يحمل اسم محمود درويش ، وهو بعنوان « **شيء عن الوطن** » نشرته دار العودة ، عام ١٩٧١ . ولكنها حذفت هذه الفترة التي جاءت في اخر الحديث ، لان دار العودة هي التي أصدرت دواوين الشاعر التي لم يقف على اصدارها ، كما قامت بجمع بعض مقالاته التي كتبها في فلسطين المحتلة والمقابلات التي اجريت معه في هذا الكتاب الذي اطلقت عليه اسم « شيء عن الوطن » .

٣٩ — م. ن. ص ٤ — ٥ .

٤٠ — م. ن. ص ٤ .

٤١ — محمود درويش ، **العصافير تموت في الجليل** ، دار الاداب ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٤٢ — ٤٣ .

٤٢ — جريدة **الانوار** ، البيان .

٤٣ — مجلة **الدستور** ، حديث لمحمود درويش، بيروت ، ١٩٧٢/٣/١٣ ، ص ٤٧ .

٤٤ — مجلة **الاسبوع العربي** ، ع. ن. ص ٤٨.

٤٥ — محمود درويش ، **احبك او لا احبك** ، دار الاداب ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٩ .

٤٦ — م. ن. ص ٥٣ .

٤٧ — م. ن. ص ١٤ — ١٥ .

٤٨ — م. ن. ص ١٤ .

٤٩ — م. ن. ص ٣٠ — ٣١ .

٥٠ — م. ن. ص ٣١ .

٥١ — م. ن. ص ٤٢ .

٥٢ — م. ن. ص ٤٦ .

٥٣ — م. ن. ص ٥٤ .
٥٤ — م. ن. ص ٥٨ .
٥٥ — م. ن. ص ٥٩ — ٦٠ .
٥٦ — م. ن. ص ٨٥ — ٨٦ .
٥٧ — م. ن. ص ٩١ .
٥٨ — م. ن. ص ٩٩ — ١٠٠ .
٥٩ — م. ن. ص ١٠٦ .
٦٠ — م. ن. ص ١١٩ .
٦١ — مجلة **الطريق** ، ع. ن. ص ٥٢
٦٢ — **احبك او لا احبك** ، ص ١٥٣ .
٦٣ — م. ن. ص ١٥٦ .
٦٤ — م. ن. ص ١٥٩ .
٦٥ — م. ن. ص ١٥٦ — ١٥٧ .
٦٦ — م. ن. ص ١٦١ .
٦٧ — م. ن. ص ١٦٣ .
٦٨ — م. ن. ص ١٦٣ .
٦٩ — جريدة **صدى لبنان** ، حديث مع محمود درويش ، بيروت ١٩٧٢/٢/٢٩ ، ص ٦ .
٧٠ — افور ارمسترنج رتشاردز ، **مبادىء النقد الادبي** ، ترجمة مصطفى بدوي ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٩٦٣ ، ص ٢٠١ .
٧١ — مجلة **الاسبوع العربي** ، م. ن. ص ٤٧ .
٧٢ — **احبك او لا احبك** ص ١٥١ .
٧٣ — م. ن. ص ١٥٥ .
٧٤ — م. ن. ص ١٥٩ — ١٦٠ .

صدر عن مركز الابحاث كتاب باللغة الانجليزية بعنوان :

غســـان كنفاني

بقـــلم

أني كنفاني

اربعون صفحة مدعومة بالصور عن حياة الشهيد غسان كنفاني : غسان المناضل ، غسان الاب والزوج والكاتب والفنان .

أطلب الكتاب من قسم التوزيع في مركز الابحاث

ص. ب ١٦٩١ — بيروت

سعر النسخة ليرة لبنانية واحدة

تضاف اليها اجور البريد الجوي : ١٠٠ ق. ل. في العالم العربي ،

٢٥٠ ق. ل. في اوروبـــة ، ٥٠٠ ق. ل. في ســـائر الـــدول .

التربية الثورية الفلسطينية

باسم سرحان

هذا تصور شخصي مثالي لما يرى صاحبه ، مسؤول قسم التربية في مركز التخطيط في م. ت. ف. ، لما يجب ان يكون عليه التعليم الفلسطيني في ظل الحرب الشعبية طويلة الامد . وهو لا يعكس استراتيجية مركز التخطيط حول التعليم الفلسطيني . وهو تصور اولي وهناك مجال واسع لتعميقه وتعديله وتفصيله . ولكنه يشكل ارضية ملائمة للنقاش في اوساط الثورة الفلسطينية حول كيفية الوصول الى خلق تربية ثورية وحول مضمون هذه التربية .

لقد هب الشعب الفلسطيني المشرد قبل انطلاق الثورة الفلسطينية مرات عديدة مطالبا بحق ابنائه في تربية وطنية عربية فلسطينية . وكانت تلك الانتفاضات الجماهيرية في الاقطار العربية المضيفة موجهة بشكل خاص نحو نظام التعليم وبرامج التدريس المتبعة في مدارس وكالة هيئة الامم المتحدة (الاونروا). وكانت تلك الانتفاضات تأخذ اشكالا مختلفة منها منع الاولاد من الذهاب الى المدارس لفترة معينة ، ومهاجمة المدارس وتحطيم بعض أجهزتها ، ورفع عرائض للمسؤولين في الاونروا وللمسؤولين عن شؤون اللاجئين . أما المطلب الاساسي الذي كان يتكرر في كافة الانتفاضات الشعبية فكان ادخال مادة التاريخ وجغرافية فلسطين في مناهج التعليم المعطاة لابناء فلسطين وتدريسهم القضية الفلسطينية مع التركيز على دور الحركة الصهيونية والاستعمار في سلبهم وطنهم . والهدف الكامن وراء هذا المطلب هو سعي الفلسطينيين وتصميمهم على المحافظة على الشخصية الفلسطينية وابقاء القضية الفلسطينية حية في نفوس أبنائهم حتى يتم التحرير والعودة .

اما بعد انطلاق الثورة فقد ازداد ضغط الجماهير الفلسطينية من أجل تحقيق تربية وطنية فلسطينية ، ثم تم دفع ذلك المطلب خطوة الى الامام حين اخذ بعض الممارسين في الثورة يتحدثون عن ضرورة ايجاد تربية ثورية فلسطينية . ورغم كل الجهود التي بذلتها الجماهير الفلسطينية ، والاراء التي اخذت تتردد في اوساط الثورة والتي تبلور بعضها وبرز عبر انشاء قسم للتخطيط التربوي (لتربية ثورية فلسطينية) في مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، رغم كل ذلك فان المطلب الفلسطيني الاساسي في تربية وطنية ما زال بعيدا عن التحقيق ، دع جانبا مطلب تربية ثورية . ولا يعود عدم تحقيق التربية الوطنية والثورية الى تقصير ذاتي في الثورة او الجماهير ، وانما يرجع الى الوصايات العربية والدولية المختلفة والمتضاربة المفروضة على تربية الفلسطينيين وتعليمهم . يضاف الى هذه الوصايات الوصاية الاسرائيلية التي فرضت بعد احتلال قطاع غزة والضفة الغربية عام ١٩٦٧ .

وانا اعتقد انه لا غنى للثورة الفلسطينية لكي تنمو وتتقدم على طريق النصر — عن تربية ثورية تعطى للاجيال الفلسطينية في كافة اقطار تواجدها . وسأحاول في هذا المقال ان أضع تصورا للتربية الثورية الفلسطينية ، وهذا التصور يعكس ما يجب ان تكون عليه

تلك التربية بغض النظر عن اعتبارات الوصاية العربية الحالية وبغض النظر عن العقبات والعراقيل القائمة حاليا في وجه تطبيق اي مقدار من التربية الوطنية او الثورية الفلسطينية ، وهي عقبات تغلف عادة باتهام كل من ينادي بتربية فلسطينية بالنزعة الاقليمية . وان الهدف من وضع هذا التصور هو دفع الثورة على تبنيه او تبني تصورا مماثلا له حيثما وحينما تستطيع . وتصوري للتربية الفلسطينية هو عبارة عن مفاهيم أساسية أجدها لازمة وضرورية لاي تربية فلسطينية وطنية وثورية . وقد يرى البعض ان هذا التصور ضرب من الخيال ضمن الظروف السياسية والاجتماعية الفلسطينية والعربية الحالية . قد يكون ذلك صحيحا ، ولكنه يصبح غير صحيح عندما ننظر الى المستقبل البعيد والى الاجيال القادمة متخطين الواقع العربي والفلسطيني السيء . ان هذا التصور أساسا هو نظرة تفاؤل وايمان بالمستقبل . وانا لا أرى بتاتا استحالة تطبيقه مستقبلا .

الحاجة الى تربية فلسطينية

لا بد من التحدث اولا عن دواعي وجود تربية فلسطينية قبل ان نتحدث عن شكل ومضمون هذه التربية . من الامور البدهية ان يكون لكل شعب نظامه التربوي الخاص به . ولكن هذا الامر البدهي يشكل مسألة حياة او موت بالنسبة للشعب الفلسطيني الذي يعيش خارج ارضه والذي انقسم الى مجموعات بشرية كبيرة منعزلة جغرافيا ولا يوجد تفاعل مادي يومي بينها ، وان كان يوجد بينها تفاعل عاطفي ومعنوي شديد . ان هذا التشتت الجغرافي يهدد عدة مقومات للشعب الفلسطيني كشعب واحد اهمها الشخصية الفلسطينية المميزة ، والتراث الفلسطيني ، ووحدة التصور والعمل في سبيل التحرير واعادة بناء المجتمع الفلسطيني . كل هذه المخاطر تجعل وجود تربية فلسطينية امرا ذا أهمية قصوى ، لان التربية الفلسطينية يمكن ان تلعب دورا حاسما في المحافظة على الشخصية الفلسطينية وفي احياء التراث الفلسطيني والمحافظة عليه ، وفي تحديد تصور واحد وممارسة موحدة لدى معظم الفلسطينيين حول النضال الفلسطيني والمجتمع الفلسطيني .

ومن الدواعي الاخرى لوجود تربية فلسطينية خلق او تكوين انسان فلسطيني جديد قادر على النضال الطويل وعلى المساهمة الفعالة في انجاح عملية التحرير . ان خلق الانسان الفلسطيني الذي يحمل هذه المواصفات لا يأتي ارتجالا او عفويا ، وانما يأتي عبر عملية بناء شاقة وطويلة تلعب التربية الثورية فيها دورا أساسيا . ان المجتمعات لا تتكون « بالطبيعة » وانما تخضع لعملية تكوين موجهة تتخللها صراعات وتفاعلات عديدة تصل بالنهاية الى « شكل ما » او « ترتيب ما » للمجتمع لكن هذا « الشكل » او « الترتيب » ما يلبث ان يتغير تدريجيا بفعل القوى الجديدة او ينهار كلية بفعل التغير الثوري العنيف . وبالتالي اذا اردنا مجتمعا فلسطينيا يتوجه بكليته للنضال والتحرير فلا بد من الدخول في صراع كبير مع انفسنا ومع محيطنا الخارجي لبناء مثل هذا المجتمع . ان استمرار الثورة الفلسطينية واستمرار الرفض الفلسطيني حتى الوصول الى التحرير مسألة تحتاج الى جهود في كافة المجالات بشكل عام وفي مجال التربية وبناء الاجيال بشكل خاص . فاذا اردنا انسانا فلسطينيا ثائرا علينا ان نخلق هذا الانسان . والانسان حيوان اجتماعي وهو نتاج مجتمعه او بيئته . ويتكون الانسان كحيوان اجتماعي له شخصيته وافكاره الخاصة ويتبع عادات معينة وسلوك محدد من خلال عملية « التكييف الاجتماعي » ، أي تكييف الفرد على العيش في مجتمع ما ضمن تقاليد وانماط يحددها المجتمع . والمؤسسات التي تكون مسؤولة عن عملية « التكييف الاجتماعي » تتفاوت في المجتمعات المختلفة التعقيد ، لكنها أساسا العائلة او البيت ، والمدرسة ، والكنيسة او النظام الديني ، والدولة (من خلال الجيش او الحزب) . وفي كل او بعض هذه

المؤسسات يتكون لدى الفرد اطار مرجعي يعود اليه في تصرفاته وفي اتخاذ قراراته حول الاقدام على عمل ما او الاحجام عنه . وبالتالي نرى أن تكوين الانسان الفلسطيني كحيوان اجتماعي له صفات وتوجهات ومسؤولية معينة تقع في الدرجة الاولى على عاتق الثورة الفلسطينية وفي الدرجة الثانية على عاتق العائلة الفلسطينية . ان هاتين المؤسستين تتحملان مسؤولية تقديم تربية متكاملة للاجيال الفلسطينية ترتبط ارتباطا وثيقا بواقع الشعب الفلسطيني واهدافه . المجتمعات المستقرة تعمل على بناء اجيال تساهم في تنميتها الاقتصادية وفي تطوير نفسها حضاريا وثقافيا . وهي تعمل من خلال نظمها التعليمية على خلق المهارات والكفاءات اللازمة لدفع عجلة انتاجها الى الامام ولرفع مستواها الاقتصادي . وقد كان هذا حال الفلسطينيين الذين عاشوا في مجتمعات عربية مستقرة وانخرطوا في نظمها التعليمية . ان نظم التعليم العربية موجهة لخلق المهارات والكفاءات التي تفيد في عملية التنمية الاقتصادية للدول العربية . وقد اكتسب الفلسطينيون خلال ربع قرن العديد من المهارات التي تصلح لمجتمعات مستقرة ، وخاصة مهارات الطبقة الوسطى كالمحاسبة والتجارة والتدريس واللغات والترجمة والعلوم الاقتصادية والسياسية والقانون ، وساهموا من خلال مهاراتهم في بناء وتطوير عدة مجتمعات عربية . ولكن نصف الشعب الفلسطيني مشرد ومشتت خارج ارضه والنصف الثاني على ارضه ولكن تحت الاحتلال .

وبالتالي لا يعقل ان يستمر كل الفلسطينيين في اكتساب مهارات التنمية ولا يتوجه اي جزء منهم نحو اكتساب المهارات التي تتطلبها عملية التحرير . ان الفلسطينيين بحاجة لانتاج الانسان القادر على المساهمة في التحرير اكثر من حاجتهم لانتاج الانسان القادر على ادارة مصرف او مصنع او مزرعة . ولذلك ارى ان يستمر الشعب الفلسطيني في فرز اجزاء منه لمتابعة اكتساب مهارات التنمية لاستخدامها في بناء المجتمع الفلسطيني بعد التحرير ودعم صمود المجتمع الواقع تحت الاحتلال ، وان يقوم في الوقت نفسه بفرز اجزاء اخرى لاكتساب المهارات التي تساهم في عملية التحرير . وعلى الثورة ان تعمل في مجالي تعليم هما مجال التعليم في الدول العربية ومجال التعليم التابع لها مباشرة مثل مدارس ابناء الشهداء ومدارس الثورة التي لا بد وان ترى النور في المستقبل القريب . ومن المفترض الا تختلف استراتيجية الثورة الفلسطينية في مجالي التعليم المذكورين الا فيما يتعلق بجانب التطبيق العملي بالنسبة لمدارس الثورة (كالعمل والانتاج معا ، والتدريب العسكري المكثف ، والتدريب المهني الخاص باحتياجات الثورة) . اما جوهر التربية في الحالتين فيبقى جوهر تربية عربية تقدمية تتماشى مع المشاكل السياسية والاجتماعية والحضارية والتقنية التي تواجهها الامة العربية . وهكذا فان خاصية التعليم الفلسطيني لا تجعله تعليما اقليميا منعزلا عن مشاكل المجتمع العربي الكبير ، وانما تجعله رائدا للتعليم العربي القومي . ويكون نظام التعليم الفلسطيني موجها نحو التحرير بشكل يخدم اهداف الشعب الفلسطيني ومتطلبات حرب التحرير الشعبية التي سيخوضها ذلك الشعب . وعلى الثورة ان تضغط من أجل ادخال الفكر الثوري على نظم التعليم العربية التقليدية والتي تستوعب قطاعا كبيرا من ابناء فلسطين . بهذه الاستراتيجية المزدوجة في بناء الانسان الفلسطيني والعربي تستطيع الثورة الاعداد لدخول مرحلة حرب التحرير الشعبية طويلة الامد . وانا لا ارى امكانية قيام حرب تحرير شعبية طويلة الامد وناجحة بدون خلق الثورة لنظام تربية وتعليم فلسطيني محدود وسيطرتها عليه سيطرة تامة ومطلقة . وقد يقول البعض ان بناء انسان فلسطيني يتقن مهارات تصلح للقتال والتحرير سوف يخلق تناقضا مع محيطه المستقر (الدول العربية) الذي يحتاج الى مهارات تصلح للتنمية . ولكن هذا القول مردود لسببين : اولهما انه على المجتمع العربي الكبير ان يتفهم ويتقبل ويساعد على بناء ووجود الانسان الفلسطيني الذي يتقن مهارات تصلح للتحرير وليس للتنمية . وثانيهما ان على المجتمع العربي

نفسه ان يفرز الالاف من أبنائه الذين يتقنون مهارات تصلح للتحرير لان معركة التحرير هي معركة قومية وليست معركة اقليمية ، ولانه لا تحرر عربي طالما هناك جزء من الجسم العربي يرزح تحت الاحتلال .

بعض مفاهيم التربية الثورية

الهدف الاساسي للتربية الوطنية ، كما ذكرنا ، هو الحفاظ على الشخصية الفلسطينية وربط الانسان الفلسطيني بارضه وتراثه . أما الهدف الاساسي للتربية الثورية فهو خلق الانسان الفلسطيني والعربي الجديد (أي الانسان الثائر والقادر على مواجهة التحدي الصهيوني وتحمل اعباء التحرير واسترداد الارض المغتصبة) . وبالطبع فان التربية الثورية ترتكز على التربية الوطنية . وان أية تربية تقدم للانسان الفلسطيني يجب ان تكون تربية متكاملة ، أي تربية تهتم بكافة جوانب شخصية وحياة ذلك الانسان . ان خلق الانسان الثوري لا يتم بتدريبه على السلاح فقط ، ولا بتثقيفه وتوعيته سياسيا فقط ، ولا باعطائه أية مهارة او فن يخدم الثورة فقط ، وانما يتم بتغييره اجتماعيا تغييرا جذريا بحيث يحمل هذا الانسان روح وفكر وعقل وقيم واخلاق ومهارات الثوري الذي سيصنع حرب تحرير شعبية . ان هذا العبء ليس بالبسيط ابدا . فالنظم التربوية في الدول المستقرة تتناول جانبا او جانبين من هذه الجوانب ، بينما على الثورة ان تهتم بكل هذه الجوانب . لقد كتب الكثير وقيل الكثير عن ولادة الانسان العربي الجديد بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ . ولكن الحقيقة ان الانسان العربي الجديد لم يولد بعد لان القيم الاجتماعية والفكر الاجتماعي والسلوك الاجتماعي الذي ادى الى الهزيمة ما زال سائدا عند الجماهير الفلسطينية والفكر الاجتماعي والسلوك الاجتماعي الذي ادى الى الهزيمة ما زال سائدا عند الجماهير الفلسطينية والعربية — ما عدا استثناءات هنا وهناك وخاصة في صفوف الثورة الفلسطينية . ان على الثورة الفلسطينية وعلى قوى الثورة العربية ان تقوم بتحطيم القيم الاجتماعية العربية التي أدت الى الهزيمة من اجل بناء الانسان الجديد الذي يحمل قيما ستقود حتما الى النصر .

القيم الاجتماعية تصبح حقائق اجتماعية تؤثر على السلوك الانساني وعلى علاقات الناس بعضهم ببعض . والحقائق الاجتماعية تميل الى الاستمرار حتى بعد فقدان مبررات وجودها ودورها الاجتماعي . وهي لا تسقط الا بعد خلق حقائق اجتماعية جديدة تنمو تدريجيا لتحل محل الحقائق القديمة . وهناك العديد من الحقائق الاجتماعية المتوارثة منذ مئات السنين والتي يفترض في الثورة الفلسطينية والقوى الثورية ان تتحداها لكي تخلق مكانها حقائق اجتماعية جديدة تتلاءم مع طبيعة التحدي الذي تواجهه الامة العربية . وان اكبر تحد يواجه القوى الثورية العربية وخاصة الثورة الفلسطينية هو تغيير معايير المكانة الاجتماعية — والتي هي حاليا العائلة والمال والعلم والمهنة — واحلال معايير جديدة للمكانة الاجتماعية خاصة بالنسبة للفلسطينيين وهي : الالتزام ، خدمة الجماهير ، والتعلم من اجل تلبية متطلبات الثورة وليس من اجل تحسين الوضع الفردي . فالانسان الذي يحترم ويقدر اكثر في المجتمع هو الانسان الذي يعمل اكثر منه لخدمة الثورة والذي يخدم الجماهير والذي يختار موضوع دراسته (خاصة الدراسات العليا) على ضوء حاجات الثورة . ومن التحديات الاخرى امام الثورة رفض ضغط العائلة على الفرد ، رفض اضطهاد الكبار للشبان ، اطلاق المجال امام حرية التفكير والتعبير والمناقشة ، مساواة المرأة بالرجل فعلا وعملا لان المرأة تشكل طاقة بشرية لا غنى عنها في حرب التحرير الشعبية ولانها تلعب دورا هاما في اكمال عملية التربية اذ تتولى من خلال عملها البيتي ، خلق الروح الجماعية والقضاء على الروح الفردية والانانية قضاء مبرما . اما كيف يتم خلق هذه الحقائق الاجتماعية الجديدة فنقول بكل بساطة ان على الطلائع الثورية ان تخلقها . ودور الطلائع الثورية — سواء

من المقاتلين او المعلمين او المسؤولين السياسيين — هو اتباع سلوك جديد في حياتهم اليومية وفي علاقاتهم بالاخرين ومقاومة الضغط الاجتماعي الذي سيواجهه سلوكهم الجديد الى أن يتغلب سلوكهم الجديد على الانماط السابقة ويصبح هو النمط السائد . وفي هذا المجال تقع على المعلم الثوري مهمة مزدوجة اذ عليه اتباع السلوك الجديد والدفاع عن هذا السلوك في محيطه وبيئته ثم تلقين القيم الجديدة والسلوك الجديد الذي تمليه لتلاميذه . وعلى المعلم ان يطرح للمناقشة مع تلاميذه وبشكل مستمر كافة الظواهر والتصرفات الاجتماعية التي تتحكم بمجتمعهم ثم عليه ان يطرح الافكار الجديدة والقيم الجديدة. ونحن نرى انه بدون هذا التغيير الاجتماعي الجذري لن تكون هناك حرب تحرير شعبية قادرة على الصمود عشرات السنين . لكن هذا القول لا يعني ان التغيير الاجتماعي يجب أن يتم اولا بشكل متكامل لكي تبدأ حرب التحرير الشعبية . فالصحيح هو أن مقدارا كبيرا من التغيير الاجتماعي ومن خلق الحقائق الاجتماعية الجديدة يأتي من خلال الممارسة الثورية ومن خلال مسيرة حرب التحرير الشعبية . وعلى كل حال يبقى للتربية الثورية دور اساسي في خلق الارض الخصبة الملائمة للثورة ونفسية الثوار .

وأنا أرى ان أي تربية ثورية فلسطينية يجب أن ترتكز على الاسس التالية :

١ — التركيز على تفتيح الذهن واعطاء نمط تفكير معين اكثر من تركيزها على تزويد الطلاب بمعلومات . فرغم ان كلا الجانبين مهم ، فان الجانب الاول اكثر اهمية لانه متى تفتح ذهن الطالب واكتسب نمط تفكير وبحث جيد يمكنه الحصول على المعلومات التي تتوفر عادة بشكل غير محدود .

٢ — القضاء على فكرة ان من يفشل في العلم (أي في تحصيل الشهادات) يفشل في الحياة . والعمل ، بدلا من ذلك ، على ترسيخ فكرة ضرورة خدمة الثورة حسب مقدور كل انسان عقليا وجسديا . فليس هناك فشل في المجتمع الفلسطيني لان الثورة قادرة وبحاجة الى استيعاب جهد كل فلسطيني. والفاشل في المجتمع الفلسطيني هو من لا يقوم بخدمة ثورته وشعبه مباشرة . ويكون شعار التربية الثورية : « اخدم الثورة بأفضل طريقة ممكنة » .

٣ — القضاء على الانانية الفردية بدون القضاء على المواهب الفردية . والعمل على توجيه المواهب والقدرات الفردية لكي تكون في خدمة المجموع . كذلك افهام الطلاب انه لا يوجد أي انجاز يمكن تسميته بانجاز فردي (أي يعود الفضل به الى فرد واحد) . اذ ان أي انجاز ، حتى الذي يعتمد ظاهريا الى حد كبير على فرد واحد ، هو في الواقع نتاج مجهود انساني كبير . فكل علم او معرفة مبنية على علم او معرفة سبقتها .

٤ — انفتاح المعلم على طلابه والتقرب منهم كثيرا . ولا داعي لخوف المعلم من فقدان الاحترام نتيجة لذلك . فعلى المعلم أن يكسر كل الحواجز القائمة بينه وبين طلابه لكي يساعد على نمو شخصيتهم المستقلة الجريئة ، بحيث يمكنهم من المشاركة في حركة ثورية شعبية ديمقراطية بدل ان يكونوا جنودا يرتجفون امام قائدهم وينفذون الاوامر بلا وعي . وهذه المشاركة في الثورة تساعد على المحافظة على مسيرة الثورة وخطها الاساسي وترسخ اقدام المقاتل الفلسطيني وتعطيه قوة نضالية هائلة .

٥ — تعويد الفرد على قبول ان يتعلم ما تطلبه منه الثورة لا ان يتعلم ما سيؤمن له حياة خاصة رغيدة . وهذا يتطلب من الثورة القيام بتقدير لاحتياجاتها البشرية والفنية كل عدة سنوات او كل مرحلة من المراحل .

٦ — توثيق علاقة المعلم بأهالي طلابه من أجل تأمين تربية متكاملة وغير متناقضة ، ولاحداث انسجام بين التربية البيتية والتربية المدرسية .

٧ ــ افهام الطلاب ان كل حقيقة اجتماعية قابلة للتغيير وانه ليست هناك قيم ومعايير ثابتة ومطلقة ، بل الاصح ان هذه المعايير والقيم والتصرف الذي يعتمد عليها امورا نسبية . ففكرة الحقائق الثابتة والقيم الخالدة فكرة تعيق الثورة وتعيق عملية التغيير الثوري .

٨ ــ خلق الانسان الفلسطيني المتمرد والرافض . فنحن لا نريد انسانا فلسطينيا خانعا ومستسلما مهما صعبت الظروف ومهما كبرت التحديات . والرفض والتمرد هما مصدر قوة الفرد الفلسطيني ومصدر قوة المجتمع الفلسطيني .

النظام التربوي الثوري الفلسطيني

من المفروض ان يختلف نظام التربية الثورية الفلسطينية عن النظم التربوية التقليدية شكلا ومضمونا . فالهيكل او البنيان التقليدي للتعليم كترتيب المدارس والمراحل الدراسية والشهادات ومقاييس النجاح والفشل كلها امور مرفوضة بالنسبة لهيكل او بنيان التعليم الثوري . فلا يمكن لشعب يقوم بثورة ويعيش في ظل حياة يومية ثورية ان يقيم المدارس العادية والثابتة كاطار للتعليم النظري . كما انه من غير الممكن ومن غير المقبول وضع اولادنا في هذه المدارس ١٢ سنة لكي لا يتقنوا شيئا يتعدى القراءة والكتابة وبعض الثقافة العامة الضعيفة . كما ان الشهادات التي تمنح للتلاميذ في نهاية كل مرحلة مسألة غير ذي بال وغير واردة بالنسبة لنظام تعليم ثوري ، خاصة اذا اعتبرت الشهادة اجازة مرور من مرحلة الى اخرى او اجازة انتقال من مجال تعلم الى آخر . فنحن نتصور هيكل التعليم الثوري كالتالي :

اولا : مرحلة الحضانات او الروضات . وهذه مرحلة مهمة في تكوين شخصية الطفل ونفسيته وفي نموه العقلي ، وعلى الثورة ان توليها عناية كبيرة لانها تحدد الاسس المسلكية للاولاد والتي سيتبعونها عندما يكبرون .

ثانيا : مرحلة تعليم القراءة والكتابة والحساب . وهذه المرحلة توازي المرحلة الابتدائية في التعليم التقليدي ، ولكن تختلف عنها في المضمون .

ثالثا : مرحلة تهيئة الفرد لاخذ دوره في النضال المسلح . وهذه المرحلة غير ثابتة زمنيا لكنها تحتاج الى ثلاث سنوات كحد ادنى .

رابعا : يفرز من المناضلين اعداد معينة لمرحلة التخصص واكتساب المهارات اللازمة للثورة علميا وعسكريا وسياسيا وفكريا . اما الاطار العام لهذا الهيكل التعليمي فهو مدارس الثورة وان انشاء مدارس الثورة يفترض في الثورة سحب جزء من التلاميذ الفلسطينيين من المدارس التقليدية . اما مدارس الثورة فيجب ان تكون وسط المخيمات او قريبة منها في مرحلتي الحضانة وتعليم القراءة والكتابة والحساب . وان تأخذ شكل معسكرات الاشبال في مرحلة تهيئة الفتيات والفتيان للانخراط في الكفاح المسلح . اذ لا يجوز عزل اولادنا في هذه المرحلة ضمن جدران الغرف عدة ساعات كل يوم .

أما في مرحلة التخصص فتأخذ مدارس الثورة شكل ورش علم وعمل وانتاج ، بحيث لا ينفصل الفرد عن الممارسة الثورية وعن الاسهام في الثورة . ومن المفترض ان توجد هذه المدارس حيث يتوفر الوجود العلمي للثورة الفلسطينية .

أما مضمون التعليم الثوري فيجب ان يختلف اختلافا كبيرا عن مضمون التعليم التقليدي . ففي مرحلة الحضانة يجري التركيز على الاناشيد الفلسطينية والالعاب الجماعية وتغرس فلسطين كمدن وسواحل ومعالم ولباس وتراث في نفوس الاطفال من خلال الصور . كما يجري ترسيخ صورة الفدائي في ذهن الطفل وخياله بحيث يصبح الفدائي

او المقاتل مثاله الاعلى . وفي المرحلة الابتدائية يركز على تعليم الاولاد تاريخ وجغرافية فلسطين مع معلومات مبسطة حول القضية الفلسطينية واغتصاب فلسطين وحسول العدو الصهيوني . كما يدرس الاولاد تاريخ النضال العربي وطبيعة الاستعمار . ولكن عدد الساعات التي تعطى لتدريس هذه المواضيع تكون أقل من عدد ساعات تدريس التاريخ والجغرافية واللغات في المدارس التقليدية . كمـا ان التـاريخ والجغرافيـة والمواضيع السياسية تدرس كمواضيع حية ترتبط بالبيئة وبواقع الشعب الفلسطيني ، والعربي وتستعمل كادوات تعبئة وتوعية . اما بقية ساعات النهار فيقضيها الاولاد في القيام باعمال يدوية ومهنية تخلق عندهم الفة بالالة . كما يركز الى حد كبير على تربية الاولاد البدنية وعلى تدريبهم العسكري . ويجب تشجيع حاسة الخلق والابداع عنـد اولادنـا .

أما في مرحلة التهيئة للمشاركة الفعلية والمباشرة في النضـال المسلح فيجرى تكثيـف البرنامج الرياضي والعسكري ، ثم يشدد على تدريس الرياضيات والعلوم الطبيعية . ثم يستحدث برنامج مهني يتعلم بموجبه كل فرد مهنة واحدة على الاقل ومن الافضل ان يتعلم أكثر من مهنة من المهن التي تفيد الكفاح المسلح مباشرة . اما من الناحية التربوية العامة فنشدد في هذه المرحلة على الامور التالية :

١ ـ ربط التلميذ بالثورة والعودة بناء على أمور ملموسة وليس بناء على شعارات عاطفية فقط . أي على التربية الثورية ان تبين لاولادنا بالارقام والدلائل الحسية الفوائد التي سيجنونها من وراء التحرير وأهمها أن يكون الفلسطيني حرا وسيد نفسه وان يبقى موفور الكرامة . وهذه أمور يفتقدها خارج وطنه . فلا عزة ولا كرامة ولا استقلال ـ اقتصادي وفكري ونفسي واجتماعي ـ للفلسطيني الا عن طريق النضال المسلح واسترداد الارض .

٢ ـ التركيز الشديد على دراسة العدو وطبيعة صراعنا معه ، ومحاولة تفهم نقاط قوته وضعفه من اجل ايجاد أفضل السبل للقضاء عليه .

٣ ـ دراسة فلسطين والقضية الفلسطينية مـن مختلف وجوهها دراسة عميقـة وتفصيلية .

٤ ـ دراسة تجارب الشعوب الاخرى التي مرت بظروف ومراحل مشابهة لظروفنا .

٥ ـ دراسة شروط ومراحل وأساليب حرب التحرير الشعبية .

بعد الانتهاء من مرحلة التأهيل ينتقل الفتيات والفتيان الى المشاركة الفعلية في الجوانب المختلفة للنضال الفلسطيني ويتابعون تخصصهم المهني او العلمي في احدى مؤسسات او معاهد الثورة العلمية العالية شرط ألا ينقطعوا عن الممارسة الثورية وان يعملوا على تطبيق ما يتعلمونه أولا بأول خاصة في مجالات الطب والهندسة والزراعة والتخصصات المهنية الاخرى .

ان تحقيق هذا النظام التربوي وتطبيق مضمونه يتطلب تحقيق شرطين أساسيين وهما :

١ ـ خلق المعلم الثوري الذي لا يعمل كمدرس فقط وانما كأداة تغيير ثورية . ويتم ذلك من خلال دورات تدريب وتثقيف وحلقات دراسية تعطى للمعلمين الفلسطينيين ويكون هدفها الاساسي خلق حركة فكرية تربوية ثورية في أوساط المعلمين . وما تلبث هذه الحركة أن تتحول الى نمط عمل وممارسة وأداة تحريك وتوجيه للاخرين داخل المدارس وخارجها .

٢ ـ وضع منهج تربوي متكامل يأخذ بعين الاعتبـار الاساليب الحديثة في التربيـة

والتعليم . فبدون هذا المنهج المدروس والمتكامل لا يمكن تطبيق اهداف الثورة في بناء الاجيال الثائرة والمناضلة .

ضمن هذا النظام التربوي أو التربوي — الاجتماعي تستوعب الثورة الفلسطينية وتعبىء معظم طاقات الشعب الفلسطيني مهما صغرت أو عظمت . وقد يبدو هذا التصور للبعض مثاليا يستحيل تطبيقه ، لكن الواقع ان تطبيق جزء منه يبقى أفضل من لا شيء وان اعتماد المفاهيم التربوية التي وردت ضمن هذا التصور يعطي دفعا لثورة الشعب الفلسطيني ويجعلها تقف على أسس صلبة وراسخة .

اما المخاذير الرئيسية لانشاء نظام تربية وتعليم فلسطيني فهي تمويله ، واقتصاره على الفلسطينيين خارج الارض المحتلة ، واحتمال انغلاقه على نفسه . فنحن نخشى ان يؤدي تمويل نظام التعليم هذا من قبل بعض الدول العربية الى وقوع الثورة الفلسطينية بدرجة كبيرة تحت وصاية تلك الدول . ولذلك على الثورة ان تعتمد على امكانياتها الذاتية وان تعمل على بناء نظام التعليم الفلسطيني خطوة خطوة كما عليها ان تعتمد على كادر تعليمي عربي وفلسطيني يقبل نصف راتب او مخصص مناضل . كما ان مشكلة انغلاقه على نفسه يمكن أن تحل بفتح ابواب مدارس الثورة أمام كل شاب عربي يرغب في الانضمام اليها . وتبقى مشكلة اقتصار التعليم الفلسطيني على فلسطينيي الخارج (خارج الارض المحتلة) اذ لا يجوز ان نطلب من فلسطينيي الداخل (الارض المحتلة) ان يخرجوا للالتحاق بمدارس الثورة ، وانما العكس هو الصحيح اذ علينا ان ندفع فلسطينيي الخارج الى الداخل .

اقرأ لباسم سرحان

أطفال الفلسطينيين : جيل التحرير

(باللغة الانجليزية)

منشورات : مركز الابحاث في م. ت. ف.

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

سعر النسخة ليرة لبنانية واحدة

تضاف اليها أجور البريد الجوي : ٥٠ ق. ل. في العالم العربي ،

١٠٠ ق. ل. في أوروبا ، ٢٥٠ ق. ل. في سائر الدول .

الصناعة الحربية الاسرائيلية وعقدة « السوبر »

هشام عبدالله

دفع تطور صناعة الاسلحة في اسرائيل العديد من الكتاب العرب للبحث في هذا الموضوع . وقد اختلطت الحقيقة في أبحاثهم بالدعاية الاسرائيلية بشكل أساء كثيرا الى قيمة هذه الابحاث التي لم تقدم دراسات علمية بقدر ما كانت امتدادا للاعلام الاسرائيلي ، مع زيادة في التهويل .

ومما لا شك فيه ان لانتاج الاسلحة في اسرائيل قيمة اقتصادية يبالغ البعض في تقديرها أيضا ، عندما يشير الى أن اسرائيل تصدر او هي ستصدر أسلحة تقدر قيمتها بالملايين ، ويتناسى في الوقت نفسه انه كان بامكان اسرائيل أن تحصل ، ربما على نتائج أفضل ، لو استثمرت هذه المبالغ في مجالات صناعية أخرى . فمصانع الطائرات الاسرائيلية مثلا تشغل اكثر من ١٣٫٥٠٠ عامل ومهندس وتقني(١)، وتنتج أصنافا قليلة من المعدات والاسلحة ، وتصنع بكميات ضئيلة نوعين من الطائرات ، أحدها امريكي التصميم ، وكلا النوعان يطيران بمحركات أميركية ، ومع هذا فان عدد العاملين في هذه المصانع يزيد عن عدد العاملين في مؤسسة بريجيت داسو الفرنسية ، والتي هي اتحاد لشركات مارسيل داسو ، بريجيت للطيران ، ومارسيل داسو الكترونيك، والتي تدير ١٧ مصنعا في مختلف حقول الطيران والالكترونات ، وعددهم ١٣٫٠٠٠ عامل(٢)، يعملون في مجالات الابحاث والتطوير ، ومختلف مرافق الانتاج ، وتنتج هذه المصانع سلسلة طائرات ميراج بأنواعها، وعدة انواع من طائرات رجال الاعمال منها « فالكون ١٠ » و« فالكون ٢٠ » ، وطائرة النقل النفاثة قصيرة المدى « داسو مركور » والتي تتسع لـ ١٣٤ راكبا ، وطائرة النقل بريجيت ٩٤١ والتي تتسع لـ ٦٠ راكبا وملاحا ، وطائرة الدورية البحرية بعيدة المدى « اتلانتك ١١٥٠ » بالاضافة الى المعدات الالكترونية المختلفة . وتوضح هذه المقارنة مدى سوء الادارة والهدر في الطاقات الاقتصادية داخل مصانع الطائرات الاسرائيلية . وما يهمنا في هذا البحث هو فصل الحقيقة عن الاعلام فيما يتعلق بالاسلحة التي تنتجها اسرائيل . وكقاعدة انطلاق لمعرفة مستوى هذه الاسلحة نشير الى انه لا يمكن اعتبار اسرائيل دولة متقدمة من الناحية الصناعية ، فهي أقل منزلة من اليابان واسبانيا مثلا ، واللتان تعتبران في مجال صناعة الاسلحة — حاليا على الاقل — من الدول متوسطة التقدم ، وبالتالي فاسرائيل أقل قدرة منهما على انتاج اسلحة متطورة .

وحيدة من نوعها في العالم

في مقابلة اجراها رفائيل باشو من معاريف مع مدير عام مكتب الامن الاسرائيلي يشعياهو ليفي حول صناعة الاسلحة ، سأل باشو : « **هل نستطيع القول ان « مصلحة تطوير وسائل الحرب » تطور أسلحة جديدة وحيدة من نوعها في العالم** »(٣).

ويعكس هذا السؤال فتح باب جديد في اتجاه قديم للدعاية الصهيونية والاسرائيلية ، الاتجاه القديم عن شعب الله المختار والتفوق والعبقرية اليهودية ، اما الباب الجديد فهو الصناعة الحربية الاسرائيلية .

لقد حققت الصناعة الحربية الاسرائيلية تقدما لا بأس به وان كان هذا التقدم لا يوازي الامكانات الضخمة المتوفرة للسلطات الاسرائيلية ، سواء منها المادية والتقنية و الخبرات الفنية التي تستوردها جاهزة من الدول الغربية المتحضرة ــ وبعد نجاحات محدودة في مجال انتاج الاسلحة بدأت الدعاية الاسرائيلية في تحويل كل ما تمسه اليد الصهيونية الى شيء سحري **وحيد من نوعه في العالم** .

وليس هناك مبالغة في قولنا السابق بأن نجاحات اسرائيل محدودة ، فجميع الاسلحة الاسرائيلية الرئيسية العاملة هي من صنع اجنبي ، على الرغم من محاولات الدعاية الاسرائيلية اخفاء دبابات « باتون » خلف رشاش « عوزي » ، واخفاء طائرات الفانتوم خلف صاروخ « شفرير » فقوة الجيش الاسرائيلي في الاسلحة لا تنبع أصلا من رشاش « عوزي » أو صاروخ « شفرير » بل من المدفعية والدبابات الحديثة والطائرات الاحدث ، وكلها في الجيش الاسرائيلي أجنبية المصدر .

فهناك عدة فروع لاتجاهات الصناعة الحربية الاسرائيلية ، اولها الصناعة بموجب ترخيص من بلد المنشأ ، كما في صناعة طائرات التدريب فوغاماجستير الفرنسية وصناعة مختلف انواع الذخائر والمدافع الصغيرة العيار والرشاشات وغيره(٤). ويلقي الاعلام الاسرائيلي أضواء باهتة على هذا المجال من الصناعة على الرغم من أنه أخطر قطاعات الصناعة العسكرية في اسرائيل ، وهو الذي يقدم الدعم الحقيقي المجرد من الدعاية المضخمة للقوة الاسرائيلية .

اجراء التحسينات

والفرع الثاني من فروع الصناعة هو اجراء التعديلات (التطوير في القاموس الاسرائيلي) على الاسلحة الاجنبية التي تشتريها اسرائيل ، لتناسب متطلبات اسرائيل القتالية ، وقد اجريت تعديلات على معظم الاسلحة الثقيلة التي اشترتها اسرائيل تقريبا ، فأبدلت مدافع طائرات السكاي هوك عيار ٢٠ ملم بمدافع ديفا عيار ٣٠ ملم والتي تصنع في اسرائيل بموجب ترخيص(٥) وزودت طائرات الهليكوبتر سيكورسكي اس ٦٥ بخزانات اضافية ومصافي للرمل « ضرورية للعمل في الصحراء »(٦). وقامت بتزويد دبابات م٤٨ أ ٣ بمدافع عيار ١٠٥ ملم بدلا من مدفعها الاصلي عيار ٩٠ ملم(٧). وفي كل المرات التي تمت فيها هذه التعديلات أبرزت أخبارها كما لو كانت أهم من السلاح نفسه. فقد قامت اسرائيل في الاونة الاخيرة باجراء عمرة شاملة وتصليحات على دبابات«سونتوريون مارك ٥ » التي تمتلكها والتي بنيت في الخمسينات ، فقامت بتغيير المحرك الاصلي من طراز « ماتيور » والذي اوقف انتاجه في بريطانيا ، بمحرك امريكي يعمل بالمازوت طراز « كونتيننتال » ، وابدل مدفعها القديم عيار ٢٠ رطلا بمدافع بريطانية عيار ١٠٥ ملم . وبعد هذه « اللمسات » الاسرائيلية وصفت « السنتوريون المطورة » بانها افضل من دبابات العدو من طراز « ت ٥٤ » و « ت ٥٥ »(٨) وفي حديث مع العميد حاييم دومي قائد مصلحة التسلح في الجيش الاسرائيلي ، قال ردا على سؤال : « حسب المعطيات المتوفرة لدينا استطيع القول ان دبابات سونتوريون المحسنة تفوق بمزاياها الدبابات الموجودة لدى الاردن »(٩) علما بأن دبابات السونتوريون الاردنية هي مارك ١١ ، ومزودة بمدفع عيار ١٠٥ ملم ، وبأجهزة للاشعة تحت الحمراء للرؤية الليلية ، هذا بالاضافة الى أن تصميمها العام قد بني ليتوافق مع المدفع والمحرك، بخلاف السونتوريون الاسرائيلية ، اما عن قدرتها القتالية فقد قال دومي « شارك بعض هذه الدبابات في بعض العمليات القتالية في الهضبة السورية ولبنان ، وقد اثبتت جدارتها بشكل مقبول »(١٠). وقالت معاريف « داخل لبنان اثبتت الدبابات ، « الحديثة ــ القديمة » مقدرة حركة وجدارة عالية على اراض وعرة وصعبة للغاية »(١١). وقد يصدق هذا القول لو أن عمليات قتال حقيقية بالدبابات قد جرت في لبنان ، تبرز من خلالها ميزات

« السوبتوريون المحسنة » ، لان من الصعب ابراز هـذه الميزات في عمليات قتال غير متكافئة بين دبابات ، وان كانت قديمة ، وسيارات عسكرية غير مسلحة او دبابات آم اكس ـــ ١٣ الخفيفة والمعدة اساسا للاستطلاع. وتتضح اهمية التحسينات الاسرائيلية اذا ما القينا اضواء على اعمال اسرائيل السابقة في هذا المجال .

يبدو ان هناك نفورا تاريخيا في اسرائيل من مدافع الدبابات التي يقل عيارها عن ١٠٥ ملم ، فقد كان لدى اسرائيل ٢٠٠ دبابة شيرمان م ٤ ، اشترتها في الخمسينات ، وقد « طورت » هذه الدبابات وزودت بمدافع فرنسية عيار ١٠٥ ملم ومحركات ديزل جديدة طراز « كونس » ، واستخدمت هذه الدبابات التي اطلق عليها اسم سوبر شيرمان على نطاق واسع في حرب حزيران ، ولكن درعها الرقيق نسبيا ، جعلها سهلة التدمير من قبل المدافع عيار ١٠٠ ملم لدبابات « ت ٥٤ » و « ت ٥٥ » المصرية ، وكانت الاصابات كبيرة(١٢) .

ولم « تنج » باقي الاسلحة من التحسينات الاسرائيلية ، كما سبق وذكرنا ، فقد ابدلت مدافع طائرات السكاي هوك ، « وتمكن احد مهندسي الصناعات الجوية من تحسين محرك الطائرة المقاتلة السكاي هوك وان المصنع الذي ينتج هذه الطائرات بدأ بتنفيذ ابتكارات هذا المهندس في انتاجه الجديد »(١٣) . وعدا عن هذا « قالت مصادر أجنبية ـــ غير اسرائيلية ـــ ان أسرائيل ادخلت تحسينات على طائرات الميراج الفرنسية»(١٤) . وليس لهذه التحسينات اهمية فعلية بل أن بعضها لا يدخل في باب « التحسينات » على الاطلاق . بل يمكن ان يوصف بأنه « اختلاف في وجهات النظر » فمن المؤكد ان المصانع الامريكية تمتلك مدافع ٣٠ ملم تزود بها طائرات السكاي هوك ، ولم تزود الطائرة بمدافع من هذا العيار لان مصممي الطائرة رأوا على ضوء الخبرات المتوفرة لهم ، ولكون الطائرة مصممة كقاذفة هجومية خفيفة لا كمطاردة ، انها ليست بحاجة الى مدافع من عيار ٣٠ ملم . ومن جهة اخرى كان بامكان اسرائيل ان تطلب تزويد هذه الطائرات بمدافع من عيار ٣٠ ملم مباشرة من المصنع ودون اي ضجيج اعلامي . اما الاخبار الاخرى التي تسربها اسرائيل عن طريق الصحف الصهيونية في العالم،عن تطوير وتعديل الاسلحة كما في طائرة الميراج ، فمن الصعب بحث ذلك باسهاب دون معرفة طبيعة هذه التعديلات خوفا من أن تكون في مستوى اضافة حلقة لفتح الزجاجات لبندقية جليل(١٥) . هذا مع التأكيد على انه من الصعب للغاية اجراء تعديلات اساسية تمس هيكل الطائرة او محركها او بعض أجهزتها الاساسية . وكما يتضح فالغرض من هذه « الحركات » تضخيم الامكانات التقنية الاسرائيلية القادرة على اجراء تعديلات على الاعمال الامريكية والفرنسية .

الصاروخ غابرئيل

ويشمل الفرع الثالث صناعة الاسلحة والمعدات التي تصمم وتنفذ في اسرائيل او على الاقل التي تدعي اسرائيل انها كذلك.ويلقي الاعلام الصهيوني عادة اضواء ساطعة على منتجات هذا الفرع ، وقد نشطت الاخبار عن منتجات حربية من صنع اسرائيلي في الاعوام الثلاثة الماضية ، فظهر الصاروخ البحري سطح ـــ سطح «غابرئيل» والزورق حامل الصواريخ « رشاف » والصاروخ جو ـــ جو « شافرير » والبندقية « جليل » . هذا بالاضافة الى تكاثر الحديث عن السوبر ميراج الاسرائيلية .

وكان الصاروخ « غابرئيل » اول نتاج لهذه الصناعة ، وقد احست اسرائيل بخطورة هذا النوع من الاسلحة عندما اغرقت البحرية المصرية المدمرة الاسرائيلية ايلات عام ١٩٦٧ بصاروخ سطح ـــ سطح من طراز « ستيكس » السوفياتي الصنع وحاولت الحصول على سلاح مشابه فلم تجد عند حلفائها الغربيين حاجتها نظرا لان بحرية الولايات المتحدة والدول الغربية الكبرى ، لم تكن قد أبدت حتى ذلك الحين ، اهتماما

بتطوير صواريخ سطح ــ سطح تطلق من السفن ، على اعتبار انهـا ضرورية فقـط للعمليات البحرية المحدودة نسبيا ، وان بحرية لها قوة جوية ضاربة كبحرية الولايـات المتحدة مثلا ، ليست بحاجة الى هذه الصواريخ ، ومن هنا بدأت اسرائيل في تطويـر صاروخ سطح ــ سطح . لتكشف النقاب يوم ٦ ايار ١٩٧٠ عن صاروخها الذي طور وانتج في اسرائيل اي غابرئيل (وهو يطلق من السطح الى السطح ويبلغ مداه ٢٢ كم ووزن عبوته الناسفة ١٨٠ كغم) . وقد وصف هذا الصاروخ لرجال الصحافة الاجنبية بأنه « **اكثر الصواريخ التي من نوعه تطورا في العالم الغربي** »(١٦) و« **ليس له مثيل في العالم الغربي** »(١٧) ويزداد التطرف في مدح الصاروخ ليصبح « **اكثر الصواريخ التي من نوعه في العالم**»(١٨) ثم ينخفض ليصبح « مساويا لصاروخ ستيكس »(١٩) .

وقد لاقي هذا الصاروخ نجاحا لا بأس به ، لسبب بسيط وهو عزوف الدول الغربيـة المتطورة عن انتاج هذا النوع من الصواريخ ، حيث انحصر انتاجها في الدول الصغرى مثل النرويج التي تصنع صواريخ من طراز بنغوين ، وايطاليا التـي تصنع صاروخ « نتونو » و« فولكانو » هذا بالاضافة الى الاتحاد السوفياتي الذي ينتج انواعا متعددة من هذه الصواريخ سلح بها العديد من قطعه البحرية وقد بدىء بانتـاج جميع هذه الصواريخ في أوائل الستينات .

وعلى الرغم من النجاح الحالي لصاروخ « غابرئيل » فان مستقبله كسلاح يمكن تصديره لا يدعو الى التفاؤل بسبب بداية منافسة المصانع الغربية له وتفوق انتاج هذه المصانع على الانتاج الاسرائيلي . فقد طرحت فرنسا وايطاليا معا صاروخ « اوتومات »(٢٠) وعرضت فرنسا صاروخ اكسوسيت(٢١)، وتعمل بريطانيا وفرنسا على انتاج الصاروخ سطح ــ سطح « شب مارتل »(٢٢) وتتفوق هذه الصواريخ بالاضافة الى الصواريخ السوفياتية على الصاروخ الاسرائيلي سواء من ناحية المدى(٢٣) او اجهزة التصويب الالكترونية ، او سرعة الصاروخ . ومن المحتمل جدا ان تجد اسرائيل نفسها مضطرة لشراء صواريخ سطح ــ سطح من مصادر غربية بالاضافة الى الاجهزة التي ستكون ضرورية لتوجيه الصاروخ الى مداه البعيد . خاصة اذا ما سلحت الزوارق العربية بصواريخ « ستيكس » الحديثة والتي يصل مداها الى ٤٠ كم ، وتظهر اهمية هذه النقطة اذا عرفنا ان لمدى اسلحة الزوارق والسفن الحربية بشكل عام الاهمية الاولى للتفوق على الخصم والمناورة معه وتدميره ، لان اي سفينة حربية تبقى عديمة الحيلة امام سفينة حربية معادية اذا كان مدى رماية هذه الاخيرة يزيد عن مدى رماية الاولى. كما ان السرعة المتدنية لصاروخ « غابرئيل » والتي لا تزيد عن ٦ر. ماك(٢٤) مقابل سرعة في حدود ١ ماك لصاروخ « ستيكس » ، تجعل بالامكان التصدي له بالمدافع الرشاشة المضادة من مختلف العيارات والموجودة على الزوارق الحربية واسقاطه قبل ان يصل الى هدفه .

الزورق حامل الصواريخ « رشاف »

انزل يوم ١٩٧٣/٢/١٩ أول زورق حربي بني في اسرائيل ، وقد وصف قبل انزاله بأنه « **أداة الملاحة الاولى من نوعها التي تمت في العالم** »(٢٥) ووصفت أجهزته الالكترونية بأنها « **أجهزة متطورة أكثر من الاجهزة الموجودة في العالم** »(٢٦) ويعكس مضمون هـذه الكلمات بأن اسرائيل قد تفوقت على العالم أجمع في مجال الاجهزة والالكترون ، ومجال صناعة الزوارق الحربية !! والحقيقة ان قلة اهتمام الدول الغربيـة بتطوير زوارق سريعة مسلحة بالصواريخ ، في الفترات الماضية ، للاسباب التي سبق ذكرها قد ترك الباب مفتوحا لاسرائيل ، ولكن هذا لا يعني ان زورق « رشاف » هو الوحيد من نوعه في العالم . فليس في الزورق أي جديد أو اختلاف في الفكرة الاساسية عن زوارق أوسا

السوفياتية الصنع ولا يختلف عن زوارق شربور الفرنسية الصنع الا بالوزن مع فارق ان شربور أسرع من الزورق الاسرائيلي . كما ان « وجـــود اجهزة ـــ خاصة جهاز التوجيه ـــ ليست موجودة في زوارق شربور «ساعر» »(٢٧) حسب قول قائد البحرية الاسرائيلية «تيلم» ،لايشكل اية عقبة لان بالامكان اضافة هذه الاجهزة او تبديلها ببساطة ودون عقبات فنية ، فمن الدارج جدا تغيير مدافع السفن والزوارق الحربية واضافة أجهزة او نزع اخرى منها ، كاضافة اسرائيل لصواريخ غابرئيل على زوارق شربور مثلا(٢٨) . أما كون زورق « رشاف » وحيد من نوعه في العالم فالمقصود منه غير واضح ، فان كان وحيدا من ناحية الوزن ، فمن النادر جدا ايجاد فئة واحدة من السفن لها نفس الوزن ، ابتداء من حاملات الطائرات الضخمة وانتهاء بزوارق الدورية الصغيرة . اما ان كان وحيدا من ناحية المهمات التي يستطيع ان يؤديها أو الاسلحة التي يحملها ، فهو ليس كذلك لان هناك أعدادا من الزوارق لها مواصفات افضل من الزورق الاسرائيلي . سواء من ناحية قدرات الزورق عامة او لطبيعة التسليح ونوعيته . ومقارنة سريعة بين الزورق الاسرائيلي وبعض الزوارق العاملة حاليا في العالم أو التي ستبدأ بالعمل في المستقبل القريب تظهر ان الزورق الاسرائيلي هو الاضعف .

تبلغ سرعة رشاف ٣٢ عقدة ، وتضعه سرعته هذه في مرتبة أدنى من زوارق « أوسا » السوفياتية وسرعتها ٣٨ عقدة ، و« تناستي » البريطانية وسرعتهـــا ٤٠ عقدة ، او « الكومباتينت ٤ » الفرنسية والتي ستبلغ سرعتها ٤٥ عقدة(٢٩) . كما ان تسليح هذه الزوارق بصواريخ « ستيكس » و« اكسوسيت » يعطيها تفوقا ساحقا على الزورق الاسرائيلي ليس في مدى قذف الصاروخ فحسب بل لان قذف الصاروخ الى هذا المدى يحتاج الى اجهزة الكترونية اكثر كفاءة .

ولا بد من ذكر بعض الحقائق المتعلقة بهذا الزورق لايضاح مدى استقلالية اسرائيل في انتاجه ، ونرجع هنا الى أقوال قائد البحرية الاسرائيلية بنيامين تيلم ، الذي صرح « ان زورق « ساعر » صمم في ٦٤ ـــ ١٩٦٥ وصمم رشاف بعد اربع سنوات من ذلك **تحت اشراف فرنسي** ، لقد وصلنا الى الاستقلال من ناحية مقدرتنا ، **مع نسبة ضئيلة جدا من الخارج** »(٣٠) . اما النسبة الضئيلة جدا المذكورة فقد عرفنا منها محركات الزورق الاربع التي صنعت في مايباخ بألمانيا ، ومن المؤكد ان مدفعي الزورق الآليين المضادين للسفن والطائرات عيار ٧٦ ملم هما من صنع غربي ، حيث ليس لدى اسرائيل كما نعلم صناعة لمدافع من هذا الطراز . وربما أيضا بعض الاجهزة الدقيقة ، بالاضافة الى الاشراف الفرنسي . وبرغم ما تقدم فان المسؤولين الاسرائيليـــين لا يخجلـــوا من التصريح بأن « اسرائيل قد سبقت الاساطيل الاخرى في العالم التي تبني زوارق صواريخ »(٣١) . ان من الامور المضحكة فعلا هذا السباق المعلن عنه من طرف واحد فقط والذي تظهر فيه عقدة السوبر الاسرائيلية بكل جلاء .

الصاروخ جو ـــ جو شفرير

مهدت اذاعة اسرائيل لعرض أول صاروخ جو ـــ جو من انتاج اسرائيل ، بكلمة من مراسل الاذاعة العسكري روني دانيال قال فيها « وقد اعتبر خبراء الطيران الاجانب الصاروخ « شفرير » كأحد الصواريخ جو ـــ جو الممتازة في العالم ، **وهناك من يقول انه أجودها وأكثرها دقة** »(٣٢) . وقال في اذاعة ثانية في اليوم نفسه « وحقيقة كون الصاروخ « شفرير » قد احتل مكانة الصاروخ سايدوندر الذي تسلح به طائرات الفانتوم ، تدل على **ان التطوير الاسرائيلي يفوق الاصل الامريكي** » . واضاف « وباستطاعة مهندسي « مصلحة تطوير وسائل القتال» الذين طوروا هذا الصاروخ وبنوه ان يسجلوا لصالحهم تفوقا تكنولوجيا وعسكريا عظيما »(٣٣) .

ومن غرائب الصدف فعلا « ان يشبه هذا الصاروخ سواء من حيث الشكل أو المزايا الصاروخ الامريكي سايدوندر/ب »(٣٤). وتمضي اسرائيل في مسلسلها الاعلامي ليصرح العازر داغان من « مصلحة تطوير وسائل القتال » أثناء عرض الصاروخ « يسعدنا ويشرفنا أن تشتري الولايات المتحدة الصاروخ »(٣٥).

وهكذا تتم التمثيلية الاعلامية بتوقعات اسرائيلية أن تشتري الولايات المتحدة صاروخ « شفرير » ، وهو أمر بعيد الاحتمال لان الولايات المتحدة تنتج منذ عام ١٩٦٥ صاروخا مشابها وذو ميزات أفضل ، وهو الصاروخ سايدوندر ١ سي(Sidewinder 1 c) وهناك نموذجان من هذا الصاروخ ، الاول وهو النموذج ٩ سي يوجه بالرادار والنموذج الآخر ٩ د ويوجه بالاشعة تحت الحمراء . وهذا يعني ان هناك صفات مشتركة عديدة بين الصاروخين الامريكي والاسرائيلي ، مع فارق بسيط واحد وهـــو أن وزن الصاروخ الامريكي أقل من وزن أخيه الاسرائيلي (٨٤ كغم مقابل ٩٣ كغم) كما ان رأس التوجيه في النموذج الذي يعمل بالاشعة تحت الحمراء يختلف قليلا عن الرأس الامريكي .

اما مقارنة الصاروخ الاسرائيلي بسايدوندر/ب فهو استغلال رخيص لجهل الآخرين بأمور الاسلحة ، فقد أوقف انتاج هذا الصاروخ عام ١٩٦٢ بعد أن صنع منه في الولايات المتحدة ٦٠ ألف قطعة بالاضافة الى ٩ آلاف قطعة صنعت في المانيا ، وقد جددت معظم صواريخ سايدوندر/ب المتبقية وذلك بتزويدها برأس توجيه محسن يعمل بالاشعة تحت الحمراء وسمي النموذج المحسن منها سايدوندر/اي (Sidewinder E) اما كون الصاروخ الاسرائيلي أجود الصواريخ جو ــ جو الموجودة في العالم فمسألة فيها نظرة ومقارنة بينه وبين « الاصل الامريكي » حسب تسمية مراسل اذاعة اسرائيل العسكري تبين ذلك . فمدى الصاروخ الاسرائيلي لا يتجاوز ٥ كم(٣٦)، مقابـــل ١٨ كم للصاروخ الامريكـــي سايدوندر ١ سي ، هذا على الرغم من انه أقل منه وزنا كما سبق وذكرنا . ومن جهة أخرى فان التقدم العلمي الاسرائيلي لم يصل بعد وليس من المحتمل أن يصل في المستقبل القريب أو البعيد أيضا لينافس المستويات الامريكية والسوفياتية والاوروبية . وتتضح المبالغة الاسرائيلية في تقدير هذا الصاروخ حين قال زيف بوتين رئيس « مصلحة تطوير وسائل القتال » « وفي النهاية ساعد هذا الصاروخ اسرائيل في تحقيق السيطرة على الاجواء في جبهة قناة السويس ، ولذلك فانه كان عاملا مهما في تحقيق وقف اطلاق النار بين مصر واسرائيل في شهر آب ١٩٧٠ »(٣٧). وهكذا نعود الى تكتيك الدعاية الاسرائيلية وتختفي طائرات الفانتوم بكل ميزاتها الفنية والتقنية ، من أجهزة ، وسرعة ، وحمولة ، ومدى ، وقدرة على المناورة خلف صاروخ « شفرير » .

مسلسل الدعاية الصهيوني

حين دخلت اسرائيل ميدان صناعة الطائرات ، وبدأت بانتاج طائرة « عرفه » ، أصيب الصناعيون الاسرائيليون بما اصيب به الجيش الاسرائيلي في أعقاب حزيران ، وانطلقوا بعيدا مع أحلامهم وألسنتهم ، فصرح متحدث باسم مصانع الطائرات في اللد لجريدة يديعوت احرونوت « ان صناعة الطائـــرات الاسرائيلية يمكنهـــا أن تنتج « أي شيء يطير » »(٣٨). وكالعادة قال مصممو طائرة عرفه « انه ليس لهذه الطائرة أي منافس في هذا الحقل من الطيران العسكري »(٣٩). وهذا صحيح اذا تجاهلنـــا طائرات مثـــل « السكاي فان » البريطانية ، و د. هـ. س ــ ٦ الكندية ، و « سي ٢١٢ افبوكار » الاسبانية وجميعها تفضل الطائرة الاسرائيلية ، خاصة وان هذه الاخيرة اثقل وزنـــا بالنسبة لقوة المحركات من كل هذه الطائرات ، وهذا يعني استنفاد قسم اكبر من قوة المحركات لحمل جسم الطائرات فحسب .

والادعاءات المذكورة ليست غريبة عن الاعلام الاسرائيلي ، ولكن المستغرب أن العديد من النشرات الدورية ذات التخصص العالي في كافة المجالات العسكرية ، مثل المجلة

العسكرية الامريكية قد فقدت اتزانها وانجرفت مع تيار الدعاية الاسرائيلية وراحت تنشر أخبارا تستند فيها على مصادر باهتة ، مثل مراسل صحيفة يدعى اورديناد الذي له علاقات وطيدة بجيش الدفاع ، والذي صرح بأن اسرائيل تنتج طائرات من طراز « باراك » بمعدل طائرتين في الشهر منذ عام ١٩٧١ وعلى حد قول اوديناد هذا « فان الطائرة قادرة على نقل ٦ أطنان من المعدات وتزيد سرعتها بمرتين ونصف عـــن سرعة الصوت »(٤٠). ثم تعود المجلة ذاتها فتذكر « ان اسرائيل طورت حديثـــا واختبرت في الطيران بنجاح نموذجها الخاص الاسرع من الصوت « ميراج ٥ » المقاتلة القاذفة . ويتوقع أن تبدأ اسرائيل بانتاج طائرة نفاثة واحدة في الشهر عام ١٩٧٢ ، والطائرة الجديدة هي نفاثة خفيفة وسريعة تصل سرعتها الى ١٫٥ ماك على الاقل ... »(٤١). ثم يأتي عام ١٩٧٣ فلا تنتج اسرائيل طائرتها هذه بل تطلب مساعدة الولايات المتحدة التقنية لانتاج الطائرة(٤٢). ويكفي أن نورد أن طائرة واحدة لها مزايـــا كالتي أوردها « المراسل العسكري اورديناد » من المنتظر ان تكلف في الولايات المتحدة بين ١٢ ــ ١٥ مليون دولار(٤٣) ويحتاج تطويرها لمبالغ ضخمة لا قبل للميزانية الاسرائيلية بتحملها .

هذا بالاضافة الى الحديث عن أسلحة موجودة فعلا مثل بندقية جليل التي أطلقت عليها الصفات الاسرائيلية المعتادة ، حيث وصفت بأنها « تفوق البندقية الامريكية م ــ ١٦ وبندقية آ.ك ٤٧ (كلاشينكوف) السوفياتية(٤٤). وأسلحة اخرى خيالية مثل صواريخ «جريكو» التي يبلغ مداها حوالي (٥٠٠ كم) وثمن الصاروخ الواحد ١٫٥ مليون دولار ، وقد تقرر انتاج ٤ ــ ٦ صواريخ شهريا »(٤٥). لقد قامت اسرائيل فعلا بانتاج بعض الصواريخ لاغراض البحث العلمي ، ولكن هذه ليست اسلحة ، وليس لها اي قيمة عسكرية ، فليس لمدى الصاروخ اي قيمة ان لم يكن موجها ، امـــا اذا كان بالامكان توجيهه فانه يكون مجرد قنبلة غير دقيقة باهظة التكاليف ، وليس للصواريخ بعيدة المدى المسلحة برؤوس تقليدية أي اهمية عسكرية ، بل هي مجرد أسلحة مظهرية ، تصبح مهمة اذا ما زودت برؤوس نووية ، أو بأي من أسلحة الدمار الشامل . ولاستخدام هذه الاسلحة في حرب عربية اسرائيلية اعتبارات دولية لن تستطيع دول المنطقة تخطيها . اما العمل على تطوير دبابة متوسطة طراز « تسبار » المخصصة للعمل في الصحراء ، والتي تحدثت عنها المصادر الغربية فقط ، او الاذاعة الاسرائيلية مستندة على مصادر غربية فهو من المشاريع التي تقابلها اجهزة الاعلام بموافقة ضمنيـــة ، ولا شك ان لاسرائيل بعض الامكانيات لانتاج دبابة بمواصفات محدودة اذا ما أتيحت لها « مساعدة خارجية فيما يتعلق بالمحرك والهيكل وصب برج الدبابة »(٤٦). هذا بالاضافة الى بعض الاجهزة المعقدة والتي أصبح استخدامها ضروريا في الدبابات الحديثة ، ومدافع بريطانية عيار ١٠٥ ملم لتسليحها(٤٧). ويحق لنا ان نتساءل بعد ذلك ، ما الذي بقي من الدبابة ؟ وهل يمكن الحديث عن دبابة اسرائيلية ام أن الامر مجرد مشروع تجميع ــ هذا ان كان هناك مشروع «لتطوير» دبابة وليس فقاعة اعلامية ــ وما مدى اهميته في تحقيق اهداف اسرائيل بالاستقلال في انتاج الاسلحة والاقتصاد في النفقات وتعديل الميزان التجاري .

« السوبر » الاسرائيلية

يمكن النظر الى الصناعة الحربية الاسرائيلية والحملة الاعلامية المتعلقة بها من عدة وجوه ، الاول انها تظهر تفوقا تقنيا وبالتالي حضاريا وثقافيا على العرب ، وما لهذا من اثر معنوي سلبي على العرب وايجابي بالنسبة للصهيونيين . اما الوجه الثاني فانه يكرس ثقة الفرد الصهيوني بتفوقه حيث يتحول كل ما تمسه يديه الى أدوات متفوقة ليس لها مثيل في العالم . فدبابة « باتون » « المحسنة » تصبح « سوبـــر باتون » والشيرمان تصبح « سوبر شيرمان » والميراج تصبح « سوبر ميراج » هذا بالاضافة الى التهويل في قيمة هذه الاسلحة وفاعليتها فالدبابة القديمة التي أصلحت بأيدي صهيونية

تصبح في مستوى احدث الدبابات الموجودة في العالم ، والصاروخ « شفرير » يسقط طائرة عربية في اليوم الاول لاستخدامه(٤٨)، هذا ما يتعلق بحملة الحرب النفسية . اما القيمة الحقيقية لهذه الصناعة فسنبحثها من ناحية النوع والكم . وبعدما تقدم من بحث عن قيمة ونوعية هذه الاسلحة فسوف نزيد بطرح الموضوع على الشكل التالي : وهو ان للدبابات العربية اي كان نوعها حظا أوفر بالنصر في مواجهة «السنتوريون المحسنة» من مواجهة دبابة م — ٦٠ غير المحسنة ، والافضل لنا ان تستخدم الطائرات الاسرائيلية صواريخ « شفرير » ضد طائراتنا بدلا من صواريخ « سايدوندر » او « ماترا » وان تستخدم صواريخ « غابرئيل » بدل صواريخ « اكسوسيت » . ويتعلق الشق الثاني بالكم ، حيث يعتقد البعض ان وجود مصانع أسلحة في اسرائيل سيحررها تماما من القيود الغربية وبالتالي من اعتبارات ميزان التسلح في المنطقة لانها ستنتج دبابات وطائرات بقدر ما تريد ، الامر الذي يتنافى مع القواعد الاقتصادية العامة ، والامكانيات الصناعية والاقتصادية الاسرائيلية ، لان للمصانع قدرة انتاجية محددة تتناسب بشكل او بآخر مع حجم الاموال الموظفة ، ولان للاقتصاد السليم قدرة معينة على توجيه نسبة محدودة منه نحو الصناعة الحربية ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لان تطوير أسلحة حديثة ومعقدة عمل لا يقف عند حد ويحتاج الى مبالغ خيالية ومتزايدة لا يستطيع اقتصاد دولة صغيرة مثل اسرائيل تحملها .

ان الجزء الوحيد من الصناعة الحربية الذي يمكن اعتباره ذو قيمة والذي يمنح العدو درجة معينة من الاستقلال ، ولفترات قد تطول الا انها تبقى محدودة بسبب التطور المستمر للاسلحة ، هو انتاج مختلف انواع الذخيرة ، وقطع الغيار للمدافع والدبابات والطائرات ، والاسلحة المصنوعة بموجب ترخيص ، والاسلحة الصغيرة ، هي التي تشكل الخطر المادي الحقيقي ، اما الاسلحة الاخرى فخطرها المعنوي يفوق كثيرا مخاطرها المادية .

ومن المؤسف ان تساهم الدعاية العربية ، على المستوى غير الرسمي طبعا ، عن حسن نية او جهل بالامور العسكرية في انتشار الاعلام الاسرائيلي ، هذه المساهمة التي تتم على أساس ملاحقة ومتابعة تطور اسرائيل التقني ، أو لاسباب صحفية أخرى ، وكما سبق وقلنا فان نشر هذه الانباء كما هي دون تمحيص ، ودون التمييز بين الحقائق والاعلام هو أكبر خدمة نقدمها لنشاطات العدو المتعلقة بالحرب النفسية . فليس لهذه الصحف من عذر حين تستخدم التعابير الاسرائيلية التي وصفناها فيما سبق بعقدة « السوبر » مثل « أن جهاز الاتصال صنع اسرائيل **هو من أفضل الاجهزة المستعملة حاليا في العالم** »(٤٩) أو « ... بعد أن تبين ان **هذا الجهاز أفضل بكثير من ذلك الذي تستعمله قوات الولايات المتحدة** »(٥٠) أو «انتاج صواريخ**يقال انها أكثر دقة من الصواريخ السوفياتية** التي غنمها الاسرائيليون من صحراء سيناء خلال الحرب واستعانوا بها لبناء صواريخهم الخاصة »(٥١) أو التذكير بالتفوق اليهودي بشكل غير مباشر مثل القول « ومعروف ان صاحب مصانع ميراج مارسيل داسو يهودي »(٥٢) أو القول « كان **المهندسون الاسرائيليون** العاملون في مصانع مارسيل داسو الفرنسية قد **صمموا طائرة الميراج ٥** »(٥٣) على الرغم مما في هذا القول من مغالطة . ونقل الغطرسة الاسرائيلية كأنها حقائق مسلم بها ، مثل قول مجلة نيوزويك « ان مهندسا اسرائيليا قال ان الحكومة الاسرائيلية ترددت في بناء صناعة للاسلحة خاصة بها ، اعتمادا على انها شريكة لفرنسا في صناعة السلاح »(٥٤) أو « أعلن متحدث باسم وزارة الدفاع الاسرائيلية أن اسرائيل متقدمة من ناحية التقنية الالكترونية العسكرية مثل الاتحاد السوفياتي »(٥٥). ثم التذكير بانجازات اسرائيل الماضية لاعطاء الموضوع صفة الشمول مثل « كان الاسرائيليون قد بدأوا تصدير مدفع رشاش عوزي الى المانيا الغربية وهولندا وجهاز الاستخبارات الامريكية »(٥٦) وذلك رغم مرور سنوات عدة على « الخطأ » الذي ارتكبته المانيا الغربية

والولايات المتحدة . او باطلاق صفات درامية على الصناعة الحربية الاسرائيلية بوضع أرقام هذه الصناعة امام القراء ووصفها بأنها « مرعبة »(٥٧). ولا يشفع لهذا الاتجاه القول بأن من أسباب هزيمة حزيران اخفاء الحقائق عن الجماهير ، **لان تحويل الصحف العربية الى واجهات اعلانات للدعاية الاسرائيلية هو السبيل الامثل لتدمير المعنويات العربية .**

---

١ — ملحق نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٧٣/٣/١٦ .

٢ — Jane's all the World Aircraft 1970-1971

٣ — **معاريف** ١٩٧٣/٢/٢٧ .

٤ — **الاسبوع العربي** ١٩٧٠/٦/٢٩ .

٥ — **الانا الدولية الايطالية** كانون ١٩٧٢/٢ .

٦ — **المصدر السابق .**

٧ — *Military Review*, December 1970.

٨ — **معاريف** ١٩٧٣/٢/١٣ .

٩ — **رصد اذاعة اسرائيل** ١٩٧٣/٢/١٢ .

١٠ — **المصدر السابق .**

١١ — **معاريف** ١٩٧٣/٢/١٣ .

١٢ — *Jane's Weapon Systems 1972-73*

١٣ — **معاريف** ١٩٧٢/٥/٢٩ .

١٤ — **انترناشيونال هيرالد تريبون** ١٩٧٣/٣/٢٨.

١٥ — **رصد اذاعة اسرائيل** ١٩٧٣/٤/١١ — قال مدير الصناعة الحربية الاسرائيلي « من التحسينات التي ادخلت عليها (يقصد بندقية جليل)وجود حلقة على البندقية لفتح الزجاجات».

١٦ — **ذي لندن تايمز** ١٩٧٠/٥/٦ .

١٧ — **نيويورك تايمز** ١٩٧٠/٥/٦ .

١٨ — **الديلي تلغراف** ١٩٧٠/٥/٦ .

١٩ — **الفاريان** ١٩٧٠/٥/٦ .

٢٠ — **الطيران والبحرية الايطالية** تشرين٢/١٩٧٢.

٢١ — **المرجع السابق .**

٢٢ — *Jane's Weapon Systems 1972-73*

٢٣ — يبلغ مدى صاروخ اوتومات من ٦٠ — ٨٠ كم ، وهذا يتجاوز مدى رادارات الزوارق السريعة ، ولذا يحتاج لاطلاقه الى هذه المسافة لطائرة هيلوكبتر لتوجيهه الى الهدف ، او يطلق من طائرة مضادة للسفن، يبلغ مدى الاكسوسيت ٣٨ كلم ، ومدى ستيكس المتطور ٤٠ كم ، مقابل ٢٢ كم لغابرئيل .

٢٤ — ليست هناك تقارير رسمية عن سرعة الصاروخ غابرئيل ، وقد قدرت موسوعة *Jane's Weapon Systems 1972-73* سرعته بـ (٠٫٧ ماك) كحد اقصى .

٢٥ — **معاريف** ١٩٧٣/٢/٥ .

٢٦ — **المرجع السابق .**

٢٧ — **رصد اذاعة اسرائيل** ١٩٧٣/٢/٤ .

٢٨ — *Military Balance 1972-73*

٢٩ — **مجلة الطيران والبحرية الايطالية** ، اعداد شباط ، وتشرين ١٩٧٢/٢ .

٣٠ — **معاريف** ١٩٧٣/٢/٥ .

٣١ — **المرجع السابق .**

٣٢ — **رصد اذاعة اسرائيل** ١٩٧٣/٣/٢٦ .

٣٣ — **المرجع السابق .**

٣٤ — **المرجع السابق .**

٣٥ — **انترناشيونال هيرالد تريبون** ١٩٧٣/٣/٢٨.

٣٦ — **الانوار** اللبنانية ١٩٧٣/٣/٢٩ .

٣٧ — **المرجع السابق .**

٣٨ — عن **المحرر** اللبنانية ١٩٧٢/٣/١١ .

٣٩ — **ديلي ستار** ١٩٧٢/٤/١٠ .

٤٠ — **رصد اذاعة اسرائيل** ١٩٧٢/١٢/١٥ .

٤١ — *Military Review February 1971*

٤٢ — بخصوص تطوير طائرات اسرائيلية نفاثة أسرع من الصوت ، راجع **شؤون فلسطينية** عدد ٢٢ ، ص ٢٠٠ .

٤٣ — راجع **المحرر** ١٩٧٣/٦/٢ .

٤٤ — **رصد اذاعة اسرائيل** ١٩٧٣/٣/١٤ .

٤٥ — الدكتور يوسف شبل ، **شؤون فلسطينية** عدد ١٢ ، ص ٢٣١ .

٤٦ — *Jane's Weapon Systems 1972-73*

٤٧ — **المرجع السابق .**

٤٨ — **انترناشيونال هيرالد تريبون** ١٩٧٣/٣/٢٨.

٤٩ — **الحوادث** اللبنانية ١٩٧١/٨/٢٧ .

٥٠ — **المرجع السابق .**

٥١ — **الانوار** اللبنانية ١٩٧١/١١/٧ .

٥٢ — **المرجع السابق .**

٥٣ — **المرجع السابق .**

٥٤ — **المرجع السابق .**

٥٥ — **الحياة** اللبنانية ١٩٧٢/١/٣١ .

٥٦ — **المرجع السابق .**

٥٧ — **الحوادث** اللبنانية ١٩٧١/٨/٢٧ .

المؤتمر الاسلامي العام (١٩٣١)

عادل حسن غنيم

نشأت فكرة عقد هذا المؤتمر بمناسبة ارسال لجنة البراق الدولية للتحقيق في قضية حائط البراق ، والتي اقر تقريرها ملكية المسلمين للحائط وحق تصرفهم فيه ، ولم يكن الهدف من عقد هذا المؤتمر هدفا قوميا في شكل اسلامي وانما كان هدفا دينيا ذا طابع سياسي ، كذلك كان من أسباب انعقاد المؤتمر شرح حقيقة القضية الفلسطينية للعالم الاسلامي والعربي ، وتوضيح المطامع الاستعمارية والصهيونية في فلسطين المؤيدة على طول الخط من الحكومة البريطانية(١) . وقد اهتم العالمان العربي والاسلامي بقضية البراق ، لكني اعتقد ان اهتمام العالم العربي بهذه القضية كان مدفوعا بالدرجة الاولى بدوافع اسلامية ، يدلنا على ذلك تلك الشخصيات العربية التي اشتركت في هذا المؤتمر والتي كانت معروفة باتجاهاتها الاسلامية . ويذكر الاستاذ دروزة ان فكرة عقد هذا المؤتمر قد اثيرت عندما كان الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي موجودا في القدس في تلك الفترة، فجرى حديث بينه وبين الحاج امين الحسيني وبعض اخوانه في الموضوع، وان الفكرة قد اتسعت فشملت قضية فلسطين على اعتبار انها قضية اسلامية ، من الواجب تنبيه العالم الاسلامي اليها ، وان الفكرة قد لاقت قبولا عند بعض الشخصيات الاسلامية البارزة ، فدخلت مرحلة التنفيذ ، وعينت ليلة الاسراء موعدا لانعقاد المؤتمر ، وارسلت الدعوات الى عدد كبير من رجالات المسلمين وعلمائهم في مختلف بلاد العالم(٢) .

ويذكر الحاج امين الحسيني — في بيان اذاعه باسم اللجنة التحضيرية للمؤتمر الاسلامي — ان فكرة عقد المؤتمر قد نشأت قبل عقده بسنين ، عندما قدمت اقتراحات كتابة ومشافهة من كبار رجال العالم الاسلامي بضرورة عقد مثل هذا المؤتمر ليتعارف فيه مندوبو الاقطار الاسلامية ويتداولون الراي في الشئون التي تهمهم، وان الرغبة الى عقد هذا المؤتمر قد قويت بعد أن وفد الى القدس في عام ١٩٣٠ وفود الاقطار الاسلامية للاشتراك في الدفاع عن حقوق المسلمين في البراق امام اللجنة الدولية(٣) . كما يذكر الزعيم عبد العزيز الثعالبي — في تصريح له في ذلك الوقت — ان مسألة المؤتمر قد اثيرت قبل ذلك بعامين ، وان الجهود بذلت في سبيل عقده بعد ظهور مسألة البراق ، وان الفكرة قديمة لكنها لم تنضج الا في الاشهر الاخيرة(٤) . ومن ناحية اخرى ، فقد ذكر ميرزا مهدي رفيع الزعيم الهندي في مقال له ، انه هو الذي اقترح على المفتي — في خطاب ارسله اليه — الدعوة الى مؤتمر اسلامي عام، وان هذا الخطاب قد نشر بجريدة الشورى في ٨ يوليو ١٩٣١(٥) . كما ذكر شوكت علي الزعيم الهندي — في حديث له مع مندوب الاهرام ثم في حديث له مع جريدة البورص اجبسين الفرنسية نقلته عنها جريدة الثغر في ذلك اليوم — انه هو الذي دعا الى هذا المؤتمر وهو الذي فكر فيه ، وان السبب الذي دفعه الى ذلك هو ما رآه من خلافات ومنازعات بين المسلمين ، وان على هذا المؤتمر ان يسوي مسألة الاماكن المقدسة تسوية نهائية ، وان يحدد مركز القدس في العالم الاسلامي(٦) .

وسواء كان ميرزا مهدي او شوكت علي هو صاحب الفكرة ، او ان الفكرة قد نبتت في الحديث الذي جرى بين الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي والحاج امين الحسيني — حيث ان هذه النقطة ما تزال تحتاج الى تحقيق — فالذي حدث ان الحاج امين الحسيني قد تبنى الفكرة واخرجها الى حيز الوجود . وكان الحاج امين يعتقد ان ناحية الضعف الاساسية في خطط العرب السياسية ، هي عجزها عن اثارة الراي العام العالمي وكسب عطفه وتأليف جبهة قوية تستطيع الوقوف في وجه الصهيونية العالمية ، فاراد بهذا المؤتمر استغلال العاطفة الدينية عند المسلمين ، والتأثير على مئات الملايين من المسلمين المنتشرين في جميع انحاء العالم ، وخلق مشاكل سياسية خطيرة لبعض الدول الغربية وخاصة المملكة المتحدة(٧).

واثيرت في ذلك الوقت فكرة عقد المؤتمر الاسلامي في مكة بدلا من القدس ، وكان الملك عبد العزيز آل سعود قد تلقى عدة اقتراحات من زعيم حزب الاحرار في الهند وجمعية العلماء الاسلامية هناك ، ورسائل اخرى من بعض الاقطار الاسلامية تطلب عقد المؤتمر في مكة ، مرجحين ذلك عن عقده في بلاد واقعة تحت الانتداب البريطاني المباشر . وكان جواب الملك عبد العزيز على هذه الرسائل انه يحبذ عقد هذا المؤتمر في مكة ، لكنه لا يدعو الى ذلك ، بل يريد ان يكون الامر طبيعيا ، وان يترك لرغبة البلاد الاسلامية نفسها(٨). لكن هذه الفكرة لم يقدر لها ان تأخذ مزيدا من الاهتمام والترحيب ، لان اختيار القدس بالذات لعقد هذا المؤتمر كان أمرا مقصودا ، لارتباط المدينة بقضية البراق ، وحاجة فلسطين في ذلك الوقت الى مزيد من اهتمام البلاد الاسلامية بها .

وكانت هناك حركة دائبة في ذلك الوقت لتنظيم اهمية القدس في ذهن العالم الاسلامي ، ففي يناير ١٩٣١ دفنت جثة محمد علي — الرئيس السابق للجنة الخلافة الاسلامية الهندية — في رحاب الحرم الشريف ، وتوبعت هذه السياسة عندما دفنت جثة ملك الحجاز السابق بعد ذلك بالقرب من جثمان محمد علي(٩). وقد اكتسب امين الحسيني بتفكيره في دفن رفات محمد علي في الحرم الشريف نفوذا كبيرا بين مسلمي الهند، وكانت فكرة الحسيني في تحويل جانب من المسجد الاقصى الى مدفن كبير لعلماء المسلمين ترمي الى تعلق الشعوب الاسلامية بالمسجد الاقصى ، وقد روى انه قبل ان يدفن محمد علي في المسجد الاقصى ، كان عدد الحجاج الهنود الذين يؤمون فلسطين لزيارة الحرم الشريف لا يزيدون على أصابع اليدين في السنة ، فأصبحوا بعد ذلك يفدون عليها مئات لزيارة الحرم اولا ثم لزيارة ضريح زعيمهم محمد علي(١٠).

وارسلت الدعوة لحضور المؤتمر الاسلامي العام حوالي منتصف اكتوبر ١٩٣١ ، وكانت موقعة من محمد امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى بفلسطين(١١). وشهد المؤتمر عدد كبير من اعلام المسلمين ، يمثلون شعوب اثنين وعشرين قطرا من الاقطار الاسلامية وغير الاسلامية وهذه الاقطار هي تركستان الصينية وتركيا وتونس وجاوا والجزائر والحجاز وروسيا وسورية وسيلان وشرق الاردن وطرابلس الغرب والعراق وفارس وفلسطين وقافقاسيا ولبنان ومصر والمغرب الاقصى ونيجيريا والهند واليمن ويوغسلافيا(١٢). واشترك في المؤتمر ممثلو الحركات الوطنية في الشرق العربي(١٣). وذهب من العراق نواب وعلماء وادباء معروفون مثل المجتهد كاشف الغطاء وسعيد ثابت والشيخ بهجت الاثري وابراهيم الواعظ وماجد القرغولي وحسن رضا(١٤). واما ملوك المسلمين وامراؤهم ، فقد وجهوا الدعوة لحضور المؤتمر الى فيصل ملك العراق ونادر شاه ملك الافغان ، وابن السعود ملك السعودية ، والامام يحي ملك اليمن ، وامير شرق الاردن ، وسلطان حضرموت ، وامراء الولايات الاسلامية في الهند ، ورئيس الدولة السورية ، ومصطفى كمال رئيس الجمهورية التركية ، وفؤاد ملك مصر(١٥). لكن امام اليمن كان هو الوحيد من رؤساء الدول العربية الذي رحب رسميا بالدعوة

الى المؤتمر(١٦) قبيل انعقاده ، بل كان أسرع المرحبين لعقد مثل هذا المؤتمر(١٧). ولم يكتف بارسال مندوبه، بل ارسل مقدار طن من بن الملكة «اكراما لاعضاء المؤتمر»(١٨). واما ابن السعود ، فقد عين ممثله ــ الشيخ كامل القصاب ــ بعد انعقاد المؤتمر بعدة أيام(١٩). واما تركيا فقد القى وزير خارجيتها توفيق رشدي بك بيانا في المجلس الوطني ردا على استجواب يعبر عن القلق بشأن هذا المؤتمر ، اعلن فيه انه تلقى تأكيدات من الحكومة البريطانية بأنه لن يثار في المؤتمر اية مسائل سياسية ذات سمة معارضة ، وان الحكومة البريطانية لن تسمح باي اجراء يحدث في المؤتمر يكون معاديا للمصالح التركية ، وأكد الوزير ان بريطانيا العظمى لم تكن حامية او مشجعة للمؤتمر ، وان مسألة الخلافة لن تطرح للمناقشة ، واعلن أن الحكومة التركية تعارض في قوة اية حركة تستغل الدين للاغراض السياسية(٢٠). وبالرغم من موقف الحكومة التركية من المؤتمر ، فقد حضره بعض الاتراك غير الكماليين مثل الاستاذ رضا توفيق بك الفيلسوف والوزير السابق ، بينما منع من حضور المؤتمر الشيخ مصطفى صبري شيخ الاسلام السابق(٢١). وكان العلم التركي مرفوعا مع اعلام البلاد المشتركة في المؤتمر ، لكنه سحب من القاعة بعد تدخل قنصلية تركيا في القدس(٢٢).

ورأى المعارضون للحاج امين الحسيني في فلسطين في هذا المؤتمر ــ وقد أخذت تبدو علامات خطورته واهتمام الصحافة العربية به ــ دعاية قوية لخصمهم ، فجن جنونهم ، واخذوا يكاتبون جماعة من المشجعين للمؤتمر في مصر ومن المقربين الى الملك فؤاد كعبد الحميد سعيد والشيخ التفتازاني ، ويخبرونهم بان الحاج امين الحسيني سوف يستغل المؤتمر استغلالا شخصيا وحزبيا ، واخذوا في بث مثل هذه الدعاية في صحفهم وبين جماهير الشعب الفلسطيني ، فاوجدوا في النفوس شيئا من التوتر(٢٣). ونقرأ في الصحف المصرية في تلك الفترة برقيات مرسلة من رجال المعارضة في القدس ، يحملون فيها الحاج امين الحسيني مسئولية عدم توحيد كلمة الفلسطينيين استعدادا لعقد هذا المؤتمر(٢٤).

ووقفت القاهرة في بداية الامر موقف الحذر من هذا المؤتمر ، ويرجع ذلك الى الغموض الذي تضمنته الدعوة لحضور المؤتمر ، فلم يرد فيها تحديد لاغراض المؤتمر وموضوعات بحثه ، كما أن اللجنة التحضيرية للمؤتمر فاجأت العالم الاسلامي بهذه الدعوات ، دون أن يكون هناك تمهيد لها او اتفاق من البلاد الاسلامية عليها وعلى موضوعات بحث المؤتمر ومكان انعقاده(٢٥). كما يرجع هذا الحذر ايضا الى ما اثير في ذلك الوقت ، من أن المؤتمر سيناقش مسألة الخلافة ، وان هناك نية لتنصيب السلطان السابق عبد المجيد خليفة للمسلمين . وقد سبق ان خاب أمل الملك فؤاد في عام ١٩٢٦ عندما فشل المؤتمر الاسلامي الذي عقد في ذلك العام في اختياره خليفة للمسلمين ، لكنه لم يتوقف عن التطلع الى الخلافة(٢٦). وقد اشيع في ذلك الوقت ــ واغلب الظن ان الصهيونيين والمعارضين للمؤتمر هم الذين اشاعوا ذلك ــ ان الهدف من انشاء جامعة المسجد الاقصى هو منافسة الازهر الشريف(٢٧). وكانوا يهدفون من ذلك الى اثارة علماء الازهر في مصر ــ ولم يكن ذلك صحيحا بطبيعة الحال ، فقد كان الهدف من انشاء تلك الجامعة تلبية احتياجات العصر بافساح المجال لتعليم العلوم والطب والكيمياء وعلوم الميكانيكا وتدريس اللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية والايطالية بالاضافة الى اللغتين العربية والفارسية ، على أن تلقى هذه العلوم على الطلبة في اطار الدين ، وبذلك تتمكن هذه الجامعة من تخريج مسلمين يجارون تقدم العصر ، ويكونون مزودين بالاسلحة التي تعينهم على مسايرة التقدم الحضاري(٢٨). لكن هذه الشائعة تعطينا فكرة واضحة عن تلك المشاكل التي كانت تثار في طريق المؤتمر ، وعن ادراك العناصر الصهيونية والاستعمارية والمعارضة لخطورة نشاط المؤتمر ، لو قدر له أن يتابع اعماله دون معوقات او مثبطات .

وقد فهم ان مما اثار المخاوف من المؤتمر ، كتب صادرة عن جمعية سرية الى بعض رجال الاسلام في مصر والعراق ، تحمل على اهمال امر الخلافة ، وتطلب التفكير في توسيدها الى أهلها في مؤتمر القدس ، ولم يستبعد الملاحظون ان تكون هذه الحركة دسيسة صهيونية بهدف احباط عمل المؤتمر واثارة المخاوف من حوله ، او انه كان للدعاية الصهيونية اثر ايجابي فيها(٢٩). ومن ناحية اخرى فقد أكدت بعض الصحف الاجنبية في ذلك الوقت — ونقلت عنها الصحف العربية — ان الغاية الاساسية من المؤتمر هي مسألة الخلافة ، رغم ما صدر بشأنها من تكذيبات ، وان انجلترا هي التي تلعب هذه اللعبة من وراء ستار ، وان الرأي يتجه الى تجريد الخلافة من سلطتها الزامية ، وان يكون كل ما للخلافة امتياز على نحو ما لمدينة الفاتيكان ، ثم اشارت الى أن الزواج الذي عقد بين ابن نظام حيدر أباد وكريمة الخليفة السابق عبد المجيد انما هو زواج سياسي يقصد به موضوع الخلافة ، وانه من الممكن ان يكون فاتيكان الخلافة الاسلامية في الهند(٣٠). ومن يتابع الصحف المصرية فترة انعقاد المؤتمر الاسلامي ، يلاحظ اهتماما من بعضها بموضوع الخلافة ، ودعوة الى جعل الخلافة في القاهرة ، واعتبارها أحق الاماكن بذلك « والذي يقابل بين مصر والاستانة ، ويحكم العقل المنزه عن الاغراض في هذه المسألة الاسلامية الهامة ، يتضح له ان لمصر مزية دينية سياسية لا توجد في دار الخلافة القديمة ، ولا في شرقي الاردن ولا في بغداد ولا في الحجاز ، فالجامع الازهر وهو المدرسة الدينية الكبرى التي طبق ذكرها الآفاق ، وعصبة البيت العلوي المحمدي اقوى من جميع بيوتات الملوك الاسلامية في الشرق ، واذا وجب ان نلقب ملكا بعد ملوك بني عثمان بخادم الحرمين الشريفين فانه لا يوجد سوى ملك مصر ، الذي ورث هذا اللقب عن اجداده الليوث »(٣١). « والواقع انه اذا كان لا بد للمسلمين ان يفكروا في رجع الخلافة بعدما الغاها الاتراك لضرورات سياسية لا يوجد من يصلح لمركز الخلافة كما يصلح حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول ، الغيور على دينه ، الامين لتقاليد بلاده ، المرتفع بها من عهد التبعية الى عهد الاستقلال ... »(٣٢).

وحرصا على ازالة ما علق باذهان المسئولين في القاهرة بشأن اغراض هذا المؤتمر فقد ذهب امين الحسيني الى القاهرة في اوائل نوفمبر ١٩٣١ ، واستقبله صدقي باشا رئيس الوزارة المصرية في ذلك الوقت وتحدث اليه في هذا الموضوع(٣٣). وكتب امين الحسيني الى صدقي باشا في نفس اليوم رسالة ، أكد له فيها ما دار من حديث بينهما عند لقائهما وان الموضوعات التي سيتناولها البحث ستكون بعيدة كل البعد عن ان تمس الشئون المصرية البحتة من سياسية وقومية ، او تتعرض لما يتعلق بالازهر الشريف ، ثم عاد امين الحسيني عند مغادرته مصر الى فلسطين ، فارسل رسالة اخرى الى صدقي باشا ، اكد له فيها ما جاء في كتابه السابق ، بشأن غايات المؤتمر وحدود برنامجه(٣٤).

وذهب الى القاهرة بعد ذلك احد رجال المعارضة في فلسطين ، واجتمع بمحمد علي علوبة باشا والدكتور عبد الحميد سعيد وغيرهم ، موضحا موقف المعارضة من المؤتمر الاسلامي ، واستقر الرأي على تفويض محمد علي علوبة باشا في مصارحة المفتي بالموقف ووجوب القضاء ولو مؤقتا على الشقاق الفلسطيني المحلي ، وكتب علوبة باشا بذلك الى المفتي مخبرا اياه بتفويض الدكتور عبد الحميد سعيد في السفر الى القدس للعمل على توحيد الصفوف وجمع الكلمة(٣٥). وسافر عبد الحميد سعيد رئيس جمعيات الشبان المسلمين في مصر الى القدس قبيل انعقاد المؤتمر الاسلامي بايام ، ليسعى للتوفيق بين الحاج امين الحسيني وبين معارضيه وفي مقدمتهم راغب بك النشاشيبي رئيس بلدية القدس ، واتصل الدكتور عبد الحميد سعيد في القدس باقطاب الفريقين ، واستقر الرأي على تأليف لجنة تضم اثنين من انصار المفتي واثنين من انصار المعارضة

تكون مهمتها بحث اسباب الخلاف وتدبير الحلول المناسبة لازالته ، واتفق الفريقان على اسناد رئاسة هذه اللجنة الى موسى كاظم الحسيني ، لما له من منزلة في نفوس الجميع(٣٦). وعاد الدكتور عبد الحميد سعيد الى القاهرة ومعه كتاب من اللجنة التحضيرية للمؤتمر لرئيس الوزارة المصرية ، تؤكد فيها اللجنة تأييدها لما سبق أن أكده المفتي لرئيس الوزارة من أن ابحاث المؤتمر وموضوعاته بعيدة كل البعد عن أن تمس الشئون المصرية البحتة او ان تتعرض لما يتعلق بالازهر الشريف(٣٧). ولم يكد الدكتور عبد الحميد سعيد يصل الى القاهرة ، حتى جاءت البرقيات من القدس بأن المفتي لم ينفذ القرار المتقدم ، وتبين ان الحاج امين رأى الاكتفاء بدعوة خمسة او ستة من رجال المعارضة للاشتراك في المؤتمر واختار اسماءهم بنفسه(٣٨). وقررت اللجنة التحضيرية للمؤتمر دعوة عدد من رجال المعارضة للاشتراك مع اعضائها في تهيئة اسباب عقد المؤتمر ، وكان المعارضون يطلبون دعوة أشخاص منهم كأعضاء في المؤتمر لكن اللجنة التحضيرية قررت دعوة الهيئات الدينية والسياسية في فلسطين للاشتراك في عضوية المؤتمر ، وتضم هذه الهيئات معارضين ومؤيدين ، وهذه الهيئات هي : رئيس اللجنة التنفيذية العربية ، اعضاء الهيئة الادارية لمكتب اللجنة التنفيذية وعددهم خمسة ، رئيس المجلس الاسلامي واعضاؤه ، رئيس محكمة الاستئناف الشرعية العليا واعضاؤها، اعضاء محكمة الاستئناف النظامية العليا ، سبعة من قضاة الشرع الشريف والمفتون ، مندوبان عن جمعيات الشبان المسلمين ، عشرة اعضاء من اللجنة التحضيرية للمؤتمر . لكن رجال المعارضة لم يرحبوا بذلك ، لان اغلبية اعضاء هذه الهيئات كانوا محايدين او مجلسيين(٣٩).

وفي تلك الاثناء وصل شوكت علي الى مصر قادما من المملكة المتحدة ، وقرر التعجيل بالسفر الى فلسطين ليبذل جهوده في اصلاح ذات البين ، وما كاد يصل الى القدس حتى شرع في بذل مساعيه ، فاجتمع مساء يوم وصوله باقطاب المعارضة اجتماعا طويلا ، وبعد أخذ ورد اقترح عليهم حلا للخلاف ، ان يدعى عشرون منهم الى الاشتراك في المؤتمر ، على ان يكون لهم ممثلون في لجان المؤتمر الدائمة ، فرضوا بهذا الحل ، وفي صباح اليوم التالي — وهو اليوم السابق ليوم افتتاح المؤتمر — كتب فخري النشاشيبي الى شوكت علي شاكرا جهوده ، ذاكرا اسماء الاعضاء العشرين الذين اختارتهم المعارضة للاشتراك في المؤتمر بناء على اقتراحه ، فقابل شوكت علي الحاج امين الحسيني وناقشه في الاقتراح ، لكن امين الحسيني رفضه ، فعاد شوكت علي الى المعارضة واجتمع باقطابها ، وبعد بحث طويل اتفقوا على تأليف لجنة من المفتي واحد انصاره ، ومن راغب النشاشيبي واحد انصاره لحسم الخلاف بين الفريقين ، على ان يكون الحكم بينهما شوكت علي والدكتور عبد الحميد سعيد ، وذهب شوكت علي الى المفتي وعرض عليه هذا الاقتراح فرفض ، وعاد شوكت علي الى المعارضة وابلغهم بما تم ، متوسلا اليهم ان يضحوا في سبيل انجاح المؤتمر فوافق راغب النشاشيبي على التنازل عن جميع الاقتراحات دون قيد او شرط ، فكان رد شوكت علي انه سيصدر في اليوم الثاني بيانا للعالم الاسلامي ، يبسط فيه الموقف المشرف الذي وقفته المعارضة ، وان الدكتور عبد الحميد سعيد سيوقع معه هذا البيان . وفي صباح اليوم التالي — يوم افتتاح المؤتمر — كتب هذا البيان ، وعرضه شوكت علي على المفتي فلم يرتح اليه ، وحاول اقناعه بعدم نشره ، فأبى شوكت علي ذلك ، وأمضى البيان مع الدكتور عبد الحميد سعيد ، ونشرته الصحف(٤٠). وقد اوضحا في هذا البيان ، انه تبين لهما ان رجال المعارضة يحملون في قلوبهم من الاخلاص والغيرة على الاسلام وعلى نجاح المؤتمر ، بقدر ما يحمله كل فرد منهم ، وانهما كانا يجدان دائما من رجال المعارضة قبولا ومعونة لما يقدمانه من حلول واقتراحات(٤١).

ومعنى هذا البيان ان المجلسيين كانوا متعنتين في انهاء هذا الخلاف ، بعكس رجال

المعارضة الذين كانوا يحاولون توحيد الكلمة وتصفية الخلاف ، لكن حقيقة الموقف ان المجلسيين كانوا يعتبرون انفسهم ممثلي عرب فلسطين ، وينظرون الى رجال المعارضة باعتبارهم لا يمثلون الا انفسهم ومصالحهم ، وانه لا يجب التوسع في قبـــول ممثلين لرجال المعارضة في عضوية المؤتمر . واغتبطت المعارضة بهذا البيان اغتباطا كبيرا ، لانه نفى جميع التهم التي كان المفتي وانصاره يعزونها اليهم،وادرك كثيرون منذ نشر هذا البيان ان الموقف تجاه شوكت علي سيتغير ، واظهرت الاحداث بعد ذلك انهـــم كانوا مصيبين في ظنهم ، فانه في اليوم التالي انتخب اعضاء مكتب المؤتمر ، ولم ينتخب شوكت علي ضمنه ، وعقد المؤتمر دون أن تشترك فيه المعارضة(٤٢).

ولم يكف رجال المعارضة عن اثارة البلبلة حول المؤتمر ، فطبعت منشورات عديدة موقعة من زعماء المعارضة حملوا فيها على الحاج امين وجماعته ، واتهموهم بالاستئثار بأمر المؤتمر ، كما كلفوا بعض رجالهم بالاتصال باعضاء المؤتمر للدعاية ضد الحاج امين ، وخصصت جريدة مرآة الشرق جزءا كبيرا من صفحاتها طوال ايام المؤتمر ، لانتقـــاد الحاج امين والمجلس الاسلامي الاعلى(٤٣). وكان من المنشورات التي وزعتها المعارضة أثناء انعقاد المؤتمر، منشورا متضمنا حصرا بالاماكن المقدسة والمساجد ومقابر الشهداء والعلماء التي تغيرت معالمها وخربت آثارها وانتهكت حرماتها ، ودعا المنشور الى اعادة تلك الاثار الى ما كانت عليه(٤٤). وكان واضحا ان المنشور يشير باصبعه الى الحاج امين الحسيني ، ويعتبره مسئولا عن الحالة التي أصبحت عليها تلك الاماكن المقدسة. وقد قام المجلس الاسلامي الاعلى بالرد على ما جاء بهذا المنشور وتنفيذه(٤٥).

ولكي نفهم حقيقة الدوافع التي كانت تحرك رجال المعارضة ، ونلقي مزيدا من الضوء على فكرهم وفكر الحسينيين ، فلنستعرض بيانا للمعارضة في هذا الشأن ، وردا من الحاج امين الحسيني عليه . فلقد أذاع المعارضون بيانا على العالم الاسلامي، اوضحوا فيه سبب معارضتهم للمؤتمر الاسلامي : اولا ـــ عدم استشارة الحاج امين الحسيني ذوي الراي والمكانة من مسلمي فلسطين بشأن المؤتمر . ثانيا ـــ ارسال الدعوة باسم المجلس الأعلى ، في الوقت الذي لم يكن هذا المجلس ليقرر عقد المؤتمر . ثالثا ـــ صدور منشورات باسم اللجنة التحضيرية للمؤتمر الاسلامي ، هذه اللجنة التي لا يعلم مسلمو فلسطين عنها شيئا ، رغم اصرارهم على ضرورة نشر أسماء الاشخاص الذين تتألف منهم . رابعا ـــ عدم نشر برنامج واضح عن الموضوعات التي ستعرض للبحث في هذا المؤتمر ، كما هي الاصول المتبعة في عقد مثل هذه المؤتمرات الهامة . خامسا ـــ عدم ارسال دعوة حتى الان ـــ حتى اذاعة هذا البيان ـــ لحضور هذا المؤتمر لاية هيئـــة اسلامية ممثلة في فلسطين ، او لاي شخص من ذوي المكانة القوية في البلاد ، لتتمكن هذه الهيئات وهؤلاء الاشخاص من درس الموضوع درسا دقيقا .

ثم اقترح بيان المعارضة ما يأتي حرصا على نجاح المؤتمر : اولا ـــ دعوة قادة الـــراي وذوي المكانة من مسلمي فلسطين ، لانتخاب لجنة تحضيرية ممثلة ، تنظم كل ما من شأنه ان يكمل نجاح انعقاد المؤتمر . ثانيا ـــ تنشر هذه اللجنة برنامجا تحدد فيه الابحاث التي سيتناولها المؤتمر ، على ان تراعى في ذلك كل الاعتبارات والمصالح الاسلامية في الاقطار الاسلامية الاخرى . ثالثا ـــ ترسل هذه اللجنة التحضيرية الدعوة لبعض افراد المسلمين ، وللهيئات الاسلامية الفلسطينية الممثلة ، وذلك لتمثيل فلسطين نفسهـــا في المؤتمـــر .

وكان من الذين وقعوا على البيان ، عبد الرحمن التاجي الفاروقي ومحي الدين عبـــد الشافي عضو المجلس الاسلامي الاعلى ، وخليل الخالدي رئيس محكمـــة الاستئنـــاف الشرعية العليا في فلسطين ، وعمر البيطار عضو اللجنة التنفيذية للمؤتمر العـــربي الفلسطيني السابع،ورؤساء بلديات الخليل والرملة والقدس وجنين ونابلس وغزة ويافا

وعكا(٤٦). وواضح من هذا البيان ، وما ورد فيه من اقتراحات ، ان الهدف الرئيسي لرجال المعارضة ، هو الحد من سيطرة الحاج امين الحسيني على هذا المؤتمر واتاحة الفرصة للمعارضة كي تأخذ دورا فعالا في ادارة اموره .

واصدر امين الحسيني بيانا يرد فيه على بيان المعارضة، موضحا النقاط التالية: اولا — انه استشار كثيرا من ذوي الراي والمكانة في فلسطين والاقطار الاسلامية الاخرى في الامر ، فحبذوا عقد مؤتمر اسلامي عام ووافقوا عليه . ثانيا — ان المجلس الاسلامي الاعلى وافق في اجتماع عقده يوم ٢٦ يوليو ١٩٣١ على ضرورة عقد المؤتمر الاسلامي والدعوة اليه . ثالثا — انه لم يكن هناك ضرورة لعقد اجتماعات كبيرة من مسلمي فلسطين لانتخاب لجنة تحضيرية . رابعا — انه يوافق على اشتراك سائر الفئات في اللجنة التحضيرية وفي المؤتمر ، بشرط الا يكون القصد من ذلك هو الهدم ، وان يكون المشتركون ممن عرفوا بالغيرة الاسلامية الصادقة . خامسا — ان الادعاء بعدم نشر برنامج للمؤتمر هو مخالف للواقع ، لان كثيرا من الصحف المصرية والفلسطينية وغيرها نشرت البرنامج المذكور . سادسا — ان تأخير دعوة اهل فلسطين للمؤتمر ، ترجع الى ان القائمين بأمر المؤتمر شرعوا اولا في ارسال الدعوات الى الاقطار الاسلامية النائية ، فلما استوثقوا من اجابتها ، دعوا الاقطار الاخرى ، الاقرب فالاقرب(٤٧).

وليس بخاف ان هذا البيان يعكس حرصا على ان يظل المجلسيون هم أصحاب الكلمة العليا، والا تعطى المعارضة فرصة حقيقية للحركة، كما يعكس ايضا حجة قوية وتبريرا معقولا — مثلما ورد في تبرير تأخير دعوة اهل فلسطين — رغم ما يتضمنه ذلك التبرير من تكتيك واضح ، وحرص على المباغتة والحركة في الوقت المناسب ، ورغبة من الحاج امين الحسيني في أن يرتب الامور وفق ما يريد .

وعقد رجال المعارضة في ١١ ديسمبر ١٩٣١ وخلال انعقاد المؤتمر الاسلامي العام ، مؤتمرا لهم رأسه راغب بك النشاشيبي رئيس بلدية القدس ، وحضره اكثر من الف من المدعوين بينهم رؤساء البلديات وكبار المزارعين واثنان من اعضاء المجلس الاسلامي الاعلى الاربعة(٤٨). كما دعا المعارضون لحضور هذا المؤتمر عددا من الشخصيات الاسلامية التي حضرت المؤتمر الاسلامي العام ، لكن لم يحضره منهم الا عدد قليل(٤٩). وانتخب المؤتمر مكتبا لرئاسة المؤتمر ، كان من بين اعضائه الشيخ اسعد الشقيري والاستاذ سليمان التاجي الفاروقي — رئيس الحزب الوطني خلال العشرينات — وعمر البيطار ، وفهمي بك الحسيني ، وسليمان بك طوقان ، وتوفيق بك العبدالله ، كما انتخب للسكرتارية عمر الصالح ، وحسن صدقي الدجاني .

وبعد القاء الكلمات وتقديم الاقتراحات ، قرر مؤتمر المعارضة ما يأتي : اولا — تسمية هذا المؤتمر « مؤتمر الامة الاسلامية الفلسطينية » . ثانيا — مطالبة الحكومة بتنفيذ مشروع قانون المجلس الاسلامي ، وفقا للاقتراحات التي تقدمت بها المعارضة للحكومة والتي يؤيدها هذا المؤتمر . ثالثا — مطالبة الحكومة بمحاسبة المجلس الاسلامي ، من قبل محاسبين رسميين فنيين . رابعا — نزع الثقة من رئيس المجلس الاعلى الاسلامي، وعدم الاعتراف به كرئيس للمؤتمر الاسلامي ، لان فلسطين لم تشترك في هذا المؤتمر، ولان تصرفاته في الدعوة للمؤتمر كانت شخصية بحتة . خامسا — مطالبة الحكومة باستقلال ادارة القضاء الشرعي عن المجلس الاسلامي الاعلى ، تأمينا لمصالح المسلمين الشرعية . سادسا — تحية الوفود الاسلامية التي حضرت الى فلسطين من الاقطار الاسلامية . سابعا — مفاوضة الهيئات الاسلامية في جميع الاقطار الاسلامية ، لعقد مؤتمر اسلامي عام في احدى الممالك الاسلامية.ثامنا — المحافظة على الاماكن الاسلامية المقدسة في فلسطين ، وارجاع ما فقد منها الى ما كان عليه . تاسعا — مطالبة الحكومة بتنفيذ مطالب الوفد العربي الفلسطيني الاخير — الذي انتخبته الامة باجمعها — وهي

المطالب التي توصل البلاد الى استقلالها وامانيها القومية،وتدفع عنها خطر الصهيونية.
عاشرا — اصدار بيان برأي هذا المؤتمر تجاه المؤتمر الاسلامي العام .

وتألفت لجنة للسعي وراء تنفيذ هذه القرارات . مؤلفة من السادة : راغب بك النشاشيبي ، والشيخ سعيد الكرمي ، والحاج راغب الخالدي ، والاستاذ الشقيري ، وفهمي بك الحسيني(٥٠) . وقد تكلف ذلك المؤتمر الذي عقد في فندق الملك داود بالقدس — أموالا كثيرة ، حيث شهده اكثر من الف شخص ، دفعت لمعظمهم نفقات السفر، وقيل ان زعماء المعارضة جمعوا من بينهم المبالغ لسد النفقات ، غير أن ما انفق كان اكثر مما يمكن جمعه ، ويكاد يكون من المحقق ان مبالغ اخرى قد دفعت لبعض الذين ساهموا في تجميع اعضاء المؤتمر وتسفيرهم ، وقد ادرك كثير من اعضاء الوفود الغرض الذي استهدفته المعارضة من عقد هذا المؤتمر ، واستهجنوا ما لجأت اليه من طرق ووسائل(٥١) .

وقد اردت من التحدث عن موقف المعارضة من المؤتمر ، قبل ان أتحدث عن اعمال المؤتمر نفسه،ان اوضح الجو العام الذي عقد فيه المؤتمر، والذي ساهمت به المعارضة في تقوية مركز امين الحسيني ، سواء في نفوس اعضاء المؤتمر ام في نفوس جماهير عرب فلسطين ، فقد لجأت المعارضة في هجومها الى وسائل غير كريمة ، وكانت انتقاداتها دعائية اكثر منها موضوعية ، مما جعل اعضاء المؤتمر يقارنون بينها وبين امين الحسيني وجماعته ، فيجدون فرقا كبيرا في الاسلوب والحركة والتوقيت : فالمعارضة الفلسطينية حقيقة لم تكن تتحرك في الوقت المناسب ، ولم تكن تعرف ما يقال ومتى يقال .

وارادت الحكومة الفلسطينية ان تطمئن على ما سيثار في المؤتمر من موضوعات ، فأبلغت رئيس المجلس الاسلامي الاعلى بأنها لا تسمح بعقد مؤتمرات يبحث فيها امور خارجية او داخلية تمس احدى الدول الصديقة ، وطلبت اليه ان يوافيها ببيان عن الموضوعات التي سيتناولها المؤتمر بالبحث ، فوافاها بالبيان المذكور(٥٢) .

وافتتح المؤتمر جلساته يوم ٧ ديسمبر ١٩٣١ ، واستمرت جلساته حتى ١٧ ديسمبر ، وعقد خلال تلك الفترة سبع عشرة جلسة(٥٣) . وحضره حوالي مائة وخمسين مندوبا بما فيهم مندوبو فلسطين(٥٤) . وقد عقدت جلسات المؤتمر في مبنى مدرسة روضة المعارف بالقدس ، حيث كانت قد أعدت لهذا الغرض(٥٥) . واقيمت حفلة الافتتاح في المسجد الاقصى . وقد القى فيها الحاج امين خطبة الافتتاح ، وكان واضحا من كلمته عدم الرغبة في مهاجمة أحد او اثارة مشاكل امام المؤتمر « وليس القصد من هذا المؤتمر الاعتداء على امة من الامم او مهاجمة دين من الاديان ، او مخاصمة احد في هذا العالم، وانما القصد ان يعمل المسلمون لصالحهم يدا واحدة وصفا واحدا »(٥٦) . وتحدث أيضا في تلك الجلسة كاشف الغطاء من كبار مجتهدي الشيعة في العراق ، والدكتور عبد الحميد سعيد وضياء الدين الطباطبائي والشاعر محمد اقبال والزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي وعبد الرحمن عزام ، والامير سعيد الجزائري ، ثم مصطفى الغلاييني من ادباء بيروت ، ثم رياض اسحق مندوب المسلمين في روسيا ، وعبد القهار مدكر مندوب جاوا ، ثم بهجت الاثري من علماء العراق ، والشيخ نعمان الاعظمي رئيس مدرسة دار العلوم في بغداد(٥٧) .

وانتخب المؤتمر في جلسته الثانية مكتبا لادارة جلساته واعماله مؤلفة من : محمد امين الحسيني رئيسا ، وضياء الدين الطباطبائي رئيس وزراء ايران الاسبق ، ومحمد علي علوبة باشا وزير الاوقاف الاسبق في المملكة المصرية ، ومحمد اقبال شاعر الهند الكبير، والشيخ محمد زيارة مندوب الامام يحي وكلاء ، ورؤوف باشا مندوب سيلان ، وابراهيم بك الواعظ النائب العراقي ، ومحمد عزة دروزة ، وعبد القادر المظفر امناء للسر ،

وشكري القوتلي مندوب الكتلة الوطنية في سوريا ، ورياض الصلح مندوب مسلمي لبنان مراقبين ، واحمد حلمي باشا مدير البنك العربي في فلسطين امينا للمال ، والشيخ محمود الدجاني مساعدا لامين المال . وتألفت في المؤتمر ثمان لجان لبحث الشئون التي عرضت عليه وتقديم تقارير وافية عنها ، وهذه اللجان هي : لجنة الدستور ، ولجنة الدعاية والنشر ، ولجنة المالية والتنظيم ، ولجنة الثقافة وجامعة المسجد الاقصى ، ولجنة السكة الحديدية الحجازية ، ولجنة الاماكن المقدسة والبراق الشريف ، ولجنة الدعوة والارشاد ، ولجنة المقترحات(٥٨). وتقرر ان تؤلف كل لجنة ، لجنة تنفيذية تتولى صياغة الاقتراحات والقرارات ، وعرضها على اللجنة العامة التي تدرسها وتقدمها للمؤتمر(٥٩).

وتليت في المؤتمر اثناء انعقاده رسائل من جميع انحاء العالم الاسلامي ، من بينها رسائل من الملك فيصل ملك العراق ومن عباس حلمي خديوي مصر السابق ومن احمد جابر الصباح امير الكويت ، ومن سلطان لحج ، ومن مصطفى النحاس باشا ، واحمد شفيق باشا ، ووزير خارجية ايران ، وحمد الباسل باشا ، وعبد الوهاب عزام ، والامير عمر طوسون ، والامير شكيب ارسلان ، ومن اهالي سومطرة ، والطلبة المراكشيين في باريس ، ومن مسلمي بولونيا وفنلندة وغيرهم(٦٠). ومن الرسائل الهامة التي تلقاها المؤتمر رسالة من مسجوني اضطرابات ١٩٢٩ العرب « من أعماق السجون ، التي تسيطر فيها قوة المستعمر الغاشم ، ومن بيت الكرامة القومية ، ومسكن الذين باعوا انفسهم في سبيل أمتهم ، يرتفع صوت مرحبا بكم أيها المؤتمرون الاباة . »(٦١).

وحدث في الجلسة الثانية للمؤتمر ، ان اثار عوني عبد الهادي مسألة الانتداب البريطاني في فلسطين ، وقدم اقتراحا للمؤتمر ينص على طلب الغائه ، فعارضه شوكت علي طالبا استبعاد الاقتراح ، فانبرى رياض الصلح وحمل على شوكت علي قائلا « يظهر لي يا سيدي انك تجهل تاريخ الجهاد في بلاد العرب . ان الانتداب منشأ كل هذه البلايا في البلاد ، وهو الذي جزأ سورية هذه التجزآت ، فالانتداب معاهدة كان او حماية هو الاستعمار بأبشع صوره » . كما حمل عوني عبد الهادي بدوره على شوكت علي(٦٢). وكان شوكت علي الزعيم الهندي حسن الظن بالانجليز ، ففي تصريح له اثناء انعقاد المؤتمر قال « أن البريطانيين يحترمون العرب ويجلونهم ، واذا بقينا متضافرين متساندين ، فان الدعاية الكاذبة لا يمكن ان تؤثر فينا شيئا »(٦٣).

وكانت الجلسة العاشرة التي عقدت مساء ١٣ ديسمبر ١٩٣١ هي جلسة الانتداب ، فقد انهالت فيها الاحتجاجات على الانتداب البريطاني ، واعترض شوكت علي على هذه الحملة ، بحجة ان الانتداب سيزول بطبيعة الحال اسوة بالعراق وسوريا ، لان الروح الاستقلالية قوية في فلسطين(٦٤). وفي الجلسة الخامسة عشرة التي عقدت صباح ١٦ ديسمبر تلي اقتراح من حمدي الحسيني باستنكار الاستعمار ومقاومته(٦٥). وحدث في نهاية تلك الجلسة ان وقف بشير السعداوي، طالبا الاحتجاج على الاعمال الاستعمارية العنيفة في طرابلس وبرقة ، وعندئذ القى عبد الرحمن عزام كلمة حماسية ، حمل فيها على اعمال ايطاليا في طرابلس ، قرر المؤتمر على أثرها وقف الجلسة دقيقتين حدادا على استشهاد عمر المختار . وقد وجه عبد الرحمن عزام في كلمته الى ايطاليا ثلاث تهم : الاولى : ان عدد سكان طرابلس تناقص بدرجة كبيرة بعد استيلاء ايطاليا عليها، والثانية : ان الاراضي الواقعة بين الحدود المصرية وبرقة الغربية أصبحت خاوية خالية من سكانها ، والثالثة : ان مصادرة الاموال والاراضي مستمرة منذ عشرين عاما ، وان الاراضي المصادرة تستخدم لاسكان المهاجرين الايطاليين بقصد احلال العنصر الايطالي محل العنصر العربي(٦٦). وفي الجلسة السادسة عشرة التي عقدت قبل ظهر الاربعاء ١٧ ديسمبر وافق المؤتمر على اقتراح مقدم من الاستاذ عبد الرحمن عزام بطرح المسألة

الطرابلسية على بساط البحث في دور الانعقاد القادم للمؤتمر، وعاد المؤتمر الى الانعقاد مساء ذلك اليوم ، حيث عقد جلسته السابعة عشرة والاخيرة(٦٧) والتي استمرت حتى صباح الخميس ١٨ ديسمبر ١٩٣١(٦٨).

واحتج قنصل ايطاليا على ما اثير في المؤتمر ضد سياسة بلاده ، فأمرت السلطة البريطانية عبد الرحمن عزام بمغادرة فلسطين فورا ، وكانت السلطة البريطانية قد أخذت موقفا حياديا من المؤتمر ، الى ان بدأ المؤتمر يبحث في مسائل الاستعمار والمستعمرين فتدخلت في الامر ، واجل المسئولون عن المؤتمر بحثهم في تلك المسائل الى نهاية جلسات المؤتمر(٦٩). واذاعت الحكومة بيانين بشأن هذا الموضوع ، اوضحت في البيان الاول أنه بناء على امر صادر من المندوب السامي « فقد ابعد عن فلسطين الاستاذ عبد الرحمن عزام العضو المصري في المؤتمر الاسلامي العام ، لالقائه خطبا تتعلق بالسياسة الايطالية في طرابلس الغرب ، من شأنها ان توتر العلاقات بين ايطاليا والحكومة المنتدبة » ويبدو أن هذا البيان لم يكن كافيا او مقنعا من وجهة النظر الايطالية ، لان حكومة فلسطين سرعان ما أذاعت بيانا جديدا بعد بيانها الاول « اتصل بالحكومة انه في اثناء انعقاد المؤتمر الاسلامي الذي التأم مؤخرا بالقدس ، القيت بعض خطب من شأنها ان تترك أثرا سيئا في فلسطين، ووجهت في معرض هذه الخطب تهم باطلة الى دول أجنبية . ان الحكومة تستهجن هذه التفوهات ، وتغتنم اول فرصة لاعلان استنكارها للبيانات التي ادلى بها في المؤتمر بشأن اجراءات حكومة ايطاليا في طرابلس الغرب ، ومما تتألم له الحكومة أن تكون قد وجهت تهم باطلة الى دولة متحابة في فلسطين »(٧٠).

وغادر عبد الرحمن عزام مدينة القدس — في حراسة بريطانية — الى مدينة غزة يوم الاربعاء ١٧ ديسمبر وهو آخر ايام المؤتمر ، وقد ترك هذا الابعاد اثرا سيئا في نفوس اهل فلسطين واعضاء المؤتمر ، واقيمت مظاهرات في بعض مدن فلسطين تحتج على هذا التصرف(٧١).

وقد اوضح اعضاء المؤتمر — في مقرراتهم — غايتهم من عقد هذا المؤتمر ، لكن من يقرأ تلك الغايات يلاحظ انها اسلامية بحتة،لا علاقة لها بالاستعمار والصهيونية واخطارهما، كأن الاسلام لا يهتم الا بنشر الفضائل والاخلاق السامية بين المسلمين . وتلك هي غاياتهم كما اوضحوها : اولا — تنمية التعاون بين المسلمين على تعدد مواطنهم ومذاهبهم ، ونشر الثقافة والفضائل الاسلامية ، واذكاء روح الاخوة الاسلامية العامة . ثانيا — حماية المصالح الاسلامية وصيانة المقدسات من كل تدخل وسيطرة . ثالثا — مقاومة المساعي والحملات التبشيرية بين المسلمين . رابعا — انشاء جامعات ومعاهد علمية تعمل على توحيد الثقافة الاسلامية وتعليم اللغة العربية للناشئة الاسلامية وان يبدأ ذلك بانشاء جامعة في بيت المقدس تسمى « جامعة المسجد الاقصى » . خامسا — النظر في الشئون الاسلامية الاخرى التي تهم المسلمين .

وقد ادرك المؤتمر اهمية الدعاية وخطورتها ، لكنه لم يهتم بنوعية تلك الدعاية ولا بالاماكن التي تؤسس فيها مكاتب الدعاية ، فلم يكن من اهدافها مثلا دعوة المسلمين الى جمع الاموال لشراء الاراضي ، وانما كان المطلوب هو القيام بالدعاية دفاعا عن المصالح والثقافة الاسلامية ونشرا لغايات المؤتمر ، ولم يكن المطلوب هو انشاء مكاتب للدعاية في البلاد الاوربية ، وانما اراد المؤتمر فقط تأسيس مكتب رئيسي للدعاية في القدس ومكاتب فرعية في البلدان التي حضر منها مندوبون لهذا المؤتمر ، كأن البلاد العربية والاسلامية كانت في حاجة اكثر من البلاد الاوربية الى تلك المكاتب ، واتخذ المؤتمر قرارا عاما بالعمل على ترقية الصناعات في الاقطار الاسلامية ، لكنه لم يوضح طريقة العمل لتحقيق هذا الهدف الهام ، ولا هو حاول بعد ذلك متابعة هذا القرار . ولم

يتعرض المؤتمر لمناقشة شيء عن الوحدة الاسلامية ، لكن كاشف الغطاء تعرض في خطابه الى الوحدة الاسلامية وطريقة نموها ، ودعا المؤتمر الى تحبيذ فكرة انشاء جمعيات الشبان المسلمين في الاقطار الاسلامية وفي ديار المهجر ، واعتبر المؤتمر قضية العرب الارثوذكس جزءا من القضية العربية الكبرى ، ولفت نظر الحكومة الى وجوب تمكينهم من انتخاب بطريرك عربي لهم ، وكان قد عقد في يافا في تلك الفترة المؤتمر الارثوذكسي العربي للاشراف على انتخاب بطريرك عربي للطائفة الارثوذكسية خلفا للبطريرك اليوناني الذي توفي . واتخذ المؤتمر الاسلامي قرارات هامة بشأن مقاومة الخطر الصهيوني ، لكن تلك القرارات لم تأخذ طريقها الى التنفيذ ، فلم تحدث مقاطعة للمصنوعات الصهيونية في جميع الاقطار الاسلامية ، ولم تتأسس الشركة الزراعية الكبرى التي يشترك فيها العالم الاسلامي كله لانقاذ اراضي المسلمين في فلسطين . واحتج المؤتمر على فظائع ايطاليا في طرابلس — برقه ، واستنكر تصرفات روسيا البلشفية ضد المسلمين وعدوانها على المقدسات الاسلامية في الاورال والقفقاس وغيرها ، وطالب الحكومة الفرنسية بالغاء الظهير القاضي بتنصير مسلمي البربر ، واعلن استنكاره لاي نوع من انواع الاستعمار في أي قطر من الاقطار الاسلامية ، ولعله بهذا التعميم تجنب الاشارة المباشرة الى بريطانيا ، مثلما حدث مع ايطاليا وروسيا وفرنسا(٧٢) .

وكان موضوع السكة الحديدية الحجازية من الموضوعات التي اهتم بها المؤتمر كثيرا ، وخول اللجنة التنفيذية للمؤتمر اتخاذ التدابير اللازمة لاسترداد اقسام الخط المغتصبة وتوحيد اجزائه وتشغيله من قبل هيئة اسلامية . واحتج المؤتمر على استمرار وضع اليد على هذا الوقف الاسلامي والتصرف فيه في المناطق الواقعة تحت نفوذ السلطتين الفرنسية والبريطانية في سورية وفلسطين، وطالب حكومتي فرنسا وبريطانيا بتنفيذ ما اعترفت به معاهدة لوزان من كون هذا الخط وقفا اسلاميا ، والتقيد بما ورد في صك الانتداب ، من أن السلطة المنتدبة لا تتعرض للاوقاف الاسلامية ، وتسليم هذا الخط الى هيئة اسلامية تتولى ادارته وفقا للغاية التي انشيء من أجلها ، واحتج المؤتمر على ما قرره مؤتمر الديون العثمانية المنعقد في الاستانة وباريس ، من تقسيم الخط الحجازي وتجزئته واعتبار كل قسم منه ملكا للبلاد التي يجتازها ، واعلن المؤتمر عدم اعترافه بهذا القرار(٧٣) .

واختار المؤتمر قبل انفضاضه لجنة تنفيذية من خمسة وعشرين عضوا تكون مهمتهم : اولا — تنفيذ قرارات المؤتمر والاشراف على لجانه ومكاتبه . ثانيا — تهيئة الوسائل لانعقاد دورة المؤتمر التالية . ثالثا — تأسيس لجان فرعية في مختلف الاقطار الاسلامية، وايفاد الوفود اليها تحقيقا لغايات المؤتمر(٧٤) .

وقد حدثت مناقشات كثيرة عندما تعرض المؤتمر لطريقة انتخاب اللجنة التنفيذية وعدد اعضائها ، وكان هناك فريقان : فريق — على رأسه شوكت علي — يرى ان يترك انتخاب اللجنة التنفيذية للشعوب ، وان يكون عدد اعضائها خمسين يقسمون على المناطق الاسلامية المختلفة ، لكل منطقة عضو واحد ، عدا الهند فلها ثلاثة ، وجاوة وسومطرة لها ثلاثة ايضا، ومصر وتركيا وايران وافغانستان لكل أمة فيها عضوان، واما الفريق الثاني فهو يعارض انتخاب اللجنة التنفيذية عن طريق الامم والشعوب ، ويرى ان يقوم المؤتمر نفسه بهذه المهمة ، وان اختلف هذا الفريق في تحديد عدد اعضاء اللجنة، وكان على رأس هذا الفريق عبد الرحمن عزام ورياض الصلح والثعالبي والطباطبائي وعلوبة باشا ، وقد وافق المؤتمر على رأي الفريق الثاني(٧٥) .

واختارت اللجنة التنفيذية مكتبا دائما من سبعة اعضاء مهمته تنفيذ قرارات اللجنة التنفيذية ، وكان اعضاء هذا المكتب هم : الحاج امين الحسيني رئيسا ، ومحمد علي

علوبة باشا امين مال ، وضياء الدين الطباطبائي سكرتيرا عاما ، ونبيه العظمة مساعدا للسكرتير العام ، وعبد العزيز الثعالبي ورياض الصلح وسعيد شامل اعضاء(٧٦).

وكان الصهيونيون حانقين من عقد المؤتمر وما ينطوي عليه من دعاية واسعة في العالم الاسلامي ضدهم ، وقد قيل انهم بذلوا اموالا طائلة بغرض التشويش على المؤتمر ، واصدرت الوكالة اليهودية بيانا مطبوعا ابان الاستعداد للمؤتمر ، جاء فيه ان المفتي عمد الى دعوة المؤتمر لتحويل تيار المعارضة ضد سلطته واعماله ، وليس من شك في ان الصهيونيين كانوا خائفين اشد الخوف من حركة المؤتمر ، وما ينطوي عليه من دعاية واسعة في العالم الاسلامي ضدهم(٧٧).

واستبعد تماما ان يكون الحاج امين الحسيني قد عقد ذلك المؤتمر تحويلا لتيار المعارضة ضد سلطته واعماله ، فلقد كان الرجل — رغم ضراوة المعارضة — قويا ، تسانده اللجنة التنفيذية العربية والمجلس الاسلامي الاعلى واغلبية الشعب العربي الفلسطيني، فلم يكن الهدف اذن من عقد هذا المؤتمر مقاومة تيار المعارضة وانما كان شيئا اخر ، فلقد ادرك الرجل في تلك المرحلة ، ان الفرصة مهيأة بعد اضطرابات البراق عام ١٩٢٩ لعقد مؤتمر اسلامي تشترك فيه كل البلاد الاسلامية ، فيحقق الرجل غرضا هاما ، هو توجيه انظار العالم الاسلامي نحو قضية فلسطين ، وتنبيهه الى ما يحيط بها من اخطار، وقد نجح الرجل في تحقيق ذلك الغرض دون شك ، وخلق رايا عاما اسلاميا يساند القضية الفلسطينية في السنوات التالية ، لكن هذا العامل ترتبت عليه نتيجة اخرى ، هي تحقيق مجد شخصي للمفتي وتدعيم مركزه ونفوذه في انحاء العالم الاسلامي ، فتخطت شخصيته الحدود بعد ذلك المؤتمر ، واصبح شخصية اسلامية يعتد بها ، بل أصبح خلال الثلاثينات — خاصة بعد وفاة الملك فيصل عام ١٩٣٣ وموسى كاظم الحسيني عام ١٩٣٤ — من ابرز الشخصيات في العالم العربي .

ونود الان ان نعرف ما الذي استطاعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر ومكتبها الدائم في القدس ان تنجزه من أعمال ، ولماذا لم يقدر للمكتب أن يستمر في اداء مهمته اكثر من سنوات معدودات : لقد قام المكتب — تنفيذا لقرارات المؤتمر الاسلامي العام — بابلاغ قراراته الى الجهات الرسمية كل فيما يخصها ، فأبلغ قرار استنكار الاستعمار الى جمعية الامم والى الحكومات الايطالية والفرنسية والبريطانية والهولندية ، كما أبلغ القرار الخاص بالبراق الشريف الى جمعية الامم والى المندوب السامي البريطاني في فلسطين ، وأبلغ الاحتجاج الخاص بالسكك الحديدية الى جمعية الامم والى المندوب السامي الفرنسي في سورية والمندوب السامي البريطاني في فلسطين ، وابلغ الاحتجاج الخاص بموضوع مسلمي طرابلس الى جمعية الامم ووزارة الخارجية البريطانية، وابلغ القرار الخاص بالظهير الفرنسي الى جمعية الامم والى وزارة الخارجية الفرنسية ، وابلغ القرار الخاص بفظائع البلاشفة في مسلمي روسيا الى جمعية الامم(٧٨).

ووضع المكتب نظاما داخليا له ، كما وضع نظاما لتشكيلات لجانه الفرعية ، وشرع في تأليف تلك اللجان في كافة البلاد الاسلامية ، مثل شرق الاردن وسورية والعراق وجاوا وايالات الهند ومصر(٧٩). لكن طريقة تشكيل تلك اللجان ووسائل عملها لم تكن طريقة منظمة، ففي خطاب من رئيس المؤتمر الى أحد المصريين الذين شاركوا في اعمال المؤتمر، طلب رئيس المؤتمر منه « أن تبذلوا الجهد في اتخاذ الوسائل الضرورية للدعاية لمشروعات المؤتمر وتشكيل فروع له ، واعداد النفوس لتنفيذ مقرراته في قطركم ، بأوفى شكل على قدر الاستطاعة ، والتكرم بموافاته (يقصد مكتب اللجنة) بنتائج جهودكم المباركة »(٨٠). وقد يكون لكل بلد ظروفها ، لكن ترك الامر هكذا لبعض الرجال الذين حضروا المؤتمر يشكلون الفروع ويتخذون الوسائل للدعاية لمشروعات المؤتمر ، دون

تخطيط او توجيه او تحديد لاسس معينة للعمل ، لم يكن مما يشجع تلك الفروع على الاستمرار في مزاولة عملها ونشاطها بطريقة عملية وبناءة .

وكان اهم اعمال المكتب دراسة مشروع جامعة المسجد الاقصى ، فتألفت في القدس لهذه الغاية لجنة قوامها ثمانية عشر عضوا ، استمرت فترة من الوقت تعقد اجتماعاتها اسبوعيا (٨١) . ووجه المكتب نداء الى المهندسين المسلمين للتطوع لوضع خرائط الجامعة الجديدة(٨٢) . كما وجه كتبا الى ملوك المسلمين وامرائهم واضعا امامهم صورة لما يدور من أعمال المكتب الدائم للمؤتمر . آملا ان يساعدوه على تنفيذ مشروعات المؤتمر ، خاصة مشروع جامعة المسجد الاقصى(٨٣) . وبدأ المكتب يتلقى تبرعات المسلمين وزعمائهم في هذا الشأن ، وكان القصد ان تتألف تلك الجامعة في بداية انشائها من ثلاث شعب : شعبة العلوم الشرعية ، وشعبة الفنون والصناعات ، وشعبة الطب والصيدلة(٨٤) .

وعقد بالقدس مؤتمر للجان المؤتمر الاسلامي بمدن فسطين ، ورأس هذا المؤتمر ضياء الدين الطباطبائي الذي سبق اختياره سكرتيرا عاما للمكتب الدائم للجنة التنفيذية ، والقى الطباطبائي كلمة في ذلك الاجتماع وضح منها ان البرنامج الداخلي للجنة المؤتمر والذي كانت اللجنة تعمل على تنفيذه بفلسطين لم يكن يتضمن شيئا متعلقا بالاقتصاد القومي او المحافظة على الارض او التمسك بحقوق البلاد السياسية . فقد جاء في خطاب الطباطبائي ان المكتب الدائم سيجعل في مقدمة عمله : اولا — اصلاح وحفظ المعاهد الاسلامية والدينية وتأسيس مساجد في القرى الخالية منها . ثانيا — اتخاذ التدابير الضرورية للمحافظة على صحة المسلمين بانشاء مستشفيات وعيادات طبية وصيدليات وغير ذلك مما يحفظ على مسلمي فلسطين صحتهم . ثالثا — تهيئة الوسائل والمشروعات لمساعدة الفقراء والارامل والايتام . رابعا — ايجاد اعمال للعمال العاطلين . خامسا — الاهتمام بتعليم اطفال المسلمين وخاصة الايتام منهم بعد توفر وسائل الصحة ومحاربة الفاقة .

واوضح السيد الطباطبائي ان خطة اللجنة ان يشترك في لجان المؤتمر خمسون الفا من أهل فلسطين ، وان يخصص الجزء الاكبر من اشتراكات الاعضاء للانفاق على الامور الخيرية والمحلية ، وكان اهم ما اتخذه المؤتمر من قرارات : اولا — طبع طوابع يلصقها اهل الجمعية الاسلامية على الرسائل والبطاقات ويرصد ريعها لفائدة المؤتمر . ثانيا — طبع نسخ من القرآن الكريم . ثالثا — طبع صورة للصخرة المشرفة وتوزيعها في اقطار العالم الاسلامي . رابعا — اخذ صور للاماكن المقدسة ونشرها بالسينما في انحاء العالم(٨٥) .

وواضح من تلك القرارات أن مهمة المؤتمر قد أصبحت اجتماعية بحتة ، وتحولت تشكيلاته الى جمعيات خيرية تعمل على مساعدة المنكوبين وطبع صور الاماكن المقدسة، وقد يستطيع ذلك كله ان يؤدي بعض المكاسب الثانوية ، لكنه بالتأكيد لا يحفظ كيانا ولا يصون ارضا ولا يقيم نظاما اقتصاديا . ويتابع المؤتمر سياسته الخيرية ، فيوجه نداء في اوائل عام ١٩٣٣ الى جميع الحكومات الاسلامية والشركات والجمعيات والهيئات والصحف ورؤساء الدين يطالبهم فيها بالعناية بالتاريخ الهجري والاهتمام باعياد رأس السنة الهجرية وعاشوراء والمولد النبوي الشريف وعيدي الفطر والاضحى وليلة الاسراء وشهر رمضان(٨٦) .

ونشط مكتب اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاسلامي بعض الوقت ، لكن سرعان ما انتابه الفتور والاهمال فرأى الحاج امين الحسيني والطباطبائي — في محاولة لانقاذ لجان المؤتمر من فتورها وتنفيذا لمشروع جامعة المسجد الاقصى وانقاذ اراضي البلاد بعد ان

اشتد الخطر عليها في أعقاب قيام النازية في المانيا — ان ترسل الوفود الى البلاد الاسلامية لجمع التبرعات ، وقد نفذت الفكرة فعلا حيث ارسل وفد الى بلاد العراق والهند والافغان وايران ، ضم الحاج امين ومحمد علي علوبة باشا وبعض المساعدين واستغرقت الرحلة ثلاثة اشهر ونصف شهر(٨٧) . وقد استقبل الوفد بالترحيب في كل البلاد التي زارها خاصة في الهند ، وعقدت اجتماعات كثيرة في المدن الهندية حضرها عشرات الالوف من المسلمين وخطب فيها العلماء واصحاب المكانة ، داعين مسلمي الهند الى تسهيل مهمة الوفد(٨٨) . وقد تبرع نظام حيدر اباد لمشروع جامعة المسجد الاقصى بمليون روبية وتبرع سلطان البهرة وبعض جماعته بنصف مليون ، وتعهد امير بهويال وغيره بمبالغ كبيرة ، وكان الوفد يتوقع ان يجمع بضعة ملايين ، لكن بريطانيا التي كانت لها السيطرة على الهند سارعت الى مقاومة المشروع وتمكنت من احباطه ، فقد اخبر السيد فيروز خان — وهو سكرتير اللجنة التي تشكلت في الهند لجمع التبرعات لهذا الغرض ووزير معارف البنجاب في ذلك الوقت — اخبر الحاج امين الحسيني انه اطلع على تعليمات مرسلة من حكومة لندن الى اللورد ولنجتون نائب الملك ، خلاصتها ان يعامل وفد المؤتمر الاسلامي بالاحترام والعناية الشخصية ، وان يحال بكل الوسائل دون نجاح مهمته لان من شأن ذلك ان يعرقل سياسة حكومة جلالته في فلسطين ، لان نجاح الوفد في جمع الاموال سيؤدي الى انقاذ أراضي فلسطين ، وبالفعل فقد منعت السلطة البريطانية في الهند خروج الاموال من الهند واحبطوا مهمة الوفد(٨٩) . وقد جمعت أموال ولم ترسل ، ووصلت اخرى بعد فترة طويلة فترك ذلك كله اثرا في كيان المؤتمر .

وخدمت الظروف اسم المؤتمر بعض الشيء في الخلاف الذي حدث بين ابن السعود والامام يحي حول الحدود وعسير ومسائل الحج وتطور الى حرب واثار اهتمام العالم الاسلامي كله ، فاقترح الحاج امين تأليف وفد للصلح بأسم المؤتمر ، وتألف الوفد من الحاج أمين ومحمد علي علوبة وهاشم الاتاسي والامير شكيب ارسلان ، فسافر الى الحجاز واليمن ، وكان له بعض الفضل فيما تم بين العاهلين من صلح وتحالف(٩٠) . وقد رافق الوفد سكرتيرا له علي رشدي عنان(٩١) وهو أحد المصريين الذين لجأوا الى فلسطين في أعقاب ثورة ١٩١٩ ، وعاش فيها حتى عام ١٩٤٨ ، وتخصص في مسائل التبشير والدعوة ، حتى أصبح علما بارزا في بابه . وقابل المسلمون في سائر الاقطار نجاح الوفد في مهمته بالارتياح والتقدير ، ولما عاد المفتي من الحجاز قوبل في جميع المدن والقرى التي مر بها مقابلة الفاتحين ، ونثرت عليه الورود والرياحين ، وخطب امامه الخطباء وانشد الشعراء شاكرين سعيه مقدرين عمله(٩٢) . والحق أن الرجل كان يعرف في كثير من الظروف كيف يتحرك ومتى يتحرك ، وكيف يزيد من رصيده الشعبي . فعملية التوقيت في حياة المفتي من اهم معالم فكره واستراتيجيته .

على أن هذا الموضوع لم يعد الى المؤتمر حيويته ، حيث ظل يفتر ويتضاءل نشاطه بالرغم من محاولات الحاج امين والطباطبائي والثعالبي للابقاء عليه ، والتأثير على المجلس الاسلامي الاعلى لرصد ريع بعض أملاك الوقف لمشاريع المؤتمر الاسلامي مثل مشروع جامعة المسجد الاقصى،لكن تلك المحاولات ذهبت سدى(٩٣) . ولم يقدر لمشروع الجامعة النجاح ، رغم ان مكتب المؤتمر كان قد قطع مرحلة كبيرة نحو التنفيذ(٩٤) .

وقد بذلت محاولات لوضع تقويم اسلامي عام ، تجمع فيه الاحصاءات والمعلومات الوافية عن الاقطار الاسلامية من الوجهة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية وغيرها ، فطلب مكتب اللجنة التنفيذية من عدد من رجالات العالم العربي الذين حضروا المؤتمر جمع المعلومات الصحيحة كل عن بلده ، وموافاة مكتب اللجنة التنفيذية بها ،

تمهيدا لوضع هذا التقويم(٩٥). لكني لم اتبين على وجه التحقيق مقدار ما توصل اليه العمل في اعداد هذا التقويم .

وليس هناك شك في ان المؤتمر قد فعل شيئا في اتجاه تقوية الروابط بين القادة العرب والمسلمين في اقطار مختلفة ، وزاد من اهتمام العالم العربي بقضية فلسطين ، وفوق ذلك فقد قوى من مكانة المفتي شخصيا في العالمين العربي والاسلامي ، لكن المؤتمر فشل في انشاء منظمة دائمة للعالم الاسلامي(٩٦). وكان لانعقاد المؤتمر ، وللقرارات التي اتخذها ابلغ الاثر في نفوس المسلمين في جميع انحاء العالم ، فقد أيقظ شعورهم والهب حميتهم ، وجعلهم مهيئين لخدمة القضية الفلسطينية والتضحية في سبيلها(٩٧). وفي تقديري ان اهم ما انجزه هذا المؤتمر هو تجمع ذلك العدد الكبير من كبار رجالات المسلمين ومن ممثلي الاقطار الاسلامية في صعيد واحد ، لمناقشة قضاياهم واستعراض مشاكل بلدانهم ، والتعرف على الاوضاع السائدة في سائر الاقطار الاسلامية ، واعطاء مزيد من الاهتمام لقضية فلسطين ، وكان هناك بعض مظاهر رائعة لهذا المؤتمر ، كان من ابرزها تجمع آلاف من رجال السنة المسلمين في المسجد الاقصى يأتمرون برجل من رجال الشيعة في العراق ، تبديدا لاية خلافات مذهبية بين المسلمين .

---

١ ــ محمد اسحق درويش : **ذكريات** . ص١٦ (وهي مجموعة اوراق غير مطبوعة تتناول موضوعات مختلفة وقد أعدها صاحبها عام ١٩٦٣ ردا على تساؤلات من الباحث) .

٢ ــ محمد عزه دروزة : **حول الحركة العربية الحديثة** . صيدا ، ١٩٥١ . الجزء الثالث . ص ٧٥ .

٣ ــ **السياسة** : ٣١/ ١/١٩٣١ . بيان من اللجنة التحضيرية للمؤتمر الاسلامي العام .

٤ ــ **المقطم** : ١٩٣١/١٠/٢٥ .

٥ ــ دار النشر للثقافة : **قضية فلسطين** . ص ٧٣ ، ٧٤ ولم اعثر على هذا العدد من جريدة **الشورى** بمكتبات القاهرة .

٦ ــ **الاهرام** : ١٩٣١/١٢/٢ ، **الثغر** ، ٤/١٢/ ١٩٣١ .

٧ ــ نجيب صدقة : **قضية فلسطين** . بيروت ١٩٤٦ . ص ١٥٩ .

٨ ــ **الثغر** : ١٩٣١/١٢/٤ . بيان اللواء جمال باشا الغزي .

٩ ــ Esco Foundation for Palestine: *Palestine. A Study of Jewish, Arab and British Policies.* 2nd. ed. U.S.A., 1949., Vol. 2, p.762.

١٠ ــ **المقطم** : ١٩٣١/١٢/١٩ . المقال الرابع لكريم ثابت من سلسلة مقالات عنوانها : «عشرة أيام في فلسطين » .

١١ ــ **الاهرام** : ١٩٣١/١٠/١٨ .

١٢ ــ عيسى السفري : **فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية** . يافا ، ١٩٣٧ ، جزءان . ص ١٧٨ .

١٣ ــ نجيب صدقة : **المرجع السابق**. ص ١٥٩.

١٤ ــ محمد عزة دروزة : **المرجع السابق** . ص ٧٩ .

١٥ ــ **الاهرام** : ١٩٣١/١٠/٢٢ .

١٦ ــ Esco: *Ibid.*, p. 762.

١٧ ــ **المقطم** : ١٩٣١/١٠/٢٤ . نص خطاب الامام يحي الى الحاج امين الحسيني .

١٨ ــ **البلاغ** : ١٩٣١/١١/٢٠ . خطاب الامام يحي الى الحاج امين الحسيني .

١٩ ــ **وادي النيل** : ١٩٣١/١٢/١١ .

٢٠ ــ *The Jewish Chronicle:* 11 December 1931.

٢١ ــ **الاهرام** : ١٩٣١/١٢/١٢ .

٢٢ ــ **وادي النيل** : ١٩٣١/١٢/١١ .

٢٣ ــ محمد عزة دروزة : **المرجع السابق** ، ص ٧٦ .

٢٤ ــ **المقطم** : ٣ ، ١٩٣١/١٢/٤ .

٢٥ ــ **البلاغ** : ١٩٣١/١٠/٢٦ .

٢٦ ــ Esco: *Ibid.*, p. 762.

٢٧ ــ **الكرمل** : العدد ١٦٢٤ ــ ١٩٣١/١١/١ .

٢٨ ــ **الثغر** : ١٩٣١/١٢/٤ . حديث لشوكت علي .

٢٩ ــ محمد عزة دروزة : **المرجع السابق** ، ص ٧٦ .

٣٠ ــ **السياسة** : ١٩٣١/١٢/٢ .

٣١ — **المقطم** : ١٩٣١/١٠/١٨ . مقال بقلم صفا بك مفتش معارف الآستانة سابقا .
٣٢ — **وادي النيل** : ١٩٣١/١٠/٢٤ .
٣٣ — **البلاغ** : ١٩٣١/١١/٧ .
٣٤ — **الاهرام** : ١٩٣١/١١/٨ ، **الاتحاد** : ١٤/ ١٩٣١/١١ .
٣٥ — **المقطم** : ١٩٣١/١٢/٢٢ . مقال للشيخ محمد الغنيمي التفتازاني .
٣٦ — **المقطم** : ١٩٣١/١٢/١٨ . المقال الثالث لكريم ثابت من سلسلة مقالات عنوانها : عشرة أيام في فلسطين .
٣٧ — **الاهرام** : ١٩٣١/١١/٢٩ . كتاب اللجنة لرئيس الوزراء .
٣٨ — **المقطم** : ١٩٣١/١٢/١٨ . مقال لكريم ثابت .
٣٩ — **البلاغ** : ١٩٣١/١٢/٧ .
٤٠ — **المقطم** : ١٩٣١/١٢/١٨ . المقال السابق.
٤١ — **الشعب** : ١٩٣١/١٢/٧ . نص البيان .
٤٢ — **المقطم** : ١٩٣١/١٢/١٨ . المقال السابق.
٤٣ — محمد عزة دروزة : **المرجع السابق** ، ص ٧٧ .
٤٤ — **الثغر** : ١٩٣١/١٢/١٤ .
٤٥ — **البلاغ** : ١٩٣٢/١/١ . نص البيان .
٤٦ — **مصر** : ١٩٣١/١١/٢٢ . نص بيان المعارضة .
٤٧ — **المقطم** : ١٩٣١/١١/٢٨ . بيان لرئيس المجلس الاسلامي الاعلى .
٤٨ — **الاهرام** : ١٩٣١/١٢/١٣ ، **مصر** ، ١٣ /١٩٣١/١٢ .
٤٩ — **وادي النيل** : ١٩٣١/١٢/١٣ .
٥٠ — **وادي النيل** : ١٩٣١/١٢/١٦ .
٥١ — محمد عزة دروزة : **المرجع السابق** ، ٧٧.
٥٢ — **الشعب** : ١٩٣١/١١/٣٠ . بيان للجنة التحضيرية للمؤتمر .
٥٣ — نجيب صدقة : **المرجع السابق** ، ص ١٥٩.
٥٤ — ذكر مندوب جريدة المقطم في المؤتمر انهم ١٥٠ مندوبا (**المقطم** في ١٩٣١/١٢/٨) ، وذكر مندوب البلاغ انهم ١٥٣ مندوبا (**البلاغ** في ٨/ ١٩٣١/١٢) ، وذكر مندوب الاهرام انهم ١٥٥ (**الاهرام** في ١٩٣١/١٢/٨) .
٥٥ — محمد عزة دروزة : **المرجع السابق** ، ص ٧٩ .
٥٦ — **الجهاد** : ١٩٣١/١٢/٢٠ . نص خطبة الحاج امين الحسيني .
٥٧ — **البلاغ** : ١٩٣١/١٢/٨ .
٥٨ — **مقررات المؤتمر الاسلامي العام** : ص. ٣ — ٥ .
٥٩ — **الاهرام** : ١٩٣١/١٢/٩ .
٦٠ — **البلاغ** : ١٩٣١/١٢/٨ ، **السياسة** : ٩/ ١٩٣١/١٢ ، **وادي النيل** : ١٩٣١/١٢/١١ .
٦١ — **مصر** : ١٩٣٢/١/١٩ .
٦٢ — **الجهاد** : ١٩٣١/١٢/١٣ .
٦٣ — **المقطم** : ١٩٣١/١٢/١٣ . حديث لشوكت علي .
٦٤ — **وادي النيل** : ١٩٣١/١٢/١٥ .
٦٥ — **الاهرام** : ١٩٣١/١٢/١٦ .
٦٦ — **المقطم** : ١٩٣١/١٢/١٧ ، **وادي النيل** : ١٩٣١/١٢/١٧ .
٦٧ — **وادي النيل** : ١٩٣١/١٢/١٨ ، **المقطم** : ١٩٣١/١٢/١٨ .
٦٨ — **الجهاد** : ١٩٣١/١٢/١٨ ، **الاهرام** : ١٨/ ١٩٣١/١٢ .
٦٩ — محمد عزة دروزة : **المرجع السابق** ، ص ٨٠ ، ٨١ .
٧٠ — **الاهرام** : ١٩٣١/١٢/١٨ . نص بلاغي الحكومة .
٧١ — **البلاغ** : ١٩٣١/١٢/١٨ ، **الجهاد** : ١٨/ ١٩٣١/١٢ ، **وادي النيل** : ١٩٣١/١٢/١٩ .
٧٢ — **مقررات المؤتمر الاسلامي العام** : ص ٥ — ٢٧ .
٧٣ — **البلاغ** : ١٩٣٢/٦/١٤ . نص الاحتجاج .
٧٤ — عيسى السفري : **المرجع السابق** ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .
٧٥ — **السياسة** : ١٩٣١/١٢/١٧ .
٧٦ — محمد عزة دروزة : **المرجع السابق** ، ص ٨١ .
٧٧ — محمد عزه دروزة: **المرجع السابق**، ص٧٧.
٧٨ — **البلاغ** : ١٩٣٢/٦/١٤ . نص القرارات والاحتجاجات .
٧٩ — **الاهرام** : ١٩٣٢/٧/٥ ، ص ٥ ، بيان عن اعمال المكتب الدائم للمؤتمر الاسلامي .
٨٠ — **البلاغ** : ١٩٣٢/٢/١٧ . نص الرسالة .
٨١ — **الفتح** : العدد ٣٠٦ (١٦ ربيع الثاني ١٣٥١) ، ص ٣ .

٨٢ ــ **الاهرام** : ١٩٣٢/٧/١٧ ، ص ٥ ، نداء من المكتب الدائم للمؤتمر الاسلامي العام الى مهندسي المسلمين .

٨٣ ــ **الاهرام** : ١٩٣٢/٧/٥ ، ص ٥ ، بيان عن أعمال المكتب الدائم للمؤتمر .

٨٤ ــ **الاهرام** : ١٩٣٢/١٢/١٧ ، ص ٥ ، بيان المكتب الدائم للمؤتمر الاسلامي العام في ١٤/ ١٩٣٢/٧ .

٨٥ ــ **الفتح** : العـدد ٣٠٦ (١٦ ربيع الثاني ١٣٥١) ص ٣ ، ٩ .

٨٦ ــ **الفتح** : العـدد ٣٣٠ (٧ شوال ١٣٥١) ص ١٠ .

٨٧ ــ محمد عزة دروزة : **المرجع السابق** ، ص ٨٢ .

٨٨ ــ ابراهيم السيد عيسى المصري : **مجمع الاثار العربية ورجال النهضة الفكرية** . دمشق، ١٩٣٦ ، الجزء الاول ، ص ١١٤ .

٨٩ ــ محمد امين الحسيني : **حقائق عن قضية فلسطين** . الطبعة الثالثة . القاهرة ١٩٥٧ . ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

٩٠ ــ محمد عزة دروزة : **المرجع السابق** ، ص ٨٢ .

٩١ ــ **فلسطين** : السنة الثانية ــ العدد ٢٢ (كانون الاول ١٩٦٢) ص ٣٣ ، ٣٤ .

٩٢ ــ ابراهيم السيد عيسى المصري : **المرجع السابق** . ص ١١٥ .

٩٣ ــ محمد عزة دروزة : **المرجع السابق** ، ص ٨٢ .

٩٤ ــ **الاهرام** : ١٩٣٢/٧/١٧ . ص ٥ ، بيان المكتب الدائم للمؤتمر الاسلامي في ١٤/٧/ ١٩٣٢ .

٩٥ ــ **البلاغ** : ١٩٣٢/٢/٢٤ .

٩٦ ــ Esco : *Ibid.*, p. 764.

٩٧ ــ نجيب صدقة : **المرجع السابق** ، ص ١٦٠.

مذكرات حسني صالح الخفش

حول تاريخ الحركة العمالية العربية الفلسطينية

منشورات مركز الابحاث الفلسطيني

ص. ب ١٦٩١ ــ بيروت

١٠٣ صفحات من القطع الكبير .

٤ ليرات لبنانية تضاف اليها اجور البريد : ١ ل.ل. في العالم العربي

٢١/٢ ل.ل. في اوروبه ، ٤ ل.ل. في سائر الدول .

«دراسة نقديه لفكر المقاومة ...» منهج خاطىء ونتائج مضللة

نزيه أبو نضال

منذ صدر كتاب الدكتور صادق جلال العظم «دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » شهدت أوساط المثقفين والمفكرين الفلسطينيين والعرب عموما ، وأوساط المقاومة خصوصا ، درجة متوترة من الحوارات والمناقشات . ولم يكن مرد ذلك لاهمية وحساسية الموضوعات التي طرحها الدكتور صادق فقط ، وانما لتوقيت هذا الطرح، وللنتائج الخطيرة التي وصل اليها .

ولم تقتصر ردود الفعل على المناقشات الكلامية وحدها بل تعدتها الى الكتابة أيضا ، والتي تراوحت بين ابداء الرأي في « بريد القراء » لاحدى المجلات ، الى تاليف كتاب كامل كما فعل منير شفيق بكتابه « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم » .

وفي الوقت الذي نرحب فيه بكل هذا الجدل الذي أثارته الموضوعات التي طرحها الدكتور صادق ، والتي تشكل الشغل الشاغل لكل كوادر الثورة الفلسطينية والمناضلين والمفكرين العرب منذ سنوات طويلة ، الا اننا وجدنا انفسنا أمام مجموعة من الظاهرات السلبية تتعلق أساسا بجوهر هذه الحوارات وجدواها والتي علينا ان نتوقف أمامها مليا لنكون قادرين بعد ذلك على الانتقال لمناقشة الموضوعات المطروحة ، وهي المسألة التي تعنينا من كل ما يدور .

ان الفكر الماركسي والذي يمثل الثقافة العملية السائدة لمئات الملايين من البشر الان ، لم يتثبت وينتشر الا من خلال حركة واسعة من الجدل شهدتها الثارة الاوروبية خصوصا ، منذ اواسط القرن التاسع عشر وحتى اوائل هذا القرن .. ولا زالت مستمرة .. كما ان اللينينية (تحديدا في مسائل التنظيم وانجاز الثورة وحتى في مسائل الادب والفن والفلسفة) لم تخرج منتصرة الا عبر آلاف المعارك الفكرية والحوارات ، منذ اواخر القرن التاسع عشر الى نهاية العقد الثاني من هذا القرن .

وعلى امتداد الصين الهائل شهد سبعماية مليون من البشر أكبر حركة جدل في التاريخ في السنوات الخمس التي ابتدأت عام ١٩٦٥ فيما عرف بالثورة الثقافية ، بين انصار خط ليو تشاو تشي وانصار خط ماوتسي تونج ، وغطت المنشورات ومجلات الحائط كل بقعة في الصين تقريبا ، الى ان ساد الخط الصحيح اخيرا .

ان استحضار هذه النماذج ، ليس خروجا عن الموضوع او استطرادا لتثبيت أهمية الجدل والحوار ، ولكن من اجل الانتقال الى كشف الظاهرات السلبية في الجدل الدائر الان في الساحة الفكرية في بلادنا حول ما كتبه الدكتور صادق العظم والردود عليه .

د. صادق بين (النقد) والتحريف

أول ظاهرة سلبية تواجهنا في كتاب الدكتور صادق « دراسة نقدية ... » هي عدم الامانة في نقل النصوص والاستشهادات ، وهذا ما أوضحه ناجي علوش وتأكدنا منه في رده المنشور في « شؤون فلسطينية » العدد ٢١ ، كما أوضحه منير شفيق بشكل كامل في كتابه « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم » وما اكده لنا ابو اياد ايضا خلال حديثنا عن كتاب الدكتور صادق في احدى الجلسات . حين نقول ان عدم الامانة في نقل النصوص والاستشهادات هي ظاهرة سلبية ، فلا نعني سلبية بالمعنى الاخلاقي (على اهمية هذا الجانب) ، انما نعني ظاهرة سلبية تتعلق

بمنهجية الحوار ومنهجية التفكير كذلك . كيف ؟ ان أي قارىء محايد يتناول كتاب الدكتور العظم (لا ننسى ان كلمة دكتور وحدها لها ايقاع ورنين في نفوس شعبنا تمنح صاحبها ما يمكن ان نسميه بالثقة الاكاديمية ، كما ان صادق جـــلال العظم اصبح اسما معروفا لدى جمهرة الناس حتى لاولئك الذين لم يقرأوا له شيئا ، مما يجعلهم أميل الى تصديقه وعدم الشك بالنصوص التي يوردها) لا يكون بالضرورة قد قرأ او حفظ الاستشهادات الاصلية كاملة ، ولهذا فسيتقبل كلام الدكتور العظيم ككلام ثقة ويبني عليه احكامه وتقييماته وهذا يقوده بالطبع — بعد ان ثبت تلاعب الدكتـــور صادق بالنصوص — الى نتائج واحكام خاطئة ومضللة سواء بالنسبة للافكار التي يناقشها او الاشخاص الذين ينتقدهم . هـــذه الظاهرة السلبية الاولى المتعلقة بمنهجية الحوار تقود الى ظاهرة أخطر وهي عدم ثقة القارىء بعد اكتشافه لهذه الحقيقة بكل ما يقرأ بعد ذلك من دراسات حتى لو وقعها سبعة دكاترة مشهورين مثل العظم .

غير ان هذه الظاهرة السلبيـــة على خطورتهـــا الشديدة (أخلاقيا ومنهجيـــا) تظل أقل خطـــرا وأهمية ، لان الخلل الاساسي هو في منهجيـــــة التفكير الذي يقف وراء هذه الحوارات والنقد . لقد ثبت ان مقولة « التحليـــل الملموس للواقع الملموس » والتي لا يتعب الماركسيون والمتمركسون من استعمالها لا تعني شيئا عند الدكتور صادق فلقد قاده المنحى والاتجاه الخاطىء في التحليل الى مثل هذه « الفضيحة الفكرية والاخلاقية » فهو من أجل اثبات فكرة مسبقة في رأسه مفادها « ان البرجوازية الصغيرة قد سقطت بعـــد أن سقطت قياداتها وبرامجها وسياساتها وممارساتها» راح يجمع من هنا وهناك كل ما يدعم ويؤيد فكرته المسبقة من تصريحات وأحاديث ومقالات وممارسات دون ان يستشعر لحظة واحدة من الحرج عما يفعله من تخريب وتشويه وتلفيق واجتزاء وقطع وجمع واضافة ، كيفما اتفق وشاء بما يجمعه من نصوص واستشهادات ، ودون ان ينتبه وسط هذه الفوضى العلمية — وهذا هو المضحك — الى التناقضات الفاقعة التي وقع فيها .

لقد كان ذلك اساس الخلل في موضوعات الدكتور صادق ، لانه أساس الخلل في منهجيته وتفكـــيره وهنا بالضبط فضيحته ومأساته .

ناجي علوش ومنير شفيق : دفاعا عـــن النفس ودفاعا عن الثورة

في مجال كشفنا للظاهرات السلبيـــة التي برزت واضحة في كتاب « دراســـة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » ولمجموعة المناقشات الدائرة حوله ، لاحظنا ان الدفاع عن الذات قد احتل حيزا كبيرا نسبيا على حساب مناقشة الموضوعات الهامة التي طرحها الدكتور صادق ، ففي الدراسة التي كتبها ناجي علوش بعنوان : [« دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » : هل هو نقد لفكر المقاومة حقا ؟] نلاحظ ان حيزا لافتا للنظر قد خصص فقط لكشف التلاعب الذي فعله الدكتور صادق بنصوص ناجي علوش ، والحيز المتبقى قد خصص تقريبا للرد على الموضوعات المتعلقة بناجي مباشرة بينما أهملت نتيجة ذلك موضوعات هامة جدا كان على ناجي مناقشتها .

أما رد منير شفيق بكتابه « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم » فقد بدا أنه قد تجاوز هـــذه السلبية على الاقل في الصفحات الثمانين الاولى من كتابه (١٩٠ صفحة) الا انه لا يلبث ان يغرق في تفصيلات غير هامة تتعلق ايضا باثبات التلاعب بالنصوص التي أوردها الدكتور صادق او بمناقشة مسائل ثانوية تتعلق بمنير مباشرة . وعلى حساب مناقشة القضايا الاكثر اهميـــة والتي مر علـــى بعضها مرورا سريعا بينما أهمل البعض الاخر ، الا ان الردين قد أجابا بحسم ووضوح على معظم المسائل الاساسية في الكتاب وكشفا الدور الخطر والمخرب الذي قام به الدكتور صادق . واذا كانت مقالة ناجي القصيرة نسبيا في « شؤون فلسطينية » تشفع له بعدم مناقشة كافة القضايا ، فاننا عند منير شفيق يجب ان نتوقف قليلا لنكشف ظاهـــرة سلبية تتعلق أيضا بأساس عملية الجدل والحوار الدائرة الان ، خاصة وانه قد أفرد كتابا كاملا لهذا الغرض .

صحيح ان الدفاع عن النفس حق مشروع في كافة الاعراف والمجالات وصحيح ان الدفاع عن الذات هنا هو بمعنى ما دفاع عن الثورة وافكارها ، وهذا ما فعله ناجي ومنير بجدارة تامة ، الا اننا في القضايا الفكرية والسياسية كنا نتمنى ان نجد الصورة العامة للنقاش بشكل أفضل :

أولا : على الرغم من تأكيدات منير شفيق المستمرة

بأن الخلاف بينه وبين الدكتور صادق هو « خلاف بين خطين .. موقفين طبقيين .. مفهومين لواقع بلادنا وللماركسية اللينينية » الا ان الملاحظ في كثير من الاحيان ان « الشخصي » كان يطغى على الموضوع ، وهذا كما أسلفنا بسبب متابعة منير التفصيلية للمسائل المتعلقة به شخصيا .

ثانيا : منهجية البحث . لقد حذر منير شفيق في مقدمة كتابه من ان كتاب « دراسة نقدية ... » يخلو من منهجية البحث (وهذا صحيح) ، ولهذا فان اسلوب الرد كان عليه اساسا أن يستجيب لهذا التحذير ، غير ان فعله منير هو عكس ذلك تماما اذ أنه مضى مع الكتاب جملة جملة مما اوقعه هو الاخر بنفس الخلل ، ودون ان ينقذه من ذلك وضع العناوين للموضوعات والافكار التي يناقشها .

ثالثا : أمام كثير من الموضوعات التي كان منير يستحضرها للمناقشة يكتفي بمقارعة الدكتور صادق على طريقة سقراط فيفحمه منطقيا ، بمعنى يهزمه في (المجادلة) ثم يدير ظهره للموضوع تماما ودون مناقشته ، منتقلا الى نقطة اخرى . وكأن الهدف هو فقط تسخيف الدكتور والهزء بأفكاره ، وليس المناقشة المعمقة للموضوعات نفسها وطرح البديل الفكري لها .

ان مجموع هذه الملاحظات على منهجية الحوار الدائر الان حول كتاب الدكتور صادق والمناقشات المرتبطة به لا بد من أخذها بعين الاعتبار اذا أردنا لحركة الجدل الفكرية والسياسية ان تمضي بشكل صحي وعلمي باتجاه فضح وكشف الافكار الخاطئة والمخربة وتثبيت ونشر الافكار والمواقف الصحيحة.

اعادة ترتيب لافكار الدكتور صادق

حتى نستطيع الخروج بشيء واضح ومفيد من كتاب الدكتور العظم « دراسة نقدية ... » نجد من المهم ان نمسك بالخيط الاساسي للموضوع الذي أضاعه الدكتور ، ومسط ركام هائل من الكلام غير المنظم ، والذي ساقه هكذا بلا أي منهج مدرسي او اكاديمي ، خاصة ان نصف حجم الكتاب (٢٥٥ صفحة) قد ملأه بالاستشهادات والنصوص المنقولة والتي احتلت ١٢٤ صفحة كاملة . ان اعادة ترتيب افكار وموضوعات الدكتور صادق لا تعني حتى موافقتنا على هذا الاسلوب في الطرح ، الا أننا سنحصر انفسنا في البداية في حدود الكتاب قبل ان نخرج منه ونطرح تصورنا للمنهج ، ورأينا في الموضوعات والنقاشات الدائرة :

اولا : ان الثورة الشعبية الفلسطينية المسلحة والتي شهدتها المنطقة منذ عام ١٩٦٥ ، وصعدت صعودا عنيفا بعد حرب حزيران ١٩٦٧ لا يمكن ان نسميها ثورة ، لان في هذه التسمية الكثير من التجاوز (ص ١١) .

ثانيا : ان حركة التحرر الفلسطيني او الكفاح المسلح الفلسطيني كما يفضل الدكتور ان يسمي الثورة قد انتهت خاصة بعد أيلول ١٩٧٠ واستنفدت مرحلة من مراحلها (ص ١١) .

ثالثا : ان علينا تقييم المرحلة السابقة التي انتهت ، وان ينصب هذا التقييم على « فتح » باعتبارها اهم المنظمات الفدائية واكبرها وتشكيلها العمود الفقري لحركة المقاومة (ص ١٢) .

ولان التقييم يعني عند الدكتور صادق هو ذكر السلبيات فقط ، ولان « فتح » هي حركة المقاومة، فسنمضي في ترتيب افكار الدكتور على هذا الاساس الذي وضعه .

رابعا : ان « فتح » أي المقاومة مثلت امتدادا لحركة التحرر العربية التي هزمت قياداتها وبرامجها وسياساتها وممارساتها في حزيران ، كما هزمت قيادات وبرامج المقاومة في أيلول (ص ٢٣) ذلك لان الفرع الفلسطيني من حركة التحرر العربي يتماثل مع الاصل من حيث الطبيعة الطبقية للقيادات والكوادر والبرامج والتصورات الايديولوجية (ص ١٥) .

خامسا : وعند اكتشاف الدكتور صادق لهذه الحقيقة الذهبية ! وهي التماثل الطبقي بين حركة المقاومة وحركة التحرر العربي تصبح كافة الطروحات والممارسات الفلسطينية متشابهة مع مثيلتها لدى حركة التحرر العربي دون ان تتمكن لحظة واحدة من التجاوز والتخطي ، بل استعادة وتكرار (خاصة على صعيد الممارسات في كافة الميادين) . (ص ١٩) .

— ان شعار حرب التحرير الشعبية لا يختلف عن الحرب النظامية الخاطفة لان العقلية السياسية الكامنة خلف الشعارين واحدة (ص ١٨) (المقصود بالطبع العقلية الطبقية للبرجوازية الصغيرة) . وما دامت العقلية واحدة والممارسات في كافة الميادين واحدة فقد اكتمل التشابه .

ان شعار « التحرير طريق الوحدة » ليس سوى تلبيسا ميكانيكيا للشعار الرسمي السائد « الوحدة طريق التحرير » طبعا بسبب تشابه العقلية الطبقية والممارسة . ومن هنا فلن يختلف أي شيء عن أي شيء ! وحتى التصفيات الدموية التي تشهدها قوى البرجوازية الصغيرة على يد بعضها البعض في المنطقة سببها الاساسي انها من طينة طبقية واحدة !! وقد يكون ذلك احد اشكال النقد الذاتي ! المبالغ به قليلا !

— ان تعدد المنظمات في الساحة الفلسطينية هو أيضا بسبب امتدادها من حركة التحرر العربي (ص ٣١) . الواقع العربي مجزأ اذن الواقع الفلسطيني كذلك .

— ان عدم قدرة المقاومة الفلسطينية على تنظيم مشاعر الجماهير العفوية هو ايضا بسبب هذا الامتداد ، وهي بهذا المجال تشبه الحركة الناصرية (ص ٣١) وهذا كله يعبر عن التصاقية فتح بالواقع العربي (ص ٣٥) .

— وحتى في مسألة خطف الطائرات فان الامر لا يعدو كونه تشابها دراماتيكيا مع الخبطات التي تأتي من فوق كما كان يفعل عبدالناصر بدلا من تنظيم الجماهير ، وبهذا برهنت قيادة المقاومة انها أمينة على ارثها الكفاحي العربي ووفية لطبيعتها الطبقية (ص ٥٩) .

هل نحن بحاجة للملاحظة بأن « فتح » أي المقاومة قد أعلنت مرارا قبل أيلول رفضها لهذه العمليات وبأنها تبنت قرارا في اللجنة المركزية لحركة المقاومة بتجميد عضوية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بسبب قيامها بمثل هذه العمليات . نعتقد ان مثل هذه الملاحظة ستربك معادلات الدكتور صادق ، لقد اصبحت الجبهة الشعبية هنا هي المقاومة وليست « فتح » بل ان موقف فتح الرافض لا يشار اليه هنا ، لان المفروض ان توافق . أليست من نفس الطينة الطبقية والامتداد العربي ؟!

سادسا : واستمرارا في محاولة الدكتور صادق لتصفية « فتح » أي المقاومة سواء على صعيد الفكر او الممارسة او حتى في الاستفادة من تجارب الثورات الاخرى ، فانه يفرد صفحات عديدة (٢٥ صفحة) لنفي أي شبهة تقارب ، او استفادة من تجربة الثورة الصينية ، لا على صعيد السياسة والتحالفات فقط ، وانما على صعيد الممارسة وبناء الجيش الشعبي ايضا . والسبب ، ان الماوية وتعاليمها حول بناء الجيش الشعبي لا يبقى منها شيء بعد طرح (أي حذف) الحزب والهوية الايديولوجية والسياسة الحمراء — الماركسية اللينينية — (ص ١٣٨) .

سابعا : انطلاقا من كل ما تقدم ، ونظرا لعدم اعتبار النظام الاردني هو أحد اطراف التناقض الرئيسي جاء أيلول والهزيمة ، وانتهت هذه المرحلة من تاريخ النضال الفلسطيني .

ويؤكد الدكتور الصادق بأن هذه الدراسة هي لمرحلة انتهت وهدفها الفهم والاستفادة من البذور الايجابية التي خلفتها هذه المرحلة اذا أردنا ان نقطف ثمارا على المديين المتوسط والبعيد (ص ١١) لاحظوا ان الدكتور صادق لم يتحدث عن الايجابيات كما انه لا يعتقد بأننا حتى على المدى القريب يمكن ان نشهد ثورة أخرى ، وهكذا ينضم صادق الى زميله الياس مرقص في تشييع المقاومة « واقامة احتفال الدفن المهيب الذي يليق بها » كما عبر مرقص ذات مرة .

ولكن هل يكتفي الدكتور العظم بهذا كله ويتوقف عنده ، بالطبع لا ، لان عليه ان يثبت حسن نواياه وحرصه على الجماهير والمنطقة فيحدد اقانيمه الثلاثة التي تملك العصا السحرية لحل كل معضلات بلادنا وايصالها للنصر .

الاقنوم الاول : النظرية الثورية (ص ٢٥٤) .

الاقنوم الثاني : الحزب الثوري الماركسي اللينيني (ص ٢٥٤) .

الاقنوم الثالث : ان تكون الى جانب الاشتراكية (ص ٢٥٥) .

الا ان الدكتور العظم قبل ان ينهي كتابه ، وخلال حديثه عن الوحدة الوطنية بين منظمات المقاومة ، وبدون مناسبة ، او بمناسبة واضحة الافتعال يورد التصريح التالي لنايف حواتمه والذي وصفه بالتصريح الهام : « ان اسرائيل تنفذ منذ حزيران ١٩٦٧ برنامجها الخاص بتصفية القضية الفلسطينية ، والملك حسين مصمم على تنفيذ مشروع المملكة العربية المتحدة . **وفي مقابل ذلك ماذا عند المقاومة** ؟ ان المقاومة وقفت الى الان عاجزة عن تقديم برامج عمل **مرحلية** وطنية تستجيب للمطالب السياسية والاجتماعية **المرحلية والراهنة** لشعب فلسطين . وفي تعبير آخر ، فان المقاومة بسبب سيطرة برنامج اليمين عليها ، اكتفت بأعلان الرفض **المبدئي الاستراتيجي العام** من دون ان تقدم

البرامج **التكتيكية** الضرورية لكل **مرحلة** ، والتي تؤدي بالنتيجة الى تحويل الرفض النظري الى قوة مادية ملموسة . ان المقاومة تقف الان مجردة من الاسلحة السياسية والاجتماعية القادرة على توظيف طاقاتها المسلحة لافشال كل هذه المشاريع وتقديم **البرنامج البديل** لشعبنا ليناضل تحت رايته» (ص ٢٥٠) انتهى كلام حواتمه .

هذا الاستشهاد الطويل الذي أورده الدكتور صادق من تصريح نايف حواتمه ، اتبعه بتصريح للناطق الرسمي — وكان يومها الشهيد كمال ناصر — اتهم فيه الديمقراطية بخرق الوحدة الوطنية ، ثم يورد رد الديمقراطية على الاتهام بانه من المؤسف ان الوحدة الوطنية لا زالت مقتصرة التنفيذ على قرار يتيم حول الوحدة الاعلامية (ص ٢٥١) .

ان هذا الاستشهاد الطويل من كلام نايف حواتمه والهوامش الملحقة به ليست هي **بالتأكيد** ما يعني الدكتور صادق ، وان حاول ايهامنا بذلك ، لان الدكتور العظم بعد هذا الكلام بأربعة اسطر فقط يقول :

« لا بد من الاشارة هنا الى انه مع ان منظمات يسار المقاومة المعروفة قد فهمت بصورة أفضل من غيرها **طبيعة المعضلات** التي تواجه حركة التحرر الفلسطينية ، والدلالات الاهم والاعمق لكل من هزيمتي حزيران ١٩٦٧ وايلول ١٩٧٠ ، وأدركت الاخطار الكامنة في التوجه العسكري **الضيق** لحركة فتح ، مع ذلك بقي فهمها لكل هذه الامور اقرب الى الصعيد الفكري والتأملي منه الى صعيد الممارسة العملية على مستوى الواقع المتحرك » (ص ٢٥١) .

بعد هذا الكلام بصفحتين فقط يختتم العظم كتابه موصيا باقانيمه الثلاثة السابقة . ان معرفتنا المسبقة بالحوارات الدائرة وراء الكواليس داخل الساحة الفلسطينية ، وما أثاره تصريح نايف حواتمه السابق ، والمتعلق **بالحقوق الراهنة والحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني** ، هذا التعبير يعني باختصار شديد التنازل عن حق الشعب الفلسطيني في كامل ترابه الوطني والقبول بقرار التقسيم لعام ٤٧ او قرار ٢٤٢ لعام ٦٧ او اي مشروع آخر يأتي بعد ذلك .

وهذا ما أراد الدكتور صادق ان يقوله بالضبط ، وان لم يصرح به مكتفيا بايراده على لسان نايف ثم بعد ذلك تقديم المدائح ليسار المقاومة على فهمه للمعضلات التي تواجه حركة التحرر الفلسطينية . لقد فات منير شفيق اكتشاف هذه القضية الهامة في كتاب الدكتور صادق الا انه ادرك بعمق ان الاستمرار المنطقي لكل منهج الدكتور صادق يقود اليها . ومن خلال موقفه من مسألة « الامة » اليهودية . ولقد افرد منير فصلا كاملا من كتابه « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم» في كشف موقف الدكتور صادق من هذه المسألة . وينقل منير شفيق النص التالي من حديث الدكتور صادق في ندوة شؤون فلسطينية العدد ١٢ « اذا اتفقنا على ان يهود اسرائيل يشكلون او هم في طريقهم لتشكيل امة او قومية ، كما قال الاستاذ الياس مرقص ، فلا بد من الاستنتاج بأن طابع الحقوق المتوجب الاقرار بها على المدى الاستراتيجي للشعب الاسرائيلي هو طابع الحقوق القومية ، وهذا الاقرار هو جزء من النضال الايديولوجي التحرري في الوقت الحاضر » (ص ١٨٤ من الكتاب) . كما يؤكد الدكتور صادق في ندوة مركز الدراسات الفلسطينية في جامعة بغداد بأن اليهود ما داموا أمة او أمة بطور التكوين فمن حقهم الانفصال عن الدولة الاشتراكية العربية الموحدة التي طرحها كحل للمسألة اليهودية او الاسرائيلية (ص ١٨٢ من كتاب منير شفيق) .

وهكذا يقودنا الدكتور العظم احيانا بشكل مباشر وأحيانا أخرى بشكل غير مباشر الى هذه النتيجة الخطيرة :

— الاعتراف بأمة يهودية .

— الاعتراف باسرائيل .

— أن يكون النضال في المنطقة طبقيا تشارك فيه البروليتاريا العربية واليهودية معا لتشكيل دولة عربية اشتراكية موحدة ذات قوميات ، ولان الدكتور العظم ماركسي لينيني ! فهو يمنح كل قومية حقها في تقرير مصيرها بما في ذلك حق الانفصال .

ولدى ادراكنا لهذه النتائج السياسية التي يؤمن ويبشر بها الدكتور صادق نستطيع ان نفهم بالضبط سر انزعاجه الشديد من البرنامج السياسي للثورة الفلسطينية الذي يتحدث عن تصفية الكيان الصهيوني ، واعتبار اليهودية دين وليست قومية ، واقامة الدولة **الفلسطينية** الديمقراطية بديلا لاسرائيل .

كما نستطيع ان نفهم سر الاقانيم الثلاثة التي

طرحها . فما دامت الثورة اجتماعية طبقية فلا بد ان تكون مادة هذه الثورة جماهير البروليتاريا والفلاحين من عرب ويهود وحزبهم الماركسي اللينيني ورامعين بالطبع وعاليا راية الاشتراكية (الاقنوم الثالث) .

وهنا يتضح تماما خلافنا مع الدكتور صادق حول فهمنا لطبيعة العدو ولطبيعة الصراع وأطرافه وأدواته ، وهذا ما سنتحدث عنه بعد قليل .

منهجيا

لو وافقنا الدكتور صادق جلال العظم لمدة دقيقة واحدة على مقولته التي تؤكد ان المقاومة الفلسطينية قد انتهت في هذه المرحلة ، واننا من أجل بناء الحزب الماركسي اللينيني — طبعا المؤمن بالنظرية الثورية والاشتراكية (أقانيم صادق) — في المدين المتوسط والبعيد لا بد لنا من تقييم المرحلة السابقة ، فكيف نفعل ذلك ؟ لو سألنا هذا السؤال لاحد المبتدئين في تعلم الف باء الماركسية لاجاب على الفور وبدون تردد :

اولا : ندرس الظروف الموضوعية التي سبقت ورافقت الانطلاقة الثورية في فلسطين والاردن اساسا ثم دول الطوق في الدرجة الثانية وبعد ذلك الوضع العربي العام ... ندرس هنا على الخصوص نمط العلاقات الانتاجية السائدة والقوى الطبقية التي افرزتها هذه العلاقات كما ندرس مجموع المؤثرات والعوامل القهرية كالاذلال القومي او الديني او الكبرياء الوطني الخ ... كما علينا ان ندرس في هذا المجال المناخ السياسي العام وطبيعة الاحزاب والقوى القائمة ...

ثانيا : لا بد لنا من دراسة العدو وامتداداته من حيث تركيبته الاجتماعية والطبقية والنفسية ... مراكز القوة والضعف لديه... خططه الاستراتيجية والتكتيكية .

ثالثا: ندرس الوضع الدولي العام...توازناته... علاقاته ... احتمالات مواقفه المتعددة، وارتباطاته بالقضية الفلسطينية والعربية وبالعدو ايضا .

بعد وضع هذه الخريطة العامة — يجيب الماركسي المبتدىء — يمكننا ان نفهم خصوصية الوضع الفلسطيني ، وبالتالي ان نفهم طبيعة القوى التي افرزها هذا الوضع لتقود النضال في السنوات من ١٩٦٥ الى ايلول ١٩٧٠ .

بعد ذلك — لا زال الماركسي المبتدىء يتحدث — ندرس مسيرة الكفاح المسلح الذي تم والمتغيرات الموضوعية التي احاطت بهذه المسيرة فلسطينيا وعربيا ودوليا ، حتى يمكننا ان نفهم بعمق أين استطاعت المقاومة ان تحقق نجاحا وأين فشلت وكان بامكانها ان تنجح ، وهكذا من خلال دراسة تجربة الكفاح المسلح من كل جوانبه عسكرية كانت أم سياسية أم تنظيمية ... موضوعية أم ذاتية ، نخرج بصورة متكاملة تفيدنا في خطواتنا القادمة .

الدكتور العظم لا يمكن ان يقبل ما يفعله الماركسيون المبتدئون ، لانه كما يبدو ماركسي (اكسترا) او فوق الماركسية ، غير ان ما فعله بالنتيجة يشبه تماما ما يفعله مشايخ القرى او كهنة الاعتراف الكاثوليك ، فالاشياء مفرزة ومقسمة سلفا ... هذا خير وذلك شر ... هذا سلبي وذلك ايجابي...هنا خطأ وهناك صواب... أبيض واسود هذه هي الالوان التي يستطيع عقل الصادق ان يميزها... اما تدرج الالوان وتداخلها والتحام لونين ليشكلا لونا جديدا فمسائل لا علاقة للدكتور العظم بها ، ولهذا نجده في مقدمة كتابه « دراسة نقدية ... » يحيلنا الى هامش يعتذر فيه عن الحديث في ايجابيات الثورة ومنجزاتها :

« يجد القارىء عرضا مركزا وافيا لمنجزات الكفاح الفلسطيني المسلح في كتاب الدكتور حسام الخطيب « في التجربة الثورية الفلسطينية » منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٢ » ، (هامش (١) ص ٩) .

لاحظوا ان حرص الدكتور العظم على معرفتنا لمنجزات الثورة تصل الى درجة اخبارنا عن دار النشر التي وزعت الكتاب .

هل نسأل بعد ذلك أين الديالكتيك الماركسي العلمي الذي يرفض ان يحاكم الاشياء ، ولا يستطيع ان يفهمها الا من خلال وحدتها الكلية وترابطها وتناقضها وتطورها ؟!

مأساتنا المفجعة ليست بأعداء الماركسية والعلم بل بأولئك المتمركسين الذين يتخموننا بنصوص واستشهادات من ماركس وانجلز ولينين وماوتسي تونج — خاصة ماوتسي تونج — دون ان يقدموا تحليلا ملموسا واحدا لواقعنا الملموس — اولئك الذين يحفظون عن ظهر قلب ما قاله ماركس عن الثورة الفرنسية او ما قاله لينين عن ثورة ١٩٠٥ ويحللون باستفاضة الظروف الموضوعية التي

احاطت بالانتفاضتين، لكن حين يتعلق الامر بالمجتمع الفلسطيني الذي يمتلك خصوصية نادرة وفريدة فهم اما ان يقفوا عاجزين تماما عن التحليل ويتناولون الظواهر فقط ، واما ان يبروا اقدام هذا المجتمع ليدخلوها في قوالبهم الحديدية .

بعد ذلك نحب ان نلفت نظر الدكتور العظم الى مسألة هامة تتعلق بكتابه كاملا : ان الذي يطرح نفسه ماركسيا في بلادنا عليه ان يعرف ان مهمته ليست التعليق على احداث الماضي (النقد الذاتي بعد الهزيمة ، دراسة نقدية لفكر المقاومة) وانما مهمته اساسا الكتابة عن المستقبل مستعينا بأحداث الماضي محللا الحاضر بمختلف جوانبه راسما طريق المستقبل ... وحتى هذا الجهد على أهميته لو انجزه الماركسي بكامله يظل قاصرا اذا لم يهبط هذا الماركسي الى ارض الواقع ويعيش حركة الجماهير وتفاعلاتها الصخابة والمتنوعة والمتناقضة ، من أجل ان يفهم اكثر وأعمق ما يحدث ومن أجل ان يسهم في صناعة المستقبل ... ليست مهمة الماركسيين تفسير التاريخ والمجتمعات والاحداث ... انما مهمتهم التغيير من خلال الفعل والممارسة ... هكذا علمنا (البيان) في سن مبكرة ... اما اذا فشلنا في الفعل والعمل فعلى الاقل ان نجيد كتابة التاريخ مثل أي مؤرخ بورجوازي نزيه ، بأمانة وصدق ، ولنكف عن طرح انفسنا كماركسيين اذا كنا نحمل بعض الاحترام لهذا الاسم .

حول التوقيت

ان النقطة السابقة تقودنا مباشرة للحديث عن توقيت تأليف الكتاب واصداره ، في نفس الوقت الذي تتعرض فيه الثورة الفلسطينية لحملة تصفية شاملة على كافة الاصعدة السياسية والفكرية والعسكرية والارهابية ، عربيا ودوليا ، والثورة تدفع كل يوم من قياداتها وكوادرها ومناضليها للحفاظ على الثورة واستمرارها ، ومن أجل أن تبقى شعلة الرفض مضيئة في وجدان الامة حيث الصمت يكفن كل الجبهات .

هل حرص الدكتور العظم على صحة المريض في المديين المتوسط والبعيد يدفعه الى المشاركة في قتل المريض الان ؟!

نحن نعرف ان هذا هو ما فعله العظم ، فهل يعرف هو ما يفعل ؟

حول الموضوعات والنتائج

تتعرض بلادنا الان لشكلين من اشكال السيطرة الاجنبية .

الشكل الاول : احتلال عسكري استيطاني صهيوني في فلسطين كلها وسيناء والمرتفعات السورية ، ولا زال يطمع الى احتلال المزيد .

الشكل الثاني : النفوذ الامبريالي الامريكي والانكليزي والذي يعزز سيطرته الكاملة او شبه الكاملة على العديد من الدول العربية (قواعد عسكرية .. احتكارات مالية وبترولية .. قروض .. ربط انتاج واستهلاك هذه الاقطار بالرأسمال الاجنبي .. الخ ..)

وترتبط بهذين الشكلين للاحتلال الرجعية العربية العميلة للامبريالية وجناح من البرجوازية العربية التجارية والصناعية المتصلة بالرأسمال الاجنبي .

وفي مقابل ذلك تقف جماهير الامة العربية بعمالها وفلاحيها ومثقفيها الثوريين .. ببرجوازييها الصغار وبالجناح الوطني من البرجوازية العربية العقارية والصناعية والتجارية التي ترتبط مصالحها بالاستقلال الوطني عموما .

ان سمة هذه المرحلة بالتالي ، هي مرحلة الثورة القومية الديمقراطية التي تستهدف طرد المحتل الاجنبي ، وتصفية أشكال هيمنته العسكرية والاقتصادية والثقافية والسياسية ، وتصفية القوى العربية المرتبطة بالاحتلال لمصلحة جماهير الامة العربية التي من خلال تواصل نضال طبقاتها الاكثر جذرية وثورية ستحدث تغيرات كيفية على برامجها السياسية وأطرها التنظيمية وصولا الى بناء دولتها الاشتراكية الموحدة والمحررة من كل اشكال السيطرة الاجنبية .

كيف يحدث ذلك على أرض الواقع ؟ ما هي القوى التي تخوض الصراع وتقوده ؟ ان الاجابة على هذه المسائل يقدمه ، وقد قدمه الواقع نفسه . اما النصائح المخلصة وغير المخلصة التي تتحدث عن النظرية الثورية والحزب الثوري الخ .. فانها تثير السخرية والحنق معا ..

هل الحزب الماركسي القائد لمرحلة النضال سابقا ولاحقا ينتظر من الدكتور العظم او من غيره ان يخبره بأن عليه الان دور القيادة ؟ او ان جماهير البروليتاريا تنتظر الاذن لقيادة طبقات الامة ؟! ربما كان العظم يعتقد ان السطور العشرة الاخيرة من

كتابه والتي ضمنها (أقانيمه) الثلاثة قد حلت كل المشاكل وبأن بامكانه أن يذهب ليستريح بعد أن أضاء بصيرة الطبقة العاملة بما تحتاجه وبالدور الذي عليها أن تلعبه .

الماركسيون الحقيقيون والمناضلون الثوريون في غياب حزب الطبقة العاملة لا يجلسون في بيوتهم والامة تتعرض لخطر التصفية والاستسلام ، وهم كذلك لا يرفعون سيوفهم في وجه القوة الوحيدة التي تتصدى للهجمة الصهيونية الامبريالية الرجعية ، وتقدم آلاف الشهداء من أجل دحر هذه الهجمة وافشالها . الماركسيون دائما بين الجماهير وفي معمعان قتالها اليومي ، هم الاكثر عملا ، والاكثر تضحية ، والاكثر قدرة على العمل مع الجماهير وقيادتها ، واذا لم يفعل الماركسيون ذلك فان شعبنا لن يحبهم أو يحترمهم ، ولن يمنحهم قط قيادته حتى ولو جاءوا بحزب ماركسي تفصيل على مواصفات العظم وأقانيمه .

الطريف في محاكمات العظم لفكر حركة المقاومة وممارساتها — تحديدا فتح — انه يطالبها بأن تطرح فكريا وسياسيا وتمارس مثل أي حزب ماركسي ولانها لا تفعل ذلك فان العظم لا يتردد لحظة واحدة عن شطبها واعلان افلاسها ، في الوقت الذي اعلنت « فتح » بأنها حركة وليست حزبا ماركسيا ولا ليبراليا . بتواضع قالت « فتح » انها تطمح من خلال المسيرة ان تتحول الى حزب مغتنية بالفكر والنظرية من خلال الممارسة .

وما دام الامر كذلك ، فان « فتح » هي حركة وطنية آمنت بالكفاح المسلح وحرب الشعب ، وحين انطلقت لم يتجاوز عدد أفرادها سواء في قوات العاصفة أو في تنظيم فتح السياسي المئات.

بعد حزيران ٦٧ ومع انطلاقة « فتح » الثانية وبعد الكرامة تحديدا عام ٦٨ تدافعت الجماهير نحو « فتح » سواء كمقاتلين أو كأعضاء في التنظيم ودون أن تكون « فتح » قادرة تنظيميا او عسكريا على استيعاب هذا التدفق البشري الهائل . كانت أمام خيار الرفض أو القبول ولم يكن القرار سهلا، الا ان مبررات القبول كانت أقوى .

● شباط ٦٨ تقدمت دبابات السلطة الاردنية لتصفية قواعد « فتح » في الاغوار .

● ٦٨/١١/١٤ واجهت « فتح » مؤامرة التصفية في الاردن ، وكانت تحتاج الى جماهير مسلحة لحماية الثورة ، والى أعضاء في التنظيم لقيادة هذه الجماهير لقيادة الميليشيا .

● نيسان ٦٩ واجهت المؤامرة في لبنان وكانت « فتح » بحاجة الى مقاتلين وميليشيا ايضا .

● تشرين ٦٩ المؤامرة الثانية في لبنان .

● شباط ٧٠ حملة التصفية الثالثة في الاردن .

● حزيران ٧٠ حملة التصفية الرابعة في الاردن .

● تموز ٧٠ واجهت الثورة مؤامرة روجرز والموافقة الوطنية العربية عليها .

ثلاثون شهرا فقط هي الفترة التي كان على فتح فيها أن تواجه كل هذه المؤامرات والتصفيات دون أن تنسى للحظة واحدة دورها الاساسي في الارض المحتلة التي فاجأتها هزيمة حزيران وهي تفتقد الى الاحزاب والتنظيمات والسلاح .

ونحن حين نسجل كل ذلك ، لا نقدم فتاوى او تبريرات للاخطاء والسلبيات ، والتي كان بعضها خطرا وقاتلا . الا أن كافة ملاحظاتنا وانتقاداتنا يجب أن تظل في داخل الاطر التنظيمية أو على الاقل ليس على صفحات الجرائد والمجلات والكتب، ولا نظن ان الدكتور العظم سيختلف معنا حول هذه المسألة التنظيمية البسيطة . وكان على الدكتور أن يلاحظ ذلك حين شن هجومه على بعض كوادر وقيادات « فتح » لانها لم تحدد موقفا من النظام في الاردن في الوقت الذي كانت تحمل فيه السلاح في احياء عمان ضد هذا النظام .

ان مسيرة الثلاثين شهرا من شباط ٦٨ الى تموز ٧٠ والمؤامرات الدموية التي واجهتها فتح خلالها ، ربما كانت تحتاج الى تنظيم حزبي متمرس في النضال لعشرات السنين ولديه آلاف الكوادر . فكيف تمكنت حركة وطنية صغيرة في البداية أن تصمد وتنمو ، ولا زالت حتى الان تقاتل داخل الارض المحتلة وخارجها ؟ هذا السؤال الهام لا يعني الدكتور العظم ، ولهذا لم يتوقف امامه .

نحن نعتقد ان الموقف السياسي العام والشعارات التي طرحتها « فتح » وممارستها لهذه الشعارات، هي صحيحة في خطوطها العامة ، غير ان هذه الصحة لا زالت تحتاج الى اغناء كل يوم بالتفاصيل التي يعززها ويؤكدها الواقع والممارسات ، وهذا درس ايجابي هام نخرج به من تجربة السنوات الماضية ، وكل توجه لنقض هذه الشعارات بالحديث عن دولة أو أمة يهودية او تقسيم الخ ... سيجهض مقدما أي حزب ،

وعلينا ألا ننسى أن سر ضعف الاحزاب الشيوعية العربية عموما ولا جماهيريتها هو الموقف الخاطىء من القضية الفلسطينية أساسا ، ومن قضية الوحدة العربية ثانيا ، ومن هنا فان دعوة الدكتور العظم الى بناء الحزب الماركسي الذي يؤمن بأمة يهودية واستقلال قومي لهذه الامة تذكرنا بتعبير شائع وطريف : « ان التاريخ يعيد نفسه مرتين ، الاولى على شكل مأساة والثانية على شكل مهزلة » .

ان مسألة بناء الحزب ، والحزب الماركسي العربي تحديدا من المسائل الاكثر اهمية وخطورة ، لان الحل النهائي لمعضلات المنطقة العربية الاستراتيجية والجذرية ، لا بد أن يتصدى لها أخيرا مثل هذا الحزب ، غير ان هذا لا يعني لحظة واحدة ان نقفز فوق الواقع المليء بالصدامات والتحديات والقوى المقاتلة وندينها هكذا بالفشل والافلاس بل والانتهاء ، من أجل الدعوة للحزب الذي لم يولد بعد . ان مثل هذه الخفة في تناول القضايا الوطنية والنضالية ، وكأن مثل هذا الحزب يشترط لولادته الفراغ الكامل من كافة القوى حتى يتمكن من الولادة او القيادة .

الحزب الماركسي الثوري العربي في ظروف بلادنا الراهنة يولد من خلال القتال والكفاح التحريري الشعبي المسلح من مئات الكوادر والمناضلين المتمرسين في معارك الشعب اليومية ضد الاعداء الصهاينة والامبرياليين وعملائهم الرجعيين .

في بلادنا التي تعيش مرحلة الثورة القومية الديمقراطية لا يولد الحزب الماركسي الثوري بين بروليتاريا المصانع او جماهير الفلاحين المسحوقة بالنهب الاقطاعي ! ، انما يولد في مناخ الكفاح المسلح ضد أعداء الامة ، ومن بين المقاتلين العصابيين وفي ظل بنادقهم وايضا في شعارات حرب الشعب والتحرير الشامل والمجتمع الديمقراطي الفلسطيني ووحدة الامة وحريتها وتقدمها .

مقياس خاطىء

الدكتور العظم من اجل أن يبرهن على فرضية مسبقة تقول ان البرجوازية سقطت ببرامجها وقياداتها وممارساتها وأحزابها وحركاتها وان عليها أن تتنحى لتسلم القيادة للبروليتاريا وحزبها! يستحضر حزيران ٦٧ وأيلول ٧٠ لانهما الدليل على الفشل الكامل السياسي والعسكري والطبقي .

هزيمة المعركة ، خاصة المعارك الكبيرة هي المقياس عند العظم ليحدد بعدها انتهاء دور طبقة كاملة ، وهذه جهالة تثير الاشفاق :

أولا : ان الذي يحدد دور الطبقة ليس رغباتنا مهما كانت طيبة ومخلصة ، وانما قوى وعلاقات الانتاج والاحزاب والقوى التي يفرزها الواقع الاجتماعي ، والثقافة السائدة او التي في طريقها لكي تسود حياة المجتمع وفكره .

ثانيا : اذا كانت الهزيمة مقياسا لفشل الطبقة أو حزبها فكيف يفسر الدكتور العظم ، اجتياح الالمان لاراضي ومناطق كاملة في الاتحاد السوفياتي في الاشهر الاولى من الحرب العالمية الثانية ، وكيف يفسر هزيمة الجيش الاحمر الصيني في مناطقه المحررة بعد حملات الابادة الخمس ونزوح هذا الجيش فيما عرف بالمسيرة الكبرى الى شمال غرب الصين في رحلة العشرة آلاف ميل . هذه المسيرة بدأت بـ ٣٠٠ الف جندي أحمر وعند نهايتها كان العدد ٢٥ الف جندي أحمر . هناك ٢٧٥ ألفا بين قتيل وجريح ومنهزم وهارب .

حول هذه القضية سنستمين برأي قانوني ، وهو يحمل شهادة دكتوراه في الحقوق الا انه ثوري ومناضل ولا يجزع أو يفقد الثقة بعد الهزيمة ، انه فيديل كاسترو :

١ — بعد فشل الهجوم على ثكنة المونكادا (احتفلت كوبا يوم ٢٦ تموز الماضي بهذه الذكرى) وقتل وأسر معظم المشاركين في الهجوم قدم كاسترو مرافعته الشهيرة باسم « سيبرئني التاريخ » التي تحدث فيها بحب وفخار عن رفاقه الشهداء وبسالتهم وتضحياتهم ، وتحدث عن بعض الاخطاء التي رافقت تنفيذ العملية ومن وراء القضبان وضع نظام الجلاد باتيستا في قفص الاتهام ، وهتف بشعار الثوار الكوبيين : « النصر او الموت .. سننتصر » . بعد حوالي سنتين ، سقط نظام باتيستا وانتصرت الثورة .

٢ — في مقدمة « يوميات غيفارا في بوليفيا » التي كتبها كاسترو رد بعنف على الذين هاجموا ثورة بوليفيا وغيفارا بحجة ان الظروف الموضوعية غير ناضجة في بوليفيا للثورة ، وبأن غيفارا مغامر رومانسي فقال ان الثورة الكوبية كان من الممكن ان تسحق في احدى حملات الحصار في السييرا مايسترا وان يستمر حكم باتيستا زمنا أطول ، الا

ان الشعب أخيرا كان سينتصر ، وانه كان بالامكان ان ينتصر غيفارا لو أن بعض الظروف المؤاتية ساعدته .

غيفارا في يومياته في بوليفيا يكتب متحسرا لو كان معي ٢٠٠ مقاتل فقط لاصبحت بوليفيا على ابواب النصر .

كاسترو لم يكن حين انتصرت الثورة شيوعيا أو حتى ماركسيا ، وغيفارا الماركسي لم يكن لديه حزب .

ما الذي يحدد الفشل النهائي للحركة الثورية او عدمه ؟ ومتى تكون الهزيمة نهاية لمرحلة كاملة ؟

الجواب هو : استمرار القتال .. استمرار ارادة القتال . الثورة الفلسطينية منذ أيلول ٧٠ لم تتوقف عن القتال ولم تفقد ارادة القتال ، وفقط نحيل الدكتور العظم على الصفحات الاخيرة من شؤون فلسطينية او ان يقرأ نشرة الرصد الاذاعي العبري التي تصدر عن مركز الابحاث ، لان الدكتور لا يثق ببلاغات الناطق العسكري الفلسطيني ، ولهذا نكتفي باحالته على بلاغات الناطق العسكري الصهيوني .

من هنا فان الهزيمة في معركة او أكثر من المعارك الكبيرة (الجيش الاحمر الصيني ، الجيش السوفياتي) لا يمكن ان تكون هي المقياس الذي يحدد من خلاله انتهاء دور طبقة أو انتهاء مرحلة نضالية أو حركة ثورية . ان دور الطبقة لا ينتهي حتى تسيطر عليها طبقة أخرى بادخال تغيير جذري على علاقات الانتاج .

كما ان دور الحركة الثورية لا ينتهي ولا تنتهي المرحلة النضالية ما دام القتال مستمرا .. ما دامت ارادة النضال مستمرة . وما دامت هذه الحركة هي قوة الرفض الوحيدة الشعبية والمسلحة التي تتصدى لاعداء الامة .

لقد أراد الدكتور العظم وحاول أن يدمر كل شيء وأن يبعث في العقول والقلوب الشك واليأس بجدوى أي نضال أو مقاومة أو حتى صمود مع الحركة الثورية الفلسطينية المسلحة لانها فشلت على كافة المستويات وفي جميع الميادين الايديولوجية والسياسية والعسكرية والتنظيمية . انه يقول : أيها المقاتل الفلسطيني المزروع في جبال الشيخ منذ ثلاث سنوات الق بندقيتك واذهب الى بيتك لتستريح لان قيادتك البرجوازية فشلت ولا فائدة هناك ..

وبا أيتها الكوادر العاملة في صفوف الثورة والمؤيدين لها في جميع انحاء الوطن العربي والعالم اخبركم ان هذه المرحلة النضالية قد انتهت فكفوا عن العمل والنضال واستريحوا ..

ان قيام اذاعة العدو الصهيوني باذاعة كتاب العظم في حلقات تتطلب منه ان يتبعه ببيان هام الى خلايا الثورة الفلسطينية في الوطن المحتل ينصحهم فيه بحل أنفسهم وبالتوقف عن توجيه ضرباتهم اللامجدية الى المحتل الصهيوني .

ان العظم يكاد يصرخ في كل سطر من كتابه :

الى الجميع كفوا عن العمل والنضال .. دعوا المنطقة هادئة ومستقرة والارض مستريحة والمناخ العام صافيا ومهيئا . فالدكتور سيزرع بذرة الحزب المباركة لتنمو في المستقبل وهذه البذرة لا تنمو الا وسط سكون شامل وصمت تام ، لان صوت الرصاص يزعجها ويمنعها من النمو ، وأي تصد للهجمة المعادية هو ضجيج مزعج للمولود الجديد.

« الان يمكننا ان نقول بدون مبالغة ان حركة التحرر الفلسطينية قد **استنفدت مرحلة معينة من مراحل تطورها** وان الحصيلة المباشرة والآنية لهذه المرحلة كانت سلبية ومرة الثمار » (ص ١١) .

ثم يحدد الدكتور موعد الولادة القادمة فيقول : « الا أنه اذا أردنا للبذور الايجابية التي خلفتها هذه المرحلة ان تعطي ثمارا على **المدين المتوسط والبعيد** ، من غير النوع الذي عرفناه حتى الان ، فلا بد من طرح سؤال : لماذا استطاعت قوى الثورة العربية المضادة من **الحاق الهزيمة** بالكفاح الفلسطيني المسلح (أو الثورة الفلسطينية مع ما في هذه التسمية من تجاوز) في الاردن ؟ » (ص١١).

واضح هنا تماما ان العظم لا يريد من دراسته وتقييمه تقديم أي نقد ايجابي للمقاومة الراهنة مما يمكن ان نسميه « نصيحة » من أجل أن يناضلوا أفضل او يحددوا برامج سياسية أكثر صحة او يدعوهم للوحدة مثلا كما يفعل بعض المواطنين الطيبين . الا انه يعلن الفشل الكامل للمقاومة وهزيمتها الساحقة ، كما يعلن انتهاء المرحلة بكاملها وينصحنا ان ننتظر الى المدين المتوسط والبعيد حتى يولد الحزب . طبعا لا يمكن أن يدعو الدكتور صادق جلال العظم الجماهير الى المشاركة في بناء هذا الحزب ، لان هذه مهمة ماركسية (اكسترا) من طراز الدكتور مستعينا بالطبع ببروليتاريا المصانع العربية ! وببعض الفلاحين

المستثمرين في الارياف شرط أن يكونوا مسحوقين طبقيا من الاقطاعيين العتاة !.

بوذا الحكيم له قول مأثور : « أنا لا أعرف شيئا عن سر الاله لكنني أعرف أشياء عن عذاب الانسان » .

ونحن لا نعرف شيئا عن الاحزاب التي تولد في المدين المتوسط والبعيد ، لكننا نعرف أشياء عن المؤامرة (الناضجة) الان . مؤامرة سحق وتصفية الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية .

عرفناها في أيلول عمان وتموز الاحراج .
وعرفناها في البداوي والبارد والنبطية وصبرا وشاتيلا وبرج البراجنة وتل الزعتر وضبيه وجسر الباشا .

عرفناها في نيسان الغردان ببيروت وفي أيار ، حدثنا عنها بوضوح كامل وبصدق كمال ناصر وكمال عدوان وأبو يوسف ورياض عواد ومئات الشهداء والجرحى .

والغريب أيها الدكتور الصادق ان المؤامرات عموما تحاك وراء الكواليس بغموض وسرية لتفاجئنا على حين غرة الا المؤامرة التي نشهدها ونعيشها في هذه المرحلة شهودا وشهداء فهي ليست سرا فقادة العدو لا يمر يوم واحد دون ان يهددوا بمطاردة المقاومة في كل مكان لالحاق الهزيمة النهائية بها (لاحظوا ان العدو لا يصدق كلام العظم عن هزيمة المقاومة وانتهائها) كما ان مؤتمر المخابرات المركزية الامريكية الذي عقد في طهران قبل فترة قصيرة يضع على رأس جدول أعماله مقاومة الثورة الفلسطينية ، والبيت الابيض الامريكي ينشىء فرعا لمقاومة الارهابيين الفلسطينيين .

امام هذه المؤامرة الامبريالية الصهيونية الرجعية **الان** ماذا نفعل يا دكتور ؟

هل نلقي السلاح ونستسلم ونرفع الرايات البيضاء انتظارا للحزب المهدي المخلص في المدين المتوسط والبعيد ؟

أم نقاتل وفي لهيب الكفاح المسلح يمكن للبذور الجيدة والقوية ان تنمو وتنضج ؟

يروى عن الاسبارطيين وكانوا شعبا قويا مقاتلا ان الطفل عند ولادته كان يترك بالعراء خارج البيت طوال الليل . كثيرون من هؤلاء الاطفال كانوا يموتون بسبب قسوة الطبيعة. ولم يكن الاسبارطيون يشعرون بالحزن على من يموت كانوا يقولون : هناك خلل ما في صحته وتركيبه البدني ، لو كان قويا لعاش رغم قسوة الطبيعة .

وما دمنا في مجال سرد القصص فلا بأس من استحضار مثل شعبي من بلادنا يقول : « لا بهاوش ولا بلم حجار » يعني لا يقاتل ولا يجمع حجارة للمقاتلين .

كنا نتمنى ان يكون الدكتور العظم أحد هؤلاء الا انه كماركسي ! (اكسترا) ! وكثورجي من طراز نادر يرفض ان يقف متفرجا ، فتراه لا يجمع حجارة فقط ويضعها في يد الاعداء (اذاعة العدو قدمت كتاب العظم في حلقات) ولكنه يشارك هؤلاء الاعداء في رجم الثورة بالحجارة .

ان الثورة التي تنهال عليها قنابل الاعداء من كل اتجاه لن يضيرها كثيرا ان تتساقط عليها بعض الحجارة ، لكن يهمها ان تحدد بالضبط المواقع التي تنطلق منها قذائف الاعداء .

مراجعات

ناجي علوش ، نحو ثورة فلسطينية جديدة
(دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٣)

كتاب ناجي علوش « نحو ثورة فلسطينية جديدة » هو عبارة عن مجموعة مقالات ودراسات ومناقشات وافتتاحيات كتبت خلال مدة خمس سنوات . فهو من جهة يطرح قضايا الثورة الفلسطينية ووضعها الداخلي ، برامج فصائلها ، علاقتها بالانظمة العربية وعلاقتها بالجماهير العربية ، أسلوبها الكفاحي المسلح ، مؤامرات التصفية ضدها ، مجزرة ايلول ، أخطاءها ، نقاط ضعفها وقوتها ، نتائج أعمالها العسكرية ومردودها السياسي ، أزمتها وأخيرا كيفية الخروج من الازمة . ومن جهة أخرى ، الكتاب يعتبر بمثابة دراسة ميدانية للثورة الفلسطينية اذ انه يسجل وقائع أعمالها وانعكاساتها على وضعها الخاص والوضع الفلسطيني وثم العربي ، ويخلص في النهاية الى تحديد نقاط الانطلاقة الثورية الجديدة للمقاومة الفلسطينية . الا ان الكتاب لم يخل من كثرة القضايا التي طرحها ، والموضوعات العديدة التي تطرق اليها ، وضخامة الحلول التي اقترحها ، مما ادى الى التكرار والحشو وقلة المراجع بالنسبة الى حجم الكتاب .

وفي عرضنا للكتاب سنشدد على نقطتين رئيسيتين وردتا فيه وهما : دروس حملة أيلول الاردنية ونتائجها ، علاقة الثورة الفلسطينية بحركة التحرر الوطني العربية . اذ أن هاتين النقطتين لا تزالان مدار نقاش حتى يومنا هذا ، حيث اشتدت شراسة الهجمة الامبريالية الصهيونية على الوطن العربي وازداد بالمقابل التسابق ، الحاصل بين الانظمة العربية في مسيرة الاستسلام الكامل للشروط الاسرائيلية — الاميركية ، في الوقت الذي تسجل فيه حركة التحرر الوطني العربية والمقاومة الفلسطينية سلسلة تراجعات نتيجة حملات التصفية والخنق والتطويق ، سياسيا وعسكريا . كما ان هاتين النقطتين برزت أهميتهما بعد حملة ايار في لبنان ضد المقاومة التي لن تكون الاخيرة ولن تنتهي عند الثورة الفلسطينية بل ستتجاوزها لتطال فصائل الحركات الوطنية في الوطن العربي وبالدرجة الاولى لبنان .

وقد طرحت أحداث ايار الدامية ، عدة نقاط أساسية ، ليست الا تكرارا لنفس النقاط التي طرحت بعد مجزرة ايلول الاردنية وهي : (١) وحدة فصائل حركة المقاومة ، والجبهة الوطنية المتينة التي يجب ان تقوم عليها مثل تلك الوحدة . (٢) دور المقاومة الفلسطينية في تثوير الوطن العربي. (٣) دور الحركة الوطنية التحريرية العربية في معركة تحرير فلسطين . (٤) علاقة المقاومة بفصائل الحركة الوطنية العربية وعلاقة الحركة الوطنية العربية بالمقاومة الفلسطينية . (٥) الترابط الجدي ما بين الحركة الوطنية التقدمية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية. (٦) اسلوب التعامل الثوري والعلاقة المتقدمة والنضال المشترك ما بين الحركة الوطنية اللبنانية وحركة المقاومة الفلسطينية . (٧) نقاط التمايز ونقاط التماثل ما بين الحركة الوطنية اللبنانية وحركة المقاومة الفلسطينية في الساحة اللبنانية وضمن الشروط العربية . (٨) البرنامج السياسي الافضل الذي يمتن العلاقات الرفاقية بين الحركة الوطنية اللبنانية وحركة المقاومة الفلسطينية ، وفق الظروف العامة والخاصة للثورة الفلسطينية المسلحة والنضال الديمقراطي اللبناني ، والاسس التي يمكن ان يقوم عليها مثل هذا اللقاء الذي يجب تطويره الى درجة التحالف المصيري .

ان جملة النقاط هذه قد طرحت في السابق ابان حملة أيلول وقبلها وطرحت ايضا ابان حملة ايار وقبلها ، وحتى الان لا يزال النقاش يدور حول

تطبيق هذه النقاط والسير بها حتى النهاية . ولقد طرحها ايضا ناجي علوش في كتابه في عدة مجالات ونواحي ، وهذه خلاصتها :

دروس أيلول وتجربة الاردن

يستخلص ناجي علوش ثلاث عشرة نقطة كدروس تطبيقية اكدتهـا الثورة الفلسطينية في تجربتهـا الاردنية ، ونتائج تلك التجربة بعد حملة ايلول الدموية . ونوجز هذه النقاط بالشكل التالي :

اولا : « ان الجماهير المنظمة المسلحة قوة هائلة جبارة ، وان هذه القوة قادرة على الصمود في وجه أعتى القوى العسكرية النظامية وأحدثهـا تكنيكا ، وقادرة على ايقاع افدح الخسائر بها...»

ثانيا : « ان الوعي الثـوري والتنظيم الثوري والقيادة الثورية عوامل متداخلة متكاملة ، وان هذه العوامل هي العوامل الاساسية في القتال . فاذا ما وجد الوعي والتنظيم والقيادة لم يكـن القتال ضد العدو ممكنا فحسب ، بل عمليـة مؤكدة ... »

ثالثا : « ان وحدة الارادة ووحدة القيادة أكثـر ضرورة في المعارك الشعبيـة منها في المعـارك النظامية ، وان فقدان وحدة الارادة ووحدة القيادة يقود الى الشلل والهزيمة . ولقد كانت المقاومة الفلسطينية مشتتة الارادة ومشتتة القيـادة في معركتها ... »

رابعا : « ان الانتفاضة علم ، وان الاعداد لها وتفجيرها وتحديد موعد التفجير وقيادتها أمور تحتاج الى وعي ثوري أصيل والى معـرفة واسعة بالتناقضات المحلية والدولية والى قدرة على فهم امكانيات التحالفات وضروراتها ومهماتها . كما ان كون الانتفاضة علما يعني ضرورة فهم معنى الحرب عموما والحرب الشعبية خصوصا ... »

خامسا : ان « علم الانتفاضة » يؤكد ان الروح الهجومية هي روح الانتفاضة، وان الروح الدفاعية قوتها . واذا كانت هذه الحقيقة مؤكدة سلفـا ومقدرة بالوقائع فان تجربة ايلول في الاردن تزيدها تأكيدا على تأكيد وتوضحها ... »

سادسا : « ان قوتين سياسيتين ، متعارضتي الاهداف ، متناقضتي المنشأة ، لا يمكن ان يلتقيا في بلد واحد الا مرحليا وضمن ظروف معينة . ولقد كانت المقاومة قـوة سياسية مناقضة للسلطـة الاردنية العميلة من حيث الاهداف ، ومن حيث المنشأ . انها مـن حيث الاهداف تطرح قضية التحرير عن طريق الحرب الشعبية المسلحة . اما النظام فيطرح موضوع التسوية ، وهي من حيث المنشأ تمثل ارادة الجماهير الوطنية ، الكادحة والمعادية للاحتلال الصهيوني والامبريالية . اما السلطة فتمثل العائلة الحاكمة وحاشيتها ومرتزقتها والفئات الطبقية المستفيدة من وجودها ، والسلطة معادية للجماهير مرتبطة بالامبريالية . ومثل هاتين القوتين لا بد من صدامهما ... »

سابعا : « ان توزيـع قوات العدو هو احسن وسيلة لجعلها عاجزة عن تحقيق انتصار سريع ، أو جعلها قادرة على احتلال مواقعنا واحدا وراء الاخر ، وان السماح للعدو بتركيز قواته ومواجهتنا موقعا موقعا يقود الى هزيمتنا وانتصار العدو...»

ثامنا : « ان الجماهير المنظمة المسلحة تستطيع ان تلعب دورا فعالا في انتفاضة عامة شاملة تبدأ هي فيها بالهجوم ، كما انها تستطيع ان تلعب دورا فعالا في الدفاع عن المدن والاحياء وفي تشتيت قوى القمع وتدميرها ، ولكنها لا تستطيع ان تلعب دورا هجوميا في حرب نظامية . وعليه فان الجماهـير المنظمة المسلحة بحاجة الى طلائع مدربة جيدا مسلحة جيدا قادرة على التخطيط والتنفيذ ، ذات قيادات تتمتع بالكفاية والوعي والاخلاص والالتزام، لتكون اداة الهجوم الضاربة ... »

تاسعا : « ان المقاومة الفلسطينيـة في الارض المحتلة ، وضد العدو الصهيوني ، بحاجة الى الجماهير المسلحة لحمايتها من العدو الصهيوني ومن عملاء الصهيونية والامبريالية ... »

عاشرا : « ان اية مقاومة فلسطينية لا تستطيع ان تشرك الجماهير العربية معها في القتال ، وفي تأمين الحماية اللازمة من هجمات العدو الصهيوني والعملاء العرب سوف تقود نفسها الى مأزق . ذلك ان العزلة عن الجماهير العربية ، لا تكون خطورتها في حرمان المقاومة الفلسطينية من طاقات الجماهير العربية وامكانياتها فحسب ، بل تعرضها لمؤامرات الخونة والعملاء واعداء الجماهير ... »

احد عشر : « ان الانتفـاضة لا تردد فيهـا ولا مساومة ، وانها عندما تبدأ فيجب ان تندفع فيها قوى الثورة بكل حماستها وكـل قواها ، وكل عبقريتها . فاذا ما حدث تردد او مساومة سقطت الانتفاضة ... »

ثاني عشر : « ان الانظمة العربيـة الرجعيـة

العميلة كالنظام الاردني تعتبر ان تناقضها الاساسي والرئيسي هو تناقضها مع جماهيرها . وان مثل هذه الانظمة التي لم تدخل معركة مع العدو ولو مرة واحدة ، مستعدة لدخول أعنف المعارك ضد الجماهير اذا مـا تنظمت وتسلحت ، او هبت للمطالبة بحقوقها ... »

ثالث عشر : « ان العنـاصر غير المعادية للنظام الاردني خاصة وللانظمة العميلة عامة ، داخل حركة المقاومة ، لعبت دورا كبيرا في عدم تعبئة الجماهير والكوادر والعناصر ضد النظام الاردني وغيره من الانظمة العميلة . كما لعبت دورا كبيرا في عدم دفع الصراع الى أقصى حدوده قبل أيلول وخلاله ، وقادت المقاومة الى التقهقر المشين بعد أيلول ... »

هذه خلاصة تجربة المقاومة في الاردن ونتائج حملة أيلول ، كما رآها ناجي علوش من خلال الممارسة. ولقد أدت الممارسة البعيدة عن جوهر هذه التجربة الى تصفية المقاومة نهائيا بعد حملة ايلول مباشرة، وخاصة فيما يتعلـق بمهادنة المقاومة للسلطـة واعتمادها على الانظمـة العربيـة لفك التناقض الموضوعي القـائم بين سلطة النظام وسلطـة المقاومة . اذ يقول : « ولكن السلطة بدأت بعد أيلول عملية اخلال بهذا التوازن ، حتى رجحت كفتها. وكانت المقاومة تستصرخ الانظمة وتناشدها، بدلا من ان تستخدم قواها استخداما جيدا، وتعبىء جماهيرها تعبئة ثورية ، وتقاتل دفاعا عن مواقعها ومراكزها . ولهذا كانت صرخاتها تذهب أدراج الرياح ، وكانت الاتصالات العربية لا تجدي فتيلا». (ص٣٠٤) . وعلى هذا الاساس يمكن اضافة نقطة أخرى الى خلاصة تجربة المقاومة في الاردن، وهي ان من أولى مهمات الثورة وأي ثورة حتى لا تقع في الانحرافات والمساومات الرجعية والانتهازية اليمينية والتذبذب السيـاسي ، عليها أن تحدد موقعها الطبقي في المرحلة التاريخية التي تخوض فيها نضالها ، حتى ولو كان ذلك النضال قوميا ووطنيا لانه الموقع الطبقي للنضال التحرري الوطني على امتداد الارض القومية لذلك النضال ويفرض على الثورة منطلقا ايديولوجيا محددا ، وبرنامجا سياسيا واضحا ، وتنظيما ثوريا متينا ، وقيـادة تقدمية صلبة لا تهادن ولا تساوم علـى مصلحة الثورة والثوار . ولذلك يحدد ناجي علوش ، العوامل المكونةلازمة المقاومة الفلسطينية، بقوله:

« ان هذه القضايا : الايديولوجية، معرفة الوضع الملموس ، تحديد نظرية النضـال واساليبه ، تجسيد الوعي بالممارسة ، وقضية البنية القائمة لحركة المقاومة ، والحركة الوطنية العربيـة ، تتفاعل لتخلق هذه الازمة ... » (ص ٤٠١) .

المقاومة والحركة الوطنية العربية

بالاضافة الى ما وزد اعلاه حول دروس المقاومة انطلاقا من تجربة ايلـول ، فان هذه التجـربة ونتائجها السلبية ، طرحت لاول مرة بشكل جدي قضية حساسية وتكامل هاتين الحركتين . وقـد برزت اهمية هذه النقطة بعد حملة ايار الفاشلة في لبنان . ويقول ناجي علوش حول قضيتي الوحدة والتحرير ، وتشابك مهام النضال الوطني الطبقي من أجل تحققهما ، ما يلي : « ان تحقيق الوحدة يحتاج الى كفاح طويل وشاق ، ضد الرجعية والامبريالية والصهيونية ، ولن تتحقق وحدة دون الصراع مع هذه القوى كلها ، ودون حروب صغيرة وكبيرة .

كما أن تحرير فلسطين يحتاج الى كفاح طويل،كفاح ضد الصهيونية ، وضد الدولة الصهيونية ، كفاح ضد الرجعية العربية وضد الامبريالية العالمية ، وهو كفاح من اجل وحدة القوى العربية المقاتلة التي تحاول الرجعية العربية ودولة الاحتـلال الصهيوني والامبريالية العالمية منع وحدتها .

ولان هذا الكفاح طويل ومديد وشاق ، ولانه كفاح ضد قوى كبيرة ، وذات امكانيات هائلة ، كان لا بد من أن يصبح قضية الجماهير العربية كلها ...» (ص ٢٤٤) .

ويقول في مكان آخر : « يكفي ان ندرك ما معنى ان يكون تحرير فلسطين جزءا من معركة التحرر الوطني العربية حتى نعرف كيف نقيم علاقات مع الجماهير العربية . ان أول ما يعنيه كون معركة فلسطين جزءا من معركة « الوحدة » ومعـركة تصفية الاستعمار والاقطـاع ومخلفات القـرون الوسطى في بلادنا . وهذه المعركة هـي معركة الجماهير العربية فاذا حاولنا عزل قضية فلسطين عن هذه المعركة الشاملة عزلناها عن الجماهير العربية ... » (ص ١٤٩) . وكما ان معركة تحرير فلسطين تمر عبر معركة تحرير الجماهير العربية من الطبقات الحاكمة وبالتالي عبر معركتها في الوحدة العربية أيضا ان معركة التحرير الطبقية والوحدة القومية تمر عبر معركة تحرير فلسطين

وبالتالي معركة الدفاع عن الثورة الفلسطينية . يقول ناجي علوش : « لهذا فان مشاركة الجماهير العربية في القتال وفي حماية الثورة مهمة اساسية من مهمات الثورة العربية ، وعلى كل الطلائعيين العرب ، سيان كانوا من الجبهة الوطنية لتحرير فلسطين او كانوا من الحركات والمنظمات العربية والمستقلين العرب ، ان يعملوا بوعي ودأب لجعلها حقيقة يومية ملموسة ... » (ص ١١٠ — ١١١).

وينتقد الكاتب الذين كانوا يرفضون هذه الحقيقة العملية لطبيعة الثورة العربية وانطلاقتها الوحدوية والتحررية فيقول: « كانوا يرفضون ان يروا العلاقة الحميمة بين الثورة الفلسطينية والجماهير العربية، وكانوا يريدون ان يكون الفلسطيني مقاتلا والعربي مساندا وكانوا يريدون عربا مقاتلين تحت الراية الفلسطينية ، ولكنهم لم يدركوا أهمية أن يقاتل العرب تحت راية عربية ضد العدو الصهيوني...» (ص ٤٩) .

ويتابع ناجي علوش نقده للرأيين القائلين بانعزال الثورة الفلسطينية عن واقعها العربي وأيضا الداعين لتجميد مهام التحرر العربي وتحميل عبء تلك المهام لحركة المقاومة الفلسطينية وحدها وجعل باقي فصائل التحرر الوطني العربية مجرد ملاحق للثورة الفلسطينية ، فيقول : « كان دعاة الإتجاه الاول يطرحون فلسطينية الثورة نقيضا لعروبتها ، وحتى عندما كان يطرح شعار : ثورة فلسطينية الوجه عربية العمق ، فان هذا الشعار لم يكن يتحول الى واقع ، وكان مما يقال — وهذا ما تاله بعض دعاة هذا الاتجاه ، وبعد مجزرة أيلول — الفلسطيني غير العربي ، ونتيجة لهذه الفلسطينية القاصرة لم تستطع الثورة ان تحول العلاقة مع مدها الجماهيري العربي الى علاقة يومية وفعالة .

وكان الاتجاه الاخر ، بالمقابل ، يحاول ان يحمل الثورة الفلسطينية كل مهمات الثورة العربية وكل مسؤولياتها ، ويحاول ان يضرب بسيفه الصغير هامات « الفراعنة الكبار » ... » (ص ٥٠) .

وفي ختام احدى دراسات الكتاب المهمة « نحو استراتيجية جديدة للثورة الفلسطينية » يقول علوش : « ثورتنا تجتاز مأزقا . المأزق خانق . والقوى المعادية شرسة وبربرية لا تتردد ولا تتهاون . والمؤامرة لن تتوقف الا بدحرها وهزيمتها.

ولكي نستطيع ذلك لا بد لنا من ان نؤمن بقوة جماهيرنا وقدرتها ، ولا بد لنا من اعادة بناء قواتنا كلها ، المسلحة وغير المسلحة ، بطريقة تجعلها قادرة على احباط المؤامرة وهزيمتها ودحرها . وهذا لن يتحقق الا بخط سياسي صحيح، وخط تنظيمي صحيح وخط عسكري صحيح » . (ص ٨٢) .

وللخروج من هذا المأزق التاريخي ، لا بد من القتال، وأمام القوى الثورية مهمة ثورية اساسية، وهي القتال ، النضال على مختلف الجبهات ، وبشتى الوسائل والأشكال ، وهذا ما يشدد عليه ناجي علوش في نهاية كتابه ، بتصميم كلي : « ونحن في هذا الخضم خيارنا واضح : القتال ، كل اشكال القتال ، ولا شيء غير القتال . لان القتال وحده هو الذي يحقق لنا اهدافنا » .

وليد نويهض

الدكتور الياس زين ، **هجرة الادمغة والهجرة المضادة من اسرائيل** (سلسلة دراسات فلسطينية ، رقم ٧٩ ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧١)

تعتبر الهجرة اليهودية الى فلسطين من الاهداف المرحلية المهمة التي سعت الحركة الصهيونية الى تحقيقها . ولولا الهجرة اليهودية الكثيفة لما قام الكيان الاسرائيلي . ولولا تدفق المهاجرين بعد عام ١٩٤٨ لما تمكن هذا الكيان من الاستمرار في البقاء . ولهذا اكتسبت مسألة الهجرة أهمية بالغة لدى الاسرائيليين ، فاعتبر **بن غوريون** « ان بقاء اسرائيل يعتمد فقط على توفر عامل الهجرة الواسعة » ، ووجد **أشكول** « ان حق الحركة الصهيونية في الحياة يعتمد على نجاحها في مجال الهجرة » ، وأدرك **ناحوم غولدمان** « ان مستقبل الصهيونية العالمية يتوقف على سياسة الهجرة اليهودية الى إسرائيل خلال العشر سنوات القادمة » .

وبما ان اسرائيل تعتمد كل الاعتماد على الهجرة فان اية حركة نزوح منها ، يقوم بها أولئك الذين هاجروا اليها أو أولئك الذين ولدوا فيها ، كفيلة باثارة القلق في أوساط الرأي العام الداخلي وباحداث أثر عكسي سلبي في نفوس يهود الخارج المرشحين للهجرة الى الارض المحتلة . وبما ان اسرائيل ، لدى انهماكها بتنظيم الهجرة ، تحرص على استقطاب النخبة واجتذاب الصفوة من الفنيين والاختصاصيين فان اية محاولة لهجرة الادمغة منها تشكل خطرا على مستقبلها .

وموضوع الهجرة الى اسرائيل والنزوح منها ليس بالامر الذي يعني ويؤرق جفون الاسرائيليين فقط ، بل هو يعنينا نحن كذلك ويجب أن يحظى منا بكل عناية واهتمام . ففي كل مرة يهاجر فيها يهودي الى اسرائيل يزداد عدد البنادق المصوبة نحونا ويتضاعف عدد الادمغة والايدي التي تعمل ضدنا . وفي كل مرة ينزح فيها يهودي من اسرائيل يخف العبء عنا ويصابون هم بخيبة الامل في تأمين الامن والاستقرار .

ودراسة الهجرة الاسرائيلية ، ولا سيما هجرة الادمغة من اسرائيل ، مهمة شاقة . فاسرائيل تحيط هذه المسألة بالصعوبات وتحرص على اخفاء الارقام الحقيقية . ثم ان معظم اليهود الذين يغادرون اسرائيل لا يسجلون كمهاجرين . ان كثيرا من الطلاب الذين يتوجهون الى اميركا للدراسة يبقون فيها دون ان تدرج أسماؤهم في سجلات النزوح . بل ان العدد الاكبر من النازحين يكتم قصده عن الجميع لاسباب شخصية او اجتماعية. ولهذا كانت المراجع والدراسات حول موضوع الهجرة الاسرائيلية قليلة او نادرة ، وكانت المعلومات التي تنشرها الدوائر الرسمية والصحافة في اسرائيل عن عدد النازحين متضاربة. وازاء هذه الصعوبات أحجم معظم الباحثين عن معالجة الموضوع . غير ان الدكتور الياس زين صمم على التصدي له وأصبح — بعد نشر أبحاثه المتعددة عن الهجرة والنزوح في اسرائيل والاقطار العربية — من الاختصاصيين المرموقين في هذا الحقل . وفي كتابه الصادر عن مركز الابحاث يعالج مسألة النزوح الاسرائيلي من زاويتين : هجرة الادمغة ، وهي تتعلق بنوعية المهاجرين ، والهجرة المضادة العادية ، وهي تتناول مجموع النازحين العاديين .

في القسم الاول من الكتاب يعالج المؤلف هجرة الادمغة التي تعتبر من أخطر المشاكل التي تواجه اسرائيل ، والتي استفحل أمرها خلال اندلاع الازمة الاقتصادية في أواسط الستينات . وكان لها أسوأ الاثر في نفوس الاسرائيليين . ومع ان هذه المشكلة ليست وقفا على اسرائيل (باعتبار ان كل الدول النامية وبعض الاقطار المتقدمة تشكو منها)، فان لتفاقمها في اسرائيل وقعا او معنى خاصا : ان اسرائيل كيان قائم أساسا على الهجرة وعلى استنزاف الادمغة في الدول الاخرى ، وكل نزوح منها لاصحاب الكفاءات العلمية لا يمكن ان يفسر الا انه نكسة لتجربة هذا الكيان واضعاف لمعنويات اليهود واحباط لمشاريع الانماء والتوسع فيه .

ويستعرض المؤلف هجرة الادمغة بالارقام ، ويبين اسبابها والاجراءات التي اتخذتها اسرائيل لمحاربتها أو الحد منها ، في الداخل والخارج . فقد أعارت اسرائيل هذه المشكلة اهتماما بالغا ووضعت تدابير مختلفة وابتكرت وسائل جديدة لمجابهتها وحث النازحين على العودة . لقد أدركت ان هجرة العلماء منها خسارة لا تعوض ، وهدر للمال الذي أنفقته على تعليمهم وتدريبهم ،

واستنزاف لاهم ما تملكه الدولة . بل ان نزوح العلماء يعني بالنسبة الى وضعها أكثر من خسارة أو هدر أو استنزاف : انه ضربة في الصميم موجهة الى الحركة الصهيونية ، انه صدمة كفيلة بزعزعة الاسس التي قامت عليها اسرائيل ، وفي طليعتها فكرة تجميع اليهود المنفيين . ويخرج المؤلف بالاستنتاج التالي وهو ان اسرائيل تعاني نقصا في عدد الاختصاصيين نتيجة لنزوح الادمغة منها وان هذا النزوح سيستمر بشكل اجمالي ، وربما تصاعد اذا ما بقيت العوامل التي تسببه .

ويكرس المؤلف القسم الثاني من الكتاب للحديث عن الهجرة المضادة من اسرائيل ويكشف لنا عن بعض الحقائق المهمة ، منها : ان ثمة عددا كبيرا من الذين يتركون اسرائيل بقصد النزوح لا يصرحون بذلك ، وأن أكثر من ثلث النازحين هم من مواليد اسرائيل ، وان الغالبية العظمى من النازحين تتجه شطر الدول الغربية ، وان أكثر من نصف النازحين هم من الشباب دون الثلاثين ، وان النزوح لا يتم بشكل منتظم لانه يتوقف على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والامني في الداخل . وبالامكان تلخيص العوامل الرئيسية للنزوح بالعامل الاقتصادي ، والعامل الاجتماعي ، والعامل الاداري البيروقراطي ، والعامل الدعاوي ، والعامل الامني الاستقراري . وللنزوح آثار سيئة لانه خسارة بشرية ومالية ومعنوية وعسكرية ، فبين اسرائيل وفكرة الهجرة اليها ارتباط وثيق ، وليس بالامكان تصور اسرائيل دون مهاجرين . واطماع اسرائيل مرتبطة بنموها العددي . والاسرائيليون يرزحون دوما تحت وطأة الشعور بالتفاوت العددي الهائل المتزايد بينهم وبين العرب . ثم ان نسبة المواليد بين عرب اسرائيل أعلى بكثير من نسبة المواليد اليهود فيها .

لقد اتخذت اسرائيل بعض التدابير للحد من النزوح ، وأنشأت وزارة الاستيعاب لهذا الغرض . ولكن جميع الدلائل تشير الى فشل تلك المحاولات والاغراءات . ويبدو ان حركة النزوح ستستمر ما دامت العوامل أو المشاكل التالية قائمة : مشاكل التكيف والاستيعاب ، والمشاكل الاقتصادية ، ومشاكل انعدام الانسجام والانصهار داخل المجتمع الاسرائيلي ، ومشاكل فقدان الامن والاستقرار ، ومشاكل القلق النفسي والخوف من المستقبل . ان عدد النازحين من اسرائيل يقدر بربع مليون . ولعل فشل الدولة في توفير الطمأنينة والاستقرار لمن هاجر الى أرض « الميعاد » يبحث عن السلام والامن ، وهو السبب المباشر والوجيه في استمرار النزوح .

تلك لمحة مقتضبة عن الموضوعات التي عالجتها الدراسة القيمة التي وضعها الدكتور زين . وقيمة دراسته تكمن في أربعة أمور : **أولا** ، في انها تناولت موضوعا تنقصه المراجع وتعوزه الاحصاءات الدقيقة الشاملة ، وذلك في الوقت الذي أصبح فيه معظم الباحثين عندنا ينفرون من التصدي للمواضيع المستجدة التي تتطلب جهدا وتعمقا . **وثانيا** ، في أنها لم تكتف باستعراض الاوضاع وسرد الارقام ، بل حاولت كذلك ان تبحث عن الاسباب الظاهرة والخفية للنزوح الاسرائيلي وتحلل النتائج القريبة والبعيدة لهذه الظاهرة . **وثالثا** ، في أنها التزمت بالاسلوب المنهجي والموضوعي الذي أصبح سمة كل بحث جاد ، والذي ما زلنا بشكل عام نفتقر اليه في الوطن العربي . **ورابعا** ، في انها كشفت لنا عن الجهود الجبارة التي يبذلها عدونا الصهيوني في سبيل استقطاب الادمغة والحفاظ عليها واستردادها بعد رحيلها . فهذا العدو لا يحاربنا بالسلاح فقط ، بل يحاربنا كذلك بالادمغة المخزونة لديه . ومعاركنا معه لا تدور في ساحات القتال فقط ، بل تدور كذلك في ميادين الفكر ومختبرات الابداع وآفاق الحضارة .

ودراسة الدكتور زين توحي الينا ببعض الملاحظات :

١ — اعتمد المؤلف في بحثه ، لاسباب تتصل بتوافر الاحصاءات ، على النزوح الاسرائيلي الى الولايات المتحدة . والحقيقة ان هذه الدولة التي تملك امكانات مالية وتقنية خيالية تستقطب اليوم عددا ضخما من الادمغة من مختلف انحاء العالم ، وفي مقدمتها اسرائيل . والاسئلة التي تتبادر الى الذهن هنا كثيرة : هل يشبه نزوح الاسرائيلي الى الولايات المتحدة نزوح أي فرد آخر من اية دولة اخرى اليها ؟ أليس للاسرائيلي النازح وضع خاص في هذه الدولة يختلف عن وضع أي نازح آخر ؟ أليست العلاقات الوطيدة القائمة بين اسرائيل وهذه الدولة كفيلة بتحويل عملية النزوح الى مجرد حركة انتقال بين أقاليم دولة واحدة تقريبا ؟ ألا يعود وجود النازحين الاسرائيليين في مراكز اميركية حساسة على اسرائيل بفوائد قد تعجز عن الحصول عليها فيما لو منعت النزوح ؟ أليس من المحتمل ان تكون اسرائيل قد أخضعت عملية النزوح منها لمخطط يرمي الى تحقيق بعض المكاسب ، او الاطلاع

على بعض الاسرار ، أو ممارسة بعض النفوذ ؟ الا تحتاج هذه المسألة الى دراسة وتأمل ؟

٢ ــ يذكر المؤلف ان عدد الاسرائيليين الذين منحوا الجنسية الامريكية ، ما بين حزيران ١٩٦٦ وحزيران ١٩٦٩ ، بلغ ١٨٣٦ نازحا . ولكن كل حديث هنا عن اكتساب الجنسية ينبغي ان يأخذ بعين الاعتبار مبدأ ازدواج الجنسية الذي تطبقه كل من اسرائيل والولايات المتحدة في علاقاتهما المتبادلة . وقد يكون حصول الاسرائيلي على الجنسية الامريكية مع احتفاظه بجنسيته ، او مع امكان استرداده لها عند فقدانها ، وسيلة بارعة مدروسة لخدمة الاغراض الصهيونية . وليس من المستبعد ان تكون اسرائيل ، بالتواطؤ مع السلطات الامريكية ، وراء هذا العمل الذي يزيد من نفوذ الصهيونيين في دوائر الدولة الامريكية . وتلك مسألة اخرى تحتاج الى دراسة وتنقيب .

٣ ــ قام المؤلف بتحليل عميق لاسباب هجرة الادمغة ونتائجها في اسرائيل . وكان بامكانه ان يقارن ، ولو بايجاز ، بين هذه الهجرة وبين هجرة الادمغة العربية . صحيح ان الدكتور زين نشر في العام الماضي دراسة حول هذه الهجرة الاخيرة ، ولكن القارىء العربي يرغب ، حينما يتابع اخبار عدوه ، في اجراء مقارنات بين أوضاعه واوضاع هذا العدو .

٤ ــ اشار المؤلف الى ابرز التدابير التي قامت بها اسرائيل لمجابهة هجرة الادمغة او لاستعادة الادمغة التي هاجرت منها . وبما ان الدول العربية تعاني نفس المشكلة وتبحث عن نفس العلاج ، فان تجارب عدونا في هذا الحقل يجب ان تكون موضع دراسة وتحليل ، وذلك لتحقيق غرضين : للافادة منها واختيار الوسائل الملائمة والناجعة لاستفادة الادمغة العربية المهاجرة ، ثم لوضع مخطط مضاد لاحباط المحاولات الاسرائيلية الرامية الى منع هجرة أدمغتها او استعادتها من الخارج .

٥ ــ اشار المؤلف بشكل بسيط ، عند حديثه عن اسباب الهجرة ، الى العامل الاقتصادي واعتبر ان عجز بعض اليهود القادمين من أوروبه عن تأمين مستوى معيشي لانفسهم شبيه بمستواهم السابق قد دفعهم الى مغادرة اسرائيل . والواقع ان تلك ظاهرة جديرة بالاهتمام والتوضيح ، لان عامل النزوح يختلف باختلاف الاقطار التي يأتي منها المهاجرون اليهود ، فالقادمون من اقطار غنية متقدمة يكونون عادة اكثر ميلا الى النزوح من أولئك القادمين من اقطار متخلفة . ولهذا كانت حركة النزوح بارزة بين اليهود الذين قدموا من الولايات المتحدة وكنده وفرنسه مثلا .

٦ ــ يعتبر عامل الامن والاستقرار من اعظم الاسباب التي يتوقف عليها مصير الهجرة اليهودية واتجاهها . فالهجرة الى اسرائيل تقوى مع انتشار الامن وتضعف مع اختلاله . ومما لا شك فيه ان استمرار الصراع بين العرب واسرائيل ، وبروز المقاومة الفلسطينية ، وتعقب الاسرائيليين ومهاجمة مؤسساتهم في الداخل والخارج ، وحرمانهم من الشعور بالامان ... ان كل ذلك كان من الدوافع التي حدت من الهجرة وشجعت على النزوح وجعلت النائب الفنيري يقول في احدى جلسات الكنيست ، واثناء المناقشة التي دارت حول وزارة استيعاب الهجرة اليهودية : « الحافز الاكبر لاجتذاب الهجرة في المستقبل ليست القدس وليست المباني التي تحيط بها . الحافز الحقيقي هو السلام » . ان حالة اللااستقرار ، او حالة الملاحقة والاستنزاف ، هي العدو الحقيقي لعدونا . والمثل يقول : عدو عدوك صديقك . فلماذا لا نصادق بتصميم ومثابرة عدو عدونا اذا كنا عاجزين عن خوض المعارك الكبرى ضده ؟

الدكتور محمد المجذوب

الدكتور اميل توما ، **جذور القضية الفلسطينية**
(مركز الابحاث ، م. ت. ف. ، بيروت : ١٩٧٣)

لم نكن على ما يبدو معنيين بدراسة الانتاج الادبي والفكري والسياسي في أرضنا المحتلة . لقد كان سور يقوم ما بيننا وبين اخوتنا هناك . وبينما كانوا هم يحاولون سماع كل كلمة ترددها الاذاعات العربية ، وقراءة كل كلمة تنشرها صحفنا كنا نحن عنهم لاهين . ومن هنا نستطيع ان نقول بأن بعدنا كان جفا ولكن بعدهم كان وفا .

وطالت الجفوة سنوات ، الا أنها لم تتحول الى قطيعة ذلك أن بعض المعنيين بالارض المحتلة أخذوا يكتشفون الحركة الادبية والفكرية فيها . وكان من هؤلاء الشهيد غسان كنفاني . ولقد حاول غسان ان يعرفنا بأدب الارض المحتلة : شعرا ونثرا ونقدا ، ثم تبع غسان اخرون ، وأخذت الصحف تنشر مما تقع عليه من قصائد وقصص . ومرت فترة ظن المرء فيها أن الارض المحتلة لا تنتج الا قصصا وقصائد ، مع أن ما نشر من قصصها وقصائدها خارج الارض المحتلة ليس الكثير .

وحين صدر كتاب صبري جريس : العرب في الارض المحتلة ، بدأنا نشعر ان هناك انتاجا في الارض المحتلة غير الشعر والقصة . ولكننا اكتفينا ولم نبحث عن المزيد . وكنا نمر مرور الكرام على صحف الارض المحتلة فلا نهتم الا بقصيدة تعجبنا لاول وهلة ، او قصة نجد فيها ما يشدنا اليها .

ومن هنا فنحن لا نعرف ماذا يصدر في الارض المحتلة قبل سنة ١٩٦٧ ، ولم نكلف أنفسنا بعد عناء أن نعرف . والكتب التي تطبع هناك — اذا استثنينا شعر عدد محدود من الشعراء — تبقى غريبة عنا حتى بالاسم والعنوان .

وقصة الكتاب الذي بين أيدينا قصة تستحق الرواية . لقد نشر على حلقات في مجلة الجديد التي تصدر في الارض المحتلة . ثم نشر في كتاب. ولم تثر الحلقات ولا الكتاب اهتمام احد ليكتب سطرا في صحيفة عربية ، خارج الارض المحتلة . وكنت ذات مرة أبحث عن مراجع في مكتبة مؤسسة الدراسات الفلسطينية فاكتشفت الكتاب . واستعرته للقراءة . وشعرت عند قراءته بالاغتباط الشديد ، لانني وجدت دراسة هامة تبحث جذور القضية الفلسطينية ، كما لم تبحث من قبل . ذلك أن هذه الصفحات التي تبلغ قرابة ثلاثمائة لا تضم معلومات فحسب ، بل تضم تحليلا أيضا . واذا كانت المعلومات هامة ومنتقاة بعناية ، ومستقاة من مراجعها الاصلية ، فأن التحليل يتسم بقدر كبير من العلمية والموضوعية والنفاذ . ومع أن عدد الكتب التي تعالج القضية الفلسطينية كبير ، فان هذا الكتاب يحتل مكانا خاصا بينها ، ويسد حاجة ضرورية .

وقد وعى المؤلف الهدف من اصدار كتابه على الرغم من فيض الكتب الصادرة . فهو يقول : « وقد لا يستطيع احد ان يزعم وجود نقص في الكتب والابحاث التي تناولت القضية الفلسطينية، فهي تكاد لا تحصى ولا تكف دور النشر عن اصدارها ، ولكن المرء يستطيع ان يدرك ان هذا الفيض بحد ذاته يوحي بتعقيد القضية وحاجتها الى تعميق الوضوح وتكثيفه » .

ويضيف المؤلف : « ولهذا احسست بضرورة كتابة هذه الحلقات . فكتب القضية الفلسطينية في العالم العربي لونتها الصهيونية ، بحيث اضاعت موضوعيتها ، وزيفتها الامبريالية حتى افقدتها الصلة بالعلمية ... أما الكتب في العالم العربي فاكثرها أهمل عناصر خطيرة اجتمعت في القضية الفلسطينية وضخم عناصر اخرى فأضاع التوازن ... »

ويضيف المؤلف أيضا : « وعلى هذا الضوء من التطاول على التاريخ ان أدعي ان هذا الكتاب سيضع الامور في نصابها ويحدد الخطوط الفاصلة في قضية لا تزال ملتهبة وتؤلف عقدة القرن العشرين الكبرى ... انما من حقي أن أقرر انه محاولة لفهم القضية الفلسطينية على ضوء فرضيات الاشتراكية العلمية في التاريخ» (المقدمة). ولذلك كله رأيت أن يعاد طبعه ، للاسباب التالية: اولا : لانه يغني معرفتنا بالقضية الفلسطينية وبجذورها ويعيننا على فهم طبيعتها وتعقيداتها . ثانيا : لانه من انتاج الارض المحتلة قبل سنة ١٩٦٧ . ثالثا : لانه يمثل تجربة رجل ، عاش القضية وناضل من اجلها منذ الثلاثينات ، وما زال يعمل حتى هذه اللحظة .

وقد اقترحت اعادة طبع الكتاب على مركز الابحاث، ولكن القضية ضاعت في الزحام . وكان أن أرسل الكتاب الى مركز الابحاث لاعادة طبعه ، كما أرسلت لي نسخة في الوقت ذاته ، ومعها مناشدة باعادة الطبع . ووافق مركز الابحاث ، بعد دراسة الموضوع . وها هو الكتاب يقدم للقارىء .

والحديث عن الكتاب يستلزم الحديث عن المؤلف ، ذلك ان المؤلف ، وهو من رجال السياسة والفكر المعروفين جيدا في الارض المحتلة ، ليس معروفا خارج الارض المحتلة ، الا لقلة من المثقفين . وليس هذا غريبا ، لان ما نشر له خارج الارض المحتلة — فيما أعلم — لا يتعدى دراسة عن الوحدة ، أصدرتها دار الحقيقة في كتاب ، مع دراستين احداهما لالياس مرقص والثانية لمكسيم رودنسون .

يبلغ الدكتور اميل توما الخامسة والخمسين تقريبا ، اذ أنه ولد بعد الحرب العالمية الاولى . أنهى دراسته الابتدائية في مدرسة الطائفة الارثوذكسية وتعليمه الثانوي في مدرسة صهيون في القدس ، وانتقل بعد ذلك الى كمبردج لاتمام تعليمه الجامعي ، ولكن اندلاع الحرب العالمية الثانية حال بينه وبين اتمام دراسته . وقد ساهم منذ أيام دراسته في النضال الوطني من خلال الحركة الطلابية. وانتسب سنة ١٩٣٩ الى الحزب الشيوعي الفلسطيني . وكان فيما بعد ، سنة ١٩٤٣ ، من المناضلين في عصبة التحرر الوطني ، اي الجناح العربي من الحركة الشيوعية في فلسطين .

وحين اتخذت الامم المتحدة قرار التقسيم ، وانفجر الوضع في فلسطين ، وقف اميل توما ضد قرار التقسيم ، وناضل هو ورفاقه مع شعبهم ضد محاولات الصهيونية للسيطرة على البلاد . . ولقد خرج من البلاد مدة الى لبنان ثم عاد ليواصل نشاطه الفكري والسياسي ، من خلال « الحزب الشيوعي في اسرائيل » ، أي الحزب الشيوعي للعرب واليهود وانتقد موقفه من قرار التقسيم . وهو الان رئيس تحرير الاتحاد ، جريدة الحزب باللغة العربية .

وكان فعالا في ميدان النشاط الفكري ، كما هو فعال في ميدان النشاط السياسي . ولذلك فهو يساهم دائما بالكتابة في صحف الحزب ، وخاصة الاتحاد والجديد ، كما أنه أصدر كتابين : الاول عنوانه : العرب والتطور التاريخي في الشرق الاوسط ، والثاني عنوانه : « عقد على ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ » .

ولقد أنجز ايضا دراسة مطولة حول تاريخ الوحدة العربية ، لم تنشر بعد ، كان قدمها اطروحة الى معهد الاستشراق في موسكو ، ونال عليها درجة الدكتوراه .

والدكتور اميل توما ، من بين القلائل في قيادة الحركة الشيوعية العربية، الذين يتضح في كتاباتهم خطهم القومي العربي ، ووعيهم النظري لاهمية قضية الوحدة العربية وأهمية النضال من أجلها في معركة العرب الكبرى ضد الاحتلال الاجنبي والسيطرة الامبريالية والتخلف . ويلمس كل من يقرأ كتاباته هذا الاتجاه بوضوح . ولعل الكتاب الذي بين أيدينا يعطينا صورة واضحة وملموسة عن هذه الحقيقة .

يضم هذا الكتاب حصيلة سنوات طويلة من العمل السياسي والفكري ، وهو لذلك غني بمادته وتحليله ، ولا اعتقد ان هناك كتابا بالعربية يضاهيه في غناه وايجازه . وبما ان المؤلف يعتقد ان القضية الفلسطينية كانت نتيجة صراع ثلاث قوى هي : الامبريالية البريطانية والحركة الصهيونية والحركة القومية العربية ، ص ٧ ، فقد تناول هذه القوى الثلاث بالبحث ، مركزا على مصالحها وعلاقاتها وصراعاتها ، محددا مواقفها في المراحل المختلفة ، ملقيا الاضواء على العوامل التي صنعت هذه المواقف . ولذلك كله يهدينا الكتاب الى عوامل الصراع ، والى تقلباته وتعقيداته ، دون ان نحس بالغموض او الضياع . اننا نظل ، خلال قراءتنا الكتاب كله ، ممسكين بطرف الخيط . واذا كان المؤلف يزودنا بتطورات الموقف البريطاني الرسمي منذ أوائل القرن الماضي حتى الان من فلسطين والقضية الصهيونية ، فانه يزودنا أيضا بتطورات الحركة الصهيونية . ان هذه التطورات والعلاقات فيما بينها لا تتضح في كتاب كما تتضح في هذا الكتاب .

ولكن هذا كله ليس أهم ما يتسم به الكتاب . ذلك ان الكتاب يتناول تطور الحركة الوطنية في فلسطين تناولا موضوعيا ومنصفا . انه يفهم هذه الحركة ، يفهم دوافعها ومطامحها ، ولذلك يبرز طابعها الوطني والتقدمي ، وان كان يذكر سلبياتها أيضا .

ويعود المؤلف في كتابه هـذا الى أمهات الكتب المنشورة باللغة الانجليزية . ويثير الانتباه انه لا يعود الى المراجع العبرية،والمراجع متوافرة لديه.

تبقى قضية أخيرة تستحق المناقشة . ومع ان هذه القضية واحدة ، الا أنها ذات شقين : الاول : قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ وموقف الاتحاد السوفياتي منه . والثاني : قضيـة « وجود شعبين » في فلسطين . ان المؤلف لم يناقش المسألة الاولى ، كما انه لم يناقش المسألة الثانية . والفصل الاخير الذي يطرح هاتين القضيتـين ، لا يرتفع الى مستوى الفصول السابقة ، مـن حيث التحليل والوضوح .

ويكتفي المؤلف عند الحديث عن التقسيم بالفقرة التالية : « وقررت اللجنة الدولية بأكثريتهـا تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية . أما أقليتها فدعت الى اقامة دولة ثنائية القومية اتحادية الشكل ...

ولعل اللجنة في هذا اقتنعت بموقف ممثل الاتحاد السـوفياتي أندريه غروميكو في اجتماع الامم المتحدة الطارىء آنذاك الذي أعلن أن الحل الامثل هو قيام دولة مستقلة في فلسطين ، اما اذا ظهر ان العلاقات السيئة بين العـرب واليهود تجعلـه مستحيلا فلا مناص من التقسيم » (ص ٢٩١ ــ ٢٩٢) . ولا يكلف المؤلف نفسه عناء مناقشة الموقف السوفياتي مع ان هذا الموقف كان وما زال مثار مناقشة في الاوساط الوطنية العربية .

ولقد كان الموقف السوفياتـي بتأييد التقسيـم لمصلحة الحركة الصهيونية ، لانه انسجم مـع استراتيجيتها آنذاك باقامة دولة على جزء من فلسطين ، ولانه أعطاها المبرر دوليا ، برفض فكرة الدولة الواحدة ، وباحتلال اراض أوسع من الاراضي التي حددها قرار التقسيم . لقد تنازل السوفيات عن فكرة الدولة الواحدة ، وبذلك أخطأوا كثيرا . وانه لضروري تقييم هذا الموقف ضمن ظروفه الخاصة آنذاك ، حتى لا يأخـذ الشطط بتلابيبنا . ولكنه ضروري أيضا ألا نمر بهذه القضية مرور الكرام .

ان الشيوعيين العرب والاحزاب الشيوعية العربية مطالبة باعادة النظر في قرار التقسيم ، وموقف الاتحاد السوفياتي منه وموقفهم هم منه ايضا .

لقد استخدم الموقف الشيوعي مظلة لقيام دولة الاحتلال الصهيوني ، امام الرأي العام التقدمي في العالم . كما ان هذا الموقف أساء للحـركة الشيوعية العربية كثيرا . ثم ان « عقدة » هذا الموقف ما زالت تجر الى مواقف خاطئة .

اما قضية وجود الشعبـين فان المؤلف يطرحها بصيغتين : الاولى : وردت كما يلي : « وآمر واحد لم يعد خافيا . لقد أدت ثورة ١٩٣٦ الى مزيد من العزلة الاقتصادية بين الشعبين ، وبذلك عمقت الغربة السياسيـة القائمة بينهما منـذ البداية ... » (ص ٢٦٦) . والثانية وردت كما يلي : « وأخفق المؤتمر (مؤتمر لندن ١٩٤٦) لان الحلول المقترحـة اخذت مصالح بريطانيا بعـين الاعتبار ولم تأخذ مصالح الشعبين عاملا مقررا للاسراع في التسوية » . (ص ٢٨٨) .

ومع ان المؤلف يؤكد على ان الشيوعيين العرب واليهود « ... دعوا الى اقامة جمهورية فلسطينية ديمقراطية مستقلـة ... » (ص ٢٨٩) ، فان الحديث عن وجود شعبـين لا يتفق مع دعـوة الشيوعيين آنذاك . كما ان وجود شعبين يترتب عليه مواقف هامة وخطيرة . ولا يجوز ان تمر هذه القضية دون مناقشة . ان بعض « منظري » اليسار العربي الجـديد ربطوا بقضية وجـود شعبين على أرض فلسطين قضية حق تقرير المصير لكل منهما . وهذا ما يجب ان نهتم به جيدا .

ان قضية وجود المستوطنات الصهيونية على أرض فلسطين لا يجوز ان تناقش دون ظروفها التاريخية، ودون ارتباطاتها بالحـركة الصهيونية العالميـة والاستعمار العالمي ثم الامبريالية العالمية . ولا عن الدور الرجعي العدواني الذي تلعبه ضد الجماهير العربية وحركة التحرر الوطني العربية .

وها نحن نقدم الكتاب للقارىء ، ليرى رأيه فيه ، واثقين من أننا نقدم كتابا جديرا بالقراءة . ونحن بمراجعة هذا الكتاب نقدم للقارىء العربي ايضا خارج الارض المحتلة مؤلفا ليس بحاجة الى تعريف داخل الاراضي المحتلة ، وان كانت الظروف قد منعتنا سابقا من ان نعرفه . ونأمل ان يكون تقديم هذا الكتاب بادرة من مركز الابحاث لتعريفنا بالانتاج السياسي والفكري في أرضنا المحتلة .

ناجي علوش

مذكرات حسني صالح الخفش ـ حول تاريخ الحركة العمالية العربية الفلسطينية (مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت ، ١٩٧٣)

حجرا جديدا اضافه المرحـوم حسني الخفش ، بكتابه ، الى البناء المتواضع مـن الكتب التي أوقفها أصحابها ومؤلفوها لمعالجة الحركة العمالية والنقابية الفلسطينية . وفي حدود علمي ، فان اول كتاب بالعربية عالج هذا الموضوع كان « التنظيم المهني » الذي أصدره الكاتب الماركسي الفلسطيني جبرا نقولا ، عام ١٩٣٥ . وبعده بنحو عشرين عاما اشترك كل من علي خريس وصلاح الصفدي في اصدار كتاب « الحركة النقابية العمالية في الاردن » عقدا فيه خلفية تاريخية عن نشأة وتطور الحركة العمالية والنقابية الفلسطينية ، باعتبار الحركة النقابية في الاردن امتدادا لها . أما كتاب محمد جوهر الذي نشره له ، عام ١٩٦٩ ، اتحاد العمال العرب بالقاهرة تحت عنـوان « الحركة العمالية في الاردن » ، فيكاد يكون صورة طبق الاصل لكتاب خريس والصفدي !

وقد يعجب القارىء لاني وضعت مذكرات المرحوم الخفش ضمن الكتب التي أرخت للطبقة العاملة الفلسطينية ، ولم أعتبره ضمن كتب المذكرات ، على ما بين المذكرات وكتب التاريخ من تباين . والواقع ان المرحوم الخفش خرج بكتابه هذا مما عودنا عليه الساسة العرب عند نشرهم لمذكراتهم ، اذ دأب كل منهم على تصوير نفسه وكأنه محور الكون ، وحامي حمى الوطن ، المنزه عن الخطأ ، المتسامح أبدا ، كما ويعمد الى تزيين أخطائه وتلطيخ سمعة الآخرين . وهو ما لم يفعله الخفش في مذكراته . بل جعل مـا عاصر من الحركة العمالية والنقابية الفلسطينية محورا لمذكراته . واذا كان تسجيله لتلك الفترة قد أتى موجزا في معظم أجزائه ، مفتقرا الى الوثائق والاسانيد ، فربما عاد ذلك الى ضياع الوثائق الخاصة بتلك الفترة وتسربها من بين أيدي الخفش مرتين ، الاولى عند وقوع النكبة عام ١٩٤٨ ، والثانية بعد خروج الخفش من الاردن عام ١٩٥٧ ، عقب تنفيذ الملك حسين والمخـابرات الامريكية للانقلاب المعـادي للحركة الوطنية الاردنية .

وقد حوت المذكرات على بعض الامور التي ظلت خافية على جيلنا ، مثل انتخاب الدكتور عمـر الخليل أمينا عامـا لجمعية العمـال العربيـة الفلسطينية ، خلفا لسامي طه الذي اغتيل في أواخر ١٩٤٧ .

وقد بين المؤلف كيف حـاربت الحركة العمالية الفلسطينية ـ خاصة في الاربعينـات ـ علـى جبهتين : ضد الاستعمار والصهيونية ، وفي المجال النقابي والطبقي ضد أصحاب رؤوس الاموال مهما اختلفت جنسياتهم . واذا كـان تداخل الكفـاح السياسي مع الكفاح النقابي أمرا طبيعيا ، فهو في المستعمرات أكثر الحاحا ، لوقوع الطبقـة العاملة تحت وطأة قهر مزدوج ، من الاستعمار ومن الرأسمالية المحلية .

وقد ذكر الخفش ان النقابة الاولى في فلسطـين كانت تلك التي انشأها عمال السكة الحديد في فلسطين عام ١٩٢٣ ، وفي ربيع ١٩٢٥ انشئـت « جمعية العمال العربية الفلسطينية » ، التي نجحت ـ بدورها ـ في انشاء بعض النقابات . ومنذ عام ١٩٢٧ بدأ مسلسل الاضرابات العمالية في فلسطين . الا ان النشاط النقابي انحصر ـ في البداية ـ في التثقف والدعوة الى وحدة الطبقة العاملة ، والمطالبة بتحسين ظروف العمل ، بمعنى انه انحصر في الاطار النقابي دون غيره . وكان هـذا مفهومـا نظرا لحداثة الطبقـة العـاملة وضعفها وضيق حجمها . وقد أشارت المذكرات الى الدور الذي لعبه ميشيل متري ـ وهو شيوعي فلسطيني ـ في تأسيس « جمعية العمال العرب » في منتصف الثلاثينات ، لمقاومة قانون تهويد العمل ، وهو القانون الذي وضعته الصهيونية ويقضي بطرد العمال العرب من المشاريع اليهودية ، ومحاربتهم في مجالات العمل الاخرى ، وخاصة الحكومية منها . وبين الخفش كيف أدت الثورة الفلسطينية (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) الى اتساع البطالة بين العمال العرب الفلسطينيين ، والى اضعـاف الحركة النقابية الفلسطينية بالتالي خاصة بعد اعتقال بعض قادتها . والغريب ان الكاتب لم يشر الى المؤتمر العمالي الفلسطيني الاول الذي انعقد عام ١٩٣٠ ، على أهميته البالغة .

ويرى الكاتب ان المرحلة الثانية من الحركة العمالية والنقابية في فلسطين بدأت في عام ١٩٣٩ وانتهت بالنكبة عـام ١٩٤٨ . وأوضح كيف أدى نمـو

البورجوازية العربية الفلسطينيـــة والتوسع في انشاء معسكرات الجيش البريطاني في فلسطين ، لمواجهة الخطر النازي أبان الحرب العالمية الثانية، كيف أدى كل ذلـك الى اتساع الطبقة العاملة العربية الفلسطينية ونمو الحركة النقابية . كما ارتفعت معدلات الاضرابات العمالية .

ولم تكن الحركة العمالية لتعيش بمعزل عن حليفها الطبيعي وظهيرها : الفلاحين . لذا فقد عمدت الى مساعدتهم ماديا ومعنويا وأقامت لهم الجمعيات التعاونية لمساندتهم وتصليب عودهم في مواجهة الحركة الصهيونية .

على ان المذكرات لم تسلم من بعض الهنات ، في مجالي المعلومات والتحليل .

فعلى سبيل المثال ، ضغطت معظم قواعد جمعية العمال العربية من أجـل عقد مؤتمر للجمعية ، لانتخاب قيادة جديدة ، تعكس علاقات القوى داخل الجمعية ، خاصة وان الصراع كان قد اشتد بين العناصر اليسارية وبين العناصر الاصلاحية فيها . الا أن العناصر الاصلاحية ـــ وكانت تسيطر على القيادة ـــ أدارت ظهرها لرغبة معظم القواعد . وانفجر الموقف حين أصر سامي طه ـــ الامين العام للجمعية ـــ على عدم تمثيل اليساريين في مؤتمر النقابات العالمي المنعقد في لندن في شباط (فبراير) ١٩٤٥ ، كما أصر على الموقف نفسه عند بحث تمثيل العمال الفلسطينيين في الدورة الثانية للمؤتمر نفسه ، والتي كانت ستنعقد في باريس في تشرين الاول (اكتوبر) من السنة ذاتها . عند هذا الحد ازداد الحاح العناصر اليسارية من اجل عقد مؤتمر الجمعية ، وعندما أصرت القيادة على تجاهل هذا المطلب ، بادر اليساريون ـــ وكانوا يسيطرون على فروع الجمعية في القدس ويافا والناصرة وغزة ـــ الى دعوة قواعد الجمعية الى مؤتمر ، عقد في آب (اغسطس) ١٩٤٥ ، وأعلـن المؤتمـرون استقلالهم عن قيادة الجمعية ، وتسموا باسـم « مؤتمر العمال العرب » . وفي أوائل ١٩٤٦ عقدت الجمعية مؤتمرها تحت ضغط ما تبقى من قواعدها ، وخاصة بعد ان اطمأنت الى تخلصها من العناصر اليسارية ، التي كانت تهدد مراكزها.

أما رواية الخفش لقصـة انشقاق المؤتمر عـن الجمعية ، فيبدأها باعتراض اليساريين على شخص حنا عصفور ، الذي اختاره سامي طه ليمثل واياه العمال العرب الفلسطينيين في مؤتمر باريس المشار اليه . ويؤكد المؤلف ان سبب معارضة اليساريين كانت عدم انتساب حنا عصفور للعمال من قريب أو بعيد . وبعد ذلك يقول المؤلف انه لم يبق في مؤتمر العمال العرب ـــ الذي يسميه خطأ المؤتمر العمالي الفلسطيني (ص ٤٠) وفي مكـان آخر : المؤتمر العمالي العربي (ص ٤٢) ـــ « الا عدد قليل من العمال بالاضافة الى اعضـاء الحزب الشيوعي » ، وربما كان يقصد بأعضاء الحزب الشيوعي اعضاء « عصبة التحرر الوطني » ، التي ضمت الاعضاء العرب الذين انشقوا عـن الحزب الشيوعي في أيلول (سبتمبر) ١٩٤٣ . وفي حين احتفظت المجموعة اليهوديـة الشيوعية باسم « الحزب الشيوعي الفلسطيني » ، حمل الشيوعيون العرب اسم « عصبة التحرر الوطني الفلسطينية » . اما بالنسبة لحجم مؤتمر العمال العرب فقد تضاربت الارقام حوله ، اذ يقدره السلفيتي بخمسة وثلاثين الفا . اما المستر غريفس ، مدير دائرة شؤون العمل في حكومة فلسطين ، فيهبط بالرقم الى ١٨ الفا فقط ، في حين ذكر ان اعضاء جمعية العمال العربية بلغوا ـــ في صيف ١٩٤٦ ـــ خمسة عشر الف شخص . ويرى المؤلف في انقسام مؤتمر العمال عن الجمعية « تجربة قاسية خاضها الحزب الشيوعي الفلسطيني [الصحيح : عصبة التحرر الوطني] وشعر بمرارة فشله بعد مدة قصيرة ، اذ أعلن الحزب [الصحيح : العصبة] بعدهـا في جريدته ان مؤتمر الحزب [العصبة] قـد أدان القيادة السابقة لارتكابها جريمة شق الحركة العمالية ، ولذلك أقالها من مركز القيـادة » (ص ٤١) . وعرض المسألة على هذا النحو يفرغها من بعديها السياسي والطبقي . واذا كانت العصبة قد انتقدت الانشقاق ، وطردت مـن صفوفها بعض المتسببين فيه، مثل مخلص عمرو وبولس فرح وجريس رمان، فان السبب الحقيقي لطرد هؤلاء الثلاثة ظل خافيا لوقت طويل . وان كان قـد عرف عن ثلاثتهـم معارضتهم الشديدة لسير عصبة التحرر الوطني وراء المفتي ، واتهامهم قيـادة العصبة بالذيلية للرجعية الفلسطينية. الا ان المؤلف ـــ فيما يبدو ـــ لم يستوعب المسألة بكل جوانبها . والواقع ان العصبة رأت في شق الحركة العمالية خطأ لا يمكن تبريره ، حتى ومع سقوط قيادة جمعية العمال في أيدي الاصلاحيين والنقابيـين الصفر ، واكدت العصبة ان قوة الطبقة العاملة في وحدتها ، وان

شقها بحجة انتشالها وتطهيرها من العناصر الدخيلة أمر ينتمي الى أوهام البورجوازية الصغيرة .

والقول باصلاحية ويمينية قيادة جمعية العمال العربية له ما يؤكده من القرائن والادلة. فبالاضافة الى ارتباطات هذه القيادة بحزب العمال البريطاني ، وببعض العناصر السياسية اليمينية الفلسطينية المشبوهة بعلاقاتها بالاستعمار ، نجد المؤلف نفسه يورد — دون قصد — « عدم الرغبة في ان يشترك في الوفد [يقصد الوفد المسافر الى باريس] عضو شيوعي ، لتمسك العمال العرب بالاتجاه القومي » !! (ص ٤٠) كما انه يعترف بانضمام سامي طه عام ١٩٤٧ الى الهيئة العربية العليا ، وهي الهيئة التي تجمعت فيها العناصر الاصلاحية واليمينية الفلسطينية بل وعناصر الثورة المضادة ، والتي كانت — بلغة المؤلف — « تضم بعض الشخصيات الفلسطينية الاقطاعية والرأسمالية والعائلية » (ص ٤٤) . هذا في الوقت التي كانت الهيئة تحارب فيه العصبة والمؤتمر ورابطة المثقفين العرب . وكل هذه المنظمات يسارية الاتجاه . ولم يشر المؤلف الى التصريحات العديدة التي كان يدلي بها بعض قادة الجمعية ، وعلى وجه الخصوص سامي طه ، والتي كانوا يتشدقون بها بمطابقة خطهم لخط حزب العمال البريطاني ! كما أسقط نهائيا اقدام جمعية العمال — مع بعض العناصر اليمينية — على تشكيل « حزب الشعب » المشبوه . وان كان الكاتب قد اعترف بتأييد الحزب القومي السوري — المعروف باتجاهاته اليمينية — للجمعية (ص٣٩).

وقد اتهم الخفش الهيئة العربية العليا بقتل ميشيل متري عام ١٩٣٨ (ص ١٨) . هذا في حين لم تكن الهيئة العربية العليا قد خرجت الى النور بعد ، اذ أنشئت عام ١٩٤٦ ، والمؤكد انه يقصد اللجنة العربية العليا ، وهي سلف الهيئة العربية ، والتي أنشئت في نيسان (ابريل) ١٩٣٦ من ممثلي الاحزاب العربية الفلسطينية . وحتى هذه اللجنة لم تكن حزبا ، بل وكان ينتصها الحد الادنى من الانسجام . وأغلب الظن ان الخفش كان يعني بالهيئة العربية هنا المجلسيين ، أي أنصار الحاج أمين الحسيني ، مفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى .

ويشير المؤلف الى « أبرز القيادات السياسية التي وجدت في صفوف العمال وهي : ١ — تيار الحزب الشيوعي ، ٢ — تيار الحزب الوطني — حزب الحاج امين الحسيني ، ٣ — تيار الحزب القومي السوري » (ص ٣٨) ، وقد أكد على معارضة الاتجاهين الاول والثاني لقيادة جمعية العمال العربية . وفي هذا المجال وقع المؤلف في خطأ مزدوج : الاول في قوله بأن تيار الحزب الوطني — هو حزب الحاج أمين الحسيني ، في حين ان الحاج أمين لم يكن يعمل ضمن أي من الاحزاب الفلسطينية ، بل كان مفهوما عنه عطفه على الحزب العربي الذي كان يرئسه جمال الحسيني . اما الحزب الوطني — وهو الشق الثاني من الخطأ — فقد كان حزبا صغيرا لم يعمر الا اشهر قليلة في العشرينات ، وقد تزعمه الشيخ سليمان التاجي الفاروقي ، الخصم الالد للحاج امين الحسيني . ولا أظن أن المؤلف يقصد هذا الحزب بكلامه،واغلب الظن انه يقصد به الحزب العربي الفلسطيني . وحين تورد المذكرات المحاولات العديدة للقادة الاصلاحيين للحركة الوطنية من أجل « اخضاع التنظيمات العمالية لسيطرتهم وتحطيمها في حالة فشلهم » ، (ص ٤٣) يورد أمثلة اغتيال ميشيل متري عام ١٩٣٨ وحسن صدقي الدجاني عام ١٩٣٧ وسامي طه عام ١٩٤٧ . والسؤال الذي يفرض نفسه هنا : ما علاقة حسن صدقي الدجاني بالطبقة العاملة !؟ وهو المحامي الارستقراطي وقطب الثورة المضادة وسكرتير حزب الدفاع الوطني الفلسطيني ، الذي عرف بولائه للاستعمار البريطاني . وقد عرف عن الدجاني انه قتل بسبب موقفه المعادي من ثورة ١٩٣٦ الوطنية الفلسطينية، وليس أبدا بسبب انتمائه للطبقة العاملة او الحركة النقابية الفلسطينية . وما اشرافه على تكوين نقابة سائقي التاكسيات بالقدس ، الا امتدادا لنشاطه السياسي المعادي للشعب ، كما أنه يأتي ضمن اطار محاولات البورجوازية العربية الفلسطينية لاحتواء الطبقة العاملة وحركتها النقابية .

وأخطاء المعلومات والاعلام تكاد لا تحصى في هذه المذكرات ، فصاحب المذكرات يسمي اللجنة العربية العليا التي وافقت على حضور مؤتمر لندن عام ١٩٣٩ بالهيئة العربية العليا (ص ٤٤) . كما يسمي المشروع الانشائي بمشروع موسى العلمي (ص ٤٨) . وربما كان المؤلف قد نسي اسم المشروع ، فلجأ الى تسميته باسم صاحب فكرته والمشرف على تنفيذه . وفي مكان آخر يذكر المؤلف

صحيفة « الوحدة » على انها لسان حال الهيئة العربية العليا (ص ٥٢) في حين لم تكن تلك الصحيفة سوى الناطقة بلسان الحزب العربي الفلسطيني في الاربعينات .

ويسقط صاحب المذكرات في المبالغة والتهويل ، حين يذكر ان عدد أعضاء جمعية العمال العربية بلغ ١٢٠ ألف شخص . ومرة أخرى حين يصف سامي طه بأنه « اكبر قائد نقابي في منطقة الشرق الاوسط » (ص ٥٣) . ويبدو ان المبالغة في تقديس سامي طه لم تكن وقفا على المرحوم الخفش. اذ قام زكي الشيخ ياسين — عضو الهيئة الادارية لفرع نابلس — ببناء ضريح لسامي طه في قرية « بلد الشيخ » !! (ص ٥٤) .

ومهما يكن من أمر الاخطاء المطبعية ، التي لم تتعد أصابع اليد الواحدة ، واخطاء المعلومات التي تفوتها بقليل ، فان كتاب الخفش لا بد سيثري المكتبة العمالية الفلسطينية، بما يثيره من مناقشات وملاحظات ، وما يشكله من حافز قوي لكتابة تاريخنا الفلسطيني بصفة عامة ، وتاريخ طبقتنا العاملة بصفة خاصة .

ع٠ ي٠

تعقيب من مؤلف
« سياسة اسرائيل الخارجية في افريقيا »

تلقينا الرسالة التالية من الاستاذ محمد علي العويني ، مؤلف كتاب « سياسة اسرائيل الخارجية في افريقيه » الذي سبق لشؤون فلسطينية ان نشرت مراجعة له في عدد يوليو رقم ٢٣ كتبها السيد سعيد جواد .

١ — يدعي كاتب المراجعة ان الدراسة تتسم بغياب المنهج ، ولكنه لم يوضح لنا معنى المنهج بالمفهوم العلمي ، وكل ما قاله مجموعة من الكلمات الانشائية التي عادة ما نجدها في المباريات الصحفية ، ولا يلجأ اليها الدارسون [انظر ص ١٦٩ من المراجعة] .

٢ — يبدو ان كاتب المراجعة يرتبط بعدم الدقة حتى في المسائل الشكلية فمثلا ذكر اسم الدكتور عبدالملك عودة على انه الدكتور عبدالله عودة ويقول «ويختتم البحث في فصل عن تمويل السياسة الخارجية ومستقبلها في افريقيا » . والصحيح ان تمويل وسائل السياسة الخارجية الاسرائيلية في افريقيا هي خاتمة الباب الثالث ، اما خاتمة الكتاب فهي مستقبل السياسة الخارجية الاسرائيلية في افريقيا .

٣ — فيما يتعلق بتعريف السياسة الخارجية ، فلو رجع كاتب المراجعة الى النص الاصلي للرسالة « الاطروحة » لان المنشور هو ملخص لها في شكل كتاب ، لوجد انني أثرت التعريفات المختلفة للسياسة الخارجية ثم وصلت الى هذا التعريف الذي اشار اليه كاتب المراجعة ، ويمكن فهم ذلك ضمنيا بالنظر الى هامش ص ٩ من الكتاب المنشور ، وبعد ذلك يرتب الكاتب المعلومات بطريقة مغرضة ومشوهة بمعنى اخذ جزء من المعلومة وترك الاخر ، مما يجعل ما يقوله عن الكتاب غير صحيح بالمرة ، متناسيا ان العوامل المؤثرة هي مقدمة الكتاب أي تمهيد للدراسة .

٤ — يفتقر كاتب المراجعة بشكل كبير الى التمييز بين الموضوعات فهو يطالب المؤلف بالتعرض بالتفصيل لخصوصيات دولة اسرائيل والايديولوجية الصهيونية وكيفية نشأتها واسهامها في الصراعات الاستعمارية ، متناسيا ان ذلك يحتاج الى عديد من الرسائل الجامعية لبحثها ، وان ذلك ليس في صلب الاطروحة التي تعرضت له بشكل عام . ثم ينتقل كاتب المراجعة ويستشهد برودنسون بعيدا عن موضوع الكتاب ، ثم يتعرض لتقرير كامبل برمان وهذا التقرير محل مجادلات كثيرة حول صحته ويشهد بذلك الدكتور انيس صايغ .

٥ — يلجأ كاتب المراجعة الى الاسلوب الانشائي بمناسبة وغير مناسبة ويتحدث عن ظاهرة التخلف

ويستشهد برأي للشؤون السوفييتية الدولية هو في حقيقته تحصيل حاصل ، حيث ان هذا المعنى موجود في الكتاب ويلاحظ انه ورد بهذا الاستشهاد الصراع الطبقي ، وهذا يدخل في اطار تفسيرات كاتب المراجعة للظواهر وفقا لاعتبارات عقائدية اي التحيز والابتعاد عن الموضوعية ، اي انني اجد نفسي امام عقائدي يتعرض لكتاب علمي ومن هنا يسهل تفسير كل ما يذهب اليه .

٦ ــ أبدي أشد أسفي لان كاتب المراجعة شوه الارقام التي لا يجوز لاي شخص ان يشوهها فيقول ان المعونة التي تقدمها اسرائيل لافريقيا لا تمثل سوى ٥ ٪ من المعونات الخارجية للقارة ، وارجو من قراء شؤون فلسطينية ان يرجعوا الى الكتاب ص ٢٦٨ ليلاحظوا ان الرقم الحقيقي هو خمسة من المائة في المائة [٥٪] ثم يعود مرة اخرى الى استخدام الالفاظ العقائدية مثل « تخطيط اشتراكي خاص » وغير ذلك من الالفاظ المقحمة التي توضح للقارىء كيف ان الاعتبارات العقائدية هي المسيطرة على فكر كاتب المراجعة .

٧ ــ يخلط كاتب المراجعة بين ألفاظ لا يخلط بينها اي شخص يعرف الحد الادنى من المبادىء العلمية للثقافة السياسية ، فهو يخلط بين اتخاذ القرار ومناقشته بالنسبة للكنيست مما أوقعه في أخطاء لا يحسد عليها ، فلا يوجد تناقض كما ادعى كاتب المراجعة بين ضعف دور الكنيست في السياسة الخارجية وبين اتسام مناقشاته بالنضوج بالنظر الى اعتبارات التعليم ودور كبار السن ، وان ذلك لا يعني ان نضج التفكير مرتبط بسن معينة ، ثم يعود كاتب المراجعة ويخلط مرة اخرى بين التعبير عن الرأي العام واتخاذ القرار .

٨ ــ عندما تعرض كاتب المراجعة للمؤسسة العسكرية ، لجأ كعادته الى تشويه ما ذكره المؤلف ، ونسب اليها أقوالا لم يذكرها بسبب تمزيقه للوثائق وترقيمها [انظر ص ٨١ ــ ٨٧] من الكتاب .

٩ ــ فهم كاتب المراجعة كعادته بشكل خاطىء المقصود بالدبلوماسية الشعبية عندما تعرض للهستدروت ، والمقصود هنا هو الدبلوماسية الشعبية بالنسبة لافريقيا (انظر ص ٩١ ــ ٩٢ من الكتاب) .

١٠ ــ عندما تعرض كاتب المراجعة لاهداف السياسة الخارجية الاسرائيلية في افريقيا اراد ان يلزم المؤلف بالتزامات عقائدية يراها نمطا غماليا فهو يريد من المؤلف ان يتحدث عن الامبريالية العالمية متناسيا انني عرضت الفكرة بشكل خاص عندما قلت ان اهداف السياسة الخارجية تكشف عن الطبيعة الاستعمارية لاسرائيل اي ان القضية هي استعمال الفاظ عقائدية والاستطراد بدون داع عند كاتب المراجعة .

١١ ــ يزعم كاتب المراجعة ان المؤلف لم يعرف حقيقة العلاقات الامريكية الاسرائيلية من الناحية التمويلية ، وانني انصح كاتب المراجعة بالرجوع الى ص ٣٤٥ ــ ٣٥٣ من الكتاب ليراجع ما كتبه ويثبت الاخطاء التي ارتكبها .

١٢ ــ يطلب كاتب المراجعة من مؤلف الكتاب ان يتعرض بالتفصيل للعوامل المتعلقة بالاقتصاديات الافريقية ... الخ . فقد تعرضت الدراسة لذلك في اطار موضوعها، اما ما يطالب به كاتب المراجعة فيخرج عن نطاق الدراسة .

١٣ ــ عندما تعرض كاتب المراجعة لاستغلال اسرائيل للتخلف شوه الوقائع ، فالدراسة تقول ان العوامل الافريقية التي ساعدت السياسة الخارجية الاسرائيلية هي الميراث الاستعماري ومشاكل الاستقلال الافريقي الخاصة بالتنمية والكوادر [انظر بالتفصيل ص ١٣٨ ــ ١٤٧] .

١٤ ــ يتمادى كاتب المراجعة في عدم الدقة فينقل من الكتاب وسائل السياسة الخارجية الاسرائيلية في افريقيا على انها الوسائل التي ساعدت اسرائيل على تنفيذ سياستها .

١٥ ــ عندما يتعرض كاتب المراجعة لمعاهدات الصداقة فيما يتعلق بتقليد اسرائيل للدول الكبرى يذكر معلومات لا ندري كيف توصل اليها وتتنافى مع ما ذكر في الكتاب [انظر ص ١٧٥ ــ ١٧٦] وينطبق نفس الشيء عند تعرضه للبيانات المشتركة.

١٦ ــ يتعمد الكاتب تشويه ما ذهب اليه المؤلف عن موقف اثيوبيا معمدا في الاستطراد والحديث عن معلومات لا تتصل بما ذكر في الكتاب ، ومغفلا الفرق بين ما يقوله مسؤول اثيوبي وما يستنتجه المؤلف ، وينطبق ذلك عند تعرضه لغينيا والكنغو برازافيل وذلك بابراز جزء من ما كتب لاثبات ما يحلو له واهمال الجزء الاخر .

١٧ ــ لا يدرك كاتب المراجعة ما يسهل ادراكه ، فيرى ان هناك تناقضا بين قبول غينيا قيام علاقات

دبلوماسية مع اسرائيل واغلاق السفارة الاسرائيلية بعد حزيران ١٩٦٧ والواقع ان القبول كان موجودا بدليل اغلاق السفارة بعد ذلك ، ويبدو ان كاتب المراجعة لم يدرك الطبيعة الاكاديمية لتقسيم الوسائل السياسية في الفصل الاول من الباب الثالث في الكتاب مما يلتمس له العذر .

١٨ — يريد كاتب المراجعة ان يلزم المؤلف بآرائه العقائدية فيجهض كعادة العقائديين تفسيرات المؤلف ، ثم يقول « ان الطبيعة العقائدية للانظمة وقدرتها على فك ارتباطاتها بالحلقات الاقتصادية الاستعمارية وموقفها من حركات التحرير الافريقية والعالمية هي المؤشرات الحاسمة في تحديد سياستها تجاه القضايا العربية وفلسطين » . وانني اترك ذلك لقارىء شؤون فلسطينية الحكم على كاتب المراجعة ، ومدى علاقة ذلك بغسيل المخ العقائدي .

١٩ — توهم كاتب المراجعة ان هناك الغازا بقيت دون تفسير لدى المؤلف عندما رتب بعض الوقائع في الكتاب بشكل مشوه — اي كاتب المراجعة — فهو يهاجم ويتساءل عن اشياء اجاب عليها المؤلف عندما تعرض للوسائل المختلفة للسياسة الخارجية الاسرائيلية في افريقيا ومنها الوسائل العسكرية.

٢٠ — لجأ كاتب المراجعة الى التشويه حتى في الارقام فيذكر في معرض الهجوم على المؤلف ولجنة التحكيم على الاطروحة ص ١٨٢ من الكتاب على انها ص ١٨٠ ، وهو يتعلق بتركيز اسرائيل على المفاوضات المباشرة حتى قبل حرب ١٩٦٧ ، ففسر كاتب المراجعة الكل بالجزء وذلك باقتباس فقرة وتفسيرها تفسيرا لا يتمشى مع مضمونها ثم محاولا وصف ما كتبه « بالحتمية » مع العلم ان ما كتب لا يدل على ذلك اطلاقا ، ثم يتهكم ويسخر من لجنة مناقشة الاطروحة التي تكونت من اساتذة اكاديميين لا عقائديين لديهم مكانتهم الدولية .

٢١ — عندما تعرض كاتب المراجعة لفاعلية السياسة الخارجية الاسرائيلية في افريقيا لجأ الى التشويه وسرد الوقائع بشكل لا يتمشى مع مضمون الاطروحة مقحما اسلوبه الاستطرادي في اشياء ابعد ما تكون عن الرسالة .

٢٢ — نظرا لجهل كاتب المراجعة بالمفاهيم الاكاديمية فقد اساء فهم احد الاهداف الاسرائيلية في افريقيا وهو كسب الرأي العام الافريقي لصالح اسرائيل فالدراسة ركزت على الرأي العام الرسمي مع الاخذ في الاعتبار الرأي العام غير الرسمي ، لان الدراسة في مجال السياسة الخارجية للدول .

٢٣ — يبدو ان الكاتب اعتبر كل ما ذكرته مجلة الشؤون الدولية السوفييتية والحرية حقيقة لا يمكن مناقشتها — اما ما يقوله اساتذة العلوم السياسية فهو غير صحيح في رأيه — ويفسر ذلك بتكوينه العقائدي الذي ينبع بشكل واضح في ما كتبه .

٢٤ — عندما تعرض كاتب المراجعة لما جاء في الكتاب عن نجاح السياسة الاسرائيلية شوه ما لا يشوه ونقل عن المؤلف صياغة قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ في اطار اسلوبه الاستطرادي الفارغ من المعنى .

٢٥ — يعتبر كاتب المراجعة ان الوضع الجيوبوليتيكي لاسرائيل غير دقيق ويقول لماذا لاسرائيل ؟ الوضع الجيوبوليتيكي هو وضع خاص بالوطن والتراب الفلسطيني . وهذا يوضح سوء فهم كاتب المراجعة . فالدراسة تقول ان اسرائيل تمثل نمطا من أنماط الاستعمار الاستيطاني القائم على الاغتصاب كما يعتبر ان قيام اسرائيل على انقاض فلسطين خطأ فهو يقول ان الانقاض ان صح التعبير هي الاداة البريطانية المحتلة وهذا يوضح عدم الالمام بمفهوم الدولة فالمقصود بالانقاض هي الارض الفلسطينية وليس الشعب وأي طالب مبتدىء في علم السياسة يدرك ذلك .

٢٦ — يقول كاتب المراجعة ان صياغة الدول الكبرى غير دقيقة وغير علمية بل ومشبوهة ، ونحن ننصحه بسؤال اي شخص يعرف حدا ادنى من المعلومات العامة ليوضح له ان صياغة الدول الكبرى صحيحة وعلمية .

٢٧ — يتحدث كاتب المراجعة عن « مستلزمات المنهج التحولي في التحليل » وهذا يدل على عدم فهمه لمناهج البحث ، وكأن المناهج عنده هي ألفاظ خيالية فارغة من المعنى .

محمد علي العويني

تعقيب من مؤلف « فلسطين عبر ستين عاما »

اطلعت على كلمة السيد مصطفى كركوتي (عدد حزيران ١٩٧٣ من « شؤون فلسطينية ») بشأن الجزء الاول من كتابي « فلسطين عبر ستين عاما ». وفي الحين الذي أؤكد ترحيبي بكل نقد لكتابي، فاني أشكر للسيد كركوتي اهتمامه بالكتابة عنه .

ولقد درست كلمة السيد كركوتي من جميع نواحيها ، فوجدت انه من واجبي الرد عليها ، اظهارا للحقيقة وخدمة للتاريخ ووضعا للامور في نصابها ، فهذه الكلمة ، كما يبدو ، هي محاولة للتعريض برجالات الحركة الوطنية ، اكثر منها ماحولة للتعليق على محتويات الكتاب ، فضلا عن ان كاتبها نسب الي أقوالا وملاحظات لم ترد على لساني ، والتبس عليه بعض الامور والمواضيع فاشتط في التعليق عليها وتفسيرها ، واختلط عليه تاريخ الاحداث والظروف فأخطأ في تسجيله . اما بعد فأقول :

١ — يذكر السيد كركوتي في كلمته بأني لم اتحدث عن (فلسطين عبر ستين عاما) بل عن (الحاج امين — الغوري عبر ستين عاما) ! وهذا قول غير صحيح . اني اعترف بأني افردت قدرا كبيرا في كتابي للحديث عن الحاج امين الحسيني ، وهو أمر لا مفر منه لمن يؤرخ تاريخ قضية فلسطين ، نظرا للارتباط الوثيق المتواصل بين هذه القضية وبين الحاج أمين .

٢ — يعلق الكاتب على حديثي عن الجهود التي بذلها الحاج امين لتحويل قضية فلسطين الى قضية اسلامية عالمية ، فيقول ان هذا حدث في زمن « كان الاقطاع هو المهيمن على العالم الاسلامي والعربي » . فهل كان من مصلحة قضية فلسطين ان يبقيها الحاج امين في منأى عن « العالم الاسلامي والعربي » لانه على حد تعبير الكاتب المحترم ، ان الاقطاع .. كان يهيمن عليه ؟

٣ — يقول السيد الكاتب بأني « اكدت استمرار زعامة الحسيني للحركة الوطنية الفلسطينية الى نشاط المعارضة من العائلات الدينية (النشاشيبي، الشقيري ، طوقان الخ ..) ، اني لم اقل هذا قط ، ولم أصف هذه العائلات ، او غيرها ، بأنها عائلات دينية . اما عائلة طوقان فاني لم اشر اليها من بين العائلات التي عارضت الحركة الوطنية ، فقد كان كبير هذه الاسرة ، حافظ آغا طوقان ، ومن بعده شقيقه عبد الفتاح ، من صميم الرجال الذين عملوا في الحركة الوطنية ومن قادتها .

٤ — ولم أقل في كتابي ابدا ، ما نسبه الي السيد الكاتب ، بأن « فريقا من الشبان الذين اعتنقوا مبادىء دخيلة هدامة » كانوا يدعون عكس ما ادعي من انه « لم يكن في فلسطين ، كما كان في غيرها من بعض الاقطار العربية ، اقطاع وعائلات اقطاعية » . واني أصر على قولي ، الذي يؤيده التاريخ والحقيقة، بأنه « لم يكن في فلسطين اقطاع وعائلات اقطاعية ، وان الاقطاع الوحيد هو الذي نجم عن امتلاك بعض الاسر السورية واللبنانية لمساحات واسعة من الاراضي في شمال فلسطين ».

٥ — ويقول السيد كركوتي ، باصرار عجيب ، بأن الحاج امين كان يتهم كل من يخرج عن طاعته بالعمالة والتآمر لمصلحة اليهود . وان جهوده استطاعت اجهاض دعوات الشباب التي كانت تخرج عن ارادته وتهدد سلطته التي كان يمارسها بشكل مطلق . ان هذا الزعم يفتقر الى المنطق وتعوزه الصحة والحقيقة ، فالشعب الفلسطيني نفسه هو الذي كان يجهض كل دعوة يراها مشبوهة ويقضي عليها ، سواء صدرت مثل هذه الدعوة من شباب او كهول او شيوخ ! والحقيقة الثانية التي يجب ان يعرفها الجميع ، هي ان الشباب (وكان منهم الحاج امين وهو من اصغرهم سنا) هم الذين دعوا الى الحركة الوطنية والجهاد ، وهم الذين تولوا زعامته وقادته .

٦ — ويقول السيد كركوتي اني تجاهلت « عن تعمد واصرار » الحركة النقابية ، فلم اكتب عنها غير سبعة سطور في كتابي ، وأود أن استرعي انتباه الكاتب المحترم الى انه لم تكن في فلسطين (في التاريخ الذي تناولت عهده بالبحث) اية حركة نقابية عربية اطلاقا .

٧ — ضمنت كتابي كل ما عرفته ، وكل ما كان معروفا ، عن ثورة فلسطين الثانية في اول ايار ١٩٢١ ، ولكن السيد كركوتي يدعي بأني اهملت الحديث عن هذه الثورة ونسيتها « لانها كانت من صنع قطاعات شعبية .. ولانها لم تكن خاضعة لرجال الاقطاع الفلسطينيين » . وليس من شك في نظري في أن أمر هذه الثورة التبس على السيد كركوتي فتخبط في حديثه عنها ، ولعله نسب قيامها الى صنع قطاعات شعبية ، لانها حدثت في اول

ايار — وهو عيد العمال — فالعمال العرب لم يحتفلوا بعيد العمال في اول ايار عام ١٩٢١ ، ولا احتفلوا به لاعوام اخرى تلته . ولكن اليهود هم الذين كانوا يحتفلون يومئذ بهذا العيد . وفي اول ايار ١٩٢٢ احتفل اليهود (بعيد العمال) في تل ابيب وسائر مستعمراتهم . وتوجهوا بمظاهرات صاخبة الى مدينة يافا وهاجموا اهلها ، مما ادى الى نشوب القتال بين العرب واليهود . ومع تقديري العظيم للدور الرائع الذي قام به العمال العرب في الثورة المذكورة ، فاني أؤكد بأنها كانت من صنع جميع فئات الشعب ! وأود أن أسترعي نظر الكاتب المحترم بأن السلطات البريطانية قبضت على عدد من الزعماء (الذين يصفهم بأنهم من رجالات الاقطاع الفلسطينيين) بتهمة اشعال نار ثورة اول ايار ١٩٢١ في يافا ومنطقتها ، اذكر منهم الشيخ شاكر ابو كشك ، ويوسف عاشور ، وعبدالله السمارة ، وسليم عبد الرحمن ، وعلي علاء الدين ، واديب ابو ضبة .

٨ — يقول الكاتب المحترم بأني لا استطيع خداع حركة التمرد الفلسطينية والعربية والجماهير الملتفة حول قيادتها المعاصرة ، بحديثي عن « فشل المحاولات التي نافست الحاج امين على زعامة الحركة الوطنية ... » . ولست أدري لماذا يقحم الكاتب مثل هذا الموضوع في بحث لا علاقة له به اطلاقا ، ان ما ذكرته في كتابي من وقائع واحداث جرت قبل اعوام واعوام من قيام ما يدعيه من حركة التمرد الفلسطينية والعربية ، فكيف استطيع خداع مثل هذه الحركة (قبل قيامها ..) والجماهير الملتفة حول قيادتها المعاصرة ؟ فضلا عن هذا فهل كانت حركة التمرد الفلسطينية والعربية — التي يشير اليها — حركة ضد الحاج امين والحركة الوطنية الفلسطينية ، ام ضد الاوضاع البشعة التي تسود الامة العربية ؟

٩ — واستغرب جدا امعان الكاتب المحترم في اصراره الخاطىء على وصف الزعامات الفلسطينية على غير حقيقتها وواقعها ، وتماديه في التطاول عليها والتعريض بها . فهو يقول في كلمته : « ان تفرد طبقة ملاك الارض من الاقطاعيين وغيرهم من الزعامات العائلية والدينية والطبقة الكومبرادورية المهلهلة .. ان تفرد هؤلاء بزعامة الحركة الوطنية الفلسطينية في تلك المرحلة من تاريخ فلسطين كان سببه عدم نمو طبقة برجوازية رأسمالية قوية نسبيا تقود النضال وتحول قسما من الفلاحين الفلسطينيين الى عمال في المدن » .

فاذا كان ما يقوله السيد كركوتي — على سبيل الافتراض — صحيحا ، فكيف يجوز له ان يلوم « الزعامات العائلية الدينية الطبقية .. » لانها تفردت بقيادة الحركة الوطنية ؟ وهل كان عليها ان تتخلى عن واجبها الوطني ، فلا تتولى قيادة الحركة الوطنية ، حتى يتم نمو طبقة برجوازية رأسمالية قوية الخ ..؟ ولو ان هذه العائلات (حسب وصف السيد كركوتي لها) انصرفت عن الواجب الوطني ولم تخض غمار الحركة الوطنية . فماذا كان السيد كركوتي ، وأمثاله يقولون فيها اليوم ؟

١٠ — ويتحدث السيد كركوتي عن الشهيد عزالدين القسام وحركته وثورته ، فيحاول ان ينفي ما أكدته في كتابي ، بالادلة والبراهين ، من ان الشهيد أسس حركته وقام بثورته بمعرفة الحاج امين وبالتعاون معه ، فيقول « ان الثورة التي قادها القسام في اواخر ١٩٣٥ على أساس مبادرة شعبية .. لم يكن للزعامات التقليدية الفلسطينية علاقة حقيقية بقيامها » ، كما يدعي الكاتب بأني اعترفت في كتابي بخروج حركة القسام من « تنظيم الحاج امين الحسيني السري » دون ذكر اسباب هذا الخروج .

والواقع اني لم أقل في كتابي ما زعم السيد كركوتي اني قلته . فالذي ذكرته في كتابي — وأراد الكاتب تجاهله وتفسيره على غير وجهه الصحيح — هو انه عندما تقرر في ١٩٣٥ توحيد جميع المنظمات السرية في منظمة واحدة ، رؤي ان يبقى القساميون خارج هذه المنظمة ، لاعتبارات واسباب اقتضتها مصلحة العمل يومئذ .

وأؤكد من جديد (استنادا الى معرفتي التامة وعلى ضوء التجربة والممارسة) الامور التالية :

أ — ان الشيخ عز الدين القسام بدأ تنظيم حركته ، قبل استشهاده في ثورته في تشرين الثاني ١٩٣٥ ، بعدة سنوات، بالتعاون والتفاهم والاتفاق مع الحاج امين الحسيني ، وتمكينا للقسام من العمل ، وتسهيلا لمهمته ، عينه الحاج امين مدرسا في جامع الاستقلال في حيفا . ولما تشكل الحزب العربي الفلسطيني (المعروف بحزب المفتي) في آذار ١٩٣٥ ، انتخب عز الدين القسام وحكمت النملي وفؤاد عطاالله ، ممثلين لحيفا وقضائها في لجنة الحزب المركزية .

ب ــ كان الحاج امين يزود باستمرار الشيخ القسام وحركته بالمال ، عن طريق الشيخ كامل القصاب (السوري) لضمان السرية في العمل .

ج ــ عندما رأى الشيخ القسام القيام بالثورة علانية (بعد اعمال سرية رائعة استمرت نحو خمسة اعوام) في خريف ١٩٣٥ ، فانه لم يقدم على خطوته هذه الا بعد الاتفاق والتفاهم مع الحاج امين .

١١ ــ ولعل من أغرب ما قاله السيد كركوتي في كلمته ، وأبعده عن الحقيقة والواقع ، انه « لم يكن للزعامات التقليدية الفلسطينية علاقة بقيام ثورة القسام ، بالرغم من انها هيمنت عليها فيما بعد وقادتها الى حتفها بعد تشكيل الهيئة العربية العليا » (الغوري عضو فيها وممثل حكومة عموم فلسطين في الامم المتحدة بعد عام ١٩٤٨) ، وهذا خلط عجيب في الوقائع والتاريخ .

أ ــ ان ثورة القسام العلنية بدأت وانتهت في تشرين الثاني ١٩٣٥ ، وبعد انتهاء هذه الثورة بوقت قصير تم انضمام او التحاق القساميين بمنظمة الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني .

ب ــ اعلن الجهاد المقدس ثورة فلسطين الكبرى في مطلع ايار ١٩٣٦ واستمرت حتى اعلان الحرب العالمية الثانية في أيلول ١٩٣٩ .

ج ــ ان الهيئة العربية العليا تشكلت في حزيران ١٩٤٦ .. اي بعد ١١ عاما على انتهاء ثورة القسام .

د ــ اني مثلت الهيئة العربية العليا في الامم المتحدة في ١٩٤٧ و ١٩٥٠ و١٩٥١ و١٩٥٢ ثم في دورات الجمعية العامة للامم المتحدة من ١٩٦٠ الى ١٩٦٨ . ولم اكن ممثلا قط لحكومة عموم فلسطين في الامم المتحدة .

١٢ ــ ويقول السيد كركوتي ، « ان الهيئة العربية العليا التي كانت ــ ولا تزال ــ تسيطر عليها الزعامات الدينية التقليدية والعائلات البرجوازية والاقطاعية الفلسطينية ، وان هذه القيادات لم تنظر بارتياح الى ثورة عزالدين القسام ولم تعتبر ان استمرارها هو مهمتها الاساسية » . ويقول ايضا : « ان نضالات هذه القيادات كانت تبلغ ذروتها ضد الاستعمار الانكليزي والوجود الصهيوني المتزايد بأن تسير تظاهرات الاحتجاج وترفع لوائح وعرائض تجمع تواقيع الوجهاء عليها للاحتجاج ضد الامتيازات التي كان يمنحها الانكليز للمهاجرين الجدد من اليهود » .

ان تاريخ الجهاد الفلسطيني الرائع يشهد بعدم صحة مزاعم السيد كركوتي ، وان ما وقع في فلسطين خلال ١٩١٨ ــ ١٩٤٨ من احداث وتطورات واضطرابات وثورات ، يقطع تجاهل الكاتب للحقائق ، وتصميمه على التعريض بالزعامات الوطنية الفلسطينية ! ويجب ان يعلم الكاتب المحترم ، وان يتذكر على الاقل ، ان الانكليز واليهود كانوا يتهمون الحاج امين الحسيني والزعامات الفلسطينية .. باشعال نار الثورات الفلسطينية (وبلغ عددها ١٠ ثورات خلال عهد الانتداب البريطاني) ويحملونهم مسؤوليتها ، وكثيرا ما عرضوهم للاذى والاضطهاد والتشريد والابعاد والنفي والسجن بسبب مقاومتهم لليهود وعصيانهم وتمردهم على الانكليز !

واسترعي انتباه الكاتب المحترم الى ان الدكتور حاييم وايزمن ، زعيم الحركة الصهيونية ، واول رئيس لدولة اليهود في فلسطين المحتلة ، كتب في مذكراته الصادرة عام ١٩٤٩ (عنوانها الخطأ والتجربة) بأنه كان قد تم الاتفاق بين بريطانيا واليهود على اتمام عملية تهويد فلسطين عام ١٩٣٤ ، « لولا المقاومة التي ابداها العرب والاضطرابات والثورات التي اشعل نيرانها امين الحسيني المفتي » .

١٣ ــ ويمعن السيد كركوتي في تحامله على القيادات الفلسطينية .. فيقول : « على الغوري ان يدرك ــ قبل غيره ــ انه منذ اللحظة الاولى لاندلاع ثورة القسام التي تألفت من عناصر كادحة وفقيرة رفضت القيادات الاقطاعية الدينية وأحزاب العائلات الكبيرة الاستجابة لنداء الثورة ، وطالبت هذه القيادات الاقطاعية باعتماد الوسائل السلمية لانتزاع الحقوق الوطنية كالمظاهرات والمباحثات لان « الامور مرهونة بأوقاتها » .. وليس من مصلحة الشعب والبلاد ان يقوم اصطدام جدي مع الانكليز قبل ان تتم التهيئة الكاملة له » . كما جاء على لسان الغوري نقلا عن الحاج امين الحسيني . اني ادرك ما لا يدركه السيد كركوتي ، واعرف ما لا يعرفه ، وان ما اكتبه واسجله هو نتيجة لخبرة وممارسة ومشاركة في الحقل الوطني والجهاد ، في حين انه يكتب ، على ما يبدو ، اعتمادا على انباء وتعليقات سمع بها ، او دعايات

روجها الاعداء ضد الوطنيين وحملات مضللة شنها عليهم ذوو الاهواء والاغراض .

ونسي السيد كركوتي ان الشيخ عز الدين القسام كان (رجل دين) وان منظمته السرية العظيمة بنيت على اسس دينية ووطنية !

اما ما نسبه الى الحاج امين الحسيني من قول « بأن الامور مرهونة بأوقاتها .. الخ .. الخ .. » فهو قول صحيح ، ولكن سماحته (اورده في مناسبة اخرى) ليس له ادنى علاقة بحركة القسام وثورته ! فان الحاج امين وجه هذا الكلام الى فريق من الشبان (كنت واحدا منهم) اجتمعوا بالحاج امين لمباحثته في العمل والتنظيم السري .. الخ ..

١٤ — وينهي السيد كركوتي تعليقه العجيب بقوله: « وعلى بقايا الاقطاع الرجعي الفلسطيني ان تدرك ان قيادات هذا الاقطاع هي التي اجهضت الثورة التي قادها القسام في الداخل بعد ان عجزت عن اجهاضها من الخارج ، وذلك بعد ان ثبتت الثورة المسلحة اقدامها ، وحصلت بالقوة على تأييد الاحزاب الاقطاعية لها » .

ان ثورة القسام بدأت وانتهت في تشرين الثاني ١٩٣٥ ! وعقبتها ثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦ التي اعلنتها منظمة الجهاد المقدس ، بقيادة عبد القادر الحسيني . وهذه المنظمة هي القوة العسكرية الفلسطينية التي نظمها وأوجدها الحاج امين وأسند قيادتها الى عبد القادر الحسيني .

ثم يعود الكاتب المحترم الى الخلط بين الاحداث والاخطاء التاريخية فيقول : « فبعد ثلاث سنوات من الثورة المتصلة (يعني ثورة القسام ..) تمكنت هذه القيادات من محاصرة الثورة واجهاضها بقرار ونداء موجه من الملوك والزعماء العرب بانهاء الثورة اثر زيارة قام بها (نوري السعيد) للقدس في آب ١٩٣٦ واجتمع خلالها بزعامات المدينة الاقطاعية لدراسة الوضع الناشىء عن قيام الثورة المسلحة في فلسطين ، وتولى الحاج امين الحسيني توجيه قرار ونداء الملوك والرؤساء العرب الى الثوار وتنفيذه .. » إلخ .. .

اكرر القول أن ثورة القسام بدأت وانتهت في تشرين الثاني ١٩٣٥ ، وان ثورة الجهاد المقدس نشبت في ايار ١٩٣٦ ، وتوقفت في تشرين الاول ١٩٣٦ ، فمدة الثورتين لم تتجاوز عاما واحدا .. ومع ذلك يقول السيد كركوتي انه « بعد ثلاث سنوات من الثورة .. تمكنت هذه القيادات من محاصرة الثورة واجهاضها بقرار من الملوك والرؤساء العرب .. الخ ..» .

اما زيارة نوري السعيد فقد تمت (للقدس وفلسطين) في مطلع آب ١٩٣٦ ولكنها لم تكن ذات علاقة اطلاقا بموضوع نداء الملوك الذي صدر في ١٢ تشرين الاول ١٩٣٦، اي بعد ١١ شهرا فحسب (وليس ٣ اعوام) بعد نشوب ثورة القسام وانتهائها ..

هدانا الله جميعا الى سواء السبيل .

اميل الغوري

شرف الكتابة
وشرف الموت

« احسست لاول مرة في حياتي بفخر اني كاتب من كتاب القصة العربية القصيرة ، حين استشهد غسان كنفاني . فحياته التي انتهت هكذا ، انتقل من حيث الكتاب ، الى حيث الابطال وكان اول كاتب قصة يفعل هذا ، بل ، بالادق اول كاتب في كل تاريخ ادبنا العربي يعيش قضيته الى حد الشهادة احسست بفخر اني انتمي لغسان وانه من نفس جيلي . وان تاريخ الكتابة العربية، الكتابة ، وليس صفة الكتابة ، سيبدأ من هنا .. المرة الثانية التي احسست فيها بالفخر اني كاتب، حين تفضل الاصدقاء وعهدوا الي بكتابة هذا التقديم لقصص غسان كنفاني القصيرة الكاملة ... انه شيء لا أحس له بفرحة ، انه شيء يجعلني احس بتشريف اعتقد اني غير جدير به . من أنا حتى اقدم كاتبا ، رفع من الادب العربي كل عاره وغسل بدمه تقاعس مئات السنين ؟ من أنا ، وماذا فعلت للقضية كي اقدم كاتبا فعل من أجلها ما أصبح في عداد الاساطير ؟

... وهناك النهاية ، تلك التي لم يكتبها غسان في قصصه القصيرة او الطويلة ، فنهايات مثل تلك لا تكتب . لقد ظل يكتب حتى بلغ الحد الاعلى للكتابة ، حتى لم يعد هناك ما يكتب . وهكذا كان لا بد للنهاية ان تكون عملا فوق الكتابة . وفوق آماد التصور وفوق الخيال . كان لا بد أن تكون (العمل ، الشعر) او الاستشهاد ارقى واعظم وانبل مراحل اي عمل فني او انساني على الاطلاق » .

بهذه الكلمات قدم يوسف ادريس للمجلد الثاني من الاثار الكاملة لغسان كنفاني . يضم هذا المجلد جميع مجموعات القصص القصيرة التي كتبها كنفاني . « موت سرير رقم ١٢ » ، « أرض البرتقال الحزين » ، « عالم ليس لنا » ، « عن الرجال والبنادق » . كما يضم مجموعة جديدة قديمة ، هي عبارة عن جمع لبعض القصص القصيرة التي نشرها كنفاني ، في فترات متفاوتة في الصحف والمجلات العربية ، ولم تضمها مجموعاته القصصية . في هذه المجموعة « وقصص اخرى » نعود الى الجو المتوتر الذي تخلقه كتابة كنفاني . فرائحة الدم الحار الذي يخرج من جنبات وشرايين سعيد الحمضوني في قصة « المدفع » ، تعيدنا الى فلسطين الحلم الذي لا يموت ، هذا الحلم لا ترويه الدماء وحدها ، بل يرويه عطش الشرايين الى الالتحام بفوهة المدفع . عطش الانسان الى الارض ، ليس عطشا رومانسيا . فالتحدي المأساوي ، يحيل الفلاح ، الى تاريخ كامل ، والقصة لا تصبح مجرد عملية جمع لمجموعة من الابطال المرتبطين بموضوع محدد. بل تتحول الى رؤيا تاريخية كاملة . يمتزج فيها التوتر بالحنين ، امام فوهة المدفع ، او امام شرايين الاشجار . وهو في قصة « البطل في الزنزانة » لا ينقل لنا هم رياض وحده ، بل ينقل هم العلاقة بين القصة والواقع . فالواقع اكثر غنى وتعقيدا من الخيال . وعذاب الخلق المتكامل بصيرورة العمل التاريخي لا يخرج الا من ذروة النضال .

وكما اكتشف يوسف ادريس في مقدمته « ان الموضوع الواحد ، يمكن ، في يد الكاتب الصادق الملهم (قيمة) يستخرج منها مائة سيمفونية ومائة كتاب بحيث ايضا ، كل سطر من هذا الكتاب ، كل حرف ، من الممكن ردها مباشرة الى هذا الموضوع الواحد » فان ضياء العزاوي اكتشف هو الاخر ، كيف يستطيع الموضوع الواحد ، ان يستحيل الى خطوط ، أشكال تتغلغل في الرؤيا الفنية ، وتشارك كنفاني رحلته الى جسد فلسطين .

الموت الاول ...

« امضي الى غايتي
واعيني مغمضة
احمل في صرتي
خبزي ومجد ابي
وسيفي الابيضا »

بهذه الكلمات يفتتح عصام محفوظ كتابه الشعري الجديد « الموت الاول » ، فهو يحمل سيفه الابيض ليمشي بلا غاية وعلى رأسه تاج من الرماد . يعيد محفوظ تبويب دواوينه السابقة ، ليصل الى « الموت الاول » ، حيث لا قدرة على الشهادة ، سوى من طرف العالم ، من زاوية ضيقة مليئة بطعم الحصار . يقطع صوت الشاعر صوت الموت ، ولا وسيلة للوصول الى جسد الحبيبة سوى التلاشي امام عتبة الباب ، حيث يكثر المتفرجون ، على اخر مشاهد المسرحية .

يسير عصام محفوظ في تطوره الشعري ، ضمن خط بياني ، يبدأ بالايجاب ، — الالتفات نحو المشاكل اليومية — وينتهي بالسلب . وقصيدته في تطورها من المباشر ، الى الحلم الرمزي ، تصطدم بالسلب ، ولا تستطيع ان تقيم بينه وبين الايجاب نقطة تقاطع صراعية . لذلك تنحل اللغة في نسيج من الرؤية ، الذي ، حين يندمج بالحلم ، يتساقط على بوابة العالم ويداه تنزفان ولا وصول .

لم يخض عصام محفوظ رحلته هذه وحيدا . فلقد كان الطموح الاساسي لمجلة « شعر » هو محاولة دخول اوروبا على جواد عربي ، لكن الجواد ، ما لبث ان سقط في منتصف الطريق ، ودخل الشاعر عاريا من لغته ، ليكتشف العودة الى الموت لان الدخول ، دون انفجار الواقع العربي وتحوله، يبقى دخولا مستلبا ، وغير قادر على صنع مزيج جديد من الطموح والارض الواقعية .

واذا كانت « زليخة » بما تحمله من رائحة الارض، ورائحة الجسد ، تشكل محاولة الامتداد الرئيسية في شعر محفوظ صوب العالم ، وصوب علاقة الجسد بالارض ، المندمجة في سياق الحلم ، فان قصائد « الموت الاول » هي شهادة على استحالة هذه العلاقة لا سيما في قصيدتي : « فاصل احتفالي » و« القصيدة ذات الصوتين » :

— « لماذا لا تسمعني ؟ لماذا لا يسمعني احد ؟ سأقول لكم كل شيء

— لم يبق من دمك سوى قطرات . قل الكلمة اسرع

— العالم ينزلق على اطراف اصابعي سأقول الكلمة . ذلك من حقكم ؟

— اسرع . اسرع . اسرع .

— سأقول لكم . »

هكذا تنتهي القصيدة امام استحالة الحوار ولا معقوليته ، رغم ان الشاعر ، يستعين بقاموس الحب القديم ، ويعود الى المزامير وقصائد سليمان . لكن استحالة العلاقة ليست استحالة مجانية ، انها استحالة موضوعية كاملة . فالبقاء خارج الصراع ، ودخول اوروبا ، بعد ان سقط الجواد ، يفضي الى احساس عدمي ، يدمر الذات دون أن يمس الموضوع .

غير أن عصام محفوظ ، عندما تصدى لاعادة اختيار وجمع قصائده القديمة ، بعد أن أضاف اليها قصائد « الموت الاول » . انما ينطلق من زاوية مختلفة في تقييم دوره الشعري ودور مجلة « شعر » : « عبر تاريخنا اللغوي ، وهو جزء من تاريخ العالم كل عصر يمضي ، يأخذ معه تشابيه واستعارات وصورا ميتة ، وكل عصر يأتي يجلب معه تشابيه واستعارات جديدة اكثر تعقيدا وأشد غرابة بين المشبه والمشبه به في اللغة اليومية . ولغة الشاعر هي دائما طليعة هذا التغيير » . هذا الاصرار على تغيير مدلول الكلمات، واحداث ثورة في اللغة ، لم يقف الى جانبه اصرار اخر على تغيير العالم ، على الاندماج ضمن حركة تغيير جذرية للواقع العربي الذي يعيش الشاعر في وسطه . بل كان الشعر امتدادا مستقبليا ، يفتقد ارض المستقبل الواقعية . لذلك انحل الى الموت عند محفوظ . وانعطف نحو راحة الحب المتزاوج مع اسطورة المرأة بعد مزجها بالتوتر كما عند انسي الحاج . واصطدم يوسف الخال بجدار اللغة . فصمت . واذا كان لتجاوز ادونيس تجربة مجلة « شعر » من معنى ، فانه يقع في قدرة ادونيس على التغلغل في التراث والواقع في سبيل تدمير الواقع واعادة بنائه .

ان بيروت لم تكن هي التي نضج عليها الشعر الحديث . كانت فقط ، جسرا للتواصل العدائي

مع حضارة الغرب الامبريالي هـذا التواصـل العدائي ، هو الذي يشكل مفترق التحدي في حياتنا الثقافية .

غير أن مدرسة مجلة « شعر » . وان لعبت دور الجسر ، فان لعبور الجسر ، او حتى تدميره، وبناء تواصل داخل منطق الصراع ، لـذة ، وتجليات ابداعية ، استطاع فيها عدد محدود مـن الشعراء ان يرسموا لوحة صادقة وعميقـة

الدلالات عن الالم الكبير الذي يعتصر ادبنا فـي مواجهة التبعية الامبريالية امام واقع لم تنضج فيه الثورة بل بقيت اندفاعات ترتد عن الجـدار وان احدثت فيه بعض الفجوات العميقة .

ان ديوان عصام محفوظ ، هو دعوة الى التأمل. دعوة الى اعادة تقييم مرحلة كاملة في حياتنـا الادبية ، تميزت بالحركية والصراع . وان كان تجاوزها هو المخرج الوحيد لانقاذها تاريخيا .

مساهمة جامعية

ما هي مهمات النقد الجامعي ؟ . وكيف يستطيع هذا النقد المساهمة في بلورة منـاهج البحـث الاكاديمي وتطويرها ؟

على هذا السؤال حاولت كلية التربية في الجامعة اللبنانية ببيروت ، الاجابة ، باصدارها مجلـة « دراسات في الاداب والعلوم الانسانية » . لكن الجواب ، بقي سؤالا . لان العدد الحامل تواقيع ستة من كبار الكتاب : ادونيس ، ميشال عاصي، علي شلق ، ريمون طحان ، كمال يازجي وناصيف نصار ، قدم ببحوثه المختلفة اجابة عادية . فمهمة النقد الجامعي ، يقيب عملا لا يختلف عن بقيـة فروع النقد من حيث المبدأ الاساسي . سوى في بعض الفروقات الهامة التي لا تمس نوعية توجه هذا النقد ، بل تتعاطى مع شكله ، رصانته ، وهدوئه . أي أن النقد الجامعي الذي قدمه العدد الاول ، لم يمس المسألة الاساسية التي يوفرهـا التفرغ الاكاديمي ، مسألة مناهج البحث، والقدرة من خلال الدراسة الهادئة والرصينة على اكتشاف معادلات نظرية جديدة ، تشكل تقدما في اطـار البحث العلميفي ميداني الاداب والعلوم الانسانية. ان هذه الملاحظة ، لا تريد ان تكون مجرد نقد سلبي ، لعمل لا يزال في بداياته ، لكنها تريد ان تضع حدا فاصلا ، بين النقد العادي . شرح النصوص والتعليق عليها . اضافة بعض الجوانب التاريخية المهملة . دراسة التراث العربي على اساس بعض النماذج المتطورة للنظريات الجمالية في الغرب ، وبين النقد الخلاق ، الذي يستطيـع عبر قراءة جديدة للعصور التاريخية المختلفة ، اضاءة جانب البحث النظري الذي يـؤدي الى اكتشاف ارض ملبة ، تحد من اثار البابليـة النقدية التي نعيشها .

لقد استطاعت ابحاث هذا العدد ، ان تقدم مساهمات ايجابية . وهي وان لم تطرح الاسئلة المنهجية بشكل رئيسي فقد قدمت بعض المساهمات الاساسية . استطاع ميشال عاصي ان يرصـد اكثر النقاط اهمية في بحثه « البلاغة في جماليـة الجاحظ » اذ عاد الى تقييم النتاج البلاغي عند الجاحظ ، وربطه بمجمل تاريخ علم الجمال عند العرب . وقدم ريمون طحان في بحثه « اللغـة العربية في اساليب المنتفعين بها » بحثا متكاملا عن معنى الشعر والنقد وعلاقتهما بميدان التعبير الفني عند العرب . ويكرر ادونيس في « خواطـر حول مفهوم الحداثة . مدخـل لدراسـة عصر النهضة » فهمه لاصول التحول في الشعر التـي تعود الى العصر العباسي ، والتي تترافق مـع تعاظم دور المدنية ، والاثر الكبير الذي احدثته الانتفاضات الثورية في الاسلام وهو في بحثه يصل الى نقطتين هامتين الاولى هي أن المهم في دراسة الشعر العربي في القرن التاسع عشر والربـع الاول من القرن العشرين انما هو تحديد معنـى الحداثة والثانية هي ان التحديد يجب أن يتـم بالقياس الى مشكلات الحداثة والقدم في الشعـر العربي نفسه ، لا بالقياس الى هذه المشكلات في الشعر الاوروبي او غيره . » اما ناصيف نصار فانه في تحليله للمدرستين الاجتماعيتين الرئيسيتين في الفلسفة العربية المعاصرة . يوسف كرم وزكي نجيب محمود ، يصل الى استنتاج رئيسي : « ان السؤال الاساسي الذي تطرحه الوضعية الحضارية الجديدة في العالم العربي المعاصر ، على الوعـي الفلسفي الاصل هو اذن السؤال عن تـاريخية الوجود الانساني . واننا نستطيع الافادة الى أبعد الحدود من تاريخ الفلسفة لكي نحاول الاجابة عنه وندخل في الفلسفة لكن ينبغي ان نربط ربطا

محكما ، البحث في تاريخية الوجود الانساني ، واعتبار وضعيتنا الحضارية المتميزة ، لان الهدف انما هو الكشف عن القيم التي يجعلنا الالتزام بها نساهم نحن فعليا في تحقيق الانسان الكامل ».

ان الهدف الرئيسي من ملاحظاتنا حول هذا العدد الاول من مجلة « دراسات » هو الوصول الى نقطتين :

١ — التمييز النهائي بين الكتابة الوصفية — المعيارية وبين الكتابة العلمية .

٢ — التركيز على الدور الخاص الذي يستطيع العمل الجامعي ان يلعبه في اطار الدراسة العلمية .

صراع على ارض التراث

يحاول هادي العلوي في كتابه « في الدين والتراث » ان يعيد النظر في بعض الظاهرات التراثية ، ملقيا عليها ضوءا تحليليا ، يريد به ، ان يعيد منهم التراث العربي من منظور نقدي عريض ، على أساس المنهجية الماركسية ، والكتاب يضم سبعة ابحاث تتناول بعض جوانب التراث العربي من خلال انعكاسها على حياتنا الثقافية . يميز العلوي في بحثه الاول « الاسلام والاستعمار الثقافي » بين الدين والتراث ، منتسبا الى التراث . « فثقافتنا لا تستطيع الانفصال عن التراث الفكري للاسلام . وطبيعي اننا اذ نذكر التراث ، نقصد العناصر التقدمية فيه » . لكن الكاتب لم يستطع ان يحدد بشكل دقيق ومفصل ماذا يعني بالتراث وكيف نستطيع الوصول الى التمييز بين عناصره التقدمية وعناصره الرجعية . هذه العمومية ، وعدم تحديد الالفاظ ، يقللان كثيرا من طموح الكتاب ، الذي هو في موضوعاته محاولة جدية لدراسة احد اهم المجالات المركزية ، التي يدور حولها الصراع في الوطن العربي .

اما البحث الثاني « تشريع الاستبداد ونشوء البيروقراطية في الاسلام » ، فانه اهم بحث في الكتاب . لانه يحاول ان يلاحق قضية الصراعات التي عصفت بالعالم الاسلامي منذ نشوء الاسلام حتى اواخر العصر العباسي حول مسألة الشورى ومفهوم الديمقراطية. وهذا البحث مليء بالمعلومات الواسعة حول هذا الموضوع ، وهو يعود الى المصادر الاولى في درسه لقضية تشريع الاستبداد، لكنه يتوقف عند حدود البنى الفوقية وحدها ، دون ربطها بقاعدتها المادية . ان ملاحظتنا هذه لا تعني استحالة او عدم مشروعية دراسة البنى الفوقية عبر عزلها عن بقية مستويات نمط الانتاج غير انها تتطلب دراسة مسبقة تحيط بنمط الانتاج الذي تدرسه ، حتى تستطيع عملية عزل البنى الفوقية البقاء مرتبطة بالمستوى الاقتصادي . ان هذا البحث على اهميته البالغة بحث اولي بحاجة الى استكمال عناصره الاخرى .

يعيد العلوي في البحث الثالث « تحريم كنز الاموال اسراره ومتعلقاته » تثمين الدور التقدمي الذي لعبه ابو ذر الغفاري في العهد الراشدي وهو هنا يعيد دراسة قضية تحريم كنز الاموال — التي اثارت جدلا واسعا في الاسلام — من منظور الايجابيات التقدمية في التراث العربي . يعود بنا، الى العهد الراشدي حيث يقوم بتحليل دقيق للدوافع والظروف المختلفة التي احاطت بتفسيرات آيتي العفو والكنز .

ويتصدى في بحثه الرابع « الفكر العربي من وجهة نظر استشراقية » للمستشرق هاملتن جب في كتابه « المدخل في الادب العربي » والنقد الرئيسي الذي يوجهه الى هذا الكتاب يتمثل في نقطتين :

١ — احتقار جب للقارىء العربي « الغيبي » امام عقلانية القارىء الغربي « العصري » ويظهر هذا الاحتقار بشكل واضح في طريقة تعامله مع التراث العربي .

٢ — الفهم الخاطىء للكثير من الظاهرات الادبية. يعيد العلوي هذا الفهم الى عدم قدرة المستشرق الذي يعمل بعقلية استعلائية على التغلغل داخل العقل العربي واستنطاقه ما يقوله فعلا .

وتقوم الابحاث الثلاثة الاخيرة بالتركيز على نقطتين:

١ — مهاجمة الطريقة التي يستغل فيها الايمان في الوطن العربي . هذه الطريقة التي تخدم بشكل مباشر الطبقات الاكثر رجعية .

٢ — دراسة سريعة لاثار الشاعر الاموي الكميت بن زيد . .

ان اهمية كتاب هادي العلوي — رغم ان مجموعة مقالات متفرقة نشر بعضها في المجلات العربية — تكمن في طرحه للموضوع من زاوية تقدمية . فالمعركة على ارض التراث العربي ، هي جزء هام

من المعركة الايديولوجية التي تخاض الان على جميع المستويات . فبعد هزيمة حزيران ، اصبح التراث ميدانا واسعا لمعركة ايديولوجية يريد بها الفكر اليميني استعادة جميع مواقعه التي فقدها في السابق . من هنا فان هادي العلوي ، بطرحه بعض الملاحظات الاساسية حول العلاقة بالتراث على ضوء المنهجية الماركسية يكون قد حاول دخول حلبة الصراع هذه .

التفسير والنقد

بعد كتابه النقدي الاول « لعبة الحلم والواقع — دراسة في أدب توفيق الحكيم » يعود جورج طرابيشي في كتابه الجديد « الله في رحلة نجيب محفوظ الرمزية » الى النقد الادبي . فبينما حاول في كتابه الاول ان يقوم بعملية تحليل واسعة لادب الحكيم ، فانه يقوم في كتابه الجديد ، بقراءة جديدة لادب نجيب محفوظ . انطلاقا من روايته « أولاد حارتنا » والقراءة الجديدة هذه ، تريد التركيز على نقطة محددة ، كيف فهم نجيب محفوظ مسألة الله وعلاقته بالبشر في انتاجه الروائي الاخير ؟

١ — **الفصل الاول** : « نجيب محفوظ يعيد كتابة تاريخ البشرية » . وهذا الفصل هو مناقشة لرواية محفوظ الملحمية « اولاد حارتنا » حيث يرى الناقد أن رحلة محفوظ في كتابته لتاريخ البشرية تتمحور حول فهمه لعلاقة الانسان بالله ، التي تصل في نهاية الرواية الى التوفيق بين الجبلاوي وعرفه (الله والعلم) . ولقد استطاع طرابيشي ان يلتقط اكثر النقاط اهمية في هذه الرواية — عدم قدرة محفوظ على الارتفاع في معالجته لمسألة النبوة الى مستوى الواقع التاريخي بل بقي مقصرا دونه —

٢ — **الفصل الثاني** ويحمل عنوان الكتاب . وفيه يحاول طرابيشي دراسة قصة « زعبلاوي » في مجموعة « دنيا الله » وروايات « الطريق » ، « الشحاذ » ، « ثرثرة فوق النيل » ومجموعة « حكاية بلا بداية ولا نهاية » من منظور واحد . فهو يعتبر ان القضية المركزية في هذه الروايات والقصص هي استمرار لبحث محفوظ المضني في « اولاد حارتنا » عن موقف واضح من مسألة الله . يلتقط طرابيشي المفاصل الرئيسية لهذه القصص التي تجمعها قضية مركزية — البحث عن شيء غير موجود ، وهو القادر على اضفاء السعادة على الباحث عنه — وهو عبر التقاطه لتنوع الاسماء وتشابهها « جبلاوي وزعبلاوي » وللقضية التي يجري عنها البحث . الاب في « الطريق » ، « السعادة في « الشحاذ » ، ومسألة الصراع بين العلم والايمان في « حكاية بلا بداية ولا نهاية » ليستنتج أن هذه الاسماء والقضايا ، هي تنويعات لقضية واحدة ، قضية العلاقة بين الايمان والعلم والموقف التوفيقي الذي يصل اليه محفوظ في مواجهة هذه المسألة .

ان النقطة المركزية التي ينطلق منها تحليل طرابيشي نقطة بالغة الاهمية ، ويمكن الدفاع عنها . فمحفوظ يعلن بلا مواربة في « حكاية بلا بداية ولا نهاية » اصراره على متابعة الخط الذي انتهجه في « اولاد حارتنا » غير اننا في رواية « الشحاذ » على سبيل المثال ، نرى آثار هذه المسألة . لكنها هنا تختلط بمركب اجتماعي بالغ التعقيد ، وتصبح في الواقع مسألة ثانوية أمام الازمة العامة التي تعصف بالبرجوازية ، أزمة عدم قدرتها على الانتاج وافتقادها بالتالي لتوازنها الاجتماعي ، فمحمد الحمزاوي ، بعد أن نسي تاريخه النضالي افتقدت حياته القدرة على الاتصال بالاخرين فأقام بينه وبين ماضيه ، بين ممارسته الاجتماعية ووعيه لهذه الممارسة ، حاجزا كثيفا ألغى امكانية التواصل ، وجعله يحترق وحيدا بحثا عن ذاته الضائعة .

ان تركيز طرابيشي على جانب واحد من مسألة أدب نجيب محفوظ البالغة التعقيد ، قد أهمل اطار العلاقات الاجتماعية في البيئة البرجوازية الصغيرة والمتوسطة التي منها يستقي محفوظ مسار رواياته . من هنا فان التركيز على مسألة الله ، دون ربطها بالمسألة الاجتماعية . هذا الربط هو في راينا النقطة التي استطاع محفوظ ان يطورها بشكل مركب في روايتنا المعاصرة . ينقد البحث النقدي نقطة بالغة الاهمية ، اذ يحيله الى تفسير من طرف واحد لعملية الكتابة الادبية .

اشكال .. اشكال

تواجه القصة العراقية ، ولاول مرة في تاريخها الادبي ، موضوع الشكل القصصي بجرأة نادرة . فبعد قصة الاديب المصري صنع الله ابراهيم « تلك الرائحة » التي حاول فيها ان يبني بناء قصصيا من خلال رصد الواقع ودراسة تفاصيله ضمن بنية الانسان الذي لا حدود لعلاقته بهذا الواقع ، حاول فاضل العزاوي في روايته « مخلوقات فاضل العزاوي الجميلة » ان يقيم بناء روائيا دون الحاجة الى الحدث . فالرواية وأبطالها ، هي مجموعة انفعالات وأحلام ورؤى تنغرس جميعها على صفحة الوعي لتشكل هذه المخلوقات . واذا كان العزاوي في روايته الثانية « القلعة الخامسة » قد عاد الى شكل قريب من الشكل الحدثي المليء بالتداعيات والاحلام . فان جمعة اللامي حاول في قصته القصيرة « وثائق للاحشث » — الطريق حزيران — تموز ١٩٧٣ — أن يرسم قصته رسما ، مستعينا بالكولاج والشكل اللغوي عند ابولينير . « هناك اساليب فقط لان كل الاشياء هي كالدائرة . فانه من الغباء البحث عن يقين نسبي يمكن الاطمئنان اليه كثيرا . ولربما تكون الاعوام القادمة ، هي الاعوام التي يكون فيها الشكل قابضا على المضمون بشكل أكيد . ان الكرسي ليس هو الشكل أو الحيز بقدر ما هو الوظيفة كذلك . وهذه أشكالي ، هي تسطيح لكل الاشياء والعلاقات وتقديمها محنطة كأنها تطل علينا من زمن بعيد . اني أكتب هكذا لان اللغة الحالية خائنة ومزورة وفقدت قدرتها على التعبير . من المستحيل نقل « كلمات الزمن » الا من خلال اشكال تقريبية . ترى هل قادر على توجيه ما أريد من خلال هذه الاشكال » .

واذا كانت محاولات الشعر دخول لعبة الاشكال الابولينيرية ، لا تزال في بدايتها ، وتطرح العديد من علامات الاستفهام حول قدرة الشكل على اعادة صياغة الكلمة حيث يأتي المعنى بالغ التوتر وغير قادر على الانسكاب في صور شعرية . فان اللوحات المتتالية التي يريد بها جمعة اللامي نقل قضيته ، عبر محاكمته السريعة للغة ولحدود امكانيتها ، تجمد حركة الاستدارة في القصة . فالذي يبدو من خلال اللوحات الاربع التي يعرضها اللامي هو أربعة منعطفات ، كان بامكانها ان تتشكل تشكلا محوريا لتعطي ايصالا مباشرا . لكن الذي نراه هنا ، انما هو تجميد للحظات شعورية متتالية قبل قدرتها على النضوج والتشكل حدثيا . بل تبقى وكأنها صرخة تستعمل ايقاعات جديدة .

ان البحث عن الاشكال الجديدة ، هو بحث ضروري . لكن العلاقة بين الشكل والمضمون — اذا صح ان هناك امكانية للتمييز الفعلي بينهما — تبقى هي السؤال . فاحتراق اللغة في الشكل الجديد يفترض احتراقا وترميدا للمعاني القديمة . للرؤيا الماضية . وهنا تقع ازمة القصة العربية التي لا تزال تراوح في النسيج الحدثي ، واذا تجاوزته ، فالى التداعي دون قدرة على اختراق جدار التواصل مع قوى التغيير الجذرية .

الياس خوري

مقابلة جديدة مع اسرائيل شاهاك

هذه ترجمة لمقابلة عقدت مع السيد اسرائيل شاهاك ، رئيس جمعية حقوق الانسان الاسرائيلية السابق ، اجراها صحافي اجنبي زاره في تل ابيب منذ عدة أشهر وخص شؤون فلسطينية بنص المقابلة .

ما هي الاسباب لقيام جمعيتكم ؟

السبب يتلخص في ضرورة الاحتجاج ضد انتهاك حقوق الانسان في اسرائيل والاراضي المحتلة . وأنا ارجو مخلصا ان تقدم احتجاجات مشابهة من كل انحاء العالم ضد هذه الانتهاكات التي أصبحت في منتهى الخطورة . واريد أن اشير هنا الى ان من الطبيعي جدا الا يوافق حزب العمل الاسرائيلي ، الحزب الحاكم ، ان يحتج جهاز مستقل على اعماله .

ما هي الاشياء التي تحتجون ضدها بالضبط ؟

في قرية الطيرة ، على سبيل المثال ، يسكن رجل اسمه عثمان ابو راس ، وهو مواطن عربي اسرائيلي . ومنذ ١٦ سنة يمنع هذا الرجل من مغادرة قريته دون ان توجه له أية تهمة او يقدم لاية محاكمة . كل ما في الامر ان الحاكم العسكري للمنطقة قد أصدر اوامره بذلك بناء على تعليمات من البوليس . وخلال كل هذه الفترة لم يسمح له بمغادرة القرية الا في مناسبتين ، الاولى لمرافقة زوجته المريضة الى الفحص الطبي في مدينة مجاورة ، والثانية لحضور حفلة زفاف صديقه اليهودي في تل ابيب . منذ ١٦ عاما وهذا المواطن يمنع من مغادرة قريته دون أن يقدم لاية محاكمة او توجه اليه أية تهمة ، واريد هنا ان اوجه سؤالي الى كل من يهمه الامر : الا يجب الاحتجاج امام كل العالم ؟ نعم . في رأيي انه يجب الاحتجاج ومحاربة مثل هذه الظاهرة . شخصيا سأواصل الاحتجاج حول هذه الحالة وما شابهها وسأرفع صوتي متوسلا بكل الاساليب التي اقدر عليها . سأتذكر مثالا آخر . علمت بأنباء مؤكدة بأن مواطنا اسرائيليا آخر اسمه شوقي الخطيب كان قد اعتقل قبل عدة اسابيع اشتباها بأنه جاسوس . وخلال وجوده في الموقف عذب وحرق عضوه الجنسي . علمت بذلك من سجين آخر اسمه رميل ريفنه وكان قد جيء اليه بشوقي الخطيب ليتأثر بجروحه وينقد متاومته منهارا . الان اذا وصلتني مثل هذه المعلومات اليس من واجبي ان احتج واقدمها لكل العالم ؟ نعم ان واجبي يدعوني لفضح مثل هذه الاشياء امام كل العالم . وحين أفعل ذلك فأنا اكشف عن مصادر هذه المعلومات. فالسيد رميل ريفنه وزوجته من معارفي الذين أثق بهم وقد اعلماني بهذه الحالة لاكشفها للعالم . أن رأي حزب العمل الاسرائيلي الحاكم ، انه اذا كان ولا بد من الاحتجاج ضد مثل هذه الامور فمن الافضل ان تعلن هذه الاحتجاجات في بلدان تستخدم مثل اساليب التعذيب هذه .

هذه الحالات ، اهي فريدة من نوعها ؟

انها ليست فريدة من نوعها اطلاقا ، هناك حالات كثيرة منها ، مئات عديدة ، بل عدة الاف منها . فبدون أية محاكمة تحدد اقامة العديد من الاسرائيليين العرب وتحدد تنقلاتهم ضمن قراهم او منطقة معينة حولها . وهذه حالة اخرى من التي نحتج عليها . نايف سليم عربي اسرائيلي من سكان قرية بقعين [البقيعة] ، كان جنديا في الجيش الاسرائيلي وخدم كأحد افراد حرس الحدود . والان بعد ان غير آراءه السياسية ، او على الاقل عبر عن رأيه السياسي الذي هو حق قانوني له ، حددت اقامته ضمن قريته . ولان هذا الرجل كان يمارس عمله في مدينة عكا المجاورة ، فقد

أدى ذلك الى فقدان عمله وأصبح اطفاله الخمسة بدون مصدر لعيشهم . هذه ليست حالة مؤقتة او عرضية . بل انها اشبه ما تكون بسيف ديموقليس مسلط على رؤوس كل عرب اسرائيل. ان أي من عرب اسرائيل يمكن ان يجد نفسه غدا في وضع نايف سليم او عثمان ابو راس .

هل تعني ان لا حاجة للقوانين التي تجعل العرب معرضين لهذه المعاملة ؟

كان هذا القانون ، في الواقع ، قانونا بريطانيا وضع اصلا ضد اليهود ويسمى « قانون الدفاع لسنة ١٩٤٥ » ، وبموجبه يخول الحاكم العسكري اصدار الاوامر ضد كل المواطنين — ولكنه في الممارسة موجه ضد كل عرب اسرائيل — والاوامر تتراوح بين تحديد الاقامة والقاء القبض والتوقيف والسجن والابعاد وأي من الاجراءات الاخرى دون ان توجد أية وسيلة قانونية للتدخل ضد احكام هذا القانون ، كما هو الحال في وضع السيد نايف سليم .

ما هي الامور التي تقع في الاراضي المحتلة وتحتج منظمتك ضدها ؟

اشياء عديدة نحتج ضدها ، وقبل كل شيء اجراءات تحديد الاقامة والتوقيف والسجن بدون تهمة والتعذيب ، وهي نفس الاجراءات التي تمارسها السلطة داخل اسرائيل . تجدر الاشارة هنا الى ان التعذيب يمارس في قطاع غزة اكثر مما يمارس في البقاع الاخرى من البلاد . هناك اجراءات اخرى تقتصر ممارستها على المناطق المحتلة . ففي « اسرائيل » يمكن احتجاز الافراد في السجن بدون محاكمة ويمكن اجبارهم على الاقامة في محل دون آخر دون ان يمكن نفيهم الى خارج « اسرائيل » . أما في المناطق المحتلة منذ ٦٧ فهناك مئات من حالات الابعاد ، وتشير المعلومات المتوافرة لدينا الى ان هناك ١٤٨٢ حالة ابعاد الى الاردن . وتكون الدوافع المسببة للابعاد ، في العادة ، بسيطة للغاية ، فالمعارضة الفكرية سبب مألوف جدا . ويتم اجراء الابعاد بكل سهولة ، فعادة يجيء البوليس في الساعة الثالثة فجرا الى مسكن شخص ما ويمهله نصف ساعة لاستبدال ملابس النوم وحزم حقيبة صغيرة ثم يؤخذ هذا الشخص الى الحدود الاردنية جنوب البحر الميت ، ويبعد من هناك دون ان يقدر على العودة . علما ان هذا كله يتم دون أية تهمة او محاكمة اطلاقا .

ولكن السلطات تقول بأن هذا الاجراء ينفذ « لمقتضيات الامن » ؟

لا ... اذا كان هذا هو السبب فلماذا لا يقدم الشخص المعني للمحاكمة ويعطى فرصة الدفاع عن نفسه ، ولا تنس ان كل ما عمله هتلر كان لاسباب تتعلق بالامن . وشخصيا لا اقبل بأية سلطة تنصب نفسها مدع وحاكم وجلاد في آن واحد . وعلى أي حال من الاحوال فان النفي والابعاد عقوبة لا يجب اللجوء اليها اطلاقا . اذا ارتكب امرؤ ما مخالفة فيمكن معاقبته بالسجن، اما اذا ثبتت الخيانة العظمى عليه فيمكن اصدار حكم الاعدام بحقه . النفي عقوبة أسوأ ، لانها تفصل الانسان عن وطنه وتعزله عن عائلته ، اضافة الى انه يحرم من حق الدفاع عن نفسه . اذا نفي شخص ما الى الاردن ما الذي يقدر عمله ؟ ... لا شيء .

ما رأيكم بالمستعمرات والاستيطان اليهودي في المناطق المحتلة ؟

ان اقامة المستعمرات مسألة سياسية لذلك سوف لن اتطرق للاجابة على الموضوع ، علما بأنني شخصيا ضد هذه الاجراءات . ولكنني اعتقد بأن اجراءات مصادرة الاراضي توجب الاحتجاج ، اذ ان بنود اتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩ تحدد تصرفات القوى العسكرية المحتلة وتمنع بشدة مصادرة الاراضي لاغراض مدنية . واعتقد ان كل الاعراف الدولية تمنع مثل هذه المصادرات . واكرر هنا بأنني شخصيا ضد هذه المصادرة كما انني اعارض انشاء المستعمرات اليهودية في المناطق المحتلة . واذا ما قيل انه من حق اليهود ان يقيموا في الخليل مثلا ، فانه يجب في نفس الوقت ان يسمح للعرب ويكون لهم حق الاقامة في يافا مثلا . وتجب الاشارة هنا الى نقطة اخرى ، الا وهي ان اليهود الذين يستوطنون الخليل لا يعملون ذلك بمحض ارادتهم ، انهم يستوطنون بمساعدة الحكومة . فاذا كانت الحكومة تبني الشقق السكنية على اراض محتلة في الخليل ، فيا ترى لماذا لا تعمل هذه الحكومة نفس الشيء بالنسبة للعرب وتبني الشقق السكنية لهم في يافا ؟ فاما ان يكون الاجراء هذا ساريا او ماثما على كلا الطرفين . وشخصيا اعتقد بأن المساعدة على اقامة المستعمرات هو اسوأ ما يمكن ان يحدث لعرقلة السلام . واكثر

من ذلك اعتقد انها اسوأ من حالات التعذيب التي سبق ذكرها ، اذ ان التعذيب قد يقع في حـــالات وجود ما يهدد الامن ولكن ابعاد اناس عن ارضهم واحلال اناس اخرين غيرهم بمحلهم اعتبره اكثـــر خطورة اذ انه يمثل نهجا وسياسة مدروسة .

مبادؤك هذه راديكالية رغم انك لست ماركسيا ولا اشتراكيا . حكومتك التي يفرض فيها ان تمثل نوعا من الحكم العمالي او الاشتراكي هي دون هذا الموقف الراديكالي . كيف تفسر ذلك شخصيا ؟

في رأيي ، حين لا يكون الاشتراكيون راديكاليين في نفس الوقت فانهم يكونون أسوأ من غيرهم بكثير . والقرن العشرون مليء بالامثال — انواع مـــن المجموعات التي تسمي نفسها اشتراكية وتتباين بأشكالها ، ولكنها حين لا تكون ليبرالية في نفس الوقت فانها تكون أسوأ من الرجعية بأشواط . ان العامل المشترك بين البشر يجب ان يكـــون ايمانهم ببعضهم كبشر بغض النظر عـــن العنصر والقومية والدين . هل من المعقول ان يتمتع المرء بحقوق معينة لانه يؤمن بقومية معينة فقط ؟ وهل من المعقول ان يكون مولد شخص عن ام يهودية ام غير يهودية عاملا فاصلا ؟ ان رئيسة الوزراء غولدا ماير من الوقاحة ان تقول بأنها مهمومة الليالي لانها تفكر متسائلة عن عدد الاطفال اليهود وعدد الاطفال العرب الذين يولدون كل يوم ... وهي تسمي نفسها اشتراكية . ان خلافي مع رئيسة الوزراء رئيسي ، وانا أصف موقفها هذا بأنه رجعي ومثير للاشمئزاز ، اذ ان مثل هذه المواضيع لا يمكن ان تثير الا اهتمامات اشخاص أمثال اينوك باول ببريطانيا . وشخصيا اشبه هذا الموقف ، وبدون ان أخاف التصريح بذلك ، بالمواقف النازية. انا جندي اسرائيلي ، واذا وقعت الحرب فان الجنود العرب سيكونون أعدائي ، ولكن رغم ذلك لا يمكن ان يصبح الاطفـــال العرب اعدائـــي . شخصيا لا أجد ما يدعوني للتفكير والقلق بسبب عدد الاطفال المولودين من اليهود والعرب داخل او خارج اسرائيل . ونحن أمام رئيسة وزراء تفرق رسميا بين الاطفال المولودين بين مواطنيها ، وفيما اذا كانت امهات هـــؤلاء الاطفال عربيـــات او يهوديات . وهذا يمكن مقارنته بقلق رئيس وزراء السويد وتفكيره بعدد الاطفال اليهود الذين يولدون في السويد ، وفيما اذا كان عددهم أكثر مـــن اللازم . ان البشرية يجب ان تتفق على مبدأ واحد على الاقل . ان الاطفال لا يمكن ان يكونوا أعداء. لا طفل من بين البشر يمكن ان يكون عدوا لي .

هل هي مبالغة لو سميت سياسة اسرائيل الرسمية سياسة عنصرية ؟

لا . أبدا . لقد وقفت شخصيا في الجامعة ووصفت تصريح رئيسة الوزراء المذكور بأنه ليس عنصريا فحسب بل هو نازي أيضا . ليس نازيا بالمعنى الذي تجسم في الاربعينات — وكنت آنذاك في معتقل بيركن بيلسن لمدة عامين — بل بالمفهوم النازي خلال العشرينات والثلاثينات .فقد بدأت جذور النازية في العشرينات باثارة الاسئلة حول عدد الاطفال اليهود بألمانيا ، وعن عدد اليهود الذين يحتلون كذا وكذا من المناصب . هذه كانت بداية النازية . أنا أحد الافراد الذين يحترمون القانون في مجتمعنا هذا ، وأعتقد بأن هذا المجتمع يشهد عملية تحويل نحو النازية ، وأجد انه من واجبي ، كما كان من واجب كل الماني قبل ٣٠ — ٤٠ عاما ، ان استخدم كل الوسائل القانونية لايقاف عملية التحويل هذه التي تمارس في مجتمعي وبين شعبي .

ولكن ما الذي يمكن عمله في هذا المجتمع . أليس من الصعب ان يوفق المرء بين المثالية والصهيونية؟

لا ليس صعبا . نحن بحاجة الى اناس عندهم الجرأة للاعلان عن الحقيقة ، خاصة وان عملية التحويل الى النازية قائمة على قدم وساق . ان النازية لم تنتصر في المانيا لكثرة معتنقيها بل لكثرة الالمان الذين لم يجدوا الجرأة ليقولوا بأن النازية بربرية وسوف تؤدي الى انهيـــار المجتمع مـــن الداخل . والذي أرجوه من التعبير عن رأيي علنا وبدون تخوف هو المساهمة بايضاح الحق وتجنيد أكبر عدد ممكن من ابناء مجتمعـــي وبلدي لاثارة موضوع التحويل الى النازية والحيلولة دونه .

معظم الناس في اوروبه الغربية يعتقدون بأن في اسرائيل ديمقراطية حقيقية . فهـــل تسمي هذا النظام ديمقراطيا ؟

قبل أي شيء ، لا يتمتع الاسرائيليون العرب بأي نوع من الديمقراطية ، كأن هؤلاء يعيشون في بلد آخر وتحت حكم مختلف كليا . وقد تردى الوضع في السنوات الاخيرة حتى بالنسبة لليهـــود . وشخصيا اعتقـــد بأن الوضع سيستمر بالتردي لفترة ما قبل ان يبدأ بالتحسن . ولكني اريد ان أؤكد على سؤال طرحته قبلا : كيف يكون بلد ما

ديمقراطيا حين تفرق رئيسة الوزراء فيه بين الاطفال ؟

انك لا توافق على الرأي الشائع في اسرائيل بضرورة مثل هذه السياسة لمتطلبات الامن ؟

ان معظم حالات تحديد الاقامة لا مبرر او حاجة لها . ولكنني رغم هذا اخترت ان اتكلم عن حالة الاطفال لادلل على ما أذهب اليه ، اذ لا يمكن للمرء ان يجد تفسيرا مقبولا لاضطهاد الاطفال . ربما يمكن ايجاد تفسيرات لاضطهاد البالغين ولكن ليس بالنسبة للاطفال . واذا اصبح الطفل عدوا ، فلم يعد هنا اي مجال للمقارنة بين الصحيح والخطأ . وهذا لا يعني انعدام الديمقراطية فحسب بل يعني ان الدولة لا تكلف نفسها جهد تبرير اعمالها كما كان الالمان النازيون يبررون اعمالهم . شخصيا افضل ان ارى البلد اقل ديمقراطية شرط ان تكون له قوانين تساوي بين كل المواطنين . وفي اسرائيل لا تنطبق القوانين على كل المواطنين ، بل تفاضل بينهم تبعا للعنصر او الدين او القومية . نحن اليهود لا يمكن ان نتسامح ونغض النظر عن مثل هذا الاضطهاد اذا كان موجها ضد اقلية يهودية في أي بلد من بلدان العالم . ولذلك يجب علينا الا نتسامح تجاه الاضطهاد اذا كانت اسرائيل ترتكبه ضد اقليات اخرى .

متى جئت « اسرائيل » ؟ ورجوعا بالذاكرة ، هل خابت آمالك ؟

خيبة أملي كبيرة جدا . انني غير مفاجأ بالاضطهاد او الافتقار الى الديمقراطية ، بقدر ما انا خائب الامال لهذه الاكثرية الصامتة التي لا تهتم بالذي يحدث حولها . وهذا بالذات دعاني الى عقد المقارنة بين اسرائيل والمانيا . ان الذين يؤيدون اضطهاد العرب الان يمثلون أقلية ، على الاقل هم اقلية الان ولعدد من السنوات المقبلة . ولكن الاكثرية الساحقة غير مبالية بما يدور حولها ، فهي منشغلة بمشاهدة التلفزيون والافلام وتعمل لتحقيق اكبر دخل ممكن بشكل قانوني او لا قانوني . لقد قدمت الي هنا عام ١٩٤٥ وعلي ان اقول بأن خيبة أملي كبيرة جدا .

هل يتحول المجتمع الى مجتمع رأسمالي ؟

لا اريد تسمية ذلك بالرأسمالية ، فهناك مجتمعات رأسمالية ولكن الاكثرية فيها تبدي اهتمامات بما يدور حولها . ان الموضوع في غاية البساطة ، فنحن نتحول الى شعب مضطهد (بكسر الهاء) فمنذ خمس سنوات ونصف نضطهد مليونا من ابناء شعب آخر . ان استخدام القوة يؤدي الى طريق واحد : الحماقة . فالمرء لا يجد تبريرا معقولا للاضطهاد القائم في المناطق المحتلة ، انها الحماقة بعينها . فضباط الاستعمار البريطاني تحولوا الى ما يسمى « عميان الاستعمار » بمعنى انهم كانوا أشخاصا لا يستعملون تفكيرهم ، بل هم حمقاء فحسب . وهذا حالنا بالضبط ، فطالما نحن نمارس الاضطهاد في المناطق المحتلة فمكتوب علينا ان نصبح اكثر حماقة واكثر لاابالية . اذا لم نعط السكان في اسرائيل والاراضي المحتلة الحرية ، فان الاضطهاد سيزداد يوما بعد يوم ، وفي النهاية سنتقلب المعاناة علينا . واذا رجعنا الى التاريخ السويدي مثلا فاننا نجد خير مثيل لحالتنا اليوم . ففي القرن السابع عشر شنت السويد حربا سمتها حربا دفاعية احتلت بنتيجتها عددا من المناطق في عدد من البلدان منها الدنمرك والمانيا ، كل ذلك بحجة تأمين طرقها التجارية والتي تهدد وجود البلاد ككل . وكانت هذه حجتنا ايضا . ونتيجة للانتصارات العسكرية التي حققها السويديون أغدق ملك فرنسا مساعدته لهم . وهذا ينطبق على المساعدات التي يقدمها لنا رئيس الولايات المتحدة . وقد أدت الحرب السويدية الى قيام حكم استبدادي شبيه بوضع حكومتنا الاستبدادي اذ انها لا تعتمد بمواردها على الضرائب التي تجبيها من ابناء الشعب في الداخل بل من مواردها من الخارج . وهنا يمكننا القول بأن انتصاراتنا لم تعد تجدي كما كانت نتيجة انتصارات ملك السويد كارل الثاني عشر بدون معنى . واذا استمرينا بالمقارنة فما علينا الا ان نقول بأن السويد اندحرت حين ظهر القيصر الروسي بطرس الاكبر الذي استمر يحارب السويديين رغم اندحاره في البداية وتمكن من تحقيق النصر . فاذا برز في الطرف العربي زعيم كبطرس الاكبر ، زعيم يستمر بالقتال رغم الخسارة ، الى ان يحقق النصر الذي يشبه النصر الروسي . فكما لم يكن للسويد ما تعمله في روسيا والدنمرك والمانيا ، فلا مصلحة لاسرائيل في فرض نفوذها على مليون فلسطيني . ربما سنصبح اذكياء ونكتشف الحقائق ونفيق الى رشدنا كما فعل السويديون . ولكن السويديين لم يفيقوا الى رشدهم الا بعد ان اندحروا في حرب شرسة .

تقرير حول أحداث ميونيخ

لجنة مناصرة الحركـــات الثورية في المنطقة العربية (فرانكفورت)

كانت لحادث ميونيخ المشهور في صباح الخامس من سبتمبر (ايلول) الماضي في المدينة الاولمبية ردود فعل مختلفة كميا ونوعيا سواء على الصعيد العربي أم على الصعيد العالمي . ونظرا لاهمية هذا الحدث ونتائجه نرى أنه من الضرورة القصوى القاء نظرة تصيرة على الاحداث ذاتها والاشارة الى الخلفيات التي أدت الى رد فعل الامبريالية الالمانية ، ثم نشر مواقف المعسكر الاشتراكي الرسمية. ان القيام بذلك هو محاولة متواضعة لاعلام العمال والطلاب العرب في المانيا الغربية ، خاصة ، بهذه الحقائق خصوصا لعلمنا أنه لم يصدر حتى الان اي شيء عن هذا الموضوع البالغ الاهمية باللغة العربية . ولا يهدف تقريرنا الى تحليل الحادث وتقييمه حيث ان ذلك يتطلب تحليلا علميا واسعا للمراحل المختلفة التي مرت بها المقاومة الفلسطينية والتعرض الـى وضعها الراهن ، الشيء الـذي يتطلب دراسة تحتاج وقتا طويلا ، ونرجو ان تتمكن لجنة مناصرة الحركات الثورية في المنطقة العربية من القيام بذلك في وقت لاحق .

نظرة على وقائع العملية :

على الرغم من علمنا بان العرب قد تتبعوا وقائع عملية ميونخ ، الا أنه من الضروري سرد الوقائع مرة اخرى — وباقتضاب — لاعطاء صورة متكاملة من جهة ، ولكي تكون في متناول كل عربي يصل اليه هذا التقرير من جهة اخرى .

قامت مجموعة من منظمة أيلـول الاسود في يـوم الثلاثاء الموافق ١٩٧٢/٩/٥ الساعة السادسة صباحا باقتحام مبنى الوفد الاسرائيلي في القريـة الاولمبية وتمت السيطرة عليه فورا . وحاول بعض افراد البعثة الاسرائيلية التعرض لافشال العملية مما أدى الى قتل بعض افراد البعثة وجرح البعض الاخر واستسلام الباقين . ثم بدأت الامور تسـير بالشكل التالي :

١ — حاصرت الشرطة الالمانية المبنى بهدف الهجوم عليه لكنها انسحبت بعد انذار اعضاء المنظمـة .

٢ — تلا ذلك توزيع البيان الاول الذي تضمن المطالب التالية من الحكومة الصهيونيـة : الافراج عـن مجموعة من الاسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال . الافراج عن الياباني الاسير الذي اشترك في عملية مطار اللد ، الافراج عن الفلسطينيتين تريز هلسة وريما عيسى اللتين اشتركتا في عملية اللد الاولى ، ثم الافراج عن الضباط السوريين والضابط اللبناني الذين اختطفوا في عمليـة قرصنة ومجموعة مـن الاسرى المصريين . اجراء مفاوضات مباشرة او غير مباشرة مع السلطات الالمانية لخروجهم من الاراضي الالمانية وتسليم الرهائن في حال استجابة الحكومة الصهيونية لمطالبهم .

٣ — اعلنت حكومة اسرائيل عن عدم استجابتها لاي مطلب وتركت الامر للسلطات الالمانية . مضت فترة الانذار وبعدهـا وسطت المانيـا عميد السلـك الدبلوماسي العربي — السفير التونسي محمـود المستيري — في التدخل لتمديد فترة الانذار وذلـك بحضور وزير الداخلية الالماني (جينشر) ومديـر الشرطة وعمدة ميونخ الذين وعدوا بتنفيذ المطالب وطالبوا بالمزيد من الوقت .

٤ — مضت مدة الانذار الثانية وجاءت السلطـات الالمانية لتعرض مبلغا من المال مقابل تسليم الرهائن وخروج الفلسطينيين بسلام . وكان الرفض طبيعيا واعلن الفدائيون الفلسطينيون انهم ليسوا بقتلة او سفاكي دماء وان هؤلاء الرهائن جنود في جيـش الاحتلال الصهيوني وربما اسهموا في قتل الشعب الفلسطيني ، ثم قدموا عرضا اخيرا وهو ان تهيء الحكومة الالمانية ثلاث طائرات مدنية تنقل كل منها مجموعة الى المكان المقترح ، وتعهد الفلسطينيون بعودة الطائرات سالمة وبالاحتفاظ بالرهائن في اي بلد غير المانيا الى ان تستجيب حكومة الصهاينة الى مطالبهم وتحدد لهذا العرض توقيت نهائي غير قابل للتمديد — مدة ساعتين تنتهي في العاشرة بتوقيـت ميونخ .

٥ — بعد محاولة فاشلة اخرى من قبل السلطات بتجديد العروض المالية عرضت السلطات علـى الفدائيين الفلسطينيين ان يتنقلوا مع وزير الداخلية ومدير الشرطة وبعض المسؤولين الالمان بثـلاث

طائرات هليكوبتر على أن تتم عملية خروج الفلسطينيين والرهائن بطائرة واحدة . استجاب الفلسطينيون بعد ان اتخذوا احتياطات الامن .

٦ — عندما طالت المسافة بين المدينة الالمانية والمطار تأكد الفلسطينيون من ان هناك مكيدة نصبت لهم ، بعد اعلامهم من قبل السلطات بان طائرة البوينغ تنتظرهم دفعوا باثنين منهم لفحص الطائرة للتأكد من خلوها من السلاح او من « مفاجئات » اخرى . وفجأة اطفئت الانوار وبدأت الكمائن الالمانية تطلق النار من كل اتجاه . عندها فجر الفدائيون قنابلهم بطائرات الهليكوبتر مما ادى الى استشهادهم ومقتل الرهائن وبعض الطيارين الالمان .

رد فعل الامبريالية الالمانية وخلفيات هذا الرد :

حتى نتمكن من فهم رد فعل السلطات الالمانية على حوادث ميونخ يجب توضيح الخلفيات ، ثم الدور الهام الذي تقوم به الامبريالية الالمانية في منطقة الشرق الاوسط وذلك يقودنا الى القاء نظرة على العلاقات والتعاون بين الامبريالية الالمانية من جهة وبين دولة اسرائيل والرجعيات العربية من جهة اخرى ، وذلك على الاصعدة التالية : الصعيد **الاقتصادي والعسكري** ، « **الابحاث العلمية** » ، الصعيد **السياسي — الدبلوماسي** ، والصعيد **الدعائي** .

١ — نشرت صحيفة « زود دويتشي تسايتونج » التي تصدر في ميونخ بتاريخ ١٩٧٠/٣/٩ ان اسرائيل تصرف في يوم حربي واحد مبلغ ٣ر٢ مليون دولار . هذه المصاريف لا يمكن تغطيتها من القوى الذاتية . حسب احصائيات « وزارة الدفاع الاسرائيلية » بلغت مصاريف « الامن » في عام ١٩٦٦ — اي قبل العدوان بسنة — مبلغ ٤ر٣ مليار ليرة اسرائيلية . اما الانتاج القومي داخل اسرائيل فقد ازداد بنسبة ثلاثة اعشار في المئة من عام ١٩٦٦ حتى عام ٦٨/ ١٩٦٩ . فمن اين اذن تحصل اسرائيل على هذه المبالغ الضخمة التي تمكنها من القيام باعتداءاتها المتواصلة ومتابعة تنفيذ مخططاتها التوسعية على حساب الشعب العربي ؟؟؟ . والاجابة على ذلك في منتهى البساطة وهي انه بجانب المساعدات السخية من قبل الامبريالية الامريكية ، أهدت الامبريالية الالمانية دولة الاحتلال الصهيوني مبلغ ٣ر٤٥ مليار مارك الماني تحت اسم « تعويضات لاسر اليهود الذين قتلهم النازيون » تدفع على اقساط سنوية لغاية عام ١٩٧٥ . هذا بالاضافة الى القروض التي تمنحها المانيا الغربية لاسرائيل والتي بلغت في السنوات الخمس الاخيرة حوالي ١٥٠ مليون مارك سنويا (صحيفة هامبورغر آبند بلات ١٩٧٠/٨/١٦) .

لقد طالبت جمعية الصداقة الاسرائيلية الالمانية التي تأسست عام ١٩٦٢ في مدينة فرانكفورت باعطاء اسرائيل مبلغ نصف مليار مارك لتتمكن من احراز تطور سريع في المجال الاقتصادي « للتطور من اجل السلام» كما زعم سفير اسرائيل في المانيا عام ١٩٧٠ (دي فيلت ١٩٦٨/١٠/٢٤) . هذه الارقام نشرت في الصحف الالمانية نفسها وتعطي صورة واضحة عن الدعم الهائل من قبل الامبريالية الالمانية لدولة اسرائيل وما خفي كان أعظم .

أما على الصعيد العسكري فقد نشرت صحيفة «دي فيلت» بتاريخ ١٤ يناير ١٩٥٨ ان المانيا تقوم بتدريب خمسين ضابطا اسرائيليا في مدارسها العسكرية وان هناك بعثة من الخبراء العسكريين الالمان في اسرائيل مهمتها المساعدة في بناء قواعد للصواريخ لمساعدة الجيش الاسرائيلي . ثم نشرت مجلة « در شبيغل » الاسبوعية الالمانية في عددها رقم ٩ عام ١٩٦٥ قائمة بانواع الاسلحة المختلفة التي صدرتها المانيا الغربية لاسرائيل حسب اتفاقية سرية بين البلدين وكان حجمها كالتالي :

أ — ٦٠ طائرة نقل وهليكوبتر . ب — حوالي ١٠٠ عربة اسعاف . ج — ٤٥٠ سيارة شحن . د — اعداد غير معروفة من الصواريخ المضادة للدبابات. هـ — اكثر من مظلة هبوط (براشوت) . و — ٦٠ دبابة . ز — قوارب حربية سريعة . ح — غواصتين . هذا بجانب اعداد وكميات غير معروفة من الاسلحة الاوتوماتيكية والرشاشات والذخيرة الخ ...

عدا ذلك قامت المانيا الغربية بمساعدة اسرائيل في بناء خمس محطات لتوليد الكهرباء ، الاسطول التجاري ، شبكات المواصلات والتلغراف ، مصافي البترول وميناء ايلات والترسانة البحرية في حيفا . يضاف الى ذلك العديد من البنوك برأس مال الماني اسرائيلي لتمويل المشروعات المختلفة .

٢ — اما على صعيد ما يسمى بـ « الابحاث العلمية » فقد تجسدت مساعدة الامبريالية الالمانية في تشييد محطة ذرية عام١٩٥٦ في ديمونا تنتج ٨ كيلوغرامات يورانيوم ، المادة التي تستخدم في صناعة القنابل الذرية . لقد دفعت المانيا الغربية للابحاث في هذا

المجال ٢٥٠ مليون مارك لاسرائيل وارسلت علماء للمشاركة في تطوير العمل (مجلة كولنر شتنادت انتسايغر ١٩٧٠/٣/٤) .

٣ ــ وعلى الصعيد السياسي الدبلوماسي يتضح من تصريحات المسؤولين المختلفة مدى العلاقة بين الامبريالية الالمانية واسرائيل والتي بدأت في اوائل الخمسينات ايام اديناور عندما صرح لصحيفة اسبوعية يهودية « سيعرف حتما من قبل جميع دول العالم ان اسرائيل هي الممثل الشرعي الوحيد لليهود في العالم » . حتى اثناء العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ لم يتوقف تصدير الاسلحة من المانيا الى اسرائيل الذي كان له اثر فعال في السياسة العدوانية التوسعية لاسرائيل وقد صرح وزير خارجية المانيا حينذاك ــ فون برنتانو ــ ان المانيا الغربية لن توقف التصدير حتى في حالة اصدار قرار من الامم المتحدة ضد اسرائيل بانزال عقوبات اقتصادية او غيرها حيث ان المانيا ليست عضوا في هذه الهيئة وعليه فانها غير مقيدة بقراراتها .

وبعد عدوان يونيو ١٩٦٧ لم يخف ممثلو الامبريالية الالمانية شعورهم تجاه النصر الذي احرزته اسرائيل وقد عبر السفير الاسرائيلي لصحيفة « دي فيلت » في ٩ يونيو ٦٧ عن شكره العميق للموقف المناصر والصديق لالمانيا الغربية تجاه اسرائيل ، وعن فرحه واغتباطه بالمساعدات الفعالة التي حصلت عليها دولته اثناء العدوان . ويدعم هذه السياسة تصريح براندت المستشار الحالي لالمانيا الغربية اذ قال « بعد كل ما حصل لليهود في اوروبا باسم الالمان لا يمكن التحدث في المستقبل عن « حياد القلوب » اي ان اسرائيل يجب ان تدعم لتدافع عن كيانها وتطورها » .

٤ ــ اما على الصعيد الدعائي فيكفي ما يذكر يوميا في الصحف والمجلات الالمانية عن اسرائيل « البلد الذي يصنع المعجزات » الخ ...

هذا الاستعراض المختصر للدور الذي تلعبه المانيا الغربية يقودنا الى فهم حتمية الاعمال الفاشية التي قامت بها السلطات الالمانية كرد فعل على حوادث ميونخ تجاه الرعايا الغرب عامة والفلسطينيين خاصة المقيمين في المانيا بالتعاون مع المخابرات الاسرائيلية . ماذا كانت مواقف المسؤولين الالمان؟ وما هي الاعمال التعسفية التي قامت بها السلطات الالمانية ؟ هذا ما سنلقي نظرة عليه ولنبدأ بتصريحات المسؤولين :

١) بدأ رئيس جمهورية المانيا حديثه حول احداث ميونخ بالتساؤل عمن يقع ذنب ارتكاب هذه « الجريمة » ويجيب بنفسه : ــ بالدرجة الاولى على منظمة اجرامية ارهابية تعتقد ان الكراهية وسفك الدماء هما سبيل وامكانية للصراع السياسي . وبالدرجة الثانية يقع الذنب على الدول التي لا تعمل شيئا لمنع هؤلاء المجرمين من تنفيذ اعمالهم (المقصود بطبيعة الحال الدول العربية) .

٢) طالب رئيس حزب المعارضة (الحزب الديمقراطي المسيحي) ــ وهو الحزب الذي يحمي مصالح الرأسماليين ــ طالب الحكومة الالمانية بحظر ٥٠ منظمة اجنبية في المانيا المعروف عنها انها تؤيد استعمال العنف كوسيلة لتحقيق اهداف سياسية وطرد جميع اعضائها من المانيا الغربية بغض النظر عن جنسيتهم اذ انها (اي هذه المنظمات) تعمل مع عناصر المانية راديكالية مما يؤدي الى زيادة خطورة تهديد مصالح وامن الدولة . ثم طالب ايضا بوقف « المعونات » التي تقدم للدول العربية اذا اتضح انها ، او قسما منها، يستخدم لدعم ما اسماه المنظمات السياسية الارهابية (أي المقاومة الفلسطينية) وطلب من الحكومة ان تعمل بشكل ايجابي وفعال على تجنيد وسائل الاعلام حتى يتمكن الشعب الالماني الغربي من التعرف على معنى وخطورة هذه المنظمات .

٣) صرح عمدة مدينة برلين انه من الضروري القضاء على كل المنظمات الالمانية الارهابية (ويقصد بذلك اليسار الالماني) التي تساعد وتدعم هذه المنظمات الارهابية (الفلسطينية) والتي تهدد امن ومصالح المانيا الغربية بشكل فعال ومستمر .

٤) صرح عضو الحزب الاشتراكي الديمقراطي الحاكم والمعروف « بصداقته القوية وصلاته الوثيقة والحميمة مع الدول العربية » والذي زار العديد من الدول العربية لاجراء مفاوضات من اجل اعادة العلاقات الدبلوماسية مع المانيا الغربية (الدعو فيشنفسكي) ــ صرح بان المانيا الغربية لا توافق على ابقاء رعايا يعملون او يدرسون داخلها طالما انهم يدعمون الاعمال الارهابية او يوافقون عليها .

هذا الى جانب العديد من تصريحات رؤساء

وزارات ووزراء داخلية المقاطعات والمحافظات الالمانية المختلفة بدون استثناء .

الطرق التي استخدمتها السلطات الالمانية لارضاء اسرائيل :

١ — قامت حملة اعتقالات مسعورة في جميع المدن الالمانية بمساعدة المخابرات الاسرائيلية (كالادلاء بمعلومات عن « المخربين » ... الخ) ، وبدأت بتفتيش منازل الطلاب والعمال العرب المعروفين بقيامهم بنشاط اعلامي للقضية الفلسطينية وكان يتم ذلك عادة في ساعات الصباح الباكرة جدا (بين الساعة الثالثة والخامسة) وتعطى للمقبوض عليهم فرصة عشرين دقيقة لحزم امتعتهم ثم يقادون الى المطارات المختلفة ويرغمون على الرحيل الى دول يعلمون تماما ان التعذيب والسجن سيكون بانتظارهم فيها وقد طردت أغلبية الشبان والشابات الى الاردن او الى المناطق المحتلة . هذه الاعمال الهمجية التعسفية تتنافى مع ابسط الحقوق المدنية التي يمكن ان تعطى للاجنبي للدفاع عن نفسه وحقوقه . لقد استخدمت القوانين النازية من عام ١٩٣٣ وطبقت بشكل لم يسبق له مثيل منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية .

٢ — في الفترة الواقعة بين الثامن والرابع والعشرين من سبتمبر (ايلول) ١٩٧٢ رفضت المانيا الغربية السماح لـ ١٥٤١ عربيا بدخول المانيا ، وذلك حسب تصريح وزارة الداخلية الالمانية .

٣ — طوال الفترة التي تلت الاحداث لم يصدر اي تصريح من اي مسؤول الماني عن عدد واسماء الذين طردوا من المانيا ورفضوا رفضا باتا اعطاء اية معلومات بهذا الشأن بحجة ان ذلك قد يؤدي الى المخاطرة بارواح رعايا اخرين . هذا من جهة السلطات اما الدور الذي لعبته وسائل الاعلام الالمانية في تعبئة الجماهير بطريقة مفضوحة ضد كل ما هو عربي فسنتعرض له في القسم الثاني من هذا التقرير .

ولا نريد في هذا المجال التعرض لمواقف الدول العربية المختلفة وصحافتها والى اي مدى « حاولت المشاركة » في فضح وتعرية الامبريالية الالمانية وموقفها العدائي من الجماهير العربية وهنا تكفي الاشارة الى كتابات « العلامة » رئيس تحرير جريدة الاهرام المصرية محمد حسنين هيكل والى الغالبية العظمى من الصحافة العربية عموما مع استثناء بعض المجلات الاسبوعية اليسارية الصادرة في بعض الدول العربية .

نظرة على العلاقات بين الامبريالية الالمانية والدول العربية :

ما زالت العلاقات الاقتصادية بين المانيا الغربية والدول العربية وثيقة رغم موقف المانيا من اسرائيل فالميزان التجاري يتصاعد في صالح المانيا الغربية والتي تقدم ايضا مساعدات وقروض للدول الرجعية وانظمة البرجوازية العربية الصغيرة . والدليل على ذلك تراجعات الانظمة العربية بشقيها واعادتها للعلاقات الدبلوماسية في حين لم تغير المانيا من موقفها الثابت تجاه اسرائيل .

تلعب الاحتكارات الالمانية دورا اقتصاديا كبيرا في المنطقة العربية فنجد ، على سبيل المثال ، ان ١١٪ من واردات الاردن من المانيا الغربية و ١٠٪ من واردات العراق و ٩٪ من واردات المغرب و ٧٫٥٪ من واردات كل من تونس وسوريا والسودان وليبيا ومصر ولبنان . اما بالنسبة للصادرات لالمانيا فهي ١٢٪ من الجزائر ، ٢٣٪ من ليبيا و ١٢٪ من السودان هذا علما بأن الصادرات العربية في مجملها مواد خام تستخدم في الصناعات بينما صادرات المانيا من المواد المصنعة والاستهلاكية . كما تقوم المانيا بتمويل مشاريع عديدة للتنمية في بلاد عربية كالاردن في خطته الثلاثية للتنمية ٧٣ — ١٩٧٥ ففي قطاع المواصلات والنقل ستغطي المساعدات والقروض الالمانية هذه المشاريع وتمويل مشاريع زراعية لحاجتها الى منتوجات الاغوار وتساهم في بعض الصناعات واستخراج مواد تعدينية ويقوم بنك الاعمار الالماني بتمويل مشروع سكة حديد حطية — العقبة وقد بلغت القروض الالمانية الغربية للبنك الاردني ٣٠١ مليون مارك في عام ١٩٧١ .

وفي السودان قدمت المانيا قرضا قدره ٤٠ مليون مارك قبل اعادة العلاقات وتساهم في مشروعات تعمير الجنوب . وقد قام وفد اقتصادي الماني يصحبه سفير السودان في المانيا بزيارة للسودان وتسهم مع البنك الدولي في مشاريع تحسين سكك الحديد في السودان . اما في مصر فان المانيا تشترك في تمويل مشروع مد أنابيب البترول . وقد قدمت المانيا مساعدات للحكم المغربي قدرها ٥٠٠ مليون مارك ، ودعمت اليمن الشمالي

باسلحة قيمتها مليوني مارك بالاضافة الى مساعدات اخرى في المشروعات الاقتصادية ، كما حصلت شركة دومينكس الالمانية الغربية على امتيازات التنقيب عن البترول في ابو ظبي .

هذه اللمحة السريعة توضح كيف ترتمي الانظمة الرجعية العربية في احضان الامبريالية الالمانية وتوضح عجز الانظمة الوطنية عن قطع علاقاتها نهائيا مع السوق الامبريالية العالمية .

مواقف « المعسكر الاشتراكي » من عملية ميونخ وتصرفات السلطات الالمانية الغربية :

كانت مواقف الدول الاشتراكية (والمسماة اشتراكية) من عملية ميونخ وما لحقها من أعمال تعسفية متشابهة بشكل او باخر مع التشديد على جانب او اخر وعادة كانت هذه الدول تضمن موقفها السلبي من العملية ذاتها موقفا ناقدا لتصرفات الحكومة الالمانية الغربية وسلطاتها . واعتمادا على ما نشر في الصحف الالمانية نورد امثلة على هذه المواقف :

ورد أول تعليق من المانيا الديمقراطية ففي خبر لوكالة انباء المانيا الديمقراطية جاء ان الدوائر الرسمية في العاصمة (برلين الشرقية) قد ادانت الجريمة البشعة بشدة واضافت ان المانيا الديمقراطية لا تعترف بأن الارهاب وسيلة لبلوغ الاهداف السياسية (زود دويتشي تسايتونغ ٧٢/٩/٦) . وبعد ان شرعت المانيا الغربية بطرد العرب وملاحقتهم كتبت صحيفة « النويس دوتشلاند» الصادرة في برلين الشرقية مقالا ادانت فيه بلهجة شديدة طرد العرب من المانيا الغربية واضافت ان تاريخ اوروبا الحديث لم يشهد مثيلا لهذه التصرفات . وقد ابدت الصحيفة تحفظها تجاه عملية ميونخ وقالت ان هذه العملية كانت حجة استخدمتها السلطات الالمانية الغربية للاحقة العرب واضافت ان اشراك المخابرات الاسرائيلية مع السلطات الالمانية يجعل من هذه الاخيرة شريكا للمعتدين . (الصحف الالمانية الغربية في ١٠/١٣/ ١٩٧٢) .

وفي وليمة اقيمت تكريما للرئيس العراقي احمد حسن البكر عند زيارته لموسكو ندد بودغورني بعملية ميونخ والعمليات الاخرى التي تضر بالقضية الفلسطينية (صحف ١٦ — ٧٢/٩/١٧). وبتاريخ ١٩٧٢/٩/٨ جاء في الصحف الالمانية (مثلا « زود دويتشي تسايتونغ ») ان وزارة الخارجية اليوغوسلافية أعلنت ان عملية ميونخ كانت عملية جنونية أضرت بمصالح الشعب العربي. وجاء ، نقلا عن وكالة الانباء الالبانية ان الشعب الالباني الذي وقف وما يزال يقف الى جانب الشعب الفلسطيني يدين هذه العملية المقيتة ، واضافت الوكالة ان الهجوم الذي شنه الفلسطينيون في ميونخ لا يخدم الكفاح العادل ضد المعتدين الصهاينة . كذلك ادانت الصحافة الهنغارية عملية ميونخ فقد كتبت صحيفة الحزب « ان الاساليب التي يستخدمها الاستعمار في حروبه العدوانية للاحتلال لا يمكن ان تستخدم في القضايا العادلة » وأدانت السلطات الالمانية الغربية لانها هي التي تسببت في الضحايا .

وفي العاشر من سبتمبر (ايلول) أعلن تيتو انه يعارض بشكل مطلق ما قام به الفلسطينيون في ميونخ وقال ان العملية الشيطانية لها أهداف شيطانية وهي صب حقد العالم على العرب .

اما الصين الشعبية فقد أعرب عن موقفها مندوبها في الامم المتحدة الذي أعلن انه يعارض الاعمال الفردية كالارهاب الفردي او خطف الطائرات ... الخ — (زود دويتشي تسايتونغ ١٩٧٢/١١/٢٣).

تقرير
عن اعمال الاحتجاج ضد طرد العرب وضد حل الاتحادات الطلابية والعمالية الفلسطينية في المانيا الاتحادية

بعد قيام السلطات الالمانية بطرد المئات من الطلبة والعمال العرب عامة والفلسطينيين خاصة بأساليب فاشية — كما ذكرنا في التقرير الشامل — تواعد على العاصمة بون العديد من الطلبة الفلسطينيين من مدن فرانكفورت ، بون وآخن معربين عن احتجاجهم بالاعتصام في مقر الجامعة العربية هناك والبدء بالاضراب عن الطعام وذلك يوم الجمعة الموافق ١٩٧٢/٩/٢٩ وكانوا يبغون بذلك تحقيق هدفين رئيسيين هما :

اولا — تفويت الفرصة على السلطات الهادفة الى القبض عليهم وترحيلهم فورا دون منحهم الحق في الدفاع القانوني عن « التهم » الموجهة اليهم ، وحتى لا تعطى الفرصة للشرطة الالمانية والمخابرات الاسرائيلية بالاعتداء عليهم بالضرب أثناء التحقيق معهم كما حصل في بعض الحالات .

ثانيا — تقديم مطالبهم الى الحكومة الالمانية وهي:

١ — الايقاف الفوري لاعمال الملاحقات والاعتقالات والترحيل التي تجري ضد الفلسطينيين والعرب .

٢ — تقديم الاثبات المادي من قبل الحكومة الالمانية على انهم وجميع من رحلوا والمقبوض عليهم « يمثلون خطرا على مصالح المانيا الغربية » .

٣ — كشف جميع المخططات التي تزمع الحكومة الالمانية تنفيذها مستقبلا ، ثم كشف الاشتراك المباشر للمخابرات الاسرائيلية في عمليات الاعتقال والطرد .

ومن ثم طرح المضربون التساؤل التالي : هل أصبحت المانيا الاتحادية دولة فاشية تحكمها الديكتاتورية العسكرية كما هو الحال في اليونان ، اسبانيا ، تركيا واسرائيل ؟؟؟ وتوجهوا الى الشعب الالماني يطالبونه بمساندة المقاومة الفلسطينية .

بدأ رد الفعل من قبل المنظمات الطلابية الشيوعية والتقدمية وبعض المنظمات الليبرالية ، وذلك بالقيام بشرح الحق العادل والمشروع للشعب الفلسطيني في الدفاع والقتال من أجل استرداد حقوقه القومية والرجوع الى وطنه المحرر ، ثم بالهجوم الشديد على ماهية القوانين الالمانية الغربية الرجعية الخاصة بالاجانب ، وعلى طريقة استخدامها وتطبيقها ضد الرعايا العرب عامة والفلسطينيين خاصة . وقد تم ذلك يوميا في جميع المدن الالمانية الكبيرة حيث وزعت مئات الالاف من المنشورات حول هذا الموضوع . ولقد قام اعضاء هذه المنظمات بتوزيع انفسهم الى مجموعات صغيرة انتشرت في المناطق الحساسة والرئيسية من المدن المختلفة لتوزيع المنشورات على المارة لكشف ما تقوم به السلطات الالمانية ولايضاح الموقف على حقيقته للرأي العام الالماني . لم يحظ هذا العمل بنجاح وصدى واسعين الا في أروقة الجامعات والمعاهد حيث ان الطلاب الشيوعيين واليساريين « يسيطرون على الموقف بشكل فعال » . اما بخصوص عامة الشعب فان الصحافة الالمانية المعروفة بعدائها الشديد للعرب وبترابط اصحابها الذين يمثلون مصالح رأس المال الالماني ترابطا عضويا مع حليفتهم اسرائيل (ولا سيما صحف الرجعي اكسل شبرنغر ومجلاته الاسبوعية الواسعة الانتشار) — هذه الصحف تمكنت من استغلال حادثة ميونخ لتعبئة الجماهير التي كانت مشدودة بلهفة جنونية الى الالعاب الاولمبية ، تعبئة شاملة وكاملة ضد كل ما هو عربي ، وخلق العداء الشديد ضد العالم العربي ووصف كل المقاومة الفلسطينية بأنها مجموعة من الارهابيين كل همها اثارة الرعب والقلق بين المواطنين الامنين في الخارج والقضاء على اليهود داخل اسرائيل وخارجها .

وقد قامت الصحافة وجميع وسائل الاعلام بهذه المهمة على أكمل وجه وتمكنت بالفعل من خلق هذه الروح العدائية التي كان من مظاهرها ان اعتدى بعض المارة الالمان بالضرب على اشخاص اشتبه انهم عرب ثم كان يتضح « بعد فوات الأوان » انهم اسبان او ايطاليون الخ...

كان ذلك عرضا سريعا وملخصا لردود الفعل التي بدرت من التنظيمات اليسارية الالمانية سواء على الصعيد الطلابي او الجماهيري ..

ومن الجدير بالذكر هنا الدور الرئيسي والفعال والمنظم الذي قامت به كنفدرالية الطلبة الايرانيين في المانيا وكافة دول اوروبا الغربية والولايات المتحدة ، ذلك الدور الذي كان له اكبر الاثر في كسر الطوق الاعلامي الذي فرضته المانيا الغربية حول ما يدور داخلها ، ثم باعلام الرأي العام في هذه البلدان بالاساليب النازية الجديدة التي استخدمتها السلطات ضد الرعايا العرب بناء على اتفاق مسبق مع اسرائيل وذلك يحلها الاتحاد العام لطلبة فلسطين والاتحاد العام لعمال فلسطين وطرد الاغلبية الساحقة من المسئولين عن هذه الاتحادات بهدف القضاء النهائي على كل محاولة تهدف الى تعريف الرأي العام الالماني بالقضية الفلسطينية وبالدور الذي تقوم به إسرائيل — ككيان صهيوني — في العالم العربي ، ثم بفضح الدور الامبريالي الذي تلعبه المانيا الغربية في الشرق الاوسط عامة . وتلخص اعمال الاحتجاج التي قامت بها كنفدرالية الطلبة الايرانيين بالنقاط التالية :

١ — بدأت الكنفدرالية اول اعمالها بارسال خطاب للسكرتير العام للامم المتحدة بتاريخ ١٩٧٢/١٠/١ هذا نصه :

« لقد أعطى حادث ميونيخ فرصة ذهبية للمجموعات والتنظيمات الفاشية في جمهورية المانيا الاتحادية وللعناصر اليمينية في حكومتها لتبدأ بشن حملة مسعورة ضد الاجانب الديمقراطيين والتقدميين المتواجدين في هذه الدولة . يبذل المعلقون والصحافيون والكتاب والسياسيون الفاشيون

والرجعيون — عبر التلفزيون والاذاعة والصحافة والاجتماعات العامة — كل ما في وسعهم لتسميم الجو السياسي في جمهورية المانيا الاتحادية ، وذلك عن طريق توجههم لاحلك العواطف عند الشعب ولاثارة الرعب والخوف ، هادفين بذلك خلق رأي جماعي سلبي لدى الشعب ضد جميع الاجانب . وبحجة محاربة الارهاب ، فان سلطات المانيا الاتحادية نفسها خلقت — متعمدة — جوا من الارهاب السياسي لا يشعر فيه أي اجنبي كان بالامن . في الاسبوعين الماضيين اعتقل عمدا أكثر من مائة عامل وطالب اجنبي وطردوا من البلاد عن طريق خرق فاضح للقانون والدستور الالمانيين وبشكل مشابه للجستابو المقيت . وعلى الرغم من ان جميع الذين طردوا بشكل غير قانوني هم من العرب ، فان ذلك يمهد الطريق لطرد آخرين من دول اخرى ، ولحظر شامل لنشاطات الاجانب ومنظماتهم حتى اذا كانت هذه النشاطات ضمن حدود القانون الالماني ومعترفا بها من قبل الدستور الالماني . ان التوجه الذي تخلقه السلطات الالمانية في اوساط الشعب تجاه الاجانب هنا ، له جميع صفات وسمات فترة سابقة ، أحلك الفترات في تاريخ المانيا الحديث . ان اجانب السبعينات يصبحون يهود الثلاثينات .

اننا نتوجه اليكم بان تستعملوا جميع صلاحياتكم المعنوية لوضع حد للسياسة العدائية ضد الاجانب التي تنتهجها السلطات الالمانية . اذا لم يتخذ أي اجراء حاليا ، فان التاريخ قد يعيد نفسه ولكن عندها لا تصبح فائدة للندم وللنقد الذاتي وسيكون ذلك بالتأكيد متأخرا جدا . »

وقد ارسلت نسخ من هذا الخطاب الى الشخصيات والمنظمات التالية : أ — رئيس جمهورية المانيا الاتحادية هاينمان ، ب — منظمة العفو الدولية أمنستي ، ج — اللجنة القومية للحقوقيين الامريكيين ، د — اللجنة الدولية للحقوقيين الديمقراطيين ، هـ — لجنة حقوق الانسان الدولية ، و — اللجنة الدولية للحقوقيين الكاثوليك .

٢ — اتخذت الكنفدرالية قرارا بالاعتصام والاضراب عن الطعام بالاشتراك مع بعض الشباب الالمان التقدميين لايمانهم العميق بضرورة التأييد المعنوي العملي للاضراب الذي بدأه الطلاب والعمال الفلسطينيون في مبنى الجامعة العربية .

بدأ الاضراب عن الطعام يوم ١٠/٥ الساعة الرابعة بعد الظهر في منزل الطلبة البروتستانت (الانجيليين) . وقد بلغ عدد المضربين ٣٥ طالبا ايرانيا والمانيا ، بعد البدء في الاضراب أصدرت الكنفدرالية بيانا صحفيا هذا نصه :

« بدأت منذ امس (١٩٧٢/١٠/٥) الساعة الرابعة بعد الظهر كنفدرالية الطلبة الايرانيين اضرابا في منزل اتحاد الطلبة الانجيليين في بون يشترك فيه عدا الطلبة الايرانيين طلاب المان ايضا . ان هدفنا من هذا الاضراب هو اعلان تأييدنا التام ومساندتنا لمطالب الطلبة الفلسطينيين المضربين عن الطعام منذ ثمانية ايام . اننا نشجب بشدة التصرفات ضد العمال والطلبة العرب وهي الاعتقالات والترحيل والطرد ، ومن ثم حل المنظمتين العمالية والطلابية اللتين كانتا تحاولان اعلام الرأي العام الالماني عن الحق العادل والمشروع لكفاح الشعب الفلسطيني .

ان هذه التصرفات البوليسية لا توجه فقط الى العرب وانما تمثل خطرا وانعدام الامن لكل الاجانب في المانيا الغربية . هذه التطورات ، بالاضافة الى اعمال البوليس الالماني ومحاولات الغاء المواد المتواجدة في قانون الاجانب — وهي في حد ذاتها هزيلة جدا من ناحية الحقوق المعطاة لهم — يعطي مجالا للشعور والتفكير في تطور يسمح استمراره بخلق حالة في المانيا ، نعلمها نحن الايرانيين في بلدنا جيدا كما نعلمها من التاريخ الالماني في الماضي القريب (أي وقت النازية) . نحن نرى ان هذه التطورات لا تمس الشؤون الداخلية الالمانية فحسب ، بل الرأي العام العالمي ايضا .

لذا قررت كنفدرالية الطلبة الايرانيين بذل كل قواها بالاشتراك مع جميع القوى والمنظمات التقدمية لاعلام الرأي العام العالمي بهذا التطور الخطير . وسنعمل في نفس الوقت على القيام بالاحتجاج في الولايات المتحدة وفرنسا ، ايطاليا ، النروج ، السويد ، الدانمرك ، هولندا ، النمسا ، انجلترا ، واليابان ، وننطلق من انه من غير الممكن الصمت على الاعمال التي تحصل ضد الاقليات الاجنبية في المانيا الاتحادية تحت شعار « القانون والنظام » .

اننا نطالب كل القوى التقدمية في المانيا الاتحادية بمساعدتنا في اعمالنا » .

نسرد الان اعمال الاحتجاج التي جرت في المانيا

الغربية وباقي دول اوروبا الغربية والولايات المتحدة والعالم العربي حسب التوقيت الزمني :

يوم ٧—١٠/٨ : قام الطلبة الفلسطينيون في الجزائر باحتلال السفارة الالمانية احتجاجا على الاعمال التعسفية والضغط تجاه الرعايا العرب في المانيا . كذلك طالبت ١٤ منظمة طلابية في دمشق بضرب مصالح المانيا الاقتصادية في العالم العربي ودعت عمال الموانىء بعدم تفريغ السفن والطائرات الالمانية كاحتجاج على ما تقوم به السلطات الالمانية .

يوم ١٠/٨ : بدأت مجموعة من الطلاب الفلسطينيين في بيروت بالاضراب عن الطعام احتجاجا على حظر المنظمات الفلسطينية .

يوم ١٠/٨ : قامت مظاهرة ضخمة في مدينة دورتموند (في منطقة الرور) اشترك فيها حوالي خمسة عشر الف شخص ، كانت قد دعت اليها المنظمات الاشتراكية والتقدمية احتجاجا على القوانين الالمانية الرجعية التي تطبق على الاجانب وضد اعمال الطرد والاعتقال والمعاملة الفاشية التي يلقاها العرب هنا ، وضد حل المنظمات الفلسطينية . ولقد شارك في هذه المظاهرة الضخمة — الى جانب الالمان التقدميين — افواج كبيرة من العمال والطلبة الاجانب التقدميين مثل الاسبان ، الايطاليين ، الاتراك والايرانيين .

يوم ١٠/٩ : بدأ اربعون شخصا الاضراب عن الطعام في مكتب الجامعة العربية في باريس تأييدا لمطالب زملائهم في العاصمة الالمانية واحتجاجا على الاعمال الفاشية الالمانية وقد استمر الاضراب ثلاثة ايام .

يوم ١٠/٩ : الطلاب الفلسطينيون يحتلون مكتب الاعلام التابع لهيئة الامم في بغداد ويطالبون حكومة المانيا الغربية التوقف عن أعمال العنف ضد العرب ، والتراجع عن قرار حل المنظمتين .

يوم ١٠/١٠ : قامت مسيرة احتجاج امام السفارة الالمانية في لندن .

يوم ١٠/١١ : قامت بعض التنظيمات الالمانية اليسارية والتقدمية في جامعة فرانكفورت بالدعوة لعقد اجتماع حضره حوالي ٧٠٠ شخص القيت فيه محاضرات تشرح الترابط العضوي بين الامبريالية الالمانية واسرائيل الصهيونية والاسباب الحقيقية التي ادت الى اتخاذ الخطوات التعسفية وحل المنظمات .

يوم ١٠/١١ : مئات من المتظاهرين ابدوا امتعاضهم الشديد امام السفارة الالمانية في هولندا من الاعمال البوليسية ضد الرعايا العرب .

يوم ١٠/١١ : عقد اجتماع للطلبة في جامعة فيينا بالنمسا للاعراب عن احتجاجهم ولشرح الاوضاع في المانيا الاتحادية وللقضية الفلسطينية . في اليوم ذاته قدم مؤتمر المنظمة الايطالية ضد الفاشية المنعقد في ايطاليا ، احتجاجا شديد اللهجة وشجبا لما تقوم به المانيا ضد الاجانب .

كذلك ، وفي اليوم نفسه ، اصدرت منظمتا « اتحاد المحامين العرب » و « اتحاد الكتاب العرب » بيانا يحتجان فيه على اعمال المانيا التعسفية .

يوم ١٠/١٢ : عقد اجتماع طلابي في بون (في مبنى الجامعة) حضره حوالي ١٠٠٠ شخص يؤيد المعتصمين .

يوم ١٠/١٢ : مظاهرات امام مبنى هيئة الامم في نيويورك والقنصلية الالمانية في واشنطن .

يوم ١٠/١٣ : قام حوالي ١٥٠ طالبا بمظاهرة امام القنصلية الالمانية في نيويورك وكانوا مقنعين حتى لا يتعرف البوليس على هوياتهم ، وذلك احتجاجا على السياسة البوليسية العدائية ضد العرب في المانيا الغربية وذكر ان غالبية الطلبة كانت من العرب والايرانيين والاثيوبيين ومن دول امريكا اللاتينية . وقد وزعت المنشورات ورفعت لافتات تطالب الحكومة الالمانية برفع الحظر عن المنظمات الفلسطينية وايقاف عمليات الطرد . وقد قدم ثلاثة من المتظاهرين مذكرة احتجاج الى القنصل العام يطالبونه بوقف الدعاية المسمومة ضد العرب والاجانب في المانيا .

يوم ١٠/١٤ : تظاهر الطلاب العرب والايرانيون اربع ساعات كاملة امام السفارة الالمانية في لندن. في اليوم ذاته بدأ طلاب فلسطينيون وعرب وايرانيون باضراب عن الطعام في مكتب الجامعة العربية في لندن ايضا .

يوم ١٠/١٨ : بدأ خمسون من الطلبة العرب ، الايرانيين ، النمساويين والامريكان بالاعتصام والاضراب عن الطعام في مبنى اتحاد الطلبة الاشتراكيين في العاصمة النمساوية فيينا ولمدة ثلاثة أيام .

يوم ١٠/١٨ : ثمانون طالبا عربيا وفلسطينيا احتلوا مبنى القنصلية الالمانية في كراتشي احتجاجا

على المعاملة البربرية ضد زملائهم في المانيا الغربية .

يوم ١٩/١٠ : بدأت مسيرة « دائرية » أمام مبنى القنصلية الالمانية في مدينة سان فرانسيسكو ، وذلك لمدة ٢٤ ساعة وانتهت بمظاهرة احتجاج ضخمة .

« الاسس القانونية » لحظر الاتحاد العام لطلبة فلسطين والاتحاد العام للعمال

قبل ان نختتم هذا التقرير نرى انه من المفيد للقراء ان نعرض عليهم قرار الحظر الذي اصدرته السلطات الالمانية . فالى جانب « الفائدة » القانونية التي تظهر بجلاء ما هي « الحقوق » التي يتمتع بها الاجانب في ظلال « الديمقراطية » الالمانية الغربية ، هناك « فائدة » اخرى وهي التعرف على نظرة وموقف القيمين على تنفيذ القوانين الالمانية الغربية تجاه نشاطات الاتحادات الفلسطينية وتجاه القضية الفلسطينية بشكل عام والكفاح المسلح بوجه خاص .

لهذه الاسباب نقدم في الصفحات التالية ترجمة النص الكامل لقرار الحظر .

بون ٣ اكتوبر ١٩٧٢

طبقا للمواد ٣ ، ١٤ ، ١٥ فقرة ١ من قانون الاتحادات العامة (قانون الاتحادات) بتاريخ ١٩٦٤/٨/٥ (صحيفة القانون الاتحادي ، ص ٥٩٣) والذي تغير مؤخرا بقانون في ١٩٦٨/٦/٢٥ (نفس الصحيفة ، ص ٧٤١) أصدر التالي :

قرار الحظر

١ ــ يحظر الاتحاد العام لطلبة فلسطين في منطقة سريان مفعول هذا القانون (قانون الاتحادات) ويصبح بهذا محلولا .

٢ ــ تحجز وتصادر اموال الاتحاد العام لطلبة فلسطين .

٣ ــ سوف يتقرر تنفيذ هذا القرار فورا دون التعرض للاموال .

الاسباب

١ــ١ طبقا للمادة ١٤ الفقرة ١ من قانون الاتحادات يمكن حظر الاتحادات التي يكون جميع او معظم اعضائها او رؤسائها من الاجانب ، وحسب نفس القانون يمكن الحظر عندما تصبح الممارسة السياسية خرقا خطيرا للامن الداخلي او النظام العام لجمهورية المانيا الاتحادية .

١ــ٢ بالنسبة للاتحادات التي مركزها في الخارج والتي تقع اعمالها او تنظيماتها ضمن منطقة مفعول هذا القانون تسري عليها المادة ١٤ من قانون الاتحادات التي تتفق مع المادة ١٥ الفقرة الاولى .

٢ــ١ الاتحاد العام لطلبة فلسطين اتحاد اجنبي في عرف المادة ١٥ فقرة ١ واعضاؤه متواجدون ضمن سلطة هذا القانون ــ كما هو معروف ــ وكلهم اجانب (فلسطينيون) .

٢ــ٢ الاتحاد العام لطلبة فلسطين اتحاد اجنبي في عرف المادة ١٥ فقرة ١ وهو حسب دستوره « تنظيم طلابي يمثل الطلبة الفلسطينيين في جميع انحاء العالم » . الهيئة التنفيذية ــ وهي أعلى سلطة للاتحاد ــ تتكون من ممثلي فروعه في جميع انحاء العالم ومقرها القاهرة .

كونفيدرالية الاتحاد العام لطلبة فلسطين في منطقة سريان مفعول قانون الاتحادات تعتبر فرعا غير مستقل عن الاتحاد العام لطلبة فلسطين وكما هو معروف تتالف الكنفدرالية في منطقة سريان هذا القانون من ٢٦ فرعا محليا يتراوح عدد اعضائها بين ٦٠٠ ــ ٨٠٠ عضو .

تتوافر في الاتحاد العام لطلبة فلسطين الشروط التي تسمح بالحظر .

٣ــ١ يعرّض الاتحاد ، عن طريق ممارسته السياسية ، الامن الداخلي لجمهورية المانيا الاتحادية للخطر (مواد ١٤ ، ١٥ فقرة ١) .

٣ــ١ــ١ الاتحاد العام لطلبة فلسطين يمارس النشاط السياسي . وهو لا يعمل في المانيا حسب شروط تسجيله وانما ــ حسب المعروف عنه ــ عالميا « العودة الى الارض المغتصبة بجميع الوسائل المذكورة في دستور الاتحاد » وهذا يتضمن حسب المادة ١٣ فقرة ٤ (الى جانب اشياء اخرى) « اعداد الشباب العربي الفلسطيني للكفاح من اجل العودة » . هذه الاهداف السياسية ليست موضع التقييم هنا ، لكن من خلال الممارسة ، ينقل الاتحاد العام لطلبة فلسطين ، الى داخل المانيا الاتحادية ، القوة كوسيلة لحل الخلافات السياسية والتي هي خلافات عالمية لا تحسم في حدود المانيا .

الاتحاد العام لطلبة فلسطين يتعاون تعاونا وثيقا مع الاتحاد العام لعمال فلسطين .

٣ــ١ــ٢ يعرّض الاتحاد العام لطلبة فلسطين عند تحقيقه لاهدافه الامن الداخلي لالمانيا الاتحادية للخطر .

٣ــ١ــ٢ــ١ الاتحاد تنظيم سياسي يرتكز عمله على التآمر والسرية . وحقيقة ان الكنفدرالية مسجلة طبقا للمادة ١٩ من قانون تنظيم الاتحادات ــ كذلك الامر بالنسبة لبعض فروعها المحلية ــ ، الا ان المعلومات المعطاة عند التسجيل كانت في بعض الحالات غير صحيحة ، حيث ان الدستور مغاير للدستور الاساسي للفرع الرئيسي في القاهرة الذي تطبقه في الحقيقة ، كما ان بعض المعلومات ناقصة. عن طريق الاخفاء المتعمد لحقيقة الاهداف وللعمل السياسي عن السلطات الالمانية ، لكي يستحيل اختبار شرعية عملها ، تعرّض الكونفدرالية الامن الداخلي للخطر .

٣ــ١ــ٢ــ٢ في العديد من القرارات الداخلية والمطبوعات والمناشير يعترف الاتحاد العام لطلبة فلسطين ان العنف والارهاب وسيلة لتحقيق سياسته ــ ليس فقط ضمن حدود « فلسطين » .

وتحتوي « النشرة الداخلية » للاتحاد العام ــ الهيئة التنفيذية ــ في القاهرة مقالا (بتاريخ ١٩٧١/١٢/١٨) يتضح منه ان الاتحاد العام لطلبة فلسطين في المانيا الغربية قد رحب بمصرع وصفي التل رئيس الوزراء الاردني وجاء في هذه النشرة : ــ « ان كنفدرالية المانيا الغربية والنمسا ... أصدرت نشرة دورية بعنوان « تحية للابطال » حيث فيها الثوار الاربعة الذين نفذوا حكم الاعدام بالعميل وصفي التل » . وقد طالب المؤتمر العاشر للكنفدرالية الذي عقد في ايبرباخ ــ هايدلبرغ من ٢ ــ ٥ يناير ١٩٧٢ بعزل اثنين من قادة حركة التحرير الفلسطينية من مناصبهم لانهما وقفا موقف المنتقد من مقتل وصفي التل .

وبالتعاون مع الاتحاد العام لعمال فلسطين يصدر الاتحاد العام لطلبة فلسطين جريدة فتح التي تمجد في عددها السادس ــ بدون تاريخ ــ استراتيجية وتكتيك حرب العصابات (التوباماروس) خارج نطاق فلسطين . وفي المؤتمر الوطني الخامس لاتحاد طلبة فلسطين الذي حضره مندوبون من جميع انحاء العالم وعقد في عمان من ٧/٣١ ــ ١٩٦٩/٨/٦ تقرر بالنسبة « لدور الطالب في الكفاح » ان : « يلتزم جميع الاعضاء بالتدريب العسكري -اثناء الاجازة الصيفية ليتمكنوا من ممارسة الكفاح المسلح » .

طبقا لاهداف الاتحاد العام لطلبة فلسطين قام بعض افراده علنا بأعمال عنف مختلفة في المانيا الاتحادية وعلى سبيل المثال محاولتين من ٦/١٢/ ١٩٧٠ و ١٩٧٠/٩/٢١ لاحتلال السفارة الاردنية في بون بالقوة بسبب الصدامات في الاردن والتي شكلت الخلفية لنشوء منظمة ايلول الاسود حسب أقوال قادتها ، والتي تحملت مسئولية الهجوم على الفريق الاسرائيلي في القرية الاولمبية في ميونخ بتاريخ ١٩٧٢/٩/٥ .

وبتاريخ ١٩٧٢/٩/٢٧ عثر في بروتوكولات فرع فرانكفورت ــ دارمشتادت على اشارات تدل على ان اتخاذ خطوات اخرى لاستعمال العنف قد أخذ بعين الاعتبار .

٣ــ١ــ٢ــ٣ ان الخطر على الامن الداخلي يتمثل ايضا في ان الاتحاد العام لطلبة فلسطين يدعم منظمات فلسطينية تعمل بوسائل حرب العصابات بالرغم من ان هذه المنظمات لا تقصر عملها في « الكفاح الثوري » على ارض فلسطين فقط وهذا هو السبب الاهم في تعريض الامن الداخلي لالمانيا الاتحادية للخطر .

وقد دعا المؤتمر العاشر للكنفدرالية بالمانيا الاتحادية الى تعبئة جميع الطاقات من هذا النوع .

يوجد تعاون واتصال شخصي بين الاتحاد العام لطلبة وعمال فلسطين وهذه المنظمات كما ان اعضاء بارزين في اتحاد عام طلبة فلسطين هم في الوقت نفسه اعضاء عاملون في منظمات لا يمكن ان يستبعد انها او احداها مسئولة عن حوادث الارهاب في المانيا الاتحادية وضد خطوط الطيران العالمي ، والتي لها خلايا تآمرية في المانيا .

وهكذا يصدر رئيس الاتحاد العام لطلبة فلسطين في المانيا الاتحادية من عام ١٩٦٩ عبدالله افرنجي، والذي غادر المانيا الاتحادية في نهاية سبتمبر ١٩٧٢ ، الى جانب عمله في الاتحاد ، يصدر المجلة الشهرية « الثورة الفلسطينية » والتي تصدر في فرانكفورت . وقد عثر لديه ولدى العديدين من المسئولين في الاتحاد على دفاتر ايصالات وطوابع تبرع لهذه المنظمات . كذلك وجدت لديه اثناء التفتيش ــ بسبب الشك في

مخالفته لقانون حيازة الاسلحة — خمسة أجهزة لاسلكية مهياة لاستخدامها في الاعمال التخريبية .

وقد كان المسئول القيادي الافرنجي حلقة اتصال مع الارهابيين الذين قاموا بالهجوم على الفريق الاوليمبي الاسرائيلي في ١٩٧٢/٩/٥ والذي أعلنت « ايلول الاسود » مسئوليتها عنه . وقد كان عكرمة عفاني ، على سبيل المثال ، مسئولا سياسيا في فتح سنة ١٩٧٠ وفي نفس الوقت المسئول الاول من الكنفدرالية في المانيا الاتحادية.

الاتحاد العام لطلبة فلسطين يدعم منظمة ايلول الأسود الارهابية صراحة ففي جريدتهم التنظيمية (الثورة) الصادرة بتاريخ ١٩٧٢/٦/٢ نشر دون تحفظ بيان لمنظمة ايلول الاسود يشرح ويبرر في صفحات طويلة خطف احدى طائرات شركة سابينا الى اللد في ١٩٧٢/٥/٨ ويناشد بالقيام بنشاطات « ثورية » اخرى .

اما جريدة (الاتحاد) الصادرة عن اللجنة التنفيذية لاتحاد عام طلبة فلسطين في القاهرة فقد نشرت في ديسمبر ١٩٧١ ان « الابطال » الاربعة الذين قتلوا رئيس الوزراء الاردني وصفي التل هم مؤسسو منظمة ايلول الاسود والتي يصل عدد اعضائها ٥٠٠ عضو « وهم متفرقون في جميع انحاء العالم لافناء جميع الخونة والعملاء الذين يريدون الاضرار بالثورة الفلسطينية » .

٣—١—٢—٤ علاوة على مراعاة القلق الذي يمكن تفهمه في صفوف الشعب بسبب الاعمال الارهابية لمنظمات مثل ايلول الاسود ونشاطات ودعايات منظمات فلسطينية راديكالية قليلة العدد مثل الاتحاد العام لطلبة فلسطين فان هذه الاعمال والدعاية يمكن ان تهدد العلاقة السلمية المنشودة بين الشعب الالماني وحوالى ٥٠٤٠٠٠ عربي يعيشون في المانيا الاتحادية ويحترمون القانون ، وهذا قد يشكل خطرا على الامن العام في المانيا الاتحادية .

٣—٢ بما انه من الثابت ان الاتحاد العام لطلبة فلسطين يهدد الامن الداخلي لالمانيا الاتحادية فمن الممكن اذن تطبيق قانون الحظر حسب البند ٣ فقرة ١ والفقرة الاولى من البند ١٤ و١٥ من قانون الاتحادات (تهديد مصالح هامة اخرى لالمانيا الاتحادية ، مخالفة للهدف او العمل ضد قانون العقوبات والعمل ضد فكرة التفاهم بين الشعوب) .

بعد هجوم الارهابيين اثناء الالعاب الاولمبية في ميونخ بتاريخ ١٩٧٢/٩/٥ أعلن مرارا عن ضربات قادمة في المانيا . ويجب ان يؤخذ بالحسبان ان الارهابيين الفلسطينيين الذين يدعون أنفسهم مكافحين للتحرير سوف يحاولون تدبير وتنفيذ أعمال عنف في المانيا الاتحادية والتي سوف تعتمد على الاتحاد العام لطلبة فلسطين . ويزيد من هذا الخطر ان الاتحاد يخفي اعماله عن المسئولين الالمان ، ولان الدعاية لاستخدام العنف كوسيلة سياسية وتمجيد الارهاب بين اعضائه يزيد الارض اخصابا لاعمال ارهابية وحمايتها والتدبير لها ولازالة العقبات وضمان استمرار العمليات الاخرى .

وهذا لا يتعارض مع التحفظ العلني الذي أعلن عنه الاتحاد العام لطلبة فلسطين لان ذلك كان صوريا . كما وتوجد دلائل على ان هذا لم يحدث الا لوضع موانع امام السلطات الالمانية حتى لا تحظر هذه المؤسسات .

لهذا يحظر الاتحاد العام ويحل . هذا القرار يعتبر في صالح العرب المقيمين في المانيا الاتحادية — بصرف النظر عن بعض الراديكاليين — لكي لا يتاثر التعايش السلمي بينهم وبين الشعب الالماني بسبب نشاطات مثل تلك الخاصة بالاتحاد، او عن طريق توجيه النقد لهم بدون تمييز .

وطبقا للبند ٣ فقرة ٢ من قانون الاتحادات سوف يسلك هذا السبيل من قبل السلطات في المقاطعات.

٥ — أمر مصادرة الاملاك والاستيلاء عليها يخضع لبند ٣ الفقرة ١ .

٦ — التنفيذ الفوري للحظر والحل وكذلك الاستيلاء على الاملاك هو في الصالح العام (بند ٨٠ الفقرة ٢ رقم ٤ من قانون تنظيم الادارة) . وبهذا فقط يمكن استحالة تنظيم ضربات قادمة من الاتحاد الذي يعتبر قاعدة اساسية وتنظيمية ومنطقية لاعمال الارهابيين الاجانب .

القضية الفلسطينية في كتب التاريخ المدرسية الاميركية

للدكتور الياس زين

كيف ترد حوادث القضية الفلسطينية في كتب التاريخ الاميركية التي تدرس في مدارس المرحلة الثانوية ؟ ما هو موقف المؤلفين من القضية وشعب فلسطين واليهود عامة ؟ هل هو موقف ايجابي أو موضوعي أم متحيز ؟ هل يروون القصة كاملة أو هل يظهرون كل الحقائق أو بعضها؟ هل موقفهم عادل حيال القضية وشعب فلسطين المشرد ؟

ان الغرض الرئيسي من هذا البحث هو محاولة الاجابة على هذه الاسئلة وما شابهها . وذلك بدرس محتوى كتب التاريخ التي تدرس في المرحلة الثانوية في المدارس الاميركية ، وتحليل المحتويات بالنسبة للقضية الفلسطينية خلال عقدين من الزمن ، اي منذ قرار الامم المتحدة للتقسيم في عام ١٩٤٧ وقيام اسرائيل في عام ١٩٤٨ الى حرب سنة ١٩٦٧ . وبكلام اوضح نستهدف في بحثنا هذا درس كل ما دون في ٣٤ كتابا تاريخيا اميركيا معدا خصيصا للمرحلة الثانوية في تلك البلاد ثم تحليل المحتويات في ضوء الحقائق التاريخية للقضية الفلسطينية . ومما يذكر ان جميع ما دون في تلك الكتب انما ورد في معرض الحديث عن سياسة الحكومة الاميركية الخارجية وخاصة سياستها في الشرق الاوسط .

ولا ريب في ان هذا البحث التحليلي هو المحاولة الاولى من نوعها في هذا السبيل ، بحيث لم يتطرق احد من الباحثين لمعالجة مثل هذا الموضوع الخطير . ولعل الدافع الرئيسي للقيام بمثل هذا المشروع الفريد كان وجود الباحث في جامعة جنوب الينوي في العام الدراسي ٧١ — ١٩٧٢ ، حيث تحتفظ مكتبة الجامعة المذكورة بمجموعة كبيرة من كتب التاريخ المعدة خصيصا للمدارس الثانوية الاميركية تحت عناوين مختلفة . وبعد قراءة هذه الكتب وجد مغالطات وحقائق مشوهة بالنسبة للشعب الفلسطيني وقضيته العادلة ومواقف منحازة للشعب اليهودي واسرائيل . ولا يمكن للباحث الموضوعي والمتفهم للقضية الفلسطينية ان يقف مكتوف الايدي تجاه تلك المغالطات وتزوير الحقائق والتاريخ الفلسطيني المعاصر . ولعل الخطر كل الخطر ، يتلخص في ان الشبيبة الاميركية الناشئة لا تقرأ عن القضية الفلسطينية سوى وجهة النظر الصهيونية ، اي حقائق مبتورة ومشوهة وناقصة . هذا يعني ، بالاختصار ، ان رجال الغد الاميركيين ، اي طلاب المرحلة الثانوية ، لا يتلقون الحقائق عن القضية الفلسطينية كما هي بالذات بل كما يردها الصهيونيون الذين يقدمون للعالم جانب واحد من الحقائق وبالتالي معلومات مزورة ومشوهة ، لا تمت الى الطرق العلمية والموضوعة بشيء ، ولا الى واقع القضية الفلسطينية وللشعب الفلسطيني المجاهد .

هذا ولقد جمعت المعلومات من الكتب التي استطعت الحصول عليها من مكتبة جامعة جنوب الينوى ثم درستها وحللتها في ضوء النقاط التالية: قرار التقسيم في عام ١٩٤٧ ، قيام اسرائيل في عام ١٩٤٨ ، حرب السويس والعدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦ ، حرب حزيران (يونيو) في عام ١٩٦٧ ، واخيرا وصف عام لاسرائيل وللعرب . وبنتيجة البحث والتدقيق والتأمل تبين ان القضية الفلسطينية تذكر من طرف واحد (الصهيوني) ، وان الكتابة اجمالا تفتقر الى الموضوعية والطريقة التاريخية والعلمية في تقصي الحقائق التاريخية ، وان وجهة النظر العربية بالنسبة للقضية غير واردة عامة ، وان الكتب مشحونة بالحقائق المشوهة والمبتورة ، وان المؤرخين لا يتطرقون لخلفية القضية واساسها ، وان عبارة اللاجئين الفلسطينيين لا تذكر ، وكذلك عبارة الشعب الفلسطيني المشرد لا ترد اطلاقا ، وان الصورة المدونة للعرب هي في انهم قوم متخلفون غير ان المؤرخين يذكرون اسرائيل والشعب اليهودي بشيء من الفخر والاعتزاز وان كلمة اسرائيل مرادفة لفلسطين،وان اليهود قوم مشردون وعانوا ما عانوا من المانيا النازية ابان الحرب العالمية الثانية، غير ان اضطهاد اسرائيل للفلسطينيين وتشريدهم لا يذكر بتاتا ، وان اسرائيل قد حصلت على « استقلالها » في عام ١٩٤٨ ، وان الامم المتحدة

قد ساعدت على قيام اسرائيل وانشائهافي فلسطين كحق شرعي للشعب اليهودي المشرد والمضطهد . ويلاحظ ان المؤرخين ربما يستخدمون الكلمات والعبارات بشكل مدروس للتأثير النفسي على القارىء او التلميذ ، وكذلك انهم يتخذون مواقف يمكن ان يقال عنها انها عنصرية تجاه العرب ، حيث يستعملون عبارات وكلمات تتهجم على العرب ، الخ .

قبل قيام اسرائيل

بعد هذا ، نأتي الآن الى عرض الحوادث وتحليلها ، بالتسلسل التاريخي للقضية الفلسطينية . وسنبدأ برواية اولئك المؤرخون بالفترة التي سبقت قيام دولة الصهاينة فيفلسطين المحتلة . كتب المؤلف « روجرز » من جامعة جنوب كارولينا يقول : « في غضون عشرين سنة بعد عام ١٩١٧ (اعلان وعد بلفور) استوطن الوف اليهود في فلسطين ، حيث حققوا تقدما كبيرا في الزراعة والصناعة كما بنوا مدارس وانشأوا مشاريع ري وحسنوا البلاد بوجه عام . وفكر اليهود الذين اضطهدوا من قبل النازيين والمناطق التي وقعت تحت الاحتلال النازي اثناء الحرب العالمية الثانية ، في فلسطين « كارض ميعاد لهم »(١). وكتب البروفسور « بتروفيتش » والبروفسور « فيلبس » من جامعة ويسكونسن الشهيرة ، ما يلي : « في اعقاب اعلان بريطانيا تحديد هجرة اليهود في عام ١٩٣٩ ، نظم اليهود في فلسطين مقاومة سرية وذلك لاظهار المطالب الصهيونية بالقوة ، اذا دعت الضرورة . وبعد انتهاء الحرب قامت عدة منظمات صهيونية بارهاب ثوري للمطالبة بتقرير المصير » (للشعب اليهودي)(٢). وذكر مؤرخان آخران في هذا المجال : « وفي ابان الحرب العالمية الثانية ، هاجر الى فلسطين الوف اليهود من اوروبا وذلك خوفا من الاضطهاد النازي وعملوا الخطط لانشاء أمة يهودية جديدة في فلسطين . ولكن العرب القاطنين في فلسطين لم يريدوا ذلك »(٣).

والآن نأتي الى ذكر بريطانيا وقرار التقسيم . كتب مورخان عن ذلك ما يلي : « في عام ١٩٤٧ طلبت بريطانيا من الامم المتحدة مساعدتها لحل القضية الفلسطينية واعلنت عن عزمها من الانسحاب في السنة التالية . فالفت لهذا الغرض لجنة للتحقيق . وبنتيجة التحقيق اوصت الجمعية العامة التابعة للامم المتحدة بقيام دولتين منفصلتين في فلسطين : الواحدة يهودية والاخرى عربية . فقبلت الخطة اسرائيل وشكلت دولة اسرائيل الجديدة عام ١٩٤٨ . وعندما انسحبت الجيوش البريطانية من اسرائيل ، اندلعت نيران الحرب بين اسرائيل وجيرانها العرب »(٤). وكتب المؤرخ « ريشارد كوران » ، من جامعة كارولينا الشمالية يقول : « الا ان تقسيم فلسطين ازعج العرب واحتجوا على ان حقوق الفلسطينيين العرب قد انتهكت . وتطلع العرب الى فلسطين وكانها لهم ، فعارضوا بالقوة لمنع انشاء الدولة اليهودية ، وبدأوا الحرب »(٥).

واما بالنسبة لعلاقة اسرائيل بالامم المتحدة ، نجد ان بعض المؤرخين يعدون انشاء اسرائيل من اعظم الانجازات التي قامت بها المنظمة. قال البروفسور « كويلن » من جامعة ستانفورد : « كان قيام استقلال بلد اسرائيل من اعظم الانجازات التي قامت بها الامم المتحدة »(٥). وقال « بايلي » من جامعة ستانفورد ايضا : « تعتبر الامم المتحدة المسؤولة بالدرجة الاولى عن خلق دولة اسرائيل اليهودية الجديدة ونتيجة لذلك نشبت نزاعات خطيرة بين اليهود وجيرانهم العرب الحانقين » (الغاضبين)(٧).

قيام اسرائيل في سنة ١٩٤٨

وعلى صعيد قيام اسرائيل في سنة ١٩٤٨ ، كيف يصف المؤرخون قيام الدولة الصهيونية ؟ وكيف يصفون ايضا ردود فعل العرب على ذلك ؟ ويمكن تلخيص وصف المؤرخين بأن اسرائيل نالت « استقلالها » بعد انسحاب بريطانيا من فلسطين وان اليهود أعلنوا « استقلال » دولتهم الجديدة بعد سنوات من الاحلام وان العرب هاجموا الدولة الجديدة . واليك ما قاله بعض المؤرخين حول ذلك . فلنبدأ اولا بوصفهم لسحب بريطانيا ثم اعلان اسرائيل . يقول « ستيفن بروانز » : « في عام ١٩٤٨ تركت الجيوش البريطانية اسرائيل حيث اندلع القتال بينها وبين جيرانها العرب . وأبان الاضطهادات النازية في الحرب العالمية الثانية هرب عدد كبير من اليهود الى فلسطين ، حيث اعلنوا جزءا منها جمهورية اسرائيل المستقلة »(٨). ومما قاله اخرون : « اعلن اليهود بفرح قيام دولة اسرائيل ولكن العرب رفضوا قبول الامم المتحدة وهاجموا اليهود » . « عندما انهت

بريطانيا انتدابها على فلسطين » . « اقام اليهود دولة اسرائيل واندلع الحرب بينها وبين جيرانها العرب » . « اعلنت اسرائيل استقلالها في ١٥ ايار (مايو) في عام ١٩٤٨ » . « اصبحت فلسطين مستقلة في عام ١٩٤٨ » . « اعلن اليهود استقلال دولة اسرائيل » . ومما قاله « كارتي » : «عندما انهت بريطانيا انتدابها على فلسطين طوعيا ، اعلن اليهود في فلسطين في يوم ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ استقلال دولة اسرائيل الجديدة . وهذا العمل جعل اسرائيل تخوض حربا مع جيرانها الاقطار العربية — مصر والاردن ولبنان وسوريا والعراق والمملكة العربية السعودية »(٩). وهكذا يتضح ان قيام اسرائيل يرتبط « بالاستقلال » وانسحاب بريطانيا من فلسطين بعد انتدابها ولم يذكروا ان قيامها كان بالقوة والحديد والنار والتشريد والاغتصاب والعدوان . ومن جهة ثانية يعتبر المؤرخ « هارتمان » : « ان من اهم انجازات الامم المتحدة ، كان انشاء استقلال دولة اسرائيل في فلسطين »(١٠). وذكر اخر : « اعلن اليهود قيام دولة اسرائيل في الجزء الغربي من فلسطين ، حسب قرار الامم المتحدة » . ويقول « بلات » و « دراموند » ان الولايات المتحدة اعطت مساعدات وتشجيع لاسرائيل الموالية للغرب والديمقراطية الوحيدة في الشرق الاوسط »(١١). ويقول « براغدن » ان عددا كبيرا من الاميركيين ايدوا على نطاق واسع دولة اسرائيل التي اقيمت في وطن اليهود الاصلي ، ولكن العرب كرهوا اسرائيل ، بيد انهم لا يتفقون بعضهم مع البعض مما جعل التعاون (مع العرب) مستحيلا »(١٢). وقال « بلات » ان هذه الامة الجديدة كانت تحقق حلم ٢٠٠٠ سنة من الزمن للعديد من اليهود»(١٣). وادعى « هارولد ايبلغ » : « ان بلدنا (الولايات المتحدة) يريد ان تكون صديقة لدولة اسرائيل الديمقراطية الصغيرة ولكن وجدت ذلك صعبا في ان تكون صديقة للاسرائيليين وللعرب في نفس الوقت »(١٤).

واما تعليقات المؤرخون الاميركيون لردود فعل الدول العربية لاعلان اسرائيل فهي الحرب والعدوان والغضب الساطع الهجوم والغزو ، وما شابه ذلك . قال « براون » استاذ التاريخ في جامعة ولاية نيويورك : « اعلنت الامة اليهودية اسرائيل دولة مستقلة ، وفورا اعلنت خمس بلدان عربية الحرب على اسرائيل »(١٥). وذكر « ميشال بتروفيتش » من جامعة وسكانسون : « اعلن الزعماء الصهيونيون استقلال فلسطين اليهودية في ١٩٤٨ ودعوا امتهم اسرائيل . والدول العربية — شرق الاردن ، مصر وسوريا والعراق — غزت فلسطين ، حيث بدأ العرب حرب الاستقلال الاسرائيلي »(١٦). وقال « روجرز » من جامعة جنوب كارولينا : « اعلن اليهود دولة اسرائيل كدولة مستقلة جديدة . الا ان الدول العربية شنت حربا ضد الدولة الجديدة فورا »(١٧). وقال « كسنر » : « غضبت الدول العربية لان جيش اسرائيل ارغم عددا من السكان العرب في فلسطين الى ترك البلاد الجديدة »(١٨). وزعم « مازور » : « هاجمت جيوش سوريا ولبنان والاردن والعراق ومصر ، اسرائيل معلنة عزمها على طرد اليهود ورميهم في البحر »(١٩). وادعى « كوران » « ان العرب شنوا حربا اثر قيام اسرائيل بـ ١١ دقيقة ولكن اليهود دحروا العرب ، الا ان الرئيس ترومان اعترف بها »(٢٠). وادعى « روزلي » : « ان جيوش عربية من سوريا ومصر ولبنان والاردن هاجمت الاسرائيليين ، ولكن الجيوش العربية الغازية هزمت في الحرب العربية الاسرائيلية »(٢١). وكتب «لاين»: « عارض العرب قيام اسرائيل اعتقادا منهم ان فلسطين تنتمي الى بعض الاقطار العربية »(٢٢). وكتب « هنري كراف » استاذ التاريخ في جامعة كولومبيا : « تعهد العرب ، اعضاء الجامعة العربية ، لتحطيم اسرائيل ، الدولة الطفلة ، احدى الديمقراطيات القليلة التي ظهرت في السنوات الاخيرة . والجيوش العربية غزت اسرائيل ولكن هزمت في الحرب »(٢٣). وقال « ارثر بوالك » رئيس دائرة التاريخ في جامعة ميشغان : « هاجم العرب — الاردن وسوريا ومصر — جارتهم اسرائيل ، واما بقية فلسطين فقد احتلت من قبل مصر والاردن»(٢٤). وذكرت « اندرسون » ان الامم المتحدة توصلت الى عقد هدنة بين العرب واليهود في « اسرائيل » في عام ١٩٤٩(٢٥). وكتب استاذ التاريخ « ستافريانوز » من جامعة نورث وسترن : « اعلن اليهود استقلال دولة اسرائيل في الجزء التي منحته اياهم الامم المتحدة . وفي اليوم التالي اعلنت الجامعة العربية الحرب على اسرائيل وجمعت جيوشها للهجوم على الدولة الجديدة وسحقها تماما وازالتها »(٢٦). وذكر « جاردنر » : ان الدول العربية المحاطة باسرائيل عارضت قيام البلد الجديد ، مدعين بان

الارض هي ملك للعرب يجب ان تبقى تحت سلطة العرب. وعندما اعلنت استقلالها ، هاجمها العرب، واندلعت الحرب »(٢٧).

مما تقدم يتضح ان ذكر العرب يرتبط بالكلمات السلبية والتي ترمز الى العدوان مثال عارض ، هاجم ، غزا ، طرد ، رمى بالبحر ، غضب ، سخط،بينما ذكر اسرائيل يرتبط بالكلمات والعبارات الايجابية ، كالاستقلال والوطن .

حرب السويس ، ١٩٥٦

ولكن في حرب السويس والعدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ ، نجد ان المؤرخين الاميركيين المذكورين يستخدمون كلمات وعبارات تتسم بشيء من العدوان بالنسبة لاسرائيل ، ربما يعود ذلك الى ان موقف اميركا ، في ذلك الوقت ، كان ضد الغزو والعدوان ، وجدير بالذكر ان الكلمات البارزة التي تكررت في ذكر العدوان على مصر : « غزت » اسرائيل ، تكررت سبعة مرات ، « هاجمت » اربعة مرات ، « احتلت » اربعة مرات ايضا ، « شنت » مرتان . الا ان المؤرخين المذكورين لا يدينون اسرائيل بل يبررون هجومها وغزوها بان مصر نفسهااستولت على القنال ، او لان مصر كانت تخطط لغزو اسرائيل ، او لوضع حد لهجمات الفدائيين الذين كانوا ينطلقون من قواعد مصرية ، اي ان الهجوم كان ثمة ما يبرره بالدفاع عن المواطنين الاسرائيليين ضد هجمات الفدائيين . واليك الان عرضا سريعا لما كتبه المؤرخون في ذكر هجوم اسرائيل على مصر والعدوان وهجوم فرنسا وانكلترا ايضا (العدوان الثلاثي) . كتب استاذ التاريخ في جامعة كولومبيا « دايفد منزي » واستاذ التاريخ في جامعة برنستون « ارثر منك » : « هاجمت الجيوش الاسرائيلية مصر في ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٥٦ وخلال اربعة ايام سحقت جيوش الجنرال عبد الناصر واحتلت جميع شبه جزيرة سيناء »(٢٨).

وقال « بلات » : « غزت اسرائيل مصر وبسرعة احتلت شبه جزيرة سيناء المصرية ، كما هاجمت قواعد الفدائيين الذين كانوا متسلحين باسلحة روسية »(٢٩). وزعم « هنري بردغن » ان اسرائيل كانت غاضبة من جراء الهجمات على مواطنيها من القواعد المصرية، فبدأت هجوما على مصر في محاولة لتحطيم تلك القواعد (٣٠). وبرر « كارتي » هجوم اسرائيل بقوله : « غزت اسرائيل مصر لتحطيم هجوما مصريا مخططا ومدروسا لغزو اسرائيل من قبل مصر »(٣١). وبرر ايضا « مازور » بقوله : « رفضت مصر السماح للسفن الاسرائيلية او لسفن بلدان اخرى تحمل شحنات الى اسرائيل بالمرور في قنال السويس ، فغزت اسرائيل سيناء »(٣٢). هذا وأورد مؤرخون اخرون العبارات التالية : قامت اسرائيل بهجوم ناجح ضد مصر في سيناء ، وشنت اسرائيل هجوما على مصر ، وتوغلت القوات المصرية في الاراضي الاسرائيلية ، واما بالنسبة لهجوم فرنسا وانكلترا ، اعترف مؤرخ واحد وهو « بلدون » من جامعة بتسبرغ : « غزت اسرائيل مصر واحتلت سيناء ، وربما كان ذلك باتفاق مسبق مع بريطانيا وفرنسا »(٣٣). وزعم « شورتس » : ان مصر استولت على القنال في ١٩٥٦ . فارسلت انكلترا وفرنسا واسرائيل جيوشا الى المنطقة . الا ان الامم المتحدة ارسلت قوة لحفظ السلام في السويس بعد ترتيب وقف اطلاق النار »(٣٤). بيد اننا نجد ثلاثة كتب يمكن ان يقال ان موقف مؤلفيها حياديا . اعلن « جيمس كويلن » من جامعة ستانفورد : غزت جيوش اسرائيل سيناء وبسهولة احتلت شبه الجزيرة ، ولكن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ادانتا الغزو »(٣٥). وصرح « هارتمان » : « عندما غزت جيوش اسرائيل وفرنسا وبريطانيا العظمى ، مصر ، اعتبر الرئيس ايزنهاور هذا العمل خطأ »(٣٦). وكتب « ولتر ولبنك » : « شنت اسرائيل هجوما ناجحا في مصر، كما هاجمت بريطانيا وفرنسا مصر ايضا وانزلتا جيوشهما . الا ان معظم الرأي العام العالمي وجد في تلك الهجمات العودة الى استخدام الاساليب الامبريالية القديمة »(٣٧).

حرب سنة ١٩٦٧

والان نأتي الى حرب ٥ حزيران (يونيو) ، فكيف يصف المؤلفون الاميركيون هذه الحرب ؟ فمما لا ريب فيه اننا ننتظر منهم ان يكونوا اكثر مما كتبوا في وصف الحوادث السابقة . ومما يجب ذكره ان معظم الكتب كانت قد كتبت قبل عدوان ١٩٦٧ باستثناء ثمانية فقط ، ولكن ان هذه الكتب كافية لتقدم لنا فكرة واضحة عما يجول في فكر بعض المؤرخين في اميركا . كتب استاذ التاريخ في جامعة شيكاغو « ريشارد ويد » : انه « منذ قيام اسرائيل تعهدت مصر وسوريا والاردن والعراق باسترجاع « الارض السليبة » في فلسطين . واعلن ناصر بان العرب مستعدون لاسترجاع الارض السليبة في فلسطين »(٣٨). وكتب « روزلي » على نفس النمط

يقول : « تعهدت دول مصر وسوريا والاردن والعراق والكويت ولبنان والمملكة السعودية والسودان ومراكش والجزائر واليمن لتحطيم الدولة ذات التاسعة عشر سنة من العمر . وبذلك تكون اسرائيل ذات ٢٫٧ مليون من السكان واجهت اكثر من ١٠٠ مليون من العرب العدائيين . وصرخ العرب : « الى تل ابيب » في شوارع القاهرة ولكن في ستة ايام سحقت اسرائيل اعدائها »(٣٩). وقال « شورتس » : « اقفلت مصر خليج العقبة ، منفذ اسرائيل الوحيد الى البحر الاحمر . وفي حزيران (يونيو) اندلعت الحرب بين اسرائيل والبلدان العربية . وفي وقت قصير احتلت سيناء والجولان والضفة الغربية من نهر الاردن »(٤٠). وقال « بواك » انه « ٤ حزيران « يونيو ١٩٦٧ » قررت حكومة اسرائيل ان الامل الوحيد هو ان تضرب اولا . وفي اليوم التالي هاجم الطيران الاسرائيلي المطارات المصرية وحطم طيران ناصر على الارض »(٤١). وعلق « بايلي » « ان رمال الصحراء انفجرت في حزيران ١٩٦٧ عندما هاجمت اسرائيل الصغيرة جيرانها العرب الذين كانوا يهددونها وهزمتهم في حرب دمار استمر ستة ايام »(٤٢). وزعم « باري » : « مصر كررت تهديد اسرائيل ، فاندلعت نيران الحرب في حزيران ١٩٦٧. الا ان اسرائيل ضربت بقوة وبسرعة هائلة . وفي غضون ساعات قليلة حطمت سلاح الجو العربي المتفوق عددا وعدة ، واستولت على مئات الطائرات على الارض »(٤٣). واعتبر « شورتس » عمل اسرائيل عملية صليبية ضد المسلمين . فكتب يقول: « تحاربت اسرائيل وجيرانها المسلمون مع بعضهم البعض في سنة ١٩٦٧ . الا ان اسرائيل حققت نصرا ساحقا في ستة ايام »(٤٤). واعترف « كراف كروت » ان الطيران الاسرائيلي استطاع خلال ايام قليلة تحقيق نصر مبين وساحق على اعدائه العرب. ولدهشة العالم والى سرور الغرب ، لم يكن هذا نصرا فقط بل هزيمة للسوفيات »(٤٥).

من كل ما تقدم عن حرب ١٩٦٧ يستنتج ان المؤلفين الاميركيين يبررون عدوان اسرائيل على الدول العربية بان الحرب لم تكن سوى رد فعل لعداء العرب وتهديدهم لها ، وان الهزيمة الفعلية كانت للسوفيات ، وان الحرب كانت ضد جمال عبد الناصر ، غير انهم يصفون اسرائيل بانها دولة صغيرة ، تريد ان تعيش ، لذلك يجب ان تدافع عن نفسها بشتى الطرق . ويلاحظ ان عبارة « العرب اعداء اسرائيل » تتكرر ، بينما لم ترد اي عبارة على ان اسرائيل نفسها عدوة العرب .

كان هذا وصفا دقيقا لقيام اسرائيل وعدوانها على الدول العربية وتوسعها ، والان نأتي الى ذكر ما قاله المؤلفون الاميركيون في وصفهم لاسرائيل من الوجهة الحضارية . وتشير جميع الدلائل الى انهم ان وصفهم يتسم بطابع التقدم والمدنية . فنجدهم يقولون، لدى ذكر اسرائيل ، امة عصرية ، حديثة، متقدمة ، ديمقراطية ، حولت الصحراء الى جنة ، حققت عجائب في الزراعة والصناعة ، بينما نجد ان وصفهم للعرب معاكس تماما لوصفهم لاسرائيل ، فينعتون العرب بالتخلف ، الفقر ، الجهل ، الاقطاعية ، العدوان ، والى ما هنالك من كلمات على هذا النمط .

وصف اسرائيل والعرب

ففي معرض وصفهم لاسرائيل ، نجد كلمات الاطراء والمدح والثناء . كتب « ولبنك » يقول : « اسرائيل خلقت من اراضي صحراوية كانت سابقا تحت سلطة المسلمين . وقد نجحت في التغلب على الصعوبات الجغرافية ، وهي تستخدم الان مواردها لبناء امة حديثة . ومن خلال الاساليب الحديثة في الري والزراعة ، استطاع الاسرائيليون ان يبنوا ارضا زراعية منتجة من قسم كبير من صحرائهم »(٤٦). وزعم « بتروفتش » : ان « العرب تابعوا تصميمهم على تحطيم البلد الجديد (اسرائيل) ، بيد ان اليهود اللاجئين من اوروبا جلبوا معهم مهارات ، واستثمارات حكيمة ، مستخدمين روح وطنية قوية ورغبة منهم لبناء وطن لليهود . فجعل اليهود من اسرائيل قطرا حديثا وغنيا . هنا فقط ، في الشرق الاوسط ، يصل مستوى المعيشة الى مستوى اوروبا . فالوسائل التربوية جيدة وتشبه الوسائل في الدول المتقدمة . ونجحت الانظمة السياسية الديمقراطية تماما في جو من الاستقرار والتقدم»(٤٧). وذكر « روجرز » ان « الشعب الاسرائيلي قد حقق عجائب في الزراعة والصناعة ، وجلب حياة جديدة الى فلسطين الحديثة »(٤٨). ويفتخر «بواك» بقوله : « على الرغم من البدايات المضطربة ، استطاعت اسرائيل ان تحقق تقدما ملحوظا في انماء الزراعة والتجارة والصناعة . وشعبها النشيط قد غير بلد متخلف الى امة حديثة مزدهرة »(٤٩). وكتب استاذ علم الانسان في كلية ولاية كاليفورنيا«ايونج»: «اسرائيل حكومة ديمقراطية مبنية على نمط اوروبا

الغربية . فالانتخابات حرة ومفتوحة والتغييرات في القوى الحزبية تحصل بواسطة الوسائل السلمية . هذا ولا تزال اسرائيل تشعر بانها محاطة بدول عربية معادية . فالعلماء الاسرائيليون انشأوا فرنا ذريا . وقد كان من المتوقع بحلول ١٩٦٠ الوصول الى تحطيم الذرة . وفي السنة التي تلتها ، (١٩٦١) اطلقت اسرائيل بنجاح صاروخا فضائيا »(٥٠). ويعتبر استاذ التاريخ في جامعة نورث وسترن ، استفريانوز « ان خبرة اسرائيل في فلسطين (المحتلة) مثلا يحتذى بها بالنسبة للبلدان النامية . فاقتبس كلمة نطق بها قائد افريقي زار اسرائيل فقال : اعرب قائد افريقي زار اسرائيل مؤخرا وهو من الذين تلقوا علومهم في اسرائيل عن اعتقاده بالكلمات التالية : « حققتم (للاسرائيليين) تقدما اجتماعيا وتقنيا مرموقا بدون تضحية قيم انسانية . اسرائيل هي خيارنا الوحيد » . وعلق على ذلك بقوله : « ان هذه الكلمات التي اتت من افريقي لهي من الاهمية بمكان لتلخيص اهمية انجاز اسرائيل وتقدمها للعالم في عقد الستينات »(٥١).

كانت هذه بعض عبارات المدح والاطراء بالنسبة للتقدم والازدهار التي حققته اسرائيل في فلسطين المحتلة ، ولكن ، من جهة ثانية ، نجد ان وصف المؤلفين الاميركيين للعرب يختلف تماما لوصفهم للاسرائيليين . فكتب « مازور » يقول : « حمل اليهود الاوروبيون معهم مدنية العالم الحديث (الى فلسطين) . بيد ان معظم العرب الفلسطينيين ، عاشوا تقريبا في وضع شبيه بالاقطاعية . فهناك عدد قليل من الاثرياء ، أصحاب الاراضي ، يملكون معظم البلاد ، بينما الفلاحون عاشوا في فقر وجهل »(٥٢). وزعم استاذ التاريخ ، « ستيج » ، في جامعة نورث وسترن : « ثمة اوضاع فقر سيئة موجودة في مناطق من العالم العربي ، حيث يوجد ثروات هائلة جنبا الى جنب الفقر الذي لا يصدق »(٥٣). ويربط « ايونج » معارضة المصريين لاسرائيل بالدين ، فيدعي : « ان الوطنية المصرية المتطرفة دفعت بالمصريين ايضا الى معارضة عنيفة لقيام اسرائيل . فبعض هذه المعارضة ، قامت من جراء ظهور للمرة الثانية كره الاسلام القديم الى « الكفار » ، والبعض الاخر الى الحقيقة وهي ان اليهود ، بالنسبة للمسلمين ، يمثلون القوة الغربية »(٥٤). وذهب « بواك » الى القول : ان « جماهير الشعب في الشرق الاوسط غير معدة للحكم الذاتي »(٥٥). والكلام عن العرب ، يقودنا بطبيعة الحال الى الحديث عن الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، فقد زعموا (المؤلفون) انه ديكتاتور ، يريد رمي اسرائيل في البحر ، كما يريد تزعم العالم الاسلامي ، ودعا العرب الى سحق اسرائيل في عام ١٩٦٧ . غير انه لم يفلح .

كتب « ماكوير » يقول : « ان جمال عبد الناصر كان يكره اسرائيل كثيرا وهدد بتحطيم تلك الامة »(٥٦). واما « شورتس » فوصف ناصر انه « من اقوى الحكام العرب ، ديكتاتور مصر ، كان ناصر قوميا متطرفا ، الرد ان يخلق من مصر زعيمة كل الامم الاسلامية في الشرق الاوسط وشمال افريقيا. اراد ايضا تحطيم الامة اليهودية (اسرائيل) التي يعتبرها عدد من المسلمين عدوتهم »(٥٧). وقال « بونز » ان ناصر كان قد دعا البلاد العربية لسحق اسرائيل وجعلها مقاطعة عربية ، الا ان اسرائيل هزمت الجيوش العربية »(٥٨). وفي معرض الحديث عن قنال السويس وناصر ، كتب « ويد » من جامعة شيكاغو يقول : « تعهد جمال عبد الناصر (في عام ١٩٥٦) بطرد اليهود ورميهم في البحر ، وانهاء سلطة بريطانيا في السويس »(٥٩). وكذلك كتب « بايلي » على غراره عندما قال : « وهاجمت اسرائيل وبريطانيا وفرنسا (في عام ١٩٥٦) مصر ، وكانوا مصممين لتدويل القنال والتخلص من ناصر ، هتلر الشرق الاوسط »(٦٠).

واما الصور الفوتوغرافية التي رافقت الكلمات المدونة عن العرب ، فلم تكن افضل من الكلام . فمعظم الصور كانت تظهر معالم التخلف في البلاد العربية في حين كانت الصور عن اسرائيل تبرز معالم التقدم والازدهار والعمران .

بعد كل ما تقدم من معلومات وافكار ، يتضح ان الصورة التي يسعى المؤلفون الاميركيون ان يقدموها للقارىء هي تلك الصورة التي من شأنها ان تثير العواطف الايجابية والتعاطف مع اسرائيل والشعب اليهودي . فاسم اسرائيل يرتبط بالتقدم والمدنية والحضارة والديمقراطية والسلام والاستقلال وتقرير المصير للشعب اليهودي ، والاضطهاد النازي والازدهار والحلم الذي تحقق بعد ٢٠٠٠ سنة والانجازات الضخمة في الزراعة والصناعة وقرار الامم المتحدة ، والدولة الجديدة والاستقرار السياسي ، الخ . غير ان ذكر العرب والدول العربية ، على العكس من ذلك يرتبط بكلمات وعبارات من شأنها ان تثير العواطف بشكل سلبي

للغاية ، فتبرز معالم التخلف والعدوان في شتى المجالات . لذا نجد ان ذكر العرب يرتبط بالحرب والعدوان والهجوم والقوة والغضب والسيطرة والكره والسخط والمعارضة والفقر والجهل والبغض والتخلف والصحراء القاحلة والعصابات والرفض والعداء والاقطاعية والاحتلال والغزو والديكتاتورية والانحلال والرمي في البحر والتفكك السياسي ، والى ما هنالك من كلمات ومفاهيم التي تثير العواطف سلبيا في البلدان الغربية .

حقائق يصمت عنها المؤلفون

واخيرا لا بد لنا من ان نذكر بعض اهم الحقائق التي يصمت عنها المؤلفون الاميركيون في كتبهم حول القضية الفلسطينية . انهم ذكروا كل شيء الا الحقيقة الكاملة للقضية . فلم يذكروا مثلا ان اسرائيل احتلت فلسطين بالقوة بالتواطىء مع بريطانيا ، وانها طردت الشعب الفلسطيني ، سكان البلاد الاصلية لالوف السنين ، وانها تتوسع دوما على حساب جيرانها العرب ، ولم يذكروا جرائم الصهاينة في فلسطين المحتلة التي تشبه جرائم النازيين انفسهم وتفوقها ، وان اسرائيل لا تحترم ميثاق الامم المتحدة ولا تتقيد بقراراتها ، ولم يذكروا حياة اللاجئين منذ ربع قرن في المخيمات ، الخ .

ويجدر هنا ان نعيد الى الاذهان ان « التاريخ » يعني « البحث » و « التنقيب » عن الحقيقة ، اي ان المؤرخ الباحث يسعى وراء الحقيقة بدقة وامانة واخلاص ويعرضها بصدق وذكاء وتجرد فكري تام ، بعيدا عن الاهواء والاراء الشخصية التي لا تعتمد على الحقائق . والمعروف ان المؤرخ يجب ان يعتمد على جميع المصادر وليس على مصدر واحد والا يسكت عن الحقائق والا يخفي اي دليل لا يتفق ورأيه .

الحل ؟ والسؤال بعد كل ما تقدم ما العمل وما الحل ؟ يمكن للدول العربية ان تنشيء مكاتب عربية دائمة في معظم المدن الاميركية حيث يستخدم الطلاب العرب هنالك والمفكرون العرب والاجانب الذين يساندون القضية لالقاء محاضرات في المدارس والجامعات حول القضية وابراز الحق العربي ، وان تشرف على طبع كتب تاريخ عن القضية تقدم الحقائق باسلوب سهل ، وان تأسس مكاتب سياحة عربية في اميركا لتشجيع السياحة الى الارض العربية ، وان توجه دعوات الى المؤلفين انفسهم وغيرهم من رجال الفكر والصحافة الى زيارة المنطقة العربية ، وان تنشر حملات في الصحف والمجلات حول القضية باسلوب سهل من قبل رجال يفهمون العقل الاميركي . وكل ذلك يجب ان يمول باموال عربية ، بنفس الطريقة التي يمول بها شراء الاسلحة ، لان الكلمة المطبوعة اقوى من السلاح وامضى من السيف .

---

١ Lester B. Rogers, Fay Adams, and Walker Brown, *Story of Nations* (New York: Holt, 1968), pp. 578-79.

٢ Michael B. Petrovich and Phillip Curtin, *The Human Achievement* (Morriston, N.J.: Silver Burdett Co., 1967), p. 743.

٣ Sol Holt and John R. O'Connor, *Exploring World History* (New York: Globe Book Co., 1969), p. 570.

٤ Melvin Schwartz and John O'Connor, *Exploring American History* (New York: Globe Book Co., 1969), p. 418.

٥ Richard N. Current et. al., *United States History* (Glen View, Illinois: Scott, Foresman and Co., 1967), p. 675.

٦ I. James Quillen and Edward Krug, *Living Our America* (Chicago: Scott, Foresman and Co., p. 604.

٧ Thomas A. Bailey, *The American Pageant: a History of the Republic* (Lixington, Mass.: D.C. Heath and Co., 1971), p. 945.

٨ Stephen H. Bronz, *The Challenge of America* (New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc., 1968), p. 773.

٩ Merle Curti and Lewis Paul Todd, *Rise of the American Nations* (New York: Harcourt, Brace and World, Inc., 1966), p. 733.

١٠ Gertrude Hartman, *America : Land of Freedom*, Second Edition. (Lixington, Mass.: D.C. Heath and Co., 1961), p. 669.

١١ Nathanul Platt and M. Jean Drumond, *Our Nation from its Creation: A Great Experiment*, Second Edition (Englewood, N.J.: Prentice Hall, 1966), p. 844.

١٢ Henry W. Bragdon and Samuel P. McCuthen, *History of a Free*

Mazour and Peoples, *op. cit.*, p. 783. — ٣٢

Leland D. Baldwin et. al., *History of Our Republic* (Princeton, N.J.: D. Van Nostrand Co., Inc., 1964), p. 687. — ٣٣

Schwartz and O'Connor, *op. cit.*, p. 418. — ٣٤

Clarence L. Steeg, *The American* — ٣٥

Hartman, *op. cit.*, p. 685. — ٣٦

Walter K. Wallbank, *Man's Story* (Chicago: Scott, 1964), p. 724. — ٣٧

Richard Wade et. al., *A History of the United States* (Boston: Houghton Mifflin Co., 1970), p. 690. — ٣٨

Roselle, *op. cit.*, p. 717. — ٣٩

Schwartz and O'Connor, *op. cit.* p. 428. — ٤٠

Boak et. al., *op. cit.*, p. 763. — ٤١

Bailey, *op. cit.*, p. 1033. — ٤٢

Marvin Perry, *Man's Unfinished Journey Around History* (New York: Houghton Mifflin Co.), p. 800. — ٤٣

Schwartz and O'Connor, *op. cit.*, p. 682. — ٤٤

Graff and Krout, *op. cit.*, p. 765. — ٤٥

Wallbank, *op. cit.*, p. 740. — ٤٦

Petrovich and Curtin, *op. cit.*, p. 744. — ٤٧

Rogers and Adams, *op. cit.*, p. 760. — ٤٨

Boak, *op. cit.*, p. 761. — ٤٩

Ethel E. Ewing, *Our Widening World: a History of the World's People's* (Chicago: Rand McNally Co., 1967), p. 311. — ٥٠

Stavrianos, *op. cit.*, pp. 494-95. — ٥١

Mazour, *op. cit.*, p. 787. — ٥٢

Clarence L. Steeg, *The American People: Their History* (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, Inc., 1967), p. 759. — ٥٣

Ewing, *op. cit.*, p. 308. — ٥٤

Boak, *op. cit.*, p. 760. — ٥٥

Edna McGuire, *Our Free Nation* (New York: the MacMillan Co., 1959), p. 683. — ٥٦

Schwartz and O'Connor, *op. cit.*, p. 669. — ٥٧

Bronz, *op. cit.*, p. 783. — ٥٨

Wade, *op. cit.*, p. 611. — ٥٩

Bailey, *op. cit.*, p. 991. — ٦٠

People (New York: the MacMillan Co., 1967), p. 729.

Platt and Drumond, *op. cit.*, p. 844. — ١٣

Harold H. Eibling, et. al., *The Story of America* (River Forest, Illinois: Laidlaw Brothers, Publishers, 1965), p. 581. — ١٤

Richard C. Brown, et. al., *The United States of America : A History for Young Citizens* (Morristown, N.J.: Silver Burdell Co., 1963), p. 774. — ١٥

Petrovich and Curttin, *op. cit.*, p. 744. — ١٦

Rogers et. al., *op. cit.*, pp. 758-59 — ١٧

Mabel B. Casner et. al., *Story of the American Nation,* Second Edition (New York: Harcourt, Prace and World, Inc., 1967), p. 671. — ١٨

Anatole G. Mazour and John M. Peoples, *Men and Nations: A World of History* (New York: Harcourt, Brace and World, Inc., 1968), p. 788. — ١٩

Current et. al., *op. cit.*, p. 675. — ٢٠

Daniel Roselle, *Annotated Edition: A World History,* (Boston: Ginn and Co., 1969), p. 711. — ٢١

Frederic C. Lane et. al., *The World's History* (New York: Harcourt Brace and World, 1959), p. 704. — ٢٢

Henry F. Graff and John A. Krout, *The Adventure of the American People* (Chicago: Rand McNally and Co., 1968), p. 762. — ٢٣

Arthur E.R. Boak et. al., *The History of our World* (Boston: Houghton 1969), p. 761. — ٢٤

Vivienne Anderson, *Your America,* Second Edition (Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, Inc., 1967), p. 636. — ٢٥

Lefteu S. Stavrianos, et. al., *A Global History of Man* (Boston: Allyn and Bacon, Inc., 1968), p. 472. — ٢٦

William E. Gardner, *Story of Our Country* (Boston: Allyn and Bacon, Inc., 1963), p. 539. — ٢٧

David S. Muzzey and Arthur S. Link, *Our American Republic* (Boston: Ginn and Co., 1965), p. 676. — ٢٨

Platt and Drumond, *op. cit.*, p. 841. — ٢٩

Bragdon and McCuthen, *op. cit.*, p. 730. — ٣٠

Merle Curti, *op. cit.*, p. 781. — ٣١

العرب واسرائيل والغرب :
دراسة للتطورات والصور النمطية

للدكتور ميشال سليمان

دائما* ما تحاول الدول والامم ان تغرس وتنمي في صغارها فكرة سيئة عن العدو في مقابل صورة عن أنفسهم كمناضلين من أجل الحق والعدل بغض النظر عما تكون عليه الحقائق . كما يحاول الخصوم ان يستقطبوا حلفاء عسكريين وسياسيين من بين الدول الاخرى وذلك بادعاء ان مصالحهم تتطابق أو على الاقل تتشابه مع المصالح القومية. ولكن التطور الطبيعي بالنسبة للحلفاء يقتضي الحصول على أفكار مرضية عن كل طرف(١).

اما بالنسبة للصراع في فلسطين والصراع العربي الاسرائيلي فلم يستطع الفلسطينيون والعرب عامة عرض قضيتهم بشكل مؤثر في الغرب ولا حتى بين حلفائهم المزعومين . بينما نجح على الجانب الاخر الصهاينة والاسرائيليون نجاحا ساحقا في تحديد المشكلة بمفهومهم الخاص وفي اقناع معظم الغربيين على تقبلها رغم التضحيات الهائلة التي تتحملها مصالحهم القومية(٢). هذا ولقد ناقشت في مكان آخر بعض الاسباب التي تكمن وراء هذه الظاهرة غير المتكافئة(٣). ان هدفي من كتابة هذا البحث هو عرض بعض عناصر النماذج الممثلة التي يستخدمها الاسرائيليون ومن هم وراءهم لتدعيم قضيتهم في الغرب وخاصة في الولايات المتحدة ولدحض واضعاف القضية العربية .

لقد تأثرت الصورة التي كونها الغربيون عن العرب ومن بينهم الفلسطينيين نتيجة لعدة عوامل يرجع بعضها الى عهد الحروب الصليبية والى العداوة التي خلقتها تلك الحرب المقدسة ضد المسلمين . كما ان معرفتهم بالمنطقة غالبا ما تكون عبارة عن معلومات مشوشة حصلوا عليها من كتب العهد القديم ومن الاحداث الخيالية كالنوع الموجود في رواية ألف ليلة وليلة او في كتابات « لورانس العرب » الى جانب العناوين العنيفة التي تظهر في الصحف المعاصرة . ويتوج هذا كله جهد المجموعات الصهيونية في عرض وجهة نظرها فقط ولا شيء غيرها في هذا الصراع . ويجب ألا يغيب عن خاطرنا انه قد اسيء الى اليهود كثيرا عبر التاريخ كما ان الصهاينة وآخرين بدأوا حملة لتغيير معالم الصورة السيئة التي كانت سائدة عن اليهود — كل ذلك خلال الحرب في فلسطين . هذا ولقد أصبح الكثيرون ، الذين أرادوا بدورهم آخرين أن يصبحوا مثلهم ، محترفي المعاداة لمعادي السامية مما خلق موقفا أثار بعض أحرار اليهود ذو الحساسية أمثال دافد ريزمان . وعلى الرغم من ذلك ، وكما يقول ريزمان ، « فان الكفاح الشديد ضد معاداة السامية » قد قطع « شوطا طويلا نحو فرض وجهة نظر واحدة بين اليهود » بالنسبة للقضية الفلسطينية(٤). ونتيجة لذلك لم يحجم أحرار الغرب فقط عن مهاجمة الصهيونية ولكنهم كذلك لم يدخروا وسعا في سبيل اعلاء شأنها ومن ثم أصبحوا في جوهرهم أحرارا جامدين ذوي عقلية غير متفتحة بالنسبة للقضية الفلسطينية الاسرائيلية(٥).

هذا وقد أعطى الصهاينة للغرب ، وربما لانفسهم نتيجة لكثرة التكرار ، صورة عن العرب تصفهم بأنهم غير متحضرين ، متعصبون دينيا ، معتدون ، يتجاهلون أراضيهم الشاسعة ، يبذخون في ثروتهم الهائلة ويهددون في نفس الوقت اسرائيل — الدولة الصغيرة المسالمة الشجاعة التي استطاع شعبها أن يزرع الصحارى ، وذلك حتى يستطيعوا تبرير استيلائهم على فلسطين . ولذا فقد وجد كثير من الغربيين ، وخاصة من الذين قد يلتزمون عن غير ادراك بنظرية دارون الاجتماعية ، الاطمئنان في مساندة والاعجاب بمن ظنوه « الشعب الافضل » في الصراع الفلسطيني(٦). ونتيجة لانتشار القصص المتكررة عن بطولة الاسرائيليين الخارقة والروح القتالية العالية فقد تلاشت تماما من الاذهان صورة اليهودي غير المحارب او الجبان وتقبل العالم الرواية الاسرائيلية التي تصور اسرائيل على أنها دولة شجاعة يبلغ تعدادها ٢٫٥ مليون استطاعت ان تهزم القوة المتحدة لعدة دول عربية يصل عدد سكانها الى ما بين ٦٠ و١٠٠ مليون نسمة .

* قدم هذا البحث في ندوة بغداد عن « الكيان الاسرائيلي »التي عقدت في نيسان ١٩٧٣ باشراف مركز الدراسات الفلسطينية بجامعة بغداد .

جدول (١)

يوضح الجدول رقم (١) ارتفاعا نشيطا في التعاطف مع اسرائيل في الولايات المتحدة وذلك منذ ان اشتدت وطأة الصراع في ١٩٤٧ . كما وجدت نتائج مشابهة في بلدان غربية اخرى وعلى الاخص بريطانيا وفرنسا والنرويج والدانمارك . كما يبين جدول رقم (٢) بوضوح التعاطف المتزايد الذي يظهر في رغبة الامريكيين القوية في القاء اللوم على العرب لانهم سبب هذه الخصومات في منطقة الشرق الاوسط .

جدول (٢)

كيف اصبح الجمهور الامريكي يتقبل بدون نقد وجهة النظر الاسرائيلية وان يظهر تعاطفا شديدا نحو القضية الصهيونية الاسرائيلية ؟ أولا لا بد ان نذكر ان العرب أنفسهم كانوا وما يزالون غير قادرين على عرض وجهة نظرهم للعالم الخارجي . الا ان النجاح الهائل الذي أحرزه معارضوهم يجب رده الى الحملة العالمية المنظمة للحركة الصهيونية ليس فقط لمحو اية تصريحات خاطئة عن اليهود واسرائيل ولكن لوقف طبع او توزيع اية مطبوعات توجه النقد لاسرائيل بغض النظر عما اذا كانت مجافية للحقيقة ام لا. كما استخدمت وسائل متنوعة كل واحدة منها تعزز الوسائل الاخرى وذلك لنشر فكرة طيبة عن اسرائيل .

ان هذه الطريقة الناجحة جدا في التنشئة الاجتماعية تستخدم كافة وسائل الاتصال كالصحافة والراديو والتلفزيون والجرائد والمجلات والكتب والنشرات والسينما ... الخ وكذلك المدارس والجامعات والجماعات المتجانسة والكنائس وأماكن العمل ... الخ . هذا وعلى سبيل المثال كانت دراساتي عن الصحافة الامريكية وطريقة تغطيتها أنباء الشرق الاوسط خلال حربي ١٩٥٦ و١٩٦٧ قد اظهرت التحيز الواضح لاسرائيل والعداء للعرب ، وهذا ما تؤكده دراسات اخرى كثيرة(٧).

هناك ضرورة لوجود بحوث منظمة في كافة المجالات المذكورة اعلاه وذلك ليس فقط لاثبات وجود الصور النمطية ولكن كذلك من اجل العمل الجاد لتوفير التقارير الموضوعية . هذا وأقوم حاليا بعمل دراسة عن الكتب التي تتناول تاريخ العالم والتي تدرّس في المدارس الثانوية بالولايات المتحدة وهي تعد جزءا من دراسة تقوم بها لجنة تابعة لهيئة دراسات الشرق الاوسط (MESA) بهدف تقصي امكانية وجود تحيز ما في الكتابة عن دول الشرق الاوسط . وتبين لنا انه غالبا ما تكون الكتابة هنا صورة مماثلة (وان كانت أكثر سذاجة) لتقارير الصحافة ، بمعنى انه حتى عندما توجد دراسة يزعم انها موضوعية او اكاديمية عن الشرق الاوسط فانها لا تخلو من التحيز او الصور النمطية المبتذلة . ويدل على ذلك ان « ٢٩ كتابا من ٤٦ كتابا راجعها اعضاء اللجنة عن تاريخ العالم وتاريخ الشرق الاوسط او الدراسات الاجتماعية كانت غير مقبولة بتاتا وذلك اما لانها متحيزة او مليئة بالاخطاء او تعرض لجانب واحد او انها دون المستوى عامة . هذا وتتراوح السبعة عشر كتابا الباقية ما بين ممتازة وجيدة او مقبولة رغم وجود بعض الاخطاء البسيطة او التشويهات الخفيفة بالنسبة للمسألة العربية ـ الاسرائيلية »(٨). وذلك لان الصورة العامة التي تقدمها هذه الكتب عن الشرق الاوسط تبرزه بمثابة منطقة متخلفة مليئة بالمشاكل . هذا ومن المفيد ان نذكر انه رغم وجود جهد عام لتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة والشائعة عن الاسلام الا أن العرب لم يعطوا حقهم بالنسبة لمساهمتهم داخل الامبراطورية الاسلامية او بخصوص علاقاتهم باسرائيل والغرب . وفيما يختص بالديانة او القومية مثلا فان هناك كذلك لبسا ربما يكون نتيجة للجهل ، ولهذا فانه غالبا ما يشار الى العرب على أنهم يتكلمون نفس اللغة ويدينون كذلك بنفس الديانة ، اي الاسلام . هذا ويعامل اليهود والصهاينة كما لو كانوا شعبا واحدا وهي فكرة يعززها التأكيد المستمر بأن اليهود الحاليين ينحدرون من سلالة يهود العهد القديم من التوراة وأن عودتهم لفلسطين وتأسيسهم للدولة اليهودية هناك يعد أمرا طبيعيا . وغني عن البيان ان معظم المناقشات التي تتناول اسرائيل والصراعات العربية ـ الاسرائيلية تكون مساندة لاسرائيل ومعادية للعرب . وتدل على ذلك المقتطفات التالية التي توضح وجهة نظرنا :

« لقد تمسك اليهود بديانتهم وعاداتهم بالرغم من وجود هذا الشتات او التفرق وأخذوا يحلمون بأنهم سيعودون يوما ما لارض الميعاد ولكن لم يتحقق هذا الحلم الا في القرن العشرين عندما سمح لليهود باعادة تأسيس دولة يهودية في فلسطين وهي التي تعد اليوم امة اسرائيل »(٩).

« تعتبر اسرائيل أمة قديمة تعمل لكي تصبح أمة عصرية »(١٠).

« ان مشكلة اسرائيل الرئيسية هي عداوة جيرانها العرب المستميتة »(١١).

« [في ١٩٦٧] كانت كل من مصر والاردن وسوريا والعراق والكويت والسودان وتونس ومراكش ولبنان والمملكة العربية السعودية والجزائر واليمن قد هددت بسحق وتدمير اسرائيل . كما تحدثت محطات الاذاعة العربية عن « حرب مقدسة » والمليونين و٧٠٠ الف اسرائيلي وجدوا أنفسهم يواجهون أكثر من ١٠٠ مليون عربي يحملون لهم العداء ويحيطون بهم من كل جانب »(١٢).

« لم يكن العرب أنفسهم [في الامبراطورية الاسلامية] أكثر من غزاة غلاظ أو في أحسن الاحوال رجال اعمال وشؤون عامة »(١٣).

« اما في المجتمع الغربي المعاصر فهناك فجوة طبقية صارخة ، حيث نجد قلة ضئيلة من كبار أثرياء التجار وملاك الاراضي ونجد في الطرف الاخر الاغلبية الساحقة من صغار الفلاحين المعدمين »(١٤).

« لقد خلق السد [العالي في اسوان] مشاكل عديدة ... هناك مياه كثيرة تساعد القواقع التي تتكاثر في الكائنات وتنشر البلهارسيا ... لم يعد هناك أي طمي في المياه الموجودة أسفل السد ... لقد تعدل مجرى المياه أسفل السد مما سبب تآكل الارض وتغير في عادات صيد السمك . هذا ويقلل المسؤولون المصريون من اهمية هذه المشاكل »(١٥).

وأخيرا فيما يلي تفسير لعداء العرب تجاه اسرائيل نجده يتجاهل تماما العرب الفلسطينيين واقتلاعهم من وطنهم :

« ان هذه الكراهية للغرب تساعدنا على تفسير عداء العرب الشديد لدولة اسرائيل .. هذا وتمثل انجازات [اسرائيل] الاجتماعية والاقتصادية تهديدا واثارة مستمرة للعالم العربي المحيط بها »(١٦).

ان الملاحظة والخبرة الشخصية الى جانب التقارير المكتوبة والسمعية والبصرية تكون أساسا التصورات التي نرسمها في مخيلاتنا عن الشعوب او البلدان . ويمكننا القول ان معلومات الغالبية العظمى من الغربيين تكونت أساسا من التقارير الصحافة والراديو والتلفزيون والسينما وذلك لانه لم تسنح لهؤلاء الناس الفرصة لزيارة الشرق الاوسط . فما هي اذا هذه التخيلات التي كونها هؤلاء الناس عن شعوب الشرق الاوسط وبلدانه ؟ يوضح الجدولان الثالث والرابع اجابات مدرسي التاريخ العالمي في المدارس الثانوية في ولاية كانساس بأمريكا على السؤال التالي : ما هي الصفات الخاصة التي تعزوها لكل مجموعة من المجموعات التالية : العرب واليهود ...؟(١٧).

جدول (٣)

سنورد فيما يلي عدة ملاحظات عن هذه النتائج . هذا ومن الاجدر اولا ان نذكر ان ٤٠ ٪ من الذين أجابوا رفضوا رفضا باتا الاجابة على السؤال المذكور أعلاه ، بينما ذكر بعضهم بكل وضوح انهم غير متعصبين وانهم يفضلون عدم استعمال الصور النمطية . وهنا لا يسعنا الا ان نثني على ونشجع مثل هذا الاتجاه . ولكن ، ولسوء الحظ ، الاحجام عن التعبير كتابة عن الصور النمطية لا يعني بالتبعية ان الفرد لا يفكر ولا يتصرف على اساس تلك الانماط التي توجد في مخيلته .

هذا وتختص الملاحظة الثانية باليهود والفلسطينيين كشعوب عانت آلاما كثيرة . ورغم ان عددا متساويا من الذين أجابوا على الاستفسار أشار الى هذه الخاصية(١٨). الا ان ذكر اليهود كان في كل مرة تقريبا يحمل معنى الاضطهاد بينما اعتبر الفلسطينيون ضحايا ظروف قاسية . وغني عن البيان انه في عصر الليبرالية والتسامح يمكن للشعب المضطهد ان يكسب التعاطف والمساندة أكثر من الشعب الذي يقع ضحية للظروف . بالاضافة الى ان لفظ الاضطهاد يوجه اتهاما للسامع ويحمله بعض من المسؤولية والذنب ولكن « قضاء الطبيعة » كما تصوره كلمة « ضحايا الظروف » يعفي السامع من أية مسؤولية او شعور بالاثم . ولكن اذا قال قائل ان الاضطهاد عادة ما يرتبط بالارهاب الديني ، وهذه هي الحقيقة ، فانه كان من الاجدر بالتبعية وصف الفلسطينيين على انهم مضطهدون ما دامت القضية تصور في الغالب على انها صراع ديني وذلك لان الغربيين لا يفرقون الا نادرا ما بين العرب والمسلمين . وكما هو واضح من جدول ٣ فان المسلمين ينظر اليهم كمجموعة دينية واحدة بينما يلقي الغربيون على اليهود والاسرائيليين نوعا ما من الخصائص القومية او الشخصية .

جدول (٤)

ثالثا ، تبين لنا هذه الاشارات المحددة ما اذا كان المجيبون متعاطفين مع الشعوب التي تناولتها هذه الدراسة ام لا . وكما ذكرنا من قبل فغالبا ما يشار الى اليهود على انهم مضطهدون وأهم من ذلك انهم يعتبرون أكفاء ومخلصين ومجتهدين ومتعلمين وأذكياء وشجعان . هذا ولم تذكر الا قلة ضئيلة من الصفات السلبية كما يوضح ذلك جدول ٤ ، فقد استخدم أقل من ٧ ٪ ألفاظا مثل « بخلاء » ، « عقدة الاضطهاد » او «عشائريين». كما أن أقل من ٤ ٪ من العينة عبرت عن أية سلبيات تجاه الاسرائيليين . هذا وبينما ظن الكثيرون ان اليهود شعب مضطهد لم يعتقد احد ان الاسرائيليين يواجهون أي اضطهاد ، بل سماهم ١١ ٪ من أفراد العينة بالمقاتلين الاشداء ذوي النزعة العسكرية وبالمحاربين ، الخ .

واخيرا نجد ان الذين ساندوا المصريين بوضوح وهم يمثلون ٢٤ ٪ كانوا يشيرون بالدرجة الاولى الى شعب مصر القديم او الفرعوني ولم يقصدوا المصريين العرب الحاليين ، ويدل على ذلك وجود تعليقات معينة مثل « بناة الاهرام » « البناة العظماء في التاريخ » ، « المساهمون » ، « الحضارة » الخ . والدلالة الاخرى هي النسبة المئوية العالية للاجابات السلبية التي تمثل ٣٦ ٪ والتي تزيد على الاتجاه السلبي الواضح تجاه العرب ككل .

اذن على وجه الاجمال كان المشتركون بالدراسة أكثر نقدا للفلسطينيين والمصريين والعرب والمسلمين منهم لليهود والاسرائيليين ، بمعنى ان الصور النمطية التي يعتنقها حتى القطاع المتعلم من الامريكيين تشبه الى حد كبير (وتبدو كأنها انعكاسا) لتلك الصور الموجودة في الصحافة الامريكية عموما وفي كتب التاريخ العالمي التي تدرس في المدارس الثانوية في امريكا .

ملخص الافكار والنتائج

لقد أظهرت دراستنا انه نتيجة لاسباب عدة من بينها الجهد الاعلامي العربي الضئيل الذي تقابله حملة دعائية اسرائيلية صهيونية على مستوى عال من المهارة والعزم ، فان الرأي العام الغربي أصبح يقتنع ويقبل بدرجات متفاوتة الصور النمطية التالية (وربما غيرها) عن العرب والاسرائيليين والشرق الاوسط عامة :

١ ــ تعتبر اسرائيل الخلق الجديد لاسرائيل الغابرة (Eretz Israel) وانها تمثل البعث الجديد للشعب اليهودي الذي يعتبر بأجمعه متحدرا من سلالة اليهود القدامى الذين عاشوا في فلسطين .

٢ ــ ان اسرائيل هي المثل والمندوب والوصي على جميع اليهود حيثما وجدوا .

٣ ــ يعتبر اليهود أكثر شعب واجه اضطهادا عبر التاريخ .

٤ ــ يتكون اليهود من جنس او جنسية واحدة الى جانب انهم مجتمع ديني .

٥ ــ يعتبر اليهود والاسرائيليون « شعبا » بمعنى انهم كائنات بشرية لها رغباتها وآمالها وأحزانها .. الخ وليسوا مجرد سكان لدولة معينة او « أعداء للعرب » .

٦ ــ لقد تغير المفهوم القديم عن اليهودي كانسان جبان غير محارب وأصبح الان يعتبر محاربا قديرا وحتى كشخص عنده نزعة حربية .

٧ ــ بالاضافة الى الصورة السابقة ، اي النزعة الحربية ، هناك صورة أخرى ترسم الاسرائيليين كأنهم محبون للسلام . هذا وان لم يصوروا بصورة شعب محب للعرب الا انه لا توجد اية اشارة على انهم يكرهونهم .

٨ ــ دائما ما تصور اسرائيل على انهما قلعة الانسانية والديموقراطية في الشرق الاوسط .

٩ ــ ينظر الى اسرائيل على انها دولة صغيرة محاصرة تحارب أعداء كثيرين يفوقونها قوة ــ كل ذلك لتأكيد حقها في الحياة ، وغالبا ما يشار هنا الى مثل صراع داود مع جوليات الجبار خاصة عندما يذكر ان ٢ ــ ٣ مليون يهودي يواجهون ٦٠ ــ ١٠٠ مليون عربي .

١٠ ــ ينظر الى العرب على انهم متخلفون ينقسمون الى قلة غنية واغلبية ساحقة تعيش في فقر مدقع وهذه الحالة البائسة تعد السبب وراء كراهيتهم لدولة اسرائيل المتقدمة .

١١ ــ ان ما يفسر سبب رفض العرب لاسرائيل هو كراهيتهم للغرب .

يجب ان نلاحظ هنا ان نمطي ١٠ و ١١ وضعا خصيصا للاجابة على تساؤلات الغربيين عن سبب كراهية العرب لاسرائيل ، خاصة وان اسرائيل

لا تصور أبدا على انها سبب اثارة كراهية وعداء العرب .

١٢ — ينظر للفلسطينيين وخاصة من يسمون باللاجئين على أنهم ضحايا للظروف ، وهكذا فان اسرائيل لا تذكر كسبب لورطتهم هذه او في حالة ذكرها فان الاسرائيليين يبرأون بكل صراحة .

١٣ — ان عداوة العرب لاسرائيل هي المعوق الوحيد للسلام في الشرق الاوسط .

١٤ — ينتمي العرب في أذهان عامة الغربيين الى بلدان معينة (العراق ، مصر ، لبنان ، الخ) أو لاماكن معينة (الاهرامات — البترول — الصحراء .. الخ) أو لافراد (ناصر) ولكنهم لا يصورون عادة على انهم شعب ، بمعنى انهم كائنات بشرية لها رغباتها وآمالها وأحلامها وتشعر بالحب والحزن .. الخ .

*

يخيل الي انه اذا اراد العرب ان يرسموا استراتيجية ناجحة لمواجهة الدعاية الاسرائيلية الصهيونية في الغرب فالنقاط التالية تستوجب الاهتمام :

١) انه لا يمكن ان تقتصر حملة عربية دعائية ناجحة على قلة مختارة من الغربيين ذوي المراكز العالية في الحكومة والتجارة والجامعات والصحافة ، الخ لانهم حتى لو اقتنعوا تماما بالقضية العربية فستكون كلماتهم جوفاء بالنسبة للغالبية الساحقة من الغربيين الذين لا يؤمنون بالقضية فتأثيرهم اذا سيكون ضئيلا . ان ما نحتاج اليه حقا هو مسح دقيق شامل للمجتمع الغربي ولنفسيته وحتى يمكننا الحصول على مثل هذا التحليل فلا بد من التعاقد مع مؤسسة خاصة لاستطلاع الرأي وذلك لان هيئات استطلاع الرأي المعروفة مثل جالوب وهارس ، الخ ترفض أن تقوم بمثل هذا المسح كما انه لن يتمكن باحث واحد او مجموعة منهم من القيام بهذا العمل بشكل مرضي .

لا يكفي طبعا ان يصنف الناس على انهم اما أصدقاء أو أعداء لان ذلك في الحقيقة يعد خداعا للنفس . ان المسح المطلوب يجب ان يحدد مواقف العناصر المختلفة المكونة للمجتمع الغربي بالنسبة للقضايا الهامة الخاصة بالعالم العربي والعلاقات العربية الغربية . وعلى سبيل المثال ، لا بد أن يتعرف العرب على اتجاهات الصغار والكبار (مقسمون حسب اعمار زمنية معينة مثل ٥٠ وما فوق ، ٤٠ — ٥٠ ، ٣٠ — ٤٠ ، ٢٥ — ٣٠ ، ٢٠ — ٢٥ ، ١٥ — ٢٠ سنة وهكذا) والذكور والاناث ، والطبقات المتوسطة والفقيرة والغنية ، وكذلك المجموعات المهنية (المهن ، الاعمال التجارية ، العمل .. الخ) وفئات الدخل المنخفضة والمرتفعة (مثلا أقل من ٥٠٠٠ ، من ٥٠٠٠ — ١٠٫٠٠٠ دولار وهكذا) وكذلك القطاعات المتعلمة حسب درجاتهم (الجامعة ، المدارس الثانوية ، المدارس الابتدائية .. الخ) . هذا ولا بد لهم كذلك أن يتعرفوا على الاتجاهات الغربية نحو العرب (المصريين والعراقيين الخ) ، وفلسطين واسرائيل وشئون التجارة بين البلدان .. الخ . ثم يلي ذلك ، وبكل دقة واحكام ضرورة تحديد سبب اعتناق الغربيين لمثل هذه الآراء . عندئذ فقط يمكن للعرب معرفة كيفية تغيير المواقف التي يجدونها عدائية لهم أو غير متعاطفة معهم .

٢) ان المجتمعات الغربية لا تعرف الا القلة الضئيلة جدا عن الشرق الاوسط عامة والعرب خاصة ، وحتى معرفتهم بهذا الجزء القليل تكون على شكل صوره مشوهة للحقيقة .

٣) من بين جميع بلاد الشرق الاوسط ، الغربيون أكثر معرفة باسرائيل أولا ثم مصر الفرعونية (القديمة) . هذا وقد ذكر مدرسو تاريخ العالم بالمدارس الثانوية في كانساس أن العراق هي أقل دولة لديهم معلومات عنها ، بمعنى انهم يودون معرفة المزيد عنها .

٤) عادة ما يصدق الغربيون ويخلصون عندما يدعون أنهم غير متحيزين بالنسبة للموقف في فلسطين والصراع العربي الاسرائيلي فهم في الحقيقة **لا يدركون** هذا التحيز ، والدليل على ذلك هو أن أقل من ٢٪ من عينة مدرسي المدارس الثانوية بكانساس يعتقدون ان كتبهم المدرسية كانت متحيزة لاسرائيل بينما وجد كل الاعضاء الثمانية للجنة (MESA) المختصة بتصورات الشرق الاوسط (كلهم باحثون مهتمون بالشرق الاوسط) ان الاغلبية الساحقة من هذه الكتب محرفة ومشوهة حقا وخاصة في عرضهم المتحيز لاسرائيل(١٩).

٥) لقد خلقت الفاجعة التي حلت بالفلسطينيين نوعا من التعاطف يمكن تحويله ، لو أحسن استخدامه ، الى مساندة سياسية ايجابية (أو غير سلبية في أسوأ الاحوال) .

٦) كما يبين لنا جدول ٤ ان الرأي المحـــايد أو المتعاطف أو الايجابي مع العرب والمنتشر بـــين قطاع من الامريكيين المتعلمين يعتبر الاتجاه الغالب. ولذا فانه يمكننا ، بل ويجب علينا ، الاستفـــادة منه فقد آن الاوان لكي يكف العرب عن الرثـــاء لانفسهم (كالقول انه اسيء الى العرب كثيرا .. الخ) . وكما قال أحد المشتركين في ندوة بيروت عن الاتصال بين الشرق والغرب (مايو ١٩٧٢) : « ترتكز اكثر حملات العرب الاعلامية على الفلسفة القائلة بان صورتهم يمكن أن تكون على أكمل وجه لو رسمت من وجهة النظر السلبية والمعادية»(٣٠). ولكنها فلسفة خاطئة لان التركيز أو الاهتمام لا بد وان يعتمد على عرض صورة ايجابية لشعب مليء بالحياة . وهذا هو المطلوب وعلـــى الاخـــص بالنسبة للفلسطينيين ، وبمعنى اخر ، ان العرب ليســوا **مجرد** أو حتى بالاهم « اعداء لاسرائيل » . لا بد ان يراهم الغرب والعالم **ككائنات بشريـــة تنبض بالحياة** .

جدول (١)

تعاطف الامريكيين مع العرب والاسرائيليين

هيئـــة استطلاع الرأي		التاريخ	اليهود واسرائيل	العرب	رفض كلاهما	عدم ابداء الرأي
جالوب	(Gallop)	١٩ نوفمبر ١٩٤٧	٢٤٪	١٢٪	٣٨٪	٢٦٪
نـــورك	(NORC)	فبراير ١٩٤٨	٣٥٪	١٦٪	٤٩٪(١)	—
سرك — س	(SRC-C)	نوفمبر ١٩٦٤	٢٥٪	٧ ٪	٢٨٪	٤٠٪
هاريس	(Harris)	١٠ يونيـــه ١٩٦٧	٤١٪	١ ٪	٤٠٪	١٨٪
جالوب(رأي‌مطلع)	(Gallop)	حرب يونيه ١٩٦٧	٥٦٪	٤ ٪	٢٥٪	١٥٪
جالوب(رأي‌مطلع)	(Gallop)	ينـــاير ١٩٦٩	٤٩٪	٥ ٪	٤٦٪(١)	—

١ — رفض كلاهما وعدم ابداء رأي .

المرجع : جمع من :

Hazel Erskine, «The Polls: Western Partisanship in the Middle East,» *Public Opinion Quarterly*, Winter, 1969-70, Vol. XXXIII, No. 4, pp. 627-40.

جدول (٢)

آراء الامريكيين فيما يختص بالقاء اللوم على العرب والاسرائيليين

١٩٤٦ — ١٩٦٧

هيئة استطلاع الرأي		التاريخ	اليهود واسرائيل	العرب	رفض كلاهما	عدم ابداءالرأي
جالوب	(Gallop)	يناير ١٩٤٦	١٢٪	١٠٪	٢٣٪ انجليز ٥٣٪ ١ ٪ آخرون	
نورك	(NORC)	نوفمبر ١٩٥٣	٩ ٪	١١٪	١٣٪	٦٧٪
نورك	(NORC)	نوفمبر ١٩٥٥	٥ ٪	١٥٪	١٨٪	٦٢٪
نورك	(NORC)	نوفمبر ١٩٥٦	١٩٪	٢٩٪	١٤٪	٣٨٪
نورك	(NORC)	ابريل ١٩٥٧	١١٪	٤٠٪	١٨٪	٣٠٪
هاريس	(Harris)	١٠ يونيه ١٩٦٧	— منذ مدة طويلة والعرب يريدون شن حرب على اسرائيل : ٦٣٪ موافقون ، ٥٪ غير موافقين ، ٣٢٪ غير متأكدين . — منذ مدة طويلة واسرائيل تريد شن حرب على العرب : ١٦٪ موافقون ، ٤٥٪ غير موافقين ، ٣٩٪ غير متأكدين .			

المرجع : جمع من :

Hazel Erskine, «The Polls: Western Partisanship in the Middle East,» *Public Opinion Quarterly*, Winter, 1969,70, Vol. XXXIII, No. 4, pp. 627-40.

جدول (٣)

تصورات مدرسي الثانوي بولاية كانساس عن العرب واليهود والاسرائيليين

المجموعة	الشعب او البلد	الديانة	الطابع القومي	العسكرية	ظروف الدولة الداخلية	ظروف الدولة حكومي	الاضطهاد... ضحايا الظروف
العرب	٢٩٪	١٣٪	٢٧٪	١١٪	١٩٪	١ ٪	—
المصريون	٣٠٪	١ ٪	٣٦٪	٥ ٪	١١٪	١٧٪	—
الفلسطينيون	٣ ٪	١١٪	٢٥٪	٨ ٪	٢١٪	—	٣١٪
المسلمون	٨ ٪	٥٨٪	٢١٪	٤ ٪	٨ ٪	—	-
اليهود	١٠٪	٢٠٪	٤٦٪	١ ٪	—	—	٢٣٪
الاسرائيليون	٨ ٪	١٣٪	٥١٪	١١٪	١١٪	٦ ٪	—

جدول (٤)

اتجاهات مدرسي الثانوي بولاية كانساس نحو العرب واليهود والاسرائيليين

المجموعة	ايجابي	متعاطف	محايد	سلبي
العرب	٤ ٪	٢ ٪	٦٤٪	٣٠٪
المصريون	٢٤٪	٣ ٪	٣٧٪	٣٦٪
الفلسطينيون	١٠٪	٢٤٪	٤٨٪	١٨٪
المسلمون	١٧٪	٣ ٪	٦٠٪	٢٠٪
اليهود	٣٩٪	١٨٪	٣٦٪	٧ ٪
الاسرائيليون	٥٢٪	٥ ٪	٣٩٪	٤ ٪

الحواشي

١ — انظر
David Finlay, Ole R. Holsti and Richard R. Fagen, *Enemies in Politics* (Chicago: Rand McNally and Company, 1967)
وللاطلاع على الآراء الامريكية المتباينة تجاه الشعبين الصيني والياباني خلال وبعد الحرب العالمية الثانية ، انظر
«Trade Winds» column of *Saturday Review* (May 7, 1966, p. 14).

٢ — في رأي الخبيرة البريطانية اليزابيث مونرو انه « لو نظرنا على المصالح القومية البريطانية فقط ، لكان [وعد بلفور] من أكثر الاخطاء التي ارتكبت في تاريخنا الامبريالي » . انظر
Elizabeth Monroe, *Britain's Moment in the Middle East, 1914-1956* (London: Methuen, 1965), p. 43.

٣ — Michael W. Suleiman, «The Arabs and the West: Communication Gap,» *Il Politico*, Vol. XXXII, No. 3 (1967), pp. 511-529.

٤ — David Riesman, *Individualism Reconsidered* (Glencoe, Ill. The Free Press, 1954), p. 139.
الرقابة على الاخبار والمطبوعات لاسباب « الامن » موجودة في اسرائيل منذ قيام الدولة. ولكن في ١٩٦٩ تذمر اعضاء جمعية رجال الصحافة الاجانب في اسرائيل ان « تفصيلات هامة للاخبار احيانا يعترض عليها من قبل المراقبة لاسباب يظهر انها تتعلق بالهيبة او الصورة النمطية فقط » . راجع
International Herald Tribune (Paris), Dec. 12, 1969, p. 4.

هذا وقد لجأت السلطات الاسرائيلية منذ ١٩٦٧ الى ادراج اسماء ناقدي الحكومة من الاسرائيليين الموجودين في الخارج في اللوائح السوداء مع رفض تجديد جوازات سفرهم وذلك لكي ترغمهم على العودة الى اسرائيل .

٥ — انظر
Milton Rokeach's Discussion of *The Open and Closed Mind* (N.Y.: Basic Books, 1960).

٦ — راجع
A. B. Zahlan in his «Support for Israel: A Legacy,» *Middle East Newsletter* (Jan.-Feb., 1969), pp. 11-15.

٧ — انظر مثلا
«An Evaluation of Middle East News Coverage in Seven American Newsmagazines, July-Dec., 1956,» *Middle East Forum*, Vol. XLI, No. 2 (Late Autumn, 1965); and «American Mass Media and the June Conflict,» in Ibrahim Abu-Lughod, ed., *The Arab-Israeli Confrontation of June 1967: An Arab Perspective* (Northwestern, Ill.: Northwestern Univ. Press, 1970), pp. 138-54.

٨ — Farhat J. Ziadeh, «Report of the Middle East Image in Secondary Schools Committee,» (Mimeographed), Nov. 1, 1972, p. 1.

٩ — T. Walter Wallbank and Arnold Schrier, *Living World History* (Chicago: Scott, Foresman, 1969), p. 54.

١٠ — Ralph S. Yohe et al., *Exploring Regions of the Eastern Hemisphere* (Chicago: Follet Educational Corporation, 1969), p. 406.

١١ — **المصدر نفسه** ، ص ٧٠ .

١٢ — Daniel Roselle, *A World History: A Cultural Approach* (Boston, Mass.: Ginn, 1969), p. 717.

١٣ — Wallbank and Schrier, *op. cit.*, p. 190.

١٤ — **المصدر نفسه** ، ص ٧٠ .

١٥ — Pierre Etienne Dostert, *Africa, 1971* (Washington, D.C.: Stryker-Post Publications, 1971), p. 99.

١٦ — Wallbank and Schrier, *op cit.*, p. 704.

١٧ — أرسلت الاستمارة الى ٤٢٥ مدرسة في ولاية كانساس واجاب عليها ما يزيد قليلا عن ٤٠٪ .

١٨ — مع أن نفس العدد ذكر هاتين الصفتين الا ان النسبة المئوية تختلف لان العدد الاجمالي لافراد المجموعة الاولى يختلف عن العدد الاجمالي لافراد المجموعة الثانية .

١٩ — Ziadeh, *op. cit.*, p. 3.

٢٠ — رسالة خاصة من وليام جرمان (٥ حزيران ١٩٧٢) .

الدعاية الصهيونية في بريطانيا : « الجويش اوبزرفر » كحالة للدراسة

م٠ ع٠

تتأثر الدعاية بطبيعة النظام السياسي والاقتصادي القائم ، وفي ظل النظام البرلماني البريطاني حيث تتوازن السلطات، وتسود الديمقراطية الليبرالية، والنظام الحزبي ، وجماعات الضغط وجماعات المصالح و« اللوبيهات » ، وتبرز قوة المؤسسات الاقتصادية الامر الذي يؤثر على وسائل الاعلام وفعاليتها ، من حيث دور هذه القوى في التاثير على وسائل الاعلام وتكييف منطقها الاعلامي . واذا كانت هناك حرية نظرية لوسائل الاعلام ، من حيث تعدد هذه الوسائل ، واختلاف اتجاهاتها ، الا ان المصالح هي القوة المحركة خلفها وان كان هذا لا يمنع من ابراز وجهات نظر معارضة ، في اطار ما يسمح به النظام الليبرالي .

وفي ظل هذا المناخ تسير الدعاية الصهيونية ، من خلال افراد الجاليات اليهودية ذوي الميول الصهيونية ، والمؤسسات الصهيونية في انجلترا، ومن خلال اعضائها المنتشرين في وسائل الاتصال الجماهيري المختلفة ، ومن الافراد غير اليهود ذوي الميول الصهيونية المنتشرين في الصحافة والاذاعة والتلفزيون ومجلس العموم ومجلس الوزراء والاحزاب والمؤسسات الثقافية والتعليميةوغيرها. فضلا عما سبق هناك الصحافة الصهيونية الممثلة في الجويش اوبزرفر والجويش كرونيكل ، وهي في طبيعتها تسير في اطار المخطط الصهيوني .

تعتمد الجويش اوبزرفر على التشويه بشكل اساسي اي وضع الحقائق ناقصة ، او توجيهها وجهة صهيونية ، وترتيبها في شكل مغرض بقدر الامكان ، مع تبرير المخطط الصهيوني والعمل من أجل اخضاع مستقبل الرسالة الدعائية بهذا المخطط .

ومن امثلة التشويه في الجويش اوبزرفر خلال شهر يناير ١٩٧٣ تشويه تغطية زيارة مائير للفاتيكان واظهار الحقائق في شكل قسوة ، وتبرير وجهة النظر الصهيونية على حساب وجهة نظر الفاتيكان . وهناك تشويه شائع وهو اطلاق كلمة « ارهابيين » على « الفدائيين » وتشويه قرار الرئيس عيدي امين الخاص بقطع العلاقات مع اسرائيل ، وتشويه مبررات الاضطرابات الطلابية في جامعة القاهرة . ويصبح التشويه اكثر تأثيرا اذا اعتمد المستقبل على هذا المصدر وغيره من

المصادر المؤيدة لاسرائيل . كما ان استخدام الصور ووضعها بشكل معين ، يساعد في رسم التشويه والمساهمة في تحقيق المخطط الصهيوني . وهكذا تصبح الجويش اوبزرفر وسيلة دعائية صهيونية ، من خلال عرضها الدعائي والتشويه . وتتسم المصادر بشكل عام بالغموض فهي على حد ما تذهب اليه المجلة « مراسلنا الخاص » / مراسلنا الخاص بالشرق الاوسط / او ذكر بعض الاشخاص ، وهي مصادر بشكل عام تتمشى مع طبيعة العرض الدعائي للرسالة، اي محدودية المصادر ، والشك في طبيعتها ، وهذا يتمشى مع المخطط الدعائي للمجلة .

وتتسم الموضوعات المعروضة بالتعدد فتتراوح بين الجوانب العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها كما انها تركز على اسرائيل والصهيونية وما له علاقة بهما . وقد انعكس ذلك على العرض الدعائي كما سيتبين فيما بعد .

المنطق الدعائي في الجويش اوبزرفر : نقصد بالمنطق الدعائي في هذا الصدد الديناميات الخفية وراء العرض الدعائي والتي تشكل اطارا منطقيا، وقد توصلنا اليها من خلال تليل مضمون الجويش اوبزرفر في شهر يناير ١٩٧٣ . وقد ركز المنطق الدعائي على : —

١) اسرائيل ومصر في حاجة الى السلام لتحسين الوضع الاجتماعي والاقتصادي .

٢) رغم الانجازات الاجتماعية لاسرائيل ، فما زال هناك نقص في بعض المجالات فهناك نقص في الخدمة الصحية ، وهناك مصاريف تدفع في التعليم الثانوي وكثير من طلبة الجامعات عليهم ان يعملوا من اجل تمويل دراساتهم ، ويوجد نظريا تكافؤ في الفرص ومن هناك خطوط تقسيم اجتماعية عميقة من التطبيق العملي ، وبالنظر الى التضخم على الحكومة ان تقدم تنازلات تجاه الاجور ، وهكذا تعتمد اسرائيل على التمويل الخارجي للبقاء كما ان مصر تحتاج الى المساعدة المالية المتوفرة في العالم العربي .

٣) تحطم اسرائيل الاجهزة العسكرية السورية ، كما تعاقبها لايواء « الارهابيين » .

٤) يعد التصادم على الحدود الاسرائيلية السورية احراجا لمصر المرتبطة نظريا مع سورية وليبيا في شكل اتحاد فيدرالي سياسي وعسكري .

٥) القذافي كان في الماضي ينتقد انعدام العمل العربي والاستسلام اما الان فهو غير واضح ، كما ان السادات يعارض فكرة تسوية جزئية بين اسرائيل والدول العربية بمفردها وان البديل الوحيد هو حرب شاملة ولكن هذا يحتاج الى نوع من الشجاعة كالتي اظهرها هتلر عندما هاجم روسيا ، والسادات معجب بهتلر ولكن من غير المحتمل ان يقبل هذا التحدي ، وان السادات طلب من المجلس الوطني الفلسطيني ان يوجد فصائله ، ويحصل على تأييد العرب في المناطق التي تديرها اسرائيل ، اما عرفات فقال ان الثورة الفلسطينية تهدف الى تحطيم النظام الاردني والعمل على تصعيد العمليات ضد اسرائيل ، ويعارض المجلس خطة الملك حسين الخاصة بالمملكة العربية المتحدة كمقدمة لاتفاقية سلام مع اسرائيل .

٦) هاجم الرئيس بومبيدو زيارة ماثير لباريس لحضور اجتماع الاشتراكية الدولية واعتبر الدعوة الموجهة لماثير من السياسيين الاشتراكيين تدخلا في الشئون الداخلية لفرنسا ، والتي جاءت قبل الانتخابات الفرنسية مباشرة ، بالاضافة الى اهمية الصوت اليهودي في مناطق مختلفة من فرنسا .

٧) تتجه كل من بريطانيا وسورية نحو استئناف العلاقات الدبلوماسية المقطوعة عام ١٩٦٧ ، وكانت سورية قد اتهمت بريطانيا والولايات المتحدة بالاشتراك مع اسرائيل في حرب الايام الستة .

٨) تنوي الولايات المتحدة ان تنشط عام ١٩٧٣ ، من اجل تسوية سلمية لازمة الشرق الاوسط .

٩) الروابط الاقتصادية بين اسرائيل والضفة الغربية من الاردن حقيقة وهذه الروابط ظاهرة ايجابية وتضع اساسا لمستقبل التعايش الاقتصادي.

١٠) يعاني اليهود السوفييت من الاضطهاد ويحتجون على ضريبة الهجرة .

١١) الولايات المتحدة راضية عن اسرائيل وستجدي محاولات اسرائيل من اجل تسوية جزئية للشرق الاوسط مع التركيز على اعادة فتح قناة السويس للملاحة وستقوم الولايات المتحدة بدور جديد وذلك بعدم فرض تسوية والقيام بدور القائم

بالتفاعل للوصول الى المحادثات عن قرب تحت اشراف الولايات المتحدة ، واصرت مصر على تعهد اسرائيلي مسبق من اجل الانسحاب الكلي ، ويرى سيسكو ان ذلك غير واقعي . ويعتقد الامريكيون ان حالة اللاسلم واللاحرب ذات قيمة عظيمة للروس .

١٢) اسرائيل معرضة لصدمات جديدة في افريقيا ، كما ان قوة البترول العربي تسرق اصدقاء اسرائيل ، فقطعت خمس دول افريقية علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل وهي اوغندا وتشاد والكنغو برازافيل والنيجر ومالي ، وقالت اسرائيل لا يوجد شيء في العلاقات الثنائية بين اسرائيل وهذه الدول يبرر قرارها الخاص بقطع العلاقات الدبلوماسية ، وللتذافي دور في ذلك بالاضافة الى دور الملك فيصل .

١٣) تخصص اسرائيل اكثر من ٣٥٪ من ميزانيتها الكلية للدفاع هذا العام ، وان الانفاق العسكري الضخم يميز اسرائيل عن الدول الاخرى ، وهناك ظواهر غير ملائمة رافقت نمو السياحة في اسرائيل ، لذلك من الاهمية تشجيع السياحة والقضاء على شكوى السياح ، كما حسن الاسرائيليون الاوضاع الزراعية للعرب في الاراضي العربية المحتلة في عدوان ١٩٦٧ . وتصدر الضفة الغربية منتجاتها الزراعية لبعض الدول العربية .

١٤) تعاني مصر من زيادة معدل الامية ، والذين يريدون تعليم اطفالهم عليهم ان ينفقوا الاف الجنيهات على الدروس الخصوصية في السنوات الاولى من الدراسة ، وان اقل من ٢٠٪ من حجرات الدراسة التي خططت لها وزارات التعليم المصرية للبناء بين ١٩٦٠ — ١٩٧٠ تم بناؤها فعلا، وان معدل الرسوب في امتحانات وزارة التعليم ١٩٦٨/١٩٦٩ وصل الى ٧ و ٤٥٪ في المدارس الابتدائية ، ٥ و ٢٨٪ في المدارس الاعدادية ، ٨ و ٤٥٪ في التعليم الثانوي . كما تبيح مصر التعليم المجاني من الحضانة الى الدكتوراه ، وتقوي الحملة ضد الامية ، وفي عام ١٩٥٣/٥٢ كان هناك فقط ٤٢٫٥٠٠ طالب جامعي ، وارتفع العدد في ١٩٦١/٦٠ الى ٩٣٫٠٠٠ وفي ٧١/٧٠ اصبح العدد ٢٠٠٫٠٠٠ طالب جامعي .

وقال مدير جهاز الخدمة المدنية المصري منذ سنوات قليلة معلقا على نتائج الاختبارات المعقودة للعاملين في الخدمة المدنية — ان ٦٦٪ من الحاصلين على الليسانس والماجستير في الاداب حصلوا على صفر في الاختبارات الخاصة لتحديد الكفاءة ، وذلك في الاعمال المتعلقة بتخصصهم ؛ وان مستوى المتحنين يدعو الى الاسف ، فخريجو كليات الزراعة جاهلين بمبادىء الجغرافية ، وان خريجي اللغة العربية والاداب يرتكبون اخطاء نحوية تدعو الى الخجل ،وخريجو الهندسة على مستوى منخفض جدا في المعلومات العامة وكذلك خريجو التجارة والاداب ومعاهد التدريب المهني ، كما ان التعليم المصري في الماضي ركز على تخريج موظفين وتكنوقراط ، ويأخذ خريجو الجامعة وقتا حتى يجدون عملهم ، كما يشكل الموظفون عبئا على ميزانية الدولة ،وهناك ضعف في معرفة اللغات الاجنبية ، ولا توجد عادة الحوار او اجراء المناقشات بالنسبة للطلاب .

١٥) شلومو هيلل وزير البوليس الاسرائيلي من الملونين ، وقد ولد في بغداد اما يهود العراق وسورية فيعانون من الاضطهاد .

١٦) انخفض معدل الهجرة من الغرب منذ حرب سنة ١٩٦٧ ، وان اكبر مشكلة هي انخفاض الهجرة من الولايات المتحدة .

١٧) بينما يعترف الفاتيكان بسيادة الدول العربية في الشرق الاوسط فما زال يرفض الاعترافبالدولة اليهودية ، وان هذه المقابلة هامة وتشكل مرحلة في تقرير العالم لوجود اسرائيل ، فهي تخلق سابقة لاستمرار الحوار بين روما والقدس على مستوى عال ، وهذا يساعد في تقوية علاقات اسرائيل مع اوروبا، وكل الذين اعتذروا للمتحدث الصحفي للفاتيكان فشلوا في توضيح اهمية هذا الاجتماع بين البابا بولس السادس وغولدا مائير ، وان هذا اول اجتماع من نوعه منذ انشاء اسرائيل ، وهذا يعني اعتراف الفاتيكان الواقعي باسرائيل ، وان مائير قالت انها كانت سعيدة بالاجتماع وذهبت مائير إلى ان البابا لم يطلب تدويل القدس ، وهذا هو هدف الفاتيكان منذ ١٩٤٨ ، وانه شكرها لطريقة اسرائيل في معاملة الاماكن المقدسة المسيحية ، وجاء في بلاغ الفاتيكان ان البابا بعد أن استعادمعاداة اليهود، جدد وجهة نظره حول مشكلة اللاجئين ووضع الجاليات المختلفة التي تعيش في الاراضي المقدسة ، وان البابا عبر عن امله في ان العدالة قد تكون اساس السلام والتعايش بين كل الشعوب في الشرق

الاوسط وان الهدف من بيان الفاتيكان هو اخذ رد فعل العالم العربي في الاعتبار ووضع الاقليات المسيحية هناك ، حيث ذكر المتحدث ان البابا استقبل الملك حسين وشخصيات اخرى في العالم العربي ، وهناك علاقات ودية مع مصر ولبنان وسورية وللفاتيكان علاقات دبلوماسية مع عدة دول عربية مثل تونس والجزائر والكويت والعراق وان الموقف تجاه اسرائيل لم يتغير .

وذهبت مائير الى انها قالت للبابا انه لا يوجد هدف موضوعي لحل مأساة اللاجئين الفلسطينيين، وعندما عرض البابا هذه المسألة قالت ان عدد اليهود الذين قدموا من الدول العربية لاسرائيل كانوا اكبر في العدد .

وللبابا اتصال ثابت مع اسرائيل منذ ١٩٦٤ ، وفي اكتوبر سنة ١٩٦٩ زار ايبان وزير خارجيةاسرائيل الفاتيكان .

ويلاحظ ان المنطق الدعائي يكشف السعي لاعتراف الفاتيكان باسرائيل .

١٨) السادات غير مستعد لفتح قناة السويس في اطار المبادرة الامريكية ، ويعمل السادات من اجل تنشيط سياسة عدم الانحياز ، ولكن تيتو قابل ذلك ببرود ، ويأمل السادات ان يعيد هيبته باعادة نادي عدم الانحياز بالاضافة الى وضعه في العالم العربي ، والسوريون يلمحون بانهم سينسحبون من اتحاد الجمهوريات العربية ، وان عرفات عاد من جديد ينتقد مصر بقبولها وقف اطلاق النار ، وان اكبر تحد يواجه السادات يكمن في الجبهة الداخلية وذلك من جراء الاوضاع الطلابية .

١٩) يصعد الفلسطينيون العنف الثوري ، كما أن المجلس الوطني الفلسطيني برر استمرار العنف وهذا واضح من تشكيل اللجنة التنفيذية .

٢٠) الملك حسين على استعداد للموافقة على انشاء مستعمرات اسرائيلية استراتيجية على طول نهر الاردن اذا اعادت اسرائيل الضفة الغربية كمنطقة ذات حكم ذاتي ولكن منزوعة السلاح في اطار المملكة .

٢١) بعد انتهاء الولايات المتحدة من حرب فيتنام يشعر المراقبون السياسيون ان ذلك سيمكن نيكسون من التحول الى الشرق الاوسط .

٢٢) طرد عيدي امين الاسرائيليين وتحول من صداقة اسرائيل الى عداوتها وانه اقترض عدة ملايين من الليرات الاسرائيلية من أجل المطارات واجهزة التدريب وعدد من المشاريع الاقتصادية التي انتهى الاسرائيليون منها او كانوا على وشك الانتهاء .

٢٣) ما زالت اسرائيل تعاني من عدم الاندماج الاجتماعي رغم حصولها على الاستقلال عام ١٩٤٨ ، وستأخذ اسرائيل اكثر من جيل لاحداث الاندماج ، وانتقل ذلك الى الشئون الدينية بالخلاف بين الحاخام الاشكنازي والحاخام السفاردي .

٢٤) يتمثل الاثر الرئيسي لاتفاقية فيتنام حول الشرق الاوسط في تصريح نيكسون القائل ان كل دولة يجب ان تؤمن مستقبلها ، وفي اطار هذا المضمون تريد واشنطن من اطراف صراع الشرق الاوسط ان يتفاوضوا للوصول الى تسوية بشكل مباشر ما امكن ذلك ، وقد تجد الولايات المتحدة نفسها غير قادرة على اجبار المصريين للجلوس على مائدة المفاوضات ، وان اسرائيل ترحب بمبادرة روجرز ، وان روجرز يشيد باسحق رابين، كما ان ايبان يمتدح الرئيس الامريكي السابق جونسون .

٢٥) هناك قيود على نشاط الفدائيين من سورية، فيلزم موافقة قيادة الجيش السوري على اي عمليات تشن ضد اسرائيل .

٢٦) قال شلومو هيلل وزير البوليس الاسرائيلي اذا كان العرب على استعداد للوصول الى السلام ، فعلى اسرائيل ان تتكبد ثمنا غاليا نسبيا لكي يتم الوصول الى السلام ، والشعب العربي يريد السلام كالاسرائيليين تماما واسرائيل على استعداد للوصول الى السلام في المستقبل القريب .

٢٧) رغم نمو الوعي السياسي والتعليم منذ حرب ١٩٦٧ ، فان العرب في غزة ليسوا على درجة ملائمة في معاملاتهم الاجتماعية ، كما أن سكان الضفة الغربية غير مهتمين بالانباء الواردة من العالم العربي وعلى سبيل المثال فالاجتماع الاخير لوزراء الخارجية العرب ومؤتمر رؤساء الاركان العرب الذي اعقبه ، لم يجذب الانتباه وكانت مثل هذه الاجتماعات تثير الاهتمام قبل ١٩٦٧ .

مدى قابلية المنطق الدعائي للتصديق : تتوقف

القابلية للتصديق على نوعية مستقبل الرسالة الدعائية وطبيعة درايته بالرسالة الدعائيةومعرفته بموضوعها ، والخصائص البيئية للنظام السائد ، وما يرتبط بها . والمسائل المتعلقة بمرسل الرسالة .

وسنتناول هنا مدى قابلية المنطق الدعائي للتصديق ، في اطار الحقيقة البعيدة عن التشويه.

وقد قمت بتدقيق ما ذهبت اليه الدعاية عن نتائج الاختبارات المعقودة للعاملين في الخدمة المدنية ، فوجدت ان ما ذهبت اليه الدعاية لا اساس له من الصحة ، كما أن المنطق الدعائي شوه صورة عرب غزة والضفة الغربية عندما ذهب الى انهم غير مهتمين ، ولكن الحقيقة تثبت انهم مهتمون بدليل القيام بالاعمال الفدائية وهي درجة عملية اعلى من الاهتمام .

كما يصف المنطق الدعائي الفدائيين بالارهابيين ، كما سير المنطق الدعائي حقيقة الحاجة الى السلام واعتماد اسرائيل على التمويل الخارجي وقوة اسرائيل العسكرية والتعرض للزعامات العربية وموقف العرب الخاضعين للاحتلال من اسرائيل ووضعية اليهود السوفييت والاقتصاد الاسرائيلي والتعرض للدول العربية ، والموقف الدولي ، في اطار الاستراتيجية الاسرائيلية وخدمتها .

ولكن طالما ان هذه المجلة توزع اساسا على مستقبل صهيوني او موالي للصهيونية ، وبهذا الشكل تعتمد على مستقبل لديه استعداد مسبق للتصديق .

الاعلام العربي في بريطانيا : يتمثل الاعلام العربي المشترك في لندن من خلال مكتب جامعة الدول العربية ، بالاضافة الى دور السفارات العربية هناك ، وذلك عن طريق الاتصال بمؤسسات صناعة القرار السياسي المباشرة وغير المباشرة، بالاضافة الى القيام بأعمال العلاقات العامة ، وذلك بالوسائل الخاصة بالمقابلات والاتصالات والاذاعة والتلفزيون والصحافة والافلام والكتب والمجلات ، ولكن الاعلام في حد ذاته وسيلة من وسائل السياسة الخارجية ، اي يغلب عليه الطابع التنفيذي ، ويحد او يساعد من فاعليته طبيعة السياسة الخارجية او مؤسساتها ، وهنا يؤخذ في الاعتبار درجة التقارب بين السياسة الخارجية التي يخدمها الاعلام الموجه لبريطانيا والسياسة الخارجية البريطانية ، ومعروف ان السياسة الخارجية لبريطانيا تجاه قضية فلسطين لها مبررات تاريخي خاص بوعد بلفور والانتداب البريطاني والاعتراف باسرائيل والعلاقات على مستويات مختلفة بين اسرائيل وبريطانيا ، بالاضافة الى العلاقات بين بريطانيا والدول العربية ، والمصالح البريطانية في الشرق الاوسط، والعلاقة بين بريطانيا والولايات المتحدة في اطار الاستراتيجية الغربية ، والعلاقة بين بريطانيا واوربا الغربية ، كل ذلك ساهم في تحديد موقف بريطانيا تجاه المشكلة والذي يتسم باستخدام الالفاظ الغامضة ، والحلول الوسط ، ومن هنا تظهر المعضلة التي تواجه الاعلام العربي في بريطانيا .

كما أن اثر الجويش اوبزرفر يمتد الى الجاليات الصهيونية في مختلف انحاء العالم ، وهي بوجه عام تهدف الى تضخيم زيادة تأييد السياسة الاسرائيلية والصهيونية بين مستقبلها .

النشاط الاسرائيلي في الهند

للدكتور محمود نديم حسون

تأخذ الاحداث في منطقة الشرق الاوسط دورا كبيرا ومركزا في الصحف الهندية وتحظى باهتمام الرأي العام في الهند . والهندي المثقف يناقش موضوع القضية الفلسطينية بشكل عام عن اطلاع ومتابعة ، ويربط القضية بالمصلحة التي تعود بها على الهند . وشبه القارة الهندية رغم اتساع رقعتها وتعدد ولاياتها (٣٢ ولاية) التي تحكم اقليميا ، ورغم التناقضات التي تمتد جذورهـا عميقا في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية ، فانها تتطلع الى القيام بدور كبير في المنطقة وتعد نفسها للقيام بدور الدولـة العظمى ، تساعدها في ذلك امكانياتها السكانية وموقعها الجغرافي ومساحتها الكبيرة بالاضافة الى ظروف اقليمية ودولية ، ومساندة فعلية سواء ظاهرية او خفية من دول عظمى لتقف حاجزا امام التيار الصيني الذي يهدر كالموج في شرق آسـيا والذي يسعى لامتداد نفوذه في كل شبر من تلك المنطقة .

وقد بدأت مكاسب الهند تتحقق بانتصارهـا في صراعها الهندي الباكستاني حول باكستان الشرقية وانفصال بنغلادش واعتراف كثير من الدول بها .

وقد تعرضت القضية الفلسطينية وازمة الشـرق الاوسط لحملة معادية للعرب خلال الحـرب الهندية الباكستانية ، ولم تنقطع هذه الحملـة حتى يومنا هذا وان كـانت تتصاعد او تنخفض بدرجات متفاوتة حسب الاحداث في منطقتنـا العربية . واستطاعت فعلا القوى الصهيونيـة الهندية المعادية للعرب ان تستغل التناقضـات الطائفية بين المسلمين والهندوس فيها (والتي استغلت مرات عديدة سابقة) وان تزج بالعرب في معركة الهند كأنهم الطرف الاخر للنزاع المرتبط بباكستان دينيا وعقائديا ومصلحيا .

وقد أكد ذلك الموقف العربي الرسمي الذي يربط اعتراف بعض الحكومات العربية ببنغلادش بموقف باكستان ومفاوضاتها او اعترافها بالدولة الجديدة. وهذا ادى الى تحرك النشاط الاسرائيلي نتيجة لتأييد اسرائيل للهند في معركتها مما أتاح للقوى المعادية ان تعمل بسرعة لتشوه الوجه العربي ، ولتثبت مواقعها الجديدة التي اكتسبتها ابـان الازمة ، وعلى ظهور اصوات من المعارضـة البرلمانية (وكلها احزاب يمينية) تطالب بضرورة اعادة النظر في السياسة الخارجية للهند ، وكذلك ظهور اصوات معلقين سياسيين يطالبون بالاعتراف باسرائيل وبرفع التمثيل الدبلوماسي الى درجـة سفارة .

النشاط المعادي :

يتخذ النشاط المعادي للعرب مظاهر عديدة منها :

١ ــ نشاط القنصل الاسرائيلي ومحاولته بنـاء روابط علمية ثقافية بين الهنـد واسرائيـل .
٢ ــ جمعيات الصداقة الهندية الاسرائيليـة .
٣ ــ مواقف في البرلمان من اعضاء متعاطفين مع اسرائيل . ٤ ــ مواقف بعض الاحزاب اليمينية مثل احزاب (السواتنترا) و (جانا سنغ) .
٥ ــ مواقف الصحافة ووسائل الاعلام المتعاطفة مع الحركة الصهيونية واسرائيل .

وقد وزع القنصل الاسرائيلي رسالة يدعو فيها المسلمين الهنود لزيارة بيت المقدس. وكانت الغاية من توزيع هذه الرسالة الضغط على الحكومـة الهندية بواسطة المسلمين لتغيير موقفها تجـاه اسرائيل . كما قامت الدعاية الاسرائيلية في اوساط المسلمين بحملة ضد العرب حلفاء الشيوعيـة المناهضة للاسلام .

أما بالنسبة للتعاون العلمي ، فقد مهدت القنصلية الاسرائيلية للتعاون بين معهد وايزمان الاسرائيلي ومعهد التكنولوجيا الهندي بدلهي بأن كلف معهد وايزمن الاستاذ (س. ك. سيري) باعداد ابحاث علمية خاصة ، وكذلك تم التعاون مع اسـاتذة من معاهد هندية مختلفة مثل المعهد التكنولوجي في كانبور .

وقد قامت المعاهد الاسرائيلية بتنمية هذه الصلة العلمية مع عدد كبير من الباحثين وتوجيه الدعوات لهم . فقام المهندس (أ. غوش) الذي أعد ابحاثا عن المطر الصناعي بزيارة اسرائيل ومناقشـة أبحاثه في معاهدها . وتتجه الخطة الاسرائيلية نحو الاوساط العلمية والثقافية هادفة الى : أ ــ تثبيت صورة التقدم العلمي الاسرائيلي وتفوقه في ذهن

الاوساط العلمية والمثقفة الهندية ، ب ــ خلق جو معاد للعرب « المتخلفين الذين يريدون هدم اسرائيل العلمية » . ج ــ اقامة تعاون مع الهيئات العلمية للفائدة المشتركة كما تدعي اسرائيل . د ــ نشر الكتب والابحاث العلمية الاسرائيلية . هـ ــ الاستفادة من ابحاث العلماء الهنود .

وتجرى الاتصالات عن طريق القنصل وبالتعاون ايضا مع الخبراء اليهود والامريكان العاملين في المؤسسات العلمية الهندية . هذا مع العلم بأن امريكا انشأت مفاعلا ذريا كبيرا في الهند شمال بومباي ، وهو أكبر الاربعة مفاعلات الذرية الموجودة .

وقد مهد القنصل الاسرائيلي لزيارات عدد من العلماء الاسرائيليين الى الهند مثل زيارة البروفسور (ي. منكوف) من ادارة هندسة المعادن بالقدس في مايو الماضي والذي القى عددا من المحاضرات في المعاهد الهندية ، كما نشط القنصل الاسرائيلي في بومباي بانشاء جمعيات صهيونية هندية في ولايات عديدة من الهند .

وقد قدم النائب (ابراهيم سليمان سيت) استفسارا في اجتماع البرلمان بتاريخ ١٩٧٢/١٢/١٣ الى نائب وزير الداخلية السيد محسن عما اذا كانت الحركة الصهيونية تعمل في بومباي وأماكن اخرى من الهند ، وكذلك عن نشاطات الحركة الصهيونية وأهدافها في الهند .

ورد نائب وزير الداخلية على السؤال بأن هناك منظمتين صهيونيتين تعملان في بومباي الاولى تسمى رابطة بومباي الصهيونية والثانية تسمى المنظمة الهندية الصهيونية وهناك منظمة ثالثة تعمل في بونا ، ولا يعلم عن التنظيمات الاخرى في ولايات الهند المختلفة .

وقد رد على جزء السؤال الثاني بأن أهداف المنظمات الصهيونية المعلنة هي : ١ ــ بناء وطن قومي للشعب اليهودي في اسرائيل . ٢ ــ تطبيق المخطط الصهيوني . ٣ ــ تعميق الوحدة بين الشعب اليهودي . ٤ ــ تشجيع دراسة التاريخ اليهودي وكذلك تراثه ولغته وادبه وجعل اللغة العبرية لغة حية في العالم . ٥ ــ توثيق العلاقات الثقافية والتجارية بين الهند واسرائيل . ومن الواضح ان توثيق الروابط بين الهند واسرائيل يأتي بعد تطبيق المخططات الصهيونية وتنفيذ مآربها في المنطقة وبالتالي تعود الفائدة الرئيسية على اسرائيل . بالاضافة الى ما سبق ، تقوم القنصلية الاسرائيلية بحركة نشطة في الهند وتعزز اتصالها المستمر مع بعض النواب في البرلمان لاثارة المواضيع المحرجة للقضية العربية واستغلال الاحداث العالمية لمصلحة اسرائيل ، فمثلا قدم عدد من النواب (مثل راجا صبحا ، باتل ، رثنا سوامي وغيرهم) الى ممثل الجامعة العربية في نيودلهي الاستاذ جلال الرشيدي بتاريخ ١٩٧٢/٩/٨ احتجاجا على حادثة ميونيخ اثناء الالعاب الاولمبية وذلك بتشجيع من القنصل الاسرائيلي .

وقد قامت بعض الصحف المحلية بنشر هذا الاحتجاج واستغلاله ، كما استغلت الصحافة بشكل عام الحادثة لتسيء الى العرب والى القضية الفلسطينية . وعندما قام الطلبة العرب بالاعتصام في مبنى الجامعة العربية احتجاجا على تصرف المانيا الغربية بعد حادثة ميونيخ ، قام النائب (لاكابا) بتشجيع من القنصل الاسرائيلي باستجواب الحكومة في اجتماع البرلمان بتاريخ ١٩٧٢/١٠/٢٧ عما اتخذته من اجراء حاسم ضد الطلبة العرب ، هذا مع العلم بان مكتب الجامعة العربية لم يقدم أي شكوى ضد الطلبة العرب اثناء الاعتصام . كما قام النائب (براساد ماثور) يطالب الحكومة باتخاذ اجراء ضد الطلبة الفلسطينيين في الهند لمنع أية حوادث مماثلة لعملية ميونيخ قد يقوم بها الطلبة الفلسطينيون . أما النائب (بيلو مودي) فقد طالب الحكومة بمراقبة الطلبة الفلسطينيين وملاحقتهم والتأكد من اقاماتهم واذا كان بعضهم يقيم بدون جوازات او اقامة رسمية . وقد طالب أكثر من عضو في البرلمان بضرورة اعادة النظر في السياسة الخارجية للهند تجاه اسرائيل وبالاعتراف بها ورفع درجة التمثيل الدبلوماسي معها . وقد اجاب وزير الخارجية (سردار سواران سنغ) في ١٩٧٢/١١/٣٠ بأن الهند معترفة باسرائيل وان لها نوعا من التمثيل في الهند وليس هناك فائدة في الوقت الحاضر من رفع التمثيل الدبلوماسي معها .

ولكن هذا التصريح لم يمنع (باتوان سينغ) وهو من الكتاب السياسيين من ان ينقد كلام وزير الخارجية في حديث اذاعي يوم ١٩٧٢/١٢/١ مدافعا عن اسرائيل فيقول : « ماذا يعني وزير الخارجية

عندما يقول ان ليس هناك فائدة قومية من جراء رفع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل ؟ اننا ليس لنا علاقات تقريبا مع اسرائيل وانه لغريب من وزير الخارجية ان يستنكر عدوان واحتلال دولة لاراضي دولة اخرى في حالة اسرائيل وفي نفس الوقت يوافق على تبادل السفراء مع الصين في الوقت الذي تحتل فيه الصين الافا من الاميال المربعة من اراضينا » ومن المعروف ان الاذاعة هي جهاز رسمي في الهند .

ومن النشاط المعادي في الهند كما ذكرنا سابقا مواقف بعض الاحزاب المتعاطفة مع اسرائيل ونشاط الصحافة ووسائل الاعلام التابعة لهذه الاحزاب بالتهجم على القضية العربية واثارة الحقد والبغض للعرب في الهند ، فحزبا السواتنترا والجاناسنغ الهنديان طالبا الحكومة بمراقبة العرب الذين اساءوا استخدام ضيافة وكرم الهند ، كما ان صحيفة (مذر لاند) الناطقة باسم حزب (الجاناسنغ) طالبت باغلاق بعثة الجامعة العربية في الهند . وقد ظهرت تعليقات كثيرة اخرى تثير الرأي العام الهندي ضد العرب كما ظهرت رسومات الكاريكاتير لتزيد من هذا الشعور المضاد مثل ما قام به الرسام (دوسهيردار) في جريدة (الهندوستان تايمز) . وبلغ التهجم على العرب اقصاه عند صدور بعض الخطابات المتفجرة من الهند في الاسبوع الاول من (نوفمبر) ١٩٧٢ واتهام الطلبة الفلسطينيين بها .

وكان موضوع الخطابات المتفجرة مادة للتهكم والتندر والنقد الموجه للعرب وخاصة بين صفوف المثقفين الهنود ، وقد كان اتجاه بعض الصحف الهندية القاء اللوم بشكل مباشر على العرب مثل ما حدث في صحيفتي (ستاتسمان) و (مذر لاند)، وبعض الصحف القت اللوم بشكل غير مباشر مثل صحيفة (الهندو) و (ميل) اللتان تصدران في مدراس بجنوب الهند .

اما صحيفة (مارش اف ذا نيشن) فقد هاجمت العرب في مقالة رئيسية بتاريخ ١٩٧٢/١٠/٧ كما ألقت باللوم الكبير على الحكومة«لانها بقيت صامتة تجاه العدوان العربي في ميونيخ»واكدت الصحيفة انه لا بد من ان يخطف الفلسطينيون طائرة ويهبطوا فيها بالهند ويخرجوا سالمين ، وعلقت صحيفة (مذر لاند) بتاريخ ١٩٧٢/١١/١٥ بأن الهند ليس امامها خيار سوى ان تقوم بارسال الفلسطينيين جميعهم من حيث اتوا .

الموقف الهندي :

ورغم هذه السلبيات في الهند ضد العرب فان موقف الهند الرسمي مؤيد للعرب وان موقف حزب المؤتمر الحاكم الذي حقق فوزا ساحقا في انتخابات المجالس التشريعية للولايات الهندية يعد مواليا للحق العربي ، ولم تتخل الحكومة الهندية ممثلة برئيسة الوزارة السيدة (انديرا غاندي) وكذلك بوزير خارجيتها (سردار سواران سنغ) عن الوقوف مع الخط العربي في المجالات الدولية .

ولا تزال الحكومة الهندية ترفض رفع درجة التمثيل الدبلوماسي مع اسرائيل ، كما ان صحف الحزب مثل صحيفة (ناشيونال هيرالد) تقف موقفا معتدلا واحيانا تقف مدافعة عن وجهة النظر العربي .

وقد رد وزير الخارجية الهندي على أسئلة عديدة في البرلمان مؤكدا سياسة الهند الرسمية « بأن الهند وقفت الى الجانب العربي لان الحق في جانبهم ، وان الهند ضد الاستيلاء على اراضي بالقوة ، وطالما ان اسرائيل لم تقم بالجلاء عن الاراضي التي احتلتها بالقوة فان الهند مصرة على تنفيذ قرار مجلس الامن،وارجاع الاراضي المستولى عليها الى الدول المعنية صاحبتها » . واذا كان هذا هو الموقف المعلن من الحكومة الهندية على المستوى الدولي فان الملفت للنظر في هذه الايام موقف الصمت الذي تتخذه الحكومة الهندية من النشاط المعادي للعرب والقضية الفلسطينية خاصة ، كما صمتت عن التهجم الكبير على الطلبة الفلسطينيين وتفتيش حرياتهم وتفتيش منازلهم ابان ازمة الخطابات المتفجرة رغم تأكيد وزير المواصلات السيد (بهوجانا) بشكل حاسم بانه لا يمكن اتهام العرب بهذه الخطابات وذلك عندما أثير هذا الموضوع في البرلمان بتاريخ ١٩٧٢/١١/١٣ .

كما اشارت افتتاحية صحيفة (نيوايج) بتاريخ ١٩٧٢/١١/٢٦ عن موضوع هذه الرسائل المتفجرة من الهند الى انه كان هناك مخابرة من القنصلية الامريكية في بومباي الى بوليس المدينة يخبره عن استلام رسالتين ملغمتين ، وان خبير المتفجرات لديها قد أبطل مفعولهما ، وكذلك عرض المسؤول الامريكي مساعدة الخبير لابطال مفعول أية رسالة لدى البوليس . وقد شرحوا بوضوح طريقة ابطال مفعول هذه الرسائل . وابلغ البوليس هذا النبأ الى الصحف ولكن القنصلية طلبت من البوليس

عدم نشر هذا الخبر واتصل البوليس لمنع النشر الا ان صحيفة (بلاتز) نشرت النبأ معلقة عليه باتهام اسرائيل والصهيونية بتدبير هذه الرسائل بالتعاون مع القنصلية الامريكية وتساءلت الصحيفة : هل تضم البعثة القنصلية الامريكية خبراء متفجرات وما هي مهمتهم وتساءلت الصحيفة ايضا عن مدى علم القنصلية بالمواد المتفجرة المستعملة في هذه الرسائل وكيفية ابطال مفعولها.

ورغم هذا قام البوليس باستجواب العديد من الطلاب الفلسطينيين كما بدأ يضع مراقبة عسلى الشباب الذي ذهب الى الهند ليبحث عن العلم في جو علمي وليس في جو من المضايقات ، ومع هذا بقيت الحكومة الهندية صامتة تجاه هذا التصرف وتركت القوى المعادية تستغل هذه الظروف لصالحها ولتشوه الوجه العربي امام الراي العام الهندي .

والملفت للنظر هذه الايام موقف هذه الفئات المعادية وترابطها مع الصهيونية واسرائيل وتنسيق اعمالها ضد كل ما هو عربي . وبدأت هذه الفئات باستغلال اذاعة الهند الرسمية للدفاع عن قضية اسرائيل ، مثل الاحاديث التي يذيعها الكاتب (باتوان سنغ) دفاعا عن اسرائيل ومثل بعض الاحاديث المعادية للعرب في برنامج (أضواء على الاحداث) .

وأعود الى القول ، اذا كان موقف الهند مؤيدا للعرب على المستوى الدولي فلماذا لا تأخذ نفس الموقف في الداخل . وأعود الى التساؤل لماذا يعادى الطلبة الفلسطينيون في الهند . ولماذا لا يطلق لسانهم فعلا ليعبروا عن مأساتهم وحقيقة الوجود الصهيوني ووجه اسرائيل الخادع . هل ازعج هؤلاء الطلبة القنصل الاسرائيلي في بومباي وهل ازعج هؤلاء الطلبة عملاء الصهيونية في الهند.

وأعود الى التساؤل اذا كان موقف الهند مؤيدا للعرب في حقهم في فلسطين وفي اراضيهم المحتلة فلماذا سمحت لليهود الهنود بالهجرة الى اسرائيل وهي تعلم ماذا تعني هذه الهجرة الى القضية العربية وهي تعلم التوسع المخطط الذي تقوم به اسرائيل ، واذا كانت سمحت سابقا بهذه الهجرة فلماذا لا تقبل هؤلاء اليهود الهنود الذين يرغبون في العودة الى الهند من اسرائيل بعد تجربتهم الفاشلة في اسرائيل وبعد اكتشافهم للزيف الصهيوني والتفرقة العنصرية فيها ومعاملة اليهود الهنود كمواطنين من الدرجة الثانية .

وتأكيدا لهذا ما اثاره النائب ابراهيم ميت في البرلمان بتاريخ ١٩٧٢/١٢/٧ عن عدد اليهود الذين هاجروا لاسرائيل وعما اذا كان هناك تمييز عنصري ضد هؤلاء في اسرائيل وعما اذا كان بعضهم يرغب في العودة للهند ومدى تقبل هذا من الحكومة الهندية . وقد اجاب نائب وزير الداخلية بالتأكيد عن علمه بحوادث التمييز العنصري وأكد ان هناك بعض الهنود الذين يرغبون في العودة الى الهند وعن عدم تقبل الحكومة لهؤلاء بعد . فاذا كان اليهودي الغربي (كالامريكي مثلا) يحمل جنسيتين وولائين لدولتين ويستطيع العودة الى امريكا مثلا واستعادة جنسيته الاولى ، فلماذا لا يعود الهندي اليهودي الى الهند . فاذا كانت اسرائيل تمارس التمييز العنصري فلماذا تقبل حكومة الهند هذا التمييز .

ان علاقات الهند مع العالم العربي خلال عهد نهرو وحتى الان قد أملتها عدة عوامل نتيجة الكفاح المشترك ضد الاستعمار وعوامل الامن والاستقرار الاقتصادي وقد وجدت الهند حليفا محايدا في الامة العربية ووجدت فكرة نهرو عن عدم الانحياز استجابة ايجابية في العالم العربي .

والدول العربية تزداد اهتماما بالهند بشكل مستمر في مجال التجارة والتعاون الاقتصادي والتكنولوجي . وهذا لا بد ان يدفع الهند لان تقف دوليا وداخليا مؤيدة للحق العربي والقضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني بالعودة الى وطنه ، وان تؤيد هذا الحق بأن تقف في وجه القوى الاسرائيلية والهندية المعادية في شبه القارة الهندية وان تدعم نضال الطلبة الفلسطينيين في الهند وأيضاح قضيتهم امام الراي العام الهندي .

النشاط العربي المضاد للهند :

تساؤلات كثيرة يمكن توجيهها للنشاط العربي المضاد في الهند فهناك سفارات وقنصليات عربية بالاضافة الى بعثة الجامعة العربية ، فهل أفلحت هذه الهيئات الدبلوماسية ان توقف المد الاعلامي الصهيوني في الهند وان تضع الحواجز والعراقيل أمام النشاط المعادي.هل استطاع الاعلام العربي لهذه الهيئات الدبلوماسية ان يزيل من لدى الجماهير الهندية صورة الرجعية والتخلف والطائفية . والنقاط التي جهدت الدعاية الصهيونية والمعادية

لتثبيتها في ذهن الرأي العام الهندي والعالمي . هل استطاع الاعلام العربي في الهند ان يرد على ما أثير في البرلمان عن استيراد الفتيات الهنديات للعمل في البلاد العربية . وهل استطاع ان يصل الى الجماهير الهندية في الولايات العديدة ومخاطبة جماهيرها وقواها السياسية والاجتماعية والشعبية واجراء حوار مع اوساطها المثقفة . هل استطاعت هذه الهيئات الدبلوماسية باعدادها وموظفيها الوصول الى الجامعات الهندية والى مراكز العلم وبناء روابط مع اساتذة الجامعات والعلماء والباحثين الهنود . هل استطاعت هذه الهيئات ان تضع خطة مشتركة للعمل في الهند وان تقوم بعمل دراسات موضوعية لتوزع القوى السياسية والاجتماعية ومواقعها الطبقية وكيفية الوصول اليها . هل استطاعت هذه الهيئات الدبلوماسية ان تبتعد عما تدعيه الدعاية الصهيونية وان تكون تصرفات اعضائها مثلا كريما للعربي الجديد الثائر الذي لديه القدرة على تحرير وطنه المغتصب .

الواقع ان الاجابة على هذه التساؤلات سلبية وافتقار التعاون المتكامل بين اعضاء البعثات ، كل يمثل خلفية معينة يبعد امكانية وضع خطة عمل مشترك ويبعد امكانية الوصول الى القوى السياسية والثقافية والجماهير الهندية لتوضيح الرأي العربي الموحد .

كل بعثة دبلوماسية عربية لها مجلة ، وبعثة الجامعة العربية تصدر مجلة (العرب) الفخمة ذات الورق المصقول والتي تثير القارىء الهندي الذي يقرأ الصحف والمجلات الهندية بورقها الرخيص وطباعتها البسيطة . ان صحيفة (العرب) هذه تمثل بفخامتها الوجه البراق الخادع للعرب لتعطي الحقيقة المرة من العجز والتواكل . ان بمثل تكاليف مجلة (العرب) هذه يمكن اصدار ثلاث مجلات عادية مما يطالعها القارىء الهندي ويمكن ان تطبع منها أعداد أكبر لتصل الى الولايات الهندية المتعددة . هل أقول انه من المضحك اني ذهبت لزيارة معهد المهندسين في مركزه بنيودلهي ودخلت المكتبة لاجد في موقع رئيسي منها نشرة (أخبار اسرائيل) بينما لم أجد أي نشرة للنشاط العربي هناك علما بأن نيودلهي تعتبر مركز ثقل عربي لوجود السفارات العربية والبعثة العربية هناك بينما القنصلية الاسرائيلية بعيدة حوالي (١٢٠٠ كم) في بومباي .

هل أقول اني تعرفت على السيد (فيشوا جوبتا) في نيودلهي وهو ناشر ورئيس تحرير لثلاث صحف هندية ومركزه بنيودلهي (مركز الثقل العربي) ويخبرني انه يفتقر الى النشرات التي توضح المواقف العربية الانية للاحداث العربية والعالمية. ان النشاط العربي في الحقيقة يقوم به الطلبة العرب وخاصة الطلبة الفلسطينيون وهذا حق يقال في جانبهم ويدعم نشاطهم ممثل منظمة التحرير الفلسطينية . وهذا النشاط يفوق كثيرا امكانياتهم المادية والمعنوية ، واني ادعو اتحاد الطلبة الفلسطينيين العام لدعم فرعهم في الهند من الناحية المادية او ان يؤمن هذا الدعم بصورة او بأخرى حتى يستطيعوا ان يصلوا الى الجماهير الهندية والى الاحزاب والمعاهد المختلفة ، فان لديهم القدرة العلمية والوعي الكافي لطرح القضية الفلسطينية بأسلوب موحد وضمن اطار الثورة والتحرر والحركة النضالية للشعب الفلسطيني .

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

انكسارات في الجدار

في الشهر الماضي طرح سؤال جاد عن مدى فاعلية الحصار العسكري والسياسي ، والنفسي أيضا ، وجدواه والذي فرض من حول المقاومة الفلسطينية منذ أيلول ١٩٧٠ تحديدا حيث مثل هذا الحدث (مجزرة أيلول) بداية مرحلة كانت فرضياتها الاساسية المنطلقة من واقع الحصار الذي تعرضت له المقاومة مثقلة بتشاؤم يشبه اليأس الانتحاري ، المفهوم أحيانا اذا أخذت المعطيات الفلسطينية والعربية من حيث هي واقع سكوني غير قابل للانكسار . فانتكاسة المقاومة في الساحة الاردنية واقفال هذه الجبهة في وجه الكفاح الفلسطيني المسلح ، وحظر الانطلاق من قواعد الجنوب اللبناني بحكم الامر الواقع ، بالاضافة الى صمت الجبهات الاخرى التقليدي ، كل ذلك طرح على المقاومة تحديا كاد ان يكون مصيريا وكان مفروضا على المقاومة أن تجابهه معلقة استمرارها ، بل وجودها ذاته ، على هذه المجابهة. وكانت مواجهة هذا التحدي ، ولا تزال ، تضغط في ايجاد خرق في جدر الحصار هذه تنفذ من خلاله المقاومة نحو ممارسة عملها في ساحة الصدام الرئيسية — الارض الفلسطينية — والا فقدت المقاومة بالفعل مبرر وجودها وتحولت الى « احتياطي ثورة » في أحسن الاحوال وأكثرها تفاؤلا . وقد لعبت كثافة الحصار حول المقاومة دورا مهما في طرح الحلول والمشاريع التي استهدفت تصفية القضية الفلسطينية تلك الحلول التي راهن أصحابها — مهما اختلفت نياتهم ومقاصدهم — على ان المقاومة بثقل القيود التي تكبلها والتي تمنعها من الانطلاق غير قادرة على المواجهة والتصدي لهذه الحلول من جهة ، وعاجزة — او مفروض عليها العجز — عن مواصلة نضالها المسلح (مبرر وجودها) من جهة أخرى . لقد كانت المراهنة على عجز المقاومة أخطر فرضيات المرحلة التي ابتدأت بأيلول غير ان الشهر الماضي هز هذه الفرضية حتى الاعماق وكانت عمليات الداخل (راجع جدول العمليات العسكرية في هذا العدد) نقضا فعليا لهذه الفرضية صادرا عن ارض صلبة استندت اليها المقاومة وهي في قلب التحدي الكبير : ان تكون أو لا تكون . فوصول المقاومة الى تل ابيب (٧/٩ ، ٧/١١ ، ٧/١٩) والخضيرة (٧/١٩) وكريات اربع (٧/٢٥) وحيفا (٧/١٦) والخليل (٧/١٦) وجنين (٨/٨) والقدس (٧/١٩) وطبريا (٧/١٧) ، وصولها الى كل هذه الاماكن على الرغم من جدر الحصار التي تحيطها بكل غلاظتها يعني شيئا واحدا : ان علائم جديدة بدأت تظهر على جانبي المسيرة الفلسطينية ان كانت عمليات العمق بعض هذه العلائم البارزة فان تسليط الضوء على بعض هذا البعض ووضعه في اطاره الصحيح يكشف دلالات على ما سوف يكون عليه المستقبل . بعض هذه العمليات التي أشرنا اليه نراه في اثنتين قيمتهما ليست في تأثيراتهما العسكرية او السياسية وانما فيما توحيان من مؤشرات الى كيفية مواجهة المقاومة لطوق الحصار المفروض من حولها . العملية الاولى كانت طعن جندي اسرائيلي خارج الحرم الابراهيمي في الخليل والاستيلاء على سلاحه . وقد ذكرت « رويتر » (٧/١٦) ان بعض السكان قال ان رجلا ركض نحو الجندي بعد طعنه واستولى على مدفعه الرشاش وذخيرته . والعملية الثانية كانت الانفجار الذي حدث في أحد اسواق القدس وقد ذكرت « رويتر » كذلك (٧/١٩) ان القنبلة التي انفجرت كانت من صنع محلي وأوردت تصريحا لناطق باسم الشرطة الاسرائيلية بأن القنبلة كانت زجاجة كوكتيل مولوتوف . هاتان العمليتان ينبغي ان توضعا في اطارهما الصحيح : اكتشاف وسائل الكفاح المناسبة للظروف المعطاة ، او كما أكد الاخ ابو عمار لمحرري « روز اليوسف » (٧/٢٣) : « لقد

تمكنا من صنع المتفجرات داخل الارض المحتلة عندما لم نستطع توصيلها الى مناضلينا بالداخل ».
وبذلك فالثورة تخلق هي أدواتها وتبتدع من الوسائل ما تجده ملائما لتحقيق أغراضها وتجاوز العقبات الموضوعة في طريقها ما دامت ارادة القتال متوفرة لديها .

الانطلاق دوليا

بينما كانت المقاومة تنفذ عسكريا من طوق الحصار المفروض عليها وتنفذ بعض عملياتها الابداعية في الداخل كانت ، في الميدان السياسي ، تنطلق دوليا محاولة اليدين لتقيم من خلال محادثات الاخ ابو عمار في برلين الشرقية اوسع العلاقات مع حلفائها الطبيعيين في العالم . وقد بدأ التمهيد لهذه المحادثات في ٧٣/٦/٢٤ في بيروت وفي ٦/٢٧ صدر بيان مشترك عن محادثات تمت بين وفد من اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الالماني الموحد برئاسة جيرهارد جرونيبرج ، عضو المكتب السياسي وسكرتير اللجنة المركزية للحزب ووفد منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة الاخ ياسر عرفات . وكانت ابرز فقرات البيان المشترك ما يلي : « واتفق الجانبان على ان تحقيق سلام دائم وعادل في الشرق الادنى لن يتم الا من خلال تحرير سائر الاراضي العربية المحتلة وعودة الشعب العربي الفلسطيني الى وطنه وضمان حقه في تقرير مصيره ... وقد شدد الحزب الاشتراكي الالماني الموحد على مواصلته لضمان كامل الدعم لحركة المقاومة الفلسطينية في نضالها العادل من أجل الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ... وشدد الحزب الاشتراكي الالماني الموحد ومنظمة التحرير الفلسطينية على تحالفهما المتين مع الاتحاد السوفياتي وباقي الدول الاشتراكية كضرورة أساسية للنجاح في النضال المشترك ضد الامبريالية ... وقد تداول ممثلو الحزب الاشتراكي الالماني الموحد ومنظمة التحرير الفلسطينية في مسائل التعاون المشترك المقبل وتعميق العلاقات الاخوية والدعم في نضالها المشترك » .
وكان المهرجان العالمي العاشر للشبيبة الذي عقد في برلين الشرقية في الفترة ما بين ٧/٢٨ و٨/٥ فرصة مناسبة لاستكمال المحادثات التي بدأت في بيروت . وقد هيأت الجهات الالمانية الديموقراطية أفضل الاجواء التي أحاطت بالمحادثات . فقد ذكرت وكالة انباء المانيه الديمقراطية ان ابو عمار استقبل في المطار ليلة ٧/٢٨ استقبالا رسميا ووديا وكان في استقباله في المطار السيد جيرهارد جرونبيرج والسيد ألفرد نويمان ، النائب الاول لرئيس وزراء المانيه الديموقراطية . وذكرت « فلسطين الثورة » (٨/١) ان ابو عمار كان ضيف شرف في مهرجان الشبيبة وجلس على منصة الرئاسة الى جوار قادة الحزب الاشتراكي الموحد، كما أوردت وكالة الصحافة الفرنسية (٨/٢٩) ان العلم الاسرائيلي لم يرتفع في المدينة الرياضية حيث عقد المهرجان . ومن الاجواء الايجابية الظاهرة التي أحاطت بالمحادثات ان يوم التضامن مع الشعوب العربية وهو اليوم الثالث من أيام المهرجان قد استهل بمؤتمر صحافي عقده ابو عمار. وذكرت وكالة انباء المانيه الديموقراطية ان الاجتماع الذي خصص ليوم التضامن ذلك حضره اكثر من ستة آلاف فتى وفتاة من جميع القارات حيث رحبوا ترحيبا وديا خاصا بالسيد ياسر عرفات . في هذه الاجواء الايجابية بدأت المحادثات في ٧/٢٨ بين الوفد الفلسطيني والوفد الالماني الديموقراطي الذي رئسه السيد جرونبيرج وضم في عضويته السيد نويمان . ووصفت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) المحادثات بأنها على جانب كبير من الاهمية وانها ستقود الى مرحلة جديدة ومهمة في العلاقات الفلسطينية ـ الالمانية . وقالت الوكالة (٨/٢) ان المسؤولين الالمان أكدوا خلال الاجتماعات تصميم المانيه الديموقراطية بشكل حازم على تدعيم النضال الفلسطيني المسلح بكافة اشكال الدعم والمساندة . وذكرت « فلسطين الثورة » (٨/٨) انه عقد يوم ٨/٣ اجتماع مهم بين الاخ ابو عمار والرفيق اريش هونيكر ، السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الاشتراكي الالماني الموحد . وقد استمع ابو عمار في بداية الاجتماع الى معلومات من السيد هونيكر عن نتائج اجتماعات القرم لقادة الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان الاشتراكية. واضافت الصحيفة ان ابو عمار والسيد هونيكر توصلا الى وجهة نظر متماثلة حول مختلف القضايا وفي طليعتها القضية الفلسطينية واعلنا ان قوة الاتحاد السوفياتي وقوة الاسرة الاشتراكية وتعزيز تحالف القوى المعادية للامبريالية في العالم ، كل

ذلك يجعل من الممكن توجيه ضربات قاسية للامبريالية في أجزاء واسعة من العالم . كما بحثا في كيفية تصعيد الجهود في النضال المشترك ضد الامبريالية والصهيونية ومن اجل السلام والاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي . كذلك أكدا على ضرورة تعزيز وتعميق التعاون بين منظمة التحرير الفلسطينية والحزب الاشتراكي الالماني الموحد حسب الاتفاقية المعقودة بينهما . وقد ذكرت وكالة انباء المانيه الديموقراطية ان هذه الاتفاقية المشار اليها قد وقعت يوم ٨/٣ بين الاخ ابو عمار والسيد جرونبيرج لمواصلة التعاون بين الطرفين . ومن جملة ما تضمنته الاتفاقية افتتاح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في برلين . وهذا المكتب سيكون اول مكتب رسمي للمنظمة في دول الكتلة الاشتراكية .

ان هذه المحادثات التي تمت في برلين سوف تمثل مستقبلا نقطة تحول في تاريخ القضية الفلسطينية ان من حيث موقف منظومة الدول الاشتراكية من القضية او من حيث علاقات المقاومة الدولية وانعكاس هذه العلاقات على مسيرة المقاومة نفسها . اذ انه يبدو من الواضح ان هذا الموقف الالماني الديموقراطي الصريح والجاد في دعم المقاومة ليس موقفا متفردا بل ان الاجواء التي وضع فيها توحي بالتأكيد بأنه موقف المنظومة الاشتراكية باجمال وقد قامت المانيه الديمقراطية بدور طليعي فيه . ويؤكد هذا الامر المؤتمر الصحافي الذي عقده الاخ ابو عمار في برلين ونورد هنا مقتطفات من هذا المؤتمر (كما وردت في فلسطين الثورة ٨/٨) تشير الى هذه الحقيقة . قال ابو عمار : « أؤكد أمامكم ان نضالنا العادل الذي يستند الى الدعم والتأييد من رفاقنا وأصدقائنا في المنظومة الاشتراكية سينتصر وسنتغلب على الاعداء المشتركين الامبرياليين والصهاينة وسيظل ثوارنا وشعبنا يذكرون المواقف المشرفة التي وقفها الاتحاد السوفياتي حزبا وحكومة وشعبا جنبا الى جنب مع بقية البلدان الاشتراكية في أحلك وأصعب الاوقات التي نجمت عن الغزوة الصهيونية لبلادنا ... ان شعبنا وثوارنا ينظرون بتقدير كبير لكل انواع الدعم التي يقدمها لنا رفاقنا في المنظومة الاشتراكية ... وعن رأي الثورة الفلسطينية في موقف الاتحاد السوفياتي من أزمة الشرق الاوسط قال : يجب ان نذكر هنا بشكل واضح وصريح الوقفة الصديقة التي وقفها الاتحاد السوفياتي مع أمتنا العربية خاصة بعد عام ١٩٦٧ . ان هناك محاولة مستمرة للتعكير على العلاقات الاخوية بيننا وبين الاتحاد السوفياتي ولكنني اقول باسم الاحرار والمناضلين في أمتنا ان هذه المحاولات ستبوء بالفشل وانا متأكد بأن الدعم السوفياتي سيستمر وسيتصاعد من اجل ان نتغلب على العدو الامبريالي الصهيوني » .

عمليات الغموض

لف الغموض والارتياب في الشهر الماضي ثلاث عمليات تتعلق بخطف الطائرات كانت اثينا مسرحا لاثنتين منها والثالثة اتخذت عددا من العواصم مكان عرض لها . وكانت عملية اثينا الاولى قد تمت في ٧/١٩ عندما احتجز فدائي فلسطيني كما وصفته وكالات الانباء سبع عشرة رهينة في فندق اماليا في اثينا مدة اربع ساعات بعد فشله في محاولة نسف مكتب العال (الخطوط الجوية الاسرائيلية) . وقالت صحيفة « الفيتروس كوسموس » اليونانية ان « الفدائي كان ينوي تفجير شركة العال لانها تشكل مركزا اسرائيليا لاعمال التجسس والدعاية ضد العرب » (رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٢٧٥) . وقد كان احتجاز الرهائن مقابل طلب الفدائي بالسماح له بمغادرة اليونان سالما . وذكرت وكالات الانباء ان الفدائي نقل من الفندق حيث كان يحتجز الرهائن الى المطار في سيارة تابعة للسفارة العراقية يحيط به السفير العراقي والقائم بالاعمال المصري اللذان اشتركا مع السفيرين الليبي واللبناني في مفاوضته، وغادر اليونان الى الكويت ثم توجه الى جهة مجهولة . وكان السؤال الذي أثير مباشرة في أعقاب العملية هو من هي الجهة التي تقف خلفها ؟ وكان الجواب غامضا تماما كغموض العملية نفسها . فقد أوردت « رويتر » (٧/٢٠) من الكويت ان « احد قادة المقاومة » روى تفاصيل المؤتمر الصحافي الذي عقده الفدائي الفلسطيني في اثينا بقوله انه عندما سئل عن التنظيم الذي ينتمي اليه أجاب « أنا من تنظيم ضحايا الارض المحتلة ».

واجاب عن سؤال آخر حول ما اذا كان ينتمي الى منظمة التحرير الفلسطينية أو فتح بقوله « لم يكن لي انتماء لمنظمة التحرير الفلسطينية او لفتح او لاي تنظيم آخر بل أؤكد مجددا انني من تنظيم ضحايا الارض المحتلة » .

كان هذا « التنظيم » مستحدث السمعة غير انه لم يمض غير أقل من يوم واحد حتى أثير هذا الاسم مجددا مرتبطا هذه المرة بحادث اختطاف طائرة الجمبو اليابانية (٧/٢٠) من امستردام والتي حلقت فوق عدد من العواصم الاوروبية والعربية وحطت في مطار دبي ثم واصلت رحلة الرعب والغموض الى مطار دمشق فمطار قريب من بنغازي في ليبيا حيث قام خاطفوها بتفجيرها بعد انزال الركاب منها يوم ٧/٢٤ . من الذين قاموا بخطف الطائرة ؟ ذكرت « النهار » (٧/٢٢) ان الخاطفين اعلنوا في البداية انهم ينتمون الى منظمة الجيش الاحمر اليابانية اليسارية وبعد ذلك اعلن احد الخاطفين ان الذين قاموا بالعملية اعضاء في منظمة ابناء الارض المحتلة . ان غموض الاسم مع غموض مطاليب الخاطفين (ترددت انباء عن مطالبة الخاطفين باطلاق سراح الفدائي الياباني اوكاموتو ، كما ترددت انباء اخرى عن مطالبة الخاطفين بفدية مقدارها خمسة ملايين او خمسة عشر مليون دولار كذلك أورد بعض الانباء نفيا لهذا المطلب) دفع قيادة الثورة الفلسطينية الى عقد اجتماع في ٧/٢٤ صرح في ختامه ناطق باسمها بأن القيادة عقدت اجتماعا مطولا لدراسة حادث اختطاف الطائرة اليابانية الذي اقدمت عليه مجموعة ادعت انها تنتمي الى جبهة تسمى ابناء الاراضي المحتلة وقد خرجت القيادة اثناء الاجتماع بمجموعة من النتائج التالية : (١) ان منظمة الارض المحتلة المزعومة غير موجودة على الاطلاق على الساحة الفلسطينية وهي بالتأكيد لا تنتمي الى المناطق المحتلة ولا علاقة لها بنضال ابناء هذه المناطق . (٢) ان الحادث يسيء الى النضال الفلسطيني والى سمعة الثورة لكونه عملا لا يستند الى اي مبرر وطني ولا يخدم هدفا من أهداف الثورة . (٣) ان موقف المختطفين وتحركاتهم تثير الشك والريبة خاصة وان احتجاز ١٤٠ مدنيا لمدة أربعة ايام قضية لا تتفق مع الطبيعة الانسانية للثورة . (٤) في الوقت الذي يتصاعد فيه النضال الجماهيري والنضال المسلح داخل الاراضي المحتلة تأتي هذه العملية محاولة طمس هذا النضال ولتحويل الانظار عنه تحت ستار الانتماء الى الاراضي المحتلة . (٥) ان قيادة الثورة تجري تحقيقا مفصلا للكشف عن ملابسات هذا العمل والجهة التي تقف وراءه ودوافعها .

اما رد الفعل الاسرائيلي الاولي فقد كان الايحاء بأن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هي التي وراء عملية خطف الطائرة . فقد اوردت الاذاعة الاسرائيلية في يوم العملية ذاته تعقيبا قال كاتبه « اذا اردنا التحدث عن الطرف العربي في العملية فليست لدي معلومات حتى الان عمن تكون المنظمة التي تقف وراء العملية ولكن عملية اوكاموتو في ايار ١٩٧٢ كانت من تنظيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة جورج حبش . واريد ان أؤكد هنا ان جورج حبش قد عاد اخيرا الى النشاط بعد ان غاب عن المسرح عدة اشهر ، لقد كان مريضا وفجأة ظهر على المسرح وبدأ مجددا يعالج شؤون منظمته . والواقع انه اقترح مرة بلسان منظمته وقف عمليات خطف الطائرات ولكن يبدو انه لا يمكن الاعتماد على اقواله » « رأ ملحق العدد ٢٧٥ » غير ان الجبهة الشعبية نفت مسؤوليتها عن الحادث وذكرت « الهدف » (٨/٤) ان الدوائر الامبريالية والعميلة ركزت جهودها الاعلامية لالصاق حادث اختطاف الطائرة بالجبهة الشعبية واكتفت الجبهة في البداية بأن شاركت في اصدار بيان منظمة التحرير الفلسطينية [المشار اليه سابقا] لكن استمرار الحملة استدعى اصدار بيان توضيحي ، وقد نفت الجبهة في البيان « نفيا باتا وقاطعا وجود اي علاقة بينها وبين مختطفي الطائرة اليابانية التي كثر اللغط حولها . والجبهة اذ تنفي نفيا قاطعا علاقتها بالحادث تدين العمليات البعيدة عن الافق السياسي الثوري التي لا تخدم القضية الثورية عامة وقضية شعبنا العادلة خاصة . وتدين الجبهة كل جهة تحاول ان تضفي على هذا الموقف غموضا او لبسا لانها بذلك تخدم معسكر العدو . وتقوم الجبهة في الوقت هذا بمتابعة ذيول هذه العملية مع بقية فصائل حركة المقاومة لتطويقها » . وكان صدى نفي منظمات المقاومة ان يكون لها صلة بالحادث لدى اسرائيل ما افصح عنه تعليق للاذاعة الاسرائيلية (٧/٢٣) كما يلي : « أكدت منظمات التخريب العربية حتى الان ان الخاطفين لا ينتمون اليها . وهذا الامر يزيد من غموض القضية باسرها . وهذه ليست اول مرة تنفصل

فيها منظمات التخريب من عمليات ارهابية ويبدو ان هذا الامر اصبح عندهم سياسة معلنة » .

وكانت اثينا من جديد ميدانا لعملية اخرى اثارت الشك والتساؤل لما حفلت به من غموض فقد هاجم عربيان يوم ٨/٥ ركاب طائرة امريكية متجهة الى نيويورك واسفر الهجوم عن مقتل ٣ اشخاص وجرح ٥٥ اخرين . واوردت الانباء (النهار ٨/٧) ان المهاجمين قالا انهما كانا يستهدفان بعمليتهما طائرة تابعة لشركة الخطوط العالمية الاميركية متجهة الى تل ابيب وليس طائرة للشركة نفسها متجهة الى زوريخ ونيويورك واستطردا انهما لم يكونا يعلمان بأن الطائرة الاولى اقلعت بالفعل فالقيت القنابل اليدوية على ركاب الطائرة المتجهة الى الولايات المتحدة . كذلك نقلت وكالة الصحافة الفرنسية (٨/٥) استنادا الى مصدر قريب من وزارة الداخلية اليونانية ان الشخصين اللذين قاما بالعملية اكدا انتماءهما لمنظمة ايلول الاسود واعلنا انهما تلقيا تدريبهما في ليبيا وانهما يقيمان بصفة عادية في القاهرة وان الهدف من مهمتهما كان قتل المسافرين الذاهبين الى تل ابيب . وقد صرح مصدر مسؤول في قيادة الثورة الفلسطينية (وفا ٨/٦) ان الثورة الفلسطينية تنفي نفيا قاطعا اية علاقة لها بحادث مطار اثينا و « ان هذا الحادث ليؤكد ما قلناه عندما قامت مجموعة باختطاف الطائرة اليابانية مؤخرا من ان هناك قوى مشبوهة تتحرك وتعمل للاساءة الى النضال الفلسطيني . ان وراء هذه العملية المشبوهة تقف القوى المعادية للثورة الفلسطينية وللشعب الفلسطيني ... ان الثورة الفلسطينية اذ تنفي نفيا قاطعا اية صلة لاي من تنظيمات الثورة بهذه العملية تطالب السلطات اليونانية بالكشف عن هوية الفاعلين وعن الجهة التي تقف وراءهم » وذكرت (وفا) ان قيادة الثورة كلفت جهاز امن الثورة بالتحقيق في العملية وارسال احد رجال الامن الى اثينا في مهمة خاصة بهذه العملية .

وقد ترددت انباء في بعض الصحف ان منفذي العملية ينتميان الى مجموعة تطلق على نفسها اسم الشهيد ابو يوسف (محمد يوسف النجار) وقد ادلى مصدر مسؤول في حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح بتصريح نشرته (وفا) ٨/٨ جاء فيه « ان حركة فتح وهي تشجب بشدة هذه الاساءة للقائد الشهيد الذي اغتالته الصهيونية الارهابية بالمشاركة مع المخابرات المركزية الاميركية في هجومها الغادر على بيروت ترى في محاولة الصاق هذه الحادثة باسم احد قادة فتح تأكيدا جديدا على الاهداف المشبوهة لحادثة اثينا لتشويه صورة النضال الفلسطيني ومنظماته وبالتالي تبرير اية عملية ارهابية ضد شعبنا » . وقد ذكرت (وفا) كذلك ان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية انتهت من اجتماعاتها في دمشق ظهر يوم ٨/٨ وانه من المقرر ان يصدر باسم منظمة التحرير بيان ينفي علاقة كافة فصائل المقاومة بعملية اثينا الاجرامية . واضافت الوكالة الفلسطينية ان البيان سيؤكد ان ما سمي وحدة الشهيد ابو يوسف ليس له اي اساس من الصحة وهو امر وهمي مختلق وان هذه الوحدة غير موجودة ابدا وليس لاي فصيل من فصائل المقاومة اية علاقة بحادث اثينا الاجرامي .

كان رد الفعل الاسرائيلي على حادث اثينا كما يلي : ١ — ذكرت الاذاعة الاسرائيلية (٨/٦) « ان المراقبين في القدس يعتبرون ان منظمات المخربين هي المسؤولة عن المذبحة في اثينا وذلك على الرغم من ان اية منظمة تخريبية لم تنسب لنفسها مسؤولية العملية . ويعتبر المراقبون ذلك بمثابة اتجاه جديد في الاعلام بالنسبة للمخربين » وقد اكد الاعلام الاسرائيلي قضية انتهاج الاعلام الفلسطيني اسلوبا جديدا في نفي مسؤولية المقاومة عن بعض العمليات اكثر من مرة بالنسبة لهذه الحادثة بالذات كما تواتر هذا التأكيد منذ اغتيال ألون ، الملحق العسكري الاسرائيلي في واشنطن، كذلك طرح الاعلام الاسرائيلي مزاعم اخرى مرافقة منها ما ذكرته الاذاعة الاسرائيلية (٨/٧) من ان « هناك عددا كبيرا من المنظمات بحيث يصعب على قيادتهم وعلى ياسر عرفات ان يعرف ماذا يفعل الجميع وأصبحت كل جهة تفعل ما يحلو لها » .

٢ — حملت اسرائيل السلطات اليونانية نصيبا من المسؤولية فقد ذكرت « هآرتس » (٨/٦) « ان هذه العملية الارهابية تثبت ان انظمة الامن في مطار اثينا غير كافية ، كما ان التساهل الذي ابدته الحكومة اليونانية في الحوادث السابقة يجعل المخربين العرب يكررون عملياتهم » . وقالت « دافار » (٨/٦) « ان المجرمين سارعوا الى تسليم انفسهم لشرطة اثينا لانهم يدركون انهم بهذا لا يتعرضون لخطر على حياتهم وان هنالك احتمالا كبيرا ان يخرجوا دون عقاب » .

مرة اخرى من يقف وراء هذه العمليات الغامضة؟ هل هي المخابرات الاسرائيلية كما اكدت صحيفة البعث السورية (٨/٦) ام هو مخطط معادي كما كتبت « فلسطين الثورة » (٨/٨) : « ان ما جرى للطائرة اليابانية وتم في مطار اثينا يقع موضوعيا تحت مظلة الاهداف الاميركيةوالصهيونية حتى لو كانت ادوات التنفيذ غير اميركية وغير اسرائيلية . ان الحوادث الاخيرة تشير الى مخطط خطر بدأ اعداء الثورة بتنفيذه . وهذا المخطط يستهدف اولا تشويه النضال الفلسطيني ويستهدف ثانيا اظهار الفلسطينيين وكأنهم عصابات من القتلة تستوجب ملاحقتهم في كل مكان . ان شعبنا بريء من كل هذا » . هل الامر هو كذلك حقا ام ان هناك خطأ ما قد ارتكب ، مغامرة غير محسوبة النتائج غير محكمة الاساليب والادوات ؟ ان الغموض الذي احاط بهذه العمليات الثلاث يجعل الاجابة حاليا في حكم المستحيل .

عصام سخنيني

تحركات أهالي المخيمات الفلسطينية في الجنوب ضد سياسة التعطيش والاهمال التي تتبعها وكالة الغوث

شهدت المخيمات الفلسطينية في جنوب لبنان ، خلال الاسابيع الاخيرة ، تحركات شعبية واسعة ضد سياسة الاهمال والتعطيش التي تتبعها وكالة الغوث تجاه أهالي المخيمات .

ففي يوم الاثنين ٧٣/٧/٣٠ أعلن سكان مخيم البرج الشمالي في منطقة صور الاضراب الشامل عن تناول مخصصات الاعاشة والحليب والوجبة الغذائية اليومية (التي تقدم للاطفال دون سن السادسة وبعض العجزة) ، ومقاطعة كل مؤسسات وكالة الغوث وذلك احتجاجا على استمرار تجاهل الوكالة في تلبية بعض مطالبهم اليومية المشروعة التي تعتبر بمثابة الحد الادنى الضروري والحيوي لمجرد الاستمرار في العيش .

ويأتي في مقدمة هذه المطالب : (١) مسألة توفير المياه بصورة دائمة عن طريق حفر بئر ارتوازية مع مضخة وخزان للمياه واقامة شبكة لتوزيع المياه داخل المخيم . (٢) وجود طبيب يحضر يوميا الى المخيم (وليس ثلاث مرات في الاسبوع ولمدة ساعتين فقط كما هو الوضع حاليا) . (٣) ضرورة توفير الدواء والاعتناء بالصيانة الصحية داخل المخيم باقامة شبكة للمجاري وزيادة عدد عمال التنظيفات ، (حاليا هناك ٨ عمال لاكثر من ١٠ آلاف نسمة هم عدد سكان المخيم) ، وتوفير شاحنة لنقل النفايات والاوساخ بعيدا عن المخيم . بالاضافة الى ضرورة القيام بتوزيع أدوية لمكافحة الحشرات والجرذان التي تنتشر بكثرة في كافة أرجاء المخيم . والجدير بالذكر هنا ان الوكالة لا تقوم بواجبها أيضا في مكافحة الامراض السارية الناجمة عن تراكم القذارة والنفايات وضعف مستوى الصيانة الصحية والطبية . وفي مقدمة هذه الامراض : مرض الجرب والحكاك والحبوب المحمرة وغيرها . (٤) مراقبة توزيع التموين (الاعاشة) والتشديد على الحفاظ على نفس كمية المخصصات ، التي توزع شهريا ، وتحسين اصنافها .

وتعتبر مشكلة عدم توفير المياه بصورة دائمة من أبرز ما يعاني منه سكان مخيم البرج الشمالي . فالمياه لا تأتي الى المخيم اثناء النهار الا لبضع ساعات وبكمية محدودة ، بينما تنقطع معظم ساعات النهار وطوال الليل . وفي الوقت الذي يزيد فيه عدد سكان هذا المخيم عن ١٠ آلاف نسمة ، نجد ان عدد مراكز توزيع المياه هي ١٨ مركزا فقط ! وهكذا يضطر الاهالي للسير مئات الامتار والانتظار في صفوف طويلة حتى تتاح الفرصة للمرأة او للرجل لكي يملأ جردله أو جرته !

وتبلغ كمية المياه التي تصل الى كل سكان المخيم ١٦٠ مترا مكعبا يوميا يذهب منها حوالي ٤٠ مترا الى مؤسسات ومراكز الوكالة داخل المخيم وما يقارب ١٠ الى ١٥ مترا من المياه التي تتساقط هدرا على الارض . وهذا يعني ان معدل ما يصل الفرد الواحد في اليوم من المياه لا يتعدى ١٠ ليترات فقط !

وازاء سياسة التعطيش والاهمال التي تتبعها وكالة الغوث لم يجد أهالي المخيم سوى اعلان

الاضراب والاعتصام في مكتب الوكالة في صور ، وذلك بعد ان فشلت كافة الاتصالات التي أجراها الاهالي مع وكالة الغوث في صور وبيروت لتحقيق هذه المطالب . فمنذ عدة سنوات والاهالي لا يحصلون ، من كل اتصالاتهم بالمسؤولين في الوكالة ، الا على الوعود المعسولة والكلمات العامة الفضفاضة و« النوايا الحسنة » .

وقبل أن يقوم الاهالي بتحركهم حاولوا ان يعطوا الوكالة فرصة اخيرة ، فعمدوا الى تكثيف لقاءاتهم مع المسؤولين في الوكالة طوال شهر تموز المنصرم. ففي ٧٣/٧/٩ جرى لقاء بينهم وبين مدير الوكالة في منطقة صور السيد محمود فارس ، وتم لقاء آخر في ٧٣/٧/١٦ بينهم وبينه جرى فيه الاتفاق على تحديد موعد نهائي من قبل الوكالة بصدد موقفها من تلبية المطالب المرفوعة. وفي ٧٣/٧/٢٩ حضر السيد مارسيل بورديو المدير العام للوكالة في لبنان مع بعض معاونيه على اساس البت في أمر المطالب بصورة نهائية . ولكن اجتماع الاهالي به لم يسفر سوى عن ترداد نفس الوعود العامة المملة بدرس وبحث « امكانية » تحقيق المطالب والتذرع بضعف الميزانية. وهكذا ثار الاهالي على سياسة التسويف والمماطلة ، بعدما بلغت الاوضاع الاجتماعية والصحية في المخيم حدا لا يطاق .

وقد جاء في بيان وزعته اللجنة المشتركة لناديي الشباب العربي الفلسطيني واتحاد الشبيبة الفلسطيني داخل المخيم على الاهالي ، جاء في هذا البيان « لقد اعلمناكم ان الوكالة وعدتنا بأن يكون اليوم الاحد ٧٣/٧/٢٩ هو آخر يوم للرد على مطالبنا . فاجتمعنا بالسيد بورديو المدير العام للوكالة في لبنان وقدمنا له مطالب المخيم .. ولكننا لم نلمس منه الا وعودا براقة أعطيت لنا عدة مرات وكانت حبرا على ورق .. وخلاصة ذلك ان الوكالة ليست لديها نية لتحقيق هذه المطالب بالمحادثات والاجتماعات العادية وكل ما تبغيه هو الاستهتار بكم وبحقوقكم ولذلك فان الاضراب والاعتصام هو السبيل الوحيد لتحقيق هذه المطالب ، فالوكالة لم تترك لنا سبلا أخرى نسلكها » .

تحرك أهالي مخيم القاسمية ــ البرغلية :

وقد رافق تحرك مخيم البرج الشمالي قيام أهالي مخيم القاسمية ــ البرغلية (الذي يضم حوالي ٧ آلاف نسمة) بالاعتصام في مكتب الوكالة بصيدا في ٧٣/٨/١ احتجاجا على سياسة الاهمال الفاضحة التي تتبعها الوكالة بحق هذا المخيم . فوكالة الغوث لا تعترف مطلقا بوجوده كمخيم مما يجعله محروما من أي نوع من انواع الخدمات الاجتماعية والصحية والتربوية . فمثلا لا يوجد في هذا المخيم أي مركز لتوزيع المياه ، فيضطر الاهالي للسير بضعة كيلومترات لجلب المياه كل يوم . اما المدرسة التابعة للوكالة فهي تبعد عن المخيم حوالي ٥ كيلومترات . وهذه السنة بالذات ، ذهب ضحية حوادث السير خمسة من التلاميذ في المخيم نظرا لكون الطريق الوحيد المؤدي الى المدرسة هو نفسه الطريق العام الذي تمر عليه السيارات بين صور وبيروت !

وقد رفع سكان أهالي مخيم القاسمية ــ البرغلية هذين المطلبين الى وكالة الغوث :

١ ــ اعتراف الوكالة بالمخيم وتقديم كافة الخدمات لسكانه اسوة بغيره من المخيمات الاخرى. (وبصرف النظر عن تدني مستوى هذه الخدمات) .

٢ ــ نقل المدرسة من مكانها البعيد الى مكان قريب من المخيم ، وذلك تفاديا لتعرض التلاميذ بكثرة لحوادث السير .

وقد قام الاهالي بتعليق اعتصامهم بصورة مؤقتة (لغاية ٨/١٥) انتظارا لنتيجة المفاوضات التي دارت من خلال « المديرية العامة لشؤون اللاجئين في لبنان » بين اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين وبين وكالة الغوث .

ولكن الاهالي عادوا في يوم ٨/١٦ الى تصعيد اعتصامهم بعد ان فشلت الجولة الاولى من المفاوضات مع الوكالة .

اما اهالي مخيم البرج الشمالي فقد استمروا في اعتصامهم دون توقف وقاموا بتصعيد تحركهم بالاعتصام مع اهالي مخيم القاسمية ــ البرغلية في مكتب الوكالة بصيدا يوم الخميس ٧٣/٨/١٦ .

الوكالة ترفض تلبية المطالب حتى الان !

وعلى صعيد نتائج المفاوضات مع الوكالة بصدد تحقيق هذه المطالب ، فقد عقد اجتماع يوم الخميس في ٧٣/٨/٩ بمكتب رئيس المصلحة الادارية المشتركة في وزارة الداخلية السيد منير عانوتي ، بين هذا الاخير ممثلا عن وزير الداخلية بهيج تقي الدين وبين توفيق الصفدي ممثلا عن اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين في لبنان من جهة ،

وبين السيدين شابيرو واحمد الحوت كممثلين عن وكالة الغوث من جهة ثانية .

وكانت نتيجة هذا الاجتماع سلبيـــة تماما ، اذ رفضت الوكالة تلبية مطالب أهالي مخيمي البرج الشمالي والقاسمية ــ البرغلية عن طريق تكرار نفس الحجة المملة المعتادة وهي « عدم توفر المبالغ المطلوبة لتنفيذ هـــذه المطالب » . وقد ادلى الاخ توفيق الصفدي على اثر الاجتماع بتصريح جاء فيه « كان موقف وكالة الغوث من المطالب سلبيا ، وتذرعت بعدم توفر المبالـــغ المطلوبة لتنفيذ هذه المطالب ، وهذا الموقف يجعل وكالة الغـــوث مكشوفة في الدور الذي تقوم به . ويعزز نضال الجماهير الفلسطينية العادل ضد سياسة الاجحاف، وحتى نيل المطالب المحقة بكافة الوسائل الممكنة». والواقع ان حجة « عدم توفر المبالغ المطلوبة » انما تعكس السياسة التي تنفذها الوكالة عن طريق ابقاء توفر او عدم توفر الشروط المعيشية الضرورية اليومية لسكان المخيمات تحت تحكم وتصرف القوى الامبريالية التي تمولها .

الوكالة ترفض ان تتعامل مع أي صفة لمؤسسة تمثل الشعب الفلسطيني :

واذا ما تمعنا بالكيفية التي تمت بها المفاوضات مع الوكالة ، فاننا نلاحـــظ ان الوكالة ترفض التعامل والتفاوض مباشرة مع اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين في لبنان وغيرها من المؤسسات الشعبية والنقابية والسياسية الفلسطينية .

فقد تمت المفاوضات الفاشلة التي أشرنا اليها من خلال المديرية العامة لشؤون اللاجئين في لبنـــان (وهي مؤسسة تابعة لوزارة الداخلية اللبنانية). ولم تقم بصورة مباشرة بين اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين وبين الوكالة !

والواقع ان الوكالة ترفض مبدأ التعامل مباشرة مع أي صفة تمثيلية للشعب الفلسطيني كشعب له قضيته الوطنية وليس كمجموعات من اللاجئين .

أهالي المخيمات الاخرى والقوى الوطنية اللبنانية تعلن تأييدها للمعتصمين ومطالبهم العادلة :

لقد أعلن أهالي المخيمات الفلسطينية الاخرى في الجنوب تأييدهم المطلق لتحـــرك ومطالب أهالي مخيمي البرج الشمالي والقاسمية ــ البرغلية . وعلى اثر فشل المفاوضات الاولى مع وكالة الغوث تداعت اللجان الشعبية في كافة مخيمات الجنوب الى عقد سلسلة من الاجتماعات لبحث الخطوات العملية التي ينبغي اتخاذها ضد سياسة الوكالة. وقد أصدرت اللجان الشعبية في نهاية اجتماعاتها بيانا هاما الى اهالي المخيمات نددت فيه «بسياسة وكالة الغوث التعسفية تجاه اهلنا بالمخيمات ابتداء من سياسة التجويع ومـــرورا بسياسة التجهيل وانتهاء بسياسة التعطيش والحرمان من التطبيب بالاضافة الى قطع اعاشات الاطفال الجدد وحرمان الطلاب من الكتب والمدارس وترك المخيمات مهملة بدون رعاية صحية وتفشي الامراض الفتاكة » . ويهيب البيان بكافة سكان المخيمات الى الوقوف صفا واحدا بوجه سياسة الوكالة « المعاديـــة للامبريالية والصهيونية » .

وقد أصدرت اللجنة الصحية في مخيم تل الزعتر ببيروت بيانا أعلنت فيه تأييدها لمطالب مخيمي البرج الشمالي والقاسمية ــ البرغلية ، بعد ان طرحت فيه المشاكل التي يعاني منها سكان المخيم . وفي النهاية حذر البيان الوكالة من الاستمرار « في سياسة التسويف والمماطلة في تنفيذ المطالب » .

وفي ٧٣/٨/٢٠ قام الاخ شوقي ارملي امين فرع اتحاد الحقوقيين الفلسطينيين في لبنان مـــع وفد من اعضاء الاتحاد بزيارة الاهالي المعتصمين في مكتب الوكالة بصيدا . وقد أصدر فرع اتحـــاد الحقوقيين الفلسطينيين في لبنان بيانا دعا فيه « كل شريف من أبناء أمتنا الى دعم مطالب اهالـــي المخيمات » ونديد البيان « بالوضع القاسي غـــير الطبيعي الذي يعيش فيه ابناء الشعب الفلسطيني تحت رحمة وسيطرة القوى الامبريالية والصهيونية» من خلال السياسة التي تنفذها وكالة الغوث .

وعلى صعيد الجماهير والقوى الوطنية اللبنانية ، فقد أعلنت الاحزاب والقـــوى الوطنية في صيدا والجنوب في ٧٣/٨/٤ عن تأييدها ودعمها لمطالب اهالي المخيمات . كما أعلن السيد حسيب عبد الجواد رئيس اتحاد نقابات عمال الجنوب عـــن تضامن العمال اللبنانيين مع مطالب اهالي المخيمات المعتصمين . وقد عقد في نفس التاريخ المذكور اعلاه اجتماع مشترك بين اللجـــان الشعبية في مخيمات الجنوب وبين ممثلين عن الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ، أكدت فيه الاحزاب والقوى الوطنية اللبنانية عن تضامنها ومساندتها .

وفي صور أصدرت الاحـــزاب والقوى الوطنيـــة والتقدمية في ٧٣/٨/١٣ بيانا نددت فيه بسياسة

وكالة الغوث وممولوها الامبرياليين واعلنت عن دعمها المطلق لمطالب اهالي مخيمي البرج الشمالي والقاسمية — البرغلية . كما ابرق « الشباب الوطني في صور » في ٧٣/٨/١٤ الى المسؤولين اللبنانيين والفلسطينيين والصحف معلنا عن « تأييده الحازم لاهالي المخيمات حتى تتحقق مطالبهم العادلة » .

والجدير بالذكر ان عددا كبيرا من الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية اللبنانية ابرزت انباء تحركات اهالي المخيمات الفلسطينية في الجنوب . كما كتب بعضها منددا بالسياسة التي تتبعها وكالة الغوث ضد الشعب الفلسطيني .

الوكالة « وممولوها » :

ان الاهمال الفاضح التي تمارسه الوكالة ضد المخيمات الفلسطينية يطرح تساؤلا جديا حول أسباب السياسة التي تتبعها الوكالة من خلال معاملتها الشعب الفلسطيني المكافح بهذه الطريقة اللاانسانية المزرية .

والواقع ان حرص الذين يمولون الوكالة على « اغاثة » الشعب الفلسطيني لا ينبع من اعتبارات انسانية ، بل من اعتبارات سياسية على رأسها الحفاظ على « استقرار » المنطقة وتخدير الفلسطينيين بمساعدات هزيلة لا تغني من جوع ولا تسد اي حاجة حقيقية .

وللتعرف على مستوى الخدمات التي تقوم بها الوكالة ، فاننا نجد انه عبر سنوات ١٩٥٠ — ١٩٦٩ انفقت ما مجموعه ٦٩٦ مليون دولار على اللاجئين الفلسطينيين اي بمعدل ٣٤ مليون دولار للعام الواحد . وقد بلغ معدل ما ناله الفرد الفلسطيني ٣٠ دولارا فقط للعام الواحد ايضا اي بمعدل ٥ر٢ دولار في الشهر اي بما لا يتجاوز ٧ ليرات لبنانية في الشهر . وهذا المبلغ هو دون الحد الادنى لاجرة أي عامل مياوم !

أما مصادر التمويل طوال هذه السنوات فقد كانت على الوجه التالي : الولايات المتحدة الاميركية تبرعت بمبلغ ٤٥٦ مليون دولار . بريطانيا تبرعت بمبلغ ١١٠ ملايين دولار . بينما تبرعت الدول الامبريالية الاخرى او الدائرة في الفلك الامبريالي ببقية الميزانية . وهذا يعني ان وكالة الغوث هي مشروع امبريالي اميركي — بريطاني من حيث الاساس والدور الذي يلعبه . اذ ليس صحيحا ان انشاء الوكالة وتأمين ميزانية سنوية لها ينبعثان من احساس الامم المتحدة ودولها بمسؤوليتها تجاه ما جرى للشعب الفلسطيني . فلم يحدث ابدا في تاريخ القوى الاستعمارية ان شعرت بالعطف والمسؤولية تجاه ضحاياها !

المهم ان نعرف ان ميزانية الوكالة محسوبة بدقة متناهية لتخدم اغراض « الممولين » . وعلى سبيل المثال ، عندما أنشىء جيش التحرير الفلسطيني عام ١٩٦٥ في قطاع غزة طلب الكونغرس الاميركي من وكالة الغوث قطع اعاشات المجندين في جيش التحرير على اعتبار ان جيش التحرير يقوم باطعامهم اثناء تاديتهم الخدمة العسكرية !

وقد لجأت الولايات المتحدة و « الممولون » الامبرياليون الاخرون الى عدة اجراءات للتحكم في سياسة الوكالة نذكر منها :

١ — عدم جعل ميزانية وكالة الغوث جزءا من ميزانية الامم المتحدة . وهذا مما يضطر رئاسة الوكالة الى شن حملة سنوية لجمع التبرعات من الدول الامبريالية « المعنية بوضع » الفلسطينيين .

٢ — تقوم الدول المعنية بدفع التبرعات على عدد من الاقساط طوال السنة المالية وليس على اساس دفعة واحدة . وهذا يعتبر بمثابة عامل ضغط على الوكالة . لان الدولة المتبرعة تستطيع تغيير موقفها في حال حصول ما يستوجب تعديل سياستها تجاه الوكالة .

٣ — عملت الدول الامبريالية او الدائرة في فلكها (والتي تمول الوكالة) الى خفض احتياطي رأس المال العامل الذي كانت تملكه الوكالة من حوالي ٤٨ مليون دولار عام ١٩٥٢ الى حوالي ٣ ملايين دولار عام ١٩٧١ . وذلك بهدف افقاد الوكالة اي قدر من المرونة في وضع برامجها بحيث يكفي ان يتأخر قسط واحد من الاقساط لكي تنهار كل البرامج التي وضعتها في حيز التنفيذ .

ان السؤال المطروح على كافة القوى الوطنية العربية هو الى متى تظل مسألة ان يشرب الفلسطينيون او لا يشربوا مربوطة بقرار يتخذه الكونجرس في الولايات المتحدة الاميركية او الدول الامبريالية الاخرى ؟!

هاني م.

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

من الدولة الفلسطينية الى العودة الى الاردن

كان الشهران الماضيان شهري الدولة الفلسطينية. لقد طرحت على الصعيد العربي كما لم تطرح من قبل . وحين بدأت الرقاب تشرئب بحثا عن «الفكرة الهائمة» ، غابت « الدولة الفلسطينية » عن صفحات الصحف وبرامج الاذاعات . وظل الجمهور الفلسطيني بين الصمت والاعلان حائرا متخوفا بينما ظلت بعض القيادات الفلسطينية تبحث في السراب عن الماء .

وبرز فجأة على السطح موضوع جديد . انه موضوع العلاقات الاردنية ـ العربية ، وعودة المياه الى مجاريها بين الاردن وشقيقاته العربيات، وعودة الحياة الى الجبهة الشرقية بالطبع . وكانت عمان تحاول ، منذ ايلول سنة ١٩٧٠ ، ان تصفي الثورة الفلسطينية من جهة وان تحافظ على علاقاتها العربية من جهة اخرى . ولكن تصفية قواعد الثورة في جرش وعجلون ، في تموز سنة ١٩٧١ ، دفعت عددا من الدول العربية لقطع علاقاتها مع الاردن ، ثم جاء مشروع المملكة العربية المتحدة فدفع جمهورية مصر العربية الى قطع علاقاتها .

وظل الاردن ، خلال هذه المدة ، يحاول عابثا ان يستعيد علاقاته العربية ، فيخرج من العزلة ، ويفرض العزلة على الثورة الفلسطينية . وراحت الوفود الاردنية وجاءت ، وزار الملك حسين اكثر من بلد عربي ، على رأسها المملكة العربية السعودية اكثر من مرة ، وكتب الملك حسين اكثر من رسالة . ولكن هذه المحاولات جميعا كانت تصطدم بعقبة العلاقة بين الاردن والثورة الفلسطينية . وكان النظام الاردني ، في هذه الفترة ، يواصل حملات التصفية والملاحقة والتحريض ضد الثورة ، كما كان يواصل العمل لتوثيق علاقاته مع بعض دول الخليج وايران ، ويسعى جاهدا لضمان استمرار تأييد الولايات المتحدة الاميركية . وظل الاردن حريصا على ان يرفض فكرة الحرب ، مع دولة الاحتلال ، او ان يكون جزءا من محور الحرب ، حتى عندما تكون حربا كلامية . وتوضح رسالة الملك حسين الى القوات المسلحة ، التي نشرتها الصحف في حينه، هذا الموقف بجلاء .

وحين قامت السلطة اللبنانية في ايار بهجومها على الثورة ، ظن النظام الاردني ان كل شيء قد انتهى ، وان الثورة سوف لا تقوم لها قائمة . الا ان حسابات النظام الاردني وكل القوى المضادة اصطدمت بصخرة المقاومة ، فخاب امل المراهنين على نهاية الثورة نهاية مفجعة . ولكن هذا الفشل اخرج فكرة الدولة الفلسطينية من جديد الى حيز السياسة اليومية . واتشغل الوطن العربي بالفكرة السرابية . وبدأت الاسئلة تطرح : اين ؟ كيف ؟ ولماذا ؟ ولم تجد الاسئلة من يجيب عليها غير الحبيب بورقيبة . قال الحبيب بورقيبة ما لم يقله احد . واوضح ان الكيان الاردني كيان مصطنع ، وان الدولة الفلسطينية يجب ان تقوم في شرق الاردن . وثارت ثائرة النظام الاردني ، فنظم المظاهرات وارسل الوفود احتجاجا على تصريحات الحبيب بورقيبة . وكان من بين الوفود وفد ذهب الى تونس ليسمع من الحبيب بورقيبة ما لم يسمعه من الاذاعات والصحف . وقطع الاردن علاقاته مع تونس.وهنا أخذ النظام الاردني يفكر بقضية الدولةالفلسطينية مليا . لقد بات واضحا ان ما طرحه الحبيب بورقيبة يحظى باهتمام بعض الدول العربية ، كما كان واضحا انه ليس معزولا عن « الاعيب » بعض الدول الكبرى . ولذلك اخذت النظامالاردني الخشية . فلقد بدا واضحا للحاكمين في عمان ان هنالك امكانية لمحاولة حل مشكلةالفلسطينيين على حسابهم . واخاف هذا « التحول » بعض الدول العربية التي تخاف اي تغيير في المنطقة . وجاءت من هنا فكرة الالتفاف على الثورة الفلسطينية . فالنظام الاردني ، المستهدف الاول بعملية التغيير ، راح يلهث وراء عودة علاقاته مع الدول العربية ، خاصة مصر وسورية ، لانه يعلم ان انهاء عزلته العربية ، وعودة المعونات المقطوعة ، هو الوسيلة الوحيدة لعزلة الثورة ، ولمنع اي تغيير . ولهذا اخذ النظام الاردني يلوح باستعداده لبدء صفحة جديدة من العلاقاتالعربية، وللمساهمة في بناء الجبهة الشرقية ، ويؤكد حرصه على وحدة الصف العربي وعدم الخروج عليه بالموافقة على اي مشروع من مشاريع الصلح المنفرد .

وكان النظام الاردني يستهدف من ذلك : أ ـ العودة الى الحظيرة العربية . ب ـ استعادة المعونات . ج ـ عزل الثورة الفلسطينية . د ـ محاصرة اية امكانية لجعل النظام الاردني موضوع « مراهنة » .

ولكن النظام الاردني الذي ارخى فيما يتعلق بموضوع الثورة الفلسطينية ، بادىء ذي بدء ، عاد وتشدد . وسيتابع المناورة لينا وتشددا ليتمكن من ان يحقق الاهداف التي يريد .

واذا كان هذا ما يشغل الاردن ، فانه ايضا ما يشغل بال المملكة العربية السعودية . انها طبعا تخشى اتجاه الثورة الفلسطينية يسارا ، ويقلقها تطور العلاقات الفلسطينية السوفياتية خاصة وعلاقاتها مع الدول الاشتراكية عامة . ثم ان المملكة العربية السعودية تخشى اي « تغيير » في الاردن لا تسيطر عليه . ولذلك بدأت المملكة العربية السعودية مساعيها التي بدأتها منذ ايلول والتي تتلخص فيما يلي : أ ـ ضمان استمرار الوضع في الاردن ، وعدم اجراء اي تغيير لا يضمن مصالح المملكة السعودية . ب ـ ضمان عدم حدوث اي تغيير في بنية الثورة الفلسطينية ، يجعلها قادرة على ان تحدث تغييرا في الوضع العربي .

ومن هنا بدأت المملكة العربية السعودية ضغطها باتجاه تسوية علاقات الثورة بالنظام الاردني ، لان تسوية هذه العلاقات ضمانة اساسية من ضمانات استمرار الوضع الراهن في الاردن والثورة . ولان هذه التسوية تضمن ايضا عدم حدوث اي تغيير يهز الانظمة العربية في المنطقة . ولهذا كله طرحت قضية عودة الثورة الفلسطينية الى الاردن ، ضمن اطار الجبهة الشرقية واصبح موضوع العودة الى الاردن هو موضوع الركض اللاهث وراء السراب .

واذا كان الشهران الماضيان هما شهرا الركض وراء سراب الدولة الفلسطينية ، فان هذا الشهر والشهر القادم سيكونان شهري الركض اللاهث وراء العودة الى الاردن . وكما ان ليس هناك دولة فلسطينية فليس هنالك عودة الى الاردن في الظروف الراهنة الا ضمن اطار عملية تصفية كاملة للثورة الفلسطينية . والاردن لا يرفض عودة « الثورة » اليه ، ولكنه يريدها ان تعود مقلمة الانياب والاظافر ، متنازلة عن مطامحها . اي ان الاردن يقبل الثورة اذا تنازلت فعلا لا قولا عن اهدافها في تحرير فلسطين ، وكفت عن ان تكون أداة تحريض وتعبئة جماهيريين ، وأصبحت جزءا من مخطط الانظمة العربية . ومثل هذه «الثورة» هو المطلوب الان من الانظمة العربية ، الهاربة من القتال الى سراب الحلول الدولية .

ان المصالحة بين الثورة والاردن ستكون وسيلة النظام الاردني للخروج من مأزقه الداخلي والعربي ، واذا كان يهم بعض الانظمة العربية ان تنقذ النظام الاردني مرة اخرى ، فعلى الثورة الفلسطينية ان تكون حذرة ، وان تواصل تعبئة قواها وجماهيرها باتجاه التحرير ، لانها بهذا تزيد مأزق النظام الاردني حدة ، وتخرج من مأزقها .

ويجب ان تتنبه الثورة الفلسطينية جيدا «للاعيب» السياسة العربية . ان هذه السياسة العاجزة تطلق « بالوناتها » لتغطية عجزها ، ولدفع الجماهير العربية على طريق « السراب » . وما ان ينفجر « بالون » حتى يطلق اخر . وعلى الثورة الفلسطينية ان تفجر بالون الدولة الفلسطينية ، وبالون العودة الى الاردن في ظل وصاية رسمية عربية ، وكل البالونات المشابهة. ان الانتصارات التي حققتها الجماهير الفلسطينية والثورة الفلسطينية معرضة الان لالتفاف النظام الاردني وبعض الانظمة العربية . ولا وسيلة للخلاص ، وللخروج من هذا المأزق العربي والدولي الا بالاعتماد على النفس ، بناء القوى الذاتية وتعبئة الجماهير واستمرار القتال والنضال على نطاق اوسع فأوسع ، وبضراوة اشد وأكثر اصرارا .

ناجي علوش

الاردن : ملحق القضية الفلسطينية عربيا

التحرك .. داخل الطوق

والعودة الى الاصل البريطاني

قبيل حلول الذكرى الثانية لاخر هجمة عسكرية كبيرة شنها النظام الاردني ضد حركة المقاومة الفلسطينية في احراج جرش وعجلون صيف العام ١٩٧١ ، كانت الحكومة الاردنية الجديدة برئاسة زيد الرفاعي تفوز بثقة مجلس النواب بأغلبية كبيرة درجت على نيلها سائر الحكومات الاردنية المتعاقبة . وكان الملك حسين قد كلف مستشاره السياسي الخاص تشكيل حكومته الحالية بتاريخ ١٩٧٣/٥/٢٦ وسط حديث مسهب عن جو « الانفراج » الداخلي و« الانفتاح » على العالم العربي ، بعد ثلاث سنوات من سياسة القمع داخليا والعزلة عربيا . ولكي يعزز الرفاعي توجهات السياسة الاردنية الجديدة ، والتي أملتها ضرورات اقتصادية وسياسية ملحة ، بدأ فور تكليفه منصب رئاسة الحكومة الطلب الى الجهات المختصة بالغاء ترتيبات تصاريح السفر الى خارج الاردن ، كما طلب الى وزير الاقتصاد الاردني الاسراع في تقديم الدراسات والتوصيات اللازمة لمعالجة موضوع الغلاء المستفحل في الاردن (الرأي ١٩٧٣/٥/٢٨) . وفور تسلم زيد الرفاعي لمهمات رئاسة الحكومة عين الملك حسين عبدالمنعم الرفاعي — عم رئيس الحكومة وابرز الدعاة لسياسة الانفتاح على العالم العربي — ممثلا شخصيا له ورئيسا للوفد الاردني لدى جامعة الدول العربية في القاهرة (الرأي ١٩٧٣/٥/٣١) . وتوالى بعد ذلك بروز ملامح توجهات السياسة الاردنية الجديدة بسلسلة من الاجراءات والتدابير على الصعيدين الداخلي والعربي ، كان أبرزها ايعاز رئيس الحكومة الى الجهات المختصة ، بناء على رغبة الملك ، « بدراسة اوضاع العدد القليل المتبقى من المعتقلين والمحكومين تمهيدا للافراج عن كل من هو مؤهل منهم للعودة الى الحياة المدنية » (الرأي ١٩٧٣/٦/١١) ، وصدر قرار « اللجنة العليا لشؤون الارض المحتلة » بتخفيف قيود المرور عبر الجسور المفتوحة مع الضفة الغربية التي فرضها النظام مؤخرا فيما يتعلق بالانتقال وكمية العملة المرخص بحملها الى الضفة الغربية (الرأي ١٩٧٣/٦/٣) .

غير ان كل هذه الاجراءات والتدابير لم تكن كافية، في حيز الواقع العملي ، لتشكل تراجعا حقيقيا وملموسا عن « نهج أيلول » بكل انعكاسات ومدلولات هذا النهج على الصعيدين الداخلي والعربي . ومما زاد في تعقيد المهمات المنوطة بحكومة الرفاعي الجديدة ، اصطدامها منذ أيامها الاولى بعقبات ومفاجآت غير منتظرة . فقبل أن يتم جميع أعضاء الحكومة حلف اليمين الدستوري ، كان وزير الخارجية المصري الدكتور محمد حسن الزيات يفتتح بتاريخ ١٩٧٣/٦/٦ مناقشات الدورة الاولى من اجتماعات مجلس الامن الخاصة بأزمة الشرق الاوسط ، بخطاب مطول عن حقوق « الامة الفلسطينية » بدولة لها داخل حدود قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة في العام ١٩٤٧ .

ازاء هذا الطرح الرسمي المصري ، المتناقض تماما مع التصور الاردني لحقوق الشعب الفلسطيني ، وجدت حكومة الرفاعي نفسها أمام تعقيدات جديدة في مجال علاقاتها مع القاهرة التي تعتبر مفتاح علاقاتها الطبيعية مع سائر العواصم العربية الاخرى منذ تأسيس امارة شرق الاردن عام ١٩٢١ وضم الضفة الغربية عام ١٩٥٠ ، وحتى الان . واذا كان هذا التطور—العقبة في الموقف المصري لم يمنع عبد المنعم الرفاعي ممثل الملك الشخصي من السفر الى القاهرة « لتوضيح وجهة النظر الاردنية ... بغية التوصل الى تفاهم مشترك... بين الدولتين الشقيقتين » (الرأي ١٩٧٣/٦/١٩)، فانه لم يمنع كذلك دعاة العزلة في تحالف الحكم القائم في عمان من التعبير عن وجهة نظرهم وضيق ذرعهم بالسياسة المصرية ازاء حقوق الشعب الفلسطيني ، من خلال افتتاحية جريدة الرأي الصادرة في يوم ١٩٧٣/٦/١٤ ، التي قطعت صمت عمان ازاء تصريحات الزيات ، بالهجوم على المحاولات التي يقودها الوزير المصري «للانحراف» بقرار مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ ، الذي بموجبه أقر المجلس للاردن « بالحق في استرجاع الضفة الغربية كاملة كجزء سلخه الاحتلال عن اراضيه ».ووصفت الرأي وجهة نظر الزيات بأنها « تتلاقى مع المخطط الاسرائيلي » . واضافت قائلة: « ان اسرائيل تتمنى ان تكون الجهات المطالبة

باسترداد الاراضي دولا في المنفى او منظمات او كيانات وان لا تكون دولة قائمة واعضاء في المنظمة الدولية وبيدها قرار يعترف لها بحق استرداد اراضيها » (الرأي ١٩٧٣/٦/١٤) . كما لم يمنع ذلك ايضا صحيفة « الاتصى » التي تصدر عن قيادة الجيش الاردني كأحد ابرز الصحف الاردنية المعبرة عن سياسة العزلة و« نهج ايلول » ، من الهجوم على موقف الزيات ومطالبته بقرار التقسيم للعام ١٩٤٧، وذلك غداة وصول عبدالمنعم الرفاعي الى القاهرة ، واصفة دعوة الوزير المصري بأنها اعتراف صريح باسرائيل وخروج عن الاجماع العربي وقرارات مؤتمر الخرطوم . حيث قالت الاتصى بوضوح شديد « **ان الاردن لا يستطيع ان يتخلى عن الضفة الغربية وعن فلسطين طالما ان ابناءها الذين اختاروا الوحدة يعانون من وطأة الاحتلال والقهر . والاردن لا يستطيع ان يسلم بأن يرسم لهم الدكتور الزيات او غيره المصير والمستقبل الذي يجب ان يؤولوا اليه في غيبة تامة عنهم ، وهم في وضع لا يستطيعون فيه ممارسة اختيارهم لمصيرهم** » (الاتصى ١٩٧١/٦/٢٠). وهكذا جاءت مذكرة الحكومة الاردنية الى وزراء الخارجية العرب ، والمتعلقة « بأبعاد دعوة وزير الخارجية المصري في مجلس الامن الى اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية المحتلة من الاردن والاخطار التي تنطوي عليها هذه الدعوة بالنسبة للقضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني » (الرأي ١٩٧٣/٦/١٥) ، لتشير الى اول تحرك أردني رسمي تجاه الطرح المصري في مجلس الامن ، يلبي رغبة دعاة العزلة في مؤسسة الحكم الاردني وينسجم مع ما عبرت عنه صحيفة « الرأي » في اليوم السابق على توزيع المذكرة . غير ان ذلك — كما سبق ان ذكرنا — لم يمنع عبدالمنعم الرفاعي من السفر الى القاهرة يوم ١٩٧٣/٦/١٨ والعودة منها الى عمان يوم ١٩٧٣/٦/٢٥ برسالة جوابية من الرئيس السادات الى الملك حسين (الرأي ١٩٧٣/٦/٢٦) .

هكذا تبدى اصرار الحكومة الاردنية الجديدة على الخروج من مأزق العزلة الداخلية والخارجية التي عاشها الاردن خلال السنوات الثلاث الاخيرة ، بوصول ممثل الملك الشخصي الى القاهرة بعد مذكرة الحكومة الاردنية التي تضمنت انتقادا لتصريحات وزير خارجيتها . وتجلى هذا الاصرار كذلك من خلال مواصلة الرفاعي زياراته الى كل من دمشق والكويت بعد ذلك مباشرة (الدستور ١٩٧٣/٣/٢) . ومن ناحية اخرى ، واصلت الحكومة الاردنية خطواتها « الانفراجية » على الصعيد الداخلي في محاولة منها لكسب اكبر القطاعات الشعبية الى جانبها . وكانت الحكومة بخطواتها هذه تخاطب القطاعات الفلسطينية على وجه التحديد ، تلك القطاعات التي لحقها أشد الضرر من جراء سياسات الحكم القمعية خلال السنوات الماضية . فبعد الغاء الحكومة لتصاريح السفر الى خارج الاردن ، واعلان عزمها عن معالجة موضوع الغلاء المستفحل ، والافراج عن عدد من المسجونين الذين في غالبيتهم المطلقة من أعضاء وعناصر حركة المقاومة الفلسطينية ، عمدت الحكومة الى الغاء تصاريح السفر الى الضفة الغربية ، وخفضت الرسوم الجمركية على الادوية بمقدار ٥٠ ٪ (الرأي ١٩٧٣/٦/٢٠) . كما أفرجت عن ١٨١ معتقلا ومحكوما (الدستور ١٨/ ٧٣/٧) . ثم ألغت الرسوم التي فرضتها على منتوجات الضفة الغربية في أواخر العام ١٩٧٢ اعتبارا من ١٩٧٣/٨/١ (الدستور ١٩٧٣/٧/٢٦). وفي اول شهر آب (اغسطس) ١٩٧٣ قررت الحكومة الاردنية الغاء اذن الزيارة للفلسطينيين الراغبين في زيارة الاردن ، وهو التقليد الذي جرت على اتباعه الحكومات الاردنية المتعاقبة منذ العام ١٩٤٨ (الدستور ١٩٧٣/٨/١) .

واضح من خلال تلك الاجراءات المكشوفة والاتصالات المتعددة ، ان الهدف الاساسي الذي حكم تحرك النظام الاردني بمجموعه خلال هذه الفترة ، هو مواصلة ادعاء النظام « بحقه » في تمثيل الشعب الفلسطيني والنطق باسمه . وكانت اجراءات النظام التي قصد بها استرضاء الفلسطينيين سواء داخل الضفة الشرقية ام في المناطق المحتلة ، رد فعل سريع لمشاعر الذعر والفزع التي اصيبت بها عقب تصريحات كل من وزير الخارجية المصرية والرئيس التونسي الحبيب بورقيبه . فقد اكتشف النظام مجددا انه معرض لفقدان خاصيته السياسية في المنطقة ، تلك الخاصية التي كانت مصدر الدعم المادي والسياسي له من قبل الامبريالية ، باعتباره يمثل الاداة الناجعة لقمع الشعب الفلسطيني ومصادرة حقوقه الوطنية والسياسية . من هنا كان رد فعل النظام على تصريحات الوزير المصري والرئيس التونسي باستنفار كافة اجهزة ووسائط الاعلام الاردنية

للتحدث عن وحدة الضفتين والشعب الواحد والاسرة الواحدة . فابرزت صحيفة « الرأي » شبه الرسمية تصريحات عبد الحميد شرف مندوب الاردن لدى مجلس الامن ، تحت عنوان رئيسي كبير في صدر صفحتها الاولى كما يلي : « **سكان الضفة الغربية مواطنون اردنيون ومصيرهم مرتبط بمصيرنا** » (الرأي ١٩٧٣/٦/١١) . كما أبرزت الصحيفة في مناسبة ثانية تصريحات الياس فريح رئيس بلدية بيت لحم ، والمعروف بولائه للنظام الاردني ، تحت عنوان مماثل هو « **سكان الضفة الغربية يطالبون بحق تقرير المصير ضمن اطار الوحدة بين الضفتين** » (الرأي ١٩٧٣/٦/٢٠) . أي انه في خضم الحديث في بعض الاوساط العربية والدولية عن حقوق الشعب الفلسطيني ، بدأ النظام الاردني من خلال وسائط اعلامه يتحرك باتجاه تكريس وحدانية تمثيله للشعب الفلسطيني. فاكد النظام مجددا ، من خلال ردود فعله المتباينة، على ان مصيره السياسي مرهون باستطاعة تمثيل الشعب الفلسطيني ومصادرته ماديا وسياسيا . من هنا نستطيع ان نفهم ما مثله تحرك النظام الاردني ضد تصريحات وزير الخارجية المصرية ، وردة الفعل الحادة التي جابه بها تصريحات الرئيس التونسي بورقيبة الى جريدة « النهار » البيروتية يوم ١٩٧٣/٧/٦ والتي جاء فيها ان الاردن تاريخيا هو جزء من فلسطين وبالتالي فانه كيان مصطنع . فقد وصفت صحيفة « الدستور » الاردنية تصريحات بورقيبة هذه بالغرابة وقالت في افتتاحيتها الرئيسية انها ملامح مخطط « الوطن البديل » (الدستور ١٩٧٣/٧/٧) . كما قام زيد الرفاعي باستدعاء القائم بالاعمال التونسي في عمان وابلغه « دهشة واستغراب الحكومة الاردنية للتصريحات التي نسبت الى فخامة الرئيس التونسي الحبيب بورقيبه » . وطلب رئيس الحكومة من القائم بالاعمال التونسي ان تقدم حكومته تفسيرا رسميا لتلك التصريحات . وبعث رئيس مجلس الامة الاردني كامل عريقات ببرقيات الى الجامعة العربية والى البرلمانات العربية ورئيس مجلس الاتحاد البرلماني الدولي والسكرتير العام للاتحاد ، قال فيها : « ان الشعب في ضفتي المملكة يستنكر هذه التصريحات . واكد ان شعب الضفتين سيناضل ويكافح بكل عزم وتصميم من اجل الحفاظ على وحدة الضفتين بقيادة جلالة الحسين » . وعلى خط مواز لتحرك الحكومة ومجلس النواب جاء استنكار « الاتحاد الوطني العربي » لتصريحات بورقيبة داعيا الى « اليقظة والحذر والى المزيد من تلاحم الصفوف » (الدستور ١٩٧٣/٧/٨) . ورغم ان النظام الاردني كان يرغب في ان يبقي حملته واحتجاجاته ضد تصريحات الرئيس التونسي ضمن أطر محدودة ، الا انه وجد نفسه لاول مرة في تاريخه يقوم بقطع العلاقات مع دولة عربية . فقد كانت الدول العربية هي التي تبادر الى قطع علاقاتها مع الاردن دائما في كل مرة يقدم فيها النظام على الانفراد بموقف يشذ فيه عن الاجماع العربي والمصلحة العربية العليا . فبعد ان قام السفير الاردني في تونس بمقابلة الرئيس بورقيبة بناء على رغبة حكومته ، طالبا منه نفي ما جاء على لسانه في جريدة « النهار » البيروتية ، وجد النظام الاردني نفسه غير قادر على التراجع عن تهديداته بقطع العلاقات الدبلوماسية مع تونس عندما اكد بورقيبة انه لن يتراجع هو الاخر عما جاء في مقابلته مع مندوب « النهار » في ١٩٧٣/٧/٦ . وبالفعل استدعت وزارة الخارجية الاردنية سفيرها في تونس « للتشاور » (الدستور ١٩٧٣/٧/١٤) . وعقب عودة الملك حسين من زيارته الى ايران ثم لندن بتاريخ ١٩٧٣/٧/١٥ ، اعلنت الحكومة الاردنية من جانبها قطع العلاقات الدبلوماسية مع تونس (الدستور ١٩٧٣/٧/١٨) . وانطلقت بعد ذلك حملات الاعلام الاردني تهاجم بورقيبة واصفة مشروعه بأنه مؤامرة لتصفية القضية الفلسطينية، مبرزة بالمقابل « حرص » الاردن الشديد على شعب فلسطين وحقوقه الوطنية والتاريخية في أرضه . ولكن المضمون الذي حملته كل الشعارات الاعلامية لمهرجان « الاتحاد الوطني العربي » الذي عقد في عمان لهذه الغاية (الدستور ١٩٧٣/٧/٢٧)، قدمت الدليل مجددا على ان فهم الحكم الاردني لحقوق الشعب الفلسطيني ليست أكثر من منح التأييد للعرش الهاشمي ، الذي زج بالالاف من ابنائه في السجون والمعتقلات ، واقام له المشانق والمذابح في سائر مدن ومناطق الضفة الشرقية . يبقى هناك تساؤل اساسي في موضوع قطع الاردن علاقاته السياسية مع تونس ، هو ما مدى صحة اشارة بورقيبة خلال مقابلته مع « النهار » عن موافقة اميركا على مشروعه ؟

اذا كنا لا نملك دليلا كافيا للاعتقاد بأن اميركا هي وراء مشروع الرئيس التونسي ، فان جملة المعطيات في التحرك السياسي الاردني خلال الفترة الماضية

يمكن أن تجيب على هذا التساؤل ، لافتين النظر الى النفي الاردني المتكرر لدور اميركا في مشروع بورقيبة ، الى الحد الذي صرح فيه رئيس الحكومة زيد الرفاعي لجريدة « الرأي العام » الكويتية ان لدى حكومته « تأكيدات مكتوبة من واشنطن ان لا دور لاميركا في الدعوة البورقيبية وان تصريحات الرئيس التونسي لا تمثل سوى وجهة نظره » (الرأي العام ١٩٧٣/٧/٢٦) . ففي ٦/٢٧/ ١٩٧٣ وقبل ان يعلن بورقيبة وجهة نظره الخاصة في الكيان الاردني ، كان الملك حسين يطير بصحبة زوجته الجديدة الى طهران في زيارة شددت وسائل الاعلام الاردنية على وصفها بأنها « زيارة خاصة » (الرأي ١٩٧٣/٦/٢٨) . فجاءت زيارة الملك هذه الى طهران بعد زيارة رئيس الوزراء الايراني الى عمان مباشرة ومقابلته الملك حسين ورئيس وزرائه زيد الرفاعي (الرأي ١٩٧٣/٦/٢٣) . وبينما كان الملك يمضي ايام زيارته غير المحددة الى طهران ، تناقلت وكالات الانباء العالمية ما جاء على لسان الرئيس التونسي لصحيفة « النهار » البيروتية . فاستدعى الملك رئيس وزرائه الى طهران يوم ١٩٧٣/٧/١٠ ليطير معه الى لندن في اليوم نفسه بصورة مفاجئة ، في زيارة وصفتها كل من الصحف البريطانية والاردنية بأنها « زيارة رسمية » (الدستور ، الرأي ١٩٧٣/٧/١١) . فكانت زيارة الملك هذه اول زيارة يقوم بها الى بريطانيا منذ شهر تموز (يوليه) ١٩٧١ ، اي قبل وقوع مجازر الاحراج وجرش مباشرة في ذلك العام . وطوال العامين الماضيين ظل النظام الاردني يتوجه بقوة في مسائر علاقاته السياسية والاقتصادية والعسكرية الى الولايات المتحدة الاميركية ، حيث احتلت علاقات الملك ببريطانيا المرتبة الثالثة بعد علاقاته بكل من اميركا والمانيه الغربية على التوالي . من هنا يمكن لمس اهمية هذه الزيارة الى بريطانيا صانعة الكيان الاردني ، في وقت بدت فيه اميركا وكأنها قد تخلت عن نظام الملك وغدت مستعدة للتضحية به من اجل اعادة ترتيب خارطة المنطقة العربية بما يخدم مصالحها الاستراتيجية . فكانت لقاءات الملك حسين ومحادثاته المكثفة مع مختلف المسؤولين البريطانيين تشير الى ان نظام الملك قد عاد الى بريطانيا يطلب منها الدعم والمساندة والوفاء بما ترتبه عليها التزاماتها الادبية والسياسية تجاه مملكته . فعلى المستوى السياسي عقد الملك حسين لقاءات مكثفة مع كل من ادوارد هيث رئيس الوزارة البريطانية ، واليك دوغلاس هيوم وزير الخارجية . وعلى مستوى المحادثات العسكرية والتسليح عقد لقاء مع اللورد كارنغتون وزير الدفاع . اما على مستوى المحادثات الاقتصادية وطلب المساعدات فكان لقاء الملك مع رتشارد وود الوزير المسؤول عن المساعدات البريطانية لما وراء البحار . فما الذي يمكن استنتاجه من هذه المحادثات الواسعة التي شملت اكثر من مسؤول بريطاني وجرت على مختلف الاصعدة السياسية والاقتصادية والعسكرية ؟. بداية ، لا بد من القول انه بالرغم من توجه النظام كلية خلال العامين الماضيين باتجاه الولايات المتحدة الاميركية، فان الاخيرة لم تساهم في اخراج النظام الاردني من مأزق الاحتلال الاسرائيلي لنصف الارض التي يدعي السيادة عليها وتمثيل شعبها . وقد أوضحت زيارة الملك الاخيرة لواشنطن في شباط (فبراير) الماضي ، ان اميركا لا ترغب في ان يكون الاردن هو مدخل التسوية العربية — الاسرائيلية ، وانها تعمل من اجل ان تكون مصر هي المدخل لهذه التسوية . وعلى ضوء التطورات الاخيرة في الشهرين الماضيين ، والذعر الذي أصاب النظام الاردني من اشارة الرئيس التونسي الى موافقة اميركا على مشروعه ، فانه يمكن القول ان زيارة الملك حسين الى بريطانيا لا يمكن الا ان تقع ضمن اطار محاولة اردنية لاعادة صياغة علاقات الملك بكافة حلفائه الامبرياليين ، حتى لا يظل ، سيرا لعلاقاته مع دولة واحدة قد تتعارض مصالحها الاستراتيجية البعيدة المدى مع مصالحه في المنطقة . ومما يعزز من تخوفات الملك هذه ، معرفته الاكيدة بأن الاردن ليس قاعدة مصالح اقتصادية للامبريالية مثل ايران او السعودية وانما قاعدة مصالح سياسية . وقد انعكست هذه الحقيقة على علاقات الامبريالية الاميركية بحلفائها في المنطقة . فبينما نجد انها زودت ايران والسعودية بأحدث الاسلحة ، وجعلت من اسرائيل ترسانة للاسلحة المتطورة ، فان مساعداتها العسكرية للاردن لم تصل الى هذا المستوى . لذلك فان محادثات حسين — كارنغتون العسكرية هي محاولة للحصول على اسلحة بريطانية متطورة ، او محاولة لدفع اميركا لتزويده بتلك الاسلحة ، لتبقى وحدها المحتكر الوحيد لتصدير السلاح لدول المنطقة ، تماما كمحاولة الملك فيصل شراء اسلحة فرنسية عند زيارته الاخيرة لباريس الامر الذي دفع بأميركا لتزويده

بأحدث الطائرات . وما يمكن قوله حول محادثات الملك حسين مع المسؤولين البريطانيين في مجالي السياسة والدفاع ، يمكن قوله في مجال محادثات الملك حول المساعدات الاقتصادية ، خاصة وان محادثاته في هذا الصدد استغرقت وقتا اطول ، وان فرص نجاحها أفضل ، بحكم التسهيلات الكبيرة التي تمنحها الحكومة الاردنية للاستثمارات الاجنبية في الاردن من اجل انجاح خطتها الاقتصادية الثلاثية .

لقد شكلت زيارة الملك حسين الى بريطانيه ، الى جانب زيارات ممثله الشخصي الى عدة عواصم عربية ، ابرز ملامح التحرك الاردني على الصعيد الخارجي خلال الفترة القصيرة الماضية . اما زيارة الملك حسين الى طهران وزيارة رئيس وزرائه الى السعودية بتاريخ ١٩٧٣/٧/٢٨ لاجراء محادثات مع الملك فيصل ووزير الدفاع السعودي سلطان بن عبد العزيز لمدة يوم واحد فقط ، فانهما تقعان كذلك ضمن اطار تحرك النظام لتمتين تحالفاته مع سائر حلفائه في المنطقة ، وتلتقيان في الهدف والنتيجة مع زيارة الملك الى لندن ، التي كانت بهدف طلب الدعم المادي والادبي ليس لعرش الملك حسين فقط وانما للكيان الاردني الذي بدا بعد خمسين سنة وكأنه عرضة للزوال والاندثار .

تبقى الى جانب كل ما تقدم علامتان بارزتان في التحرك الاردني خلال الفترة الماضية ، تستوجبان منا تسليط الضوء عليهما مجددا .

أولا : ان المحاولات الاردنية لفك طوق العزلة العربية عن النظام ، والتي بدأها المستشار الخاص للملك حسين بزيارة القاهرة في ٦/١٨/ ١٩٧٢ وختمها بزيارة دمشق مصطحبا معه الممثل الشخصي للرئيس السادات بتاريخ ١٩٧٣/٨/١٢ ، انتهت وسط احاديث صحفية اردنية تقول بقرب عقد مؤتمر قمة بين كل من الملك حسين والرئيس السادات والرئيس حافظ الاسد (الدستور ١٠/ ١٩٧٣/٨) . وتضيف بعض المصادر الصحفية المصرية حول الموضوع نفسه ان الاردن قد وافق على احياء الجبهة الشرقية وتجميد مشروع المملكة العربية المتحدة والقبول بعودة التواجد الفدائي في اراضيه ، مقابل اعادة مصر لعلاقاتها معه (اخبار اليوم ١٩٧٣/٨/١١) . ومهما كانت جدية النفي الاردني لمثل تلك الاخبار على لسان عبدالمنعم الرفاعي ، فانه من الثابت الان ، وبعد اجراء الملك حسين محادثة هاتفية مع الرئيس السادات وتبادل عدة رسائل معه ، ان النظام الاردني قد استطاع ان يدفع بعلاقاته مع الانظمة العربية خطوة كبيرة الى الامام ، ربما تكون مقدمة لاعادة العلاقات معها في المستقبل القريب .

ثانيا : بقدر النجاح النسبي الذي حققه الحكم الاردني في مجال اعادة علاقاته مع الانظمة العربية، كان قدر الفشل الذي أصابه في مجال محاولاته المتكررة لتجيير ولاء الضفة الغربية لصالحه. فرغم اقدام النظام على الغاء ضريبة الانتاج على صادرات الضفة الغربية عبر الجسور المفتوحة ، والتي اعتبر فرضها في أواخر العام ١٩٧٢ اخطر تطور في العلاقة بين الضفتين منذ العام ١٩٦٧ ، فان هذا الاجراء لم يستطع كسب ولاء جماهير الشعب الفلسطيني في الضفة المحتلة ، بل بالعكس من ذلك كرس انصراف جماهير الضفة الى مقاومة الاحتلال بكل اشكال النضال المتاحة . وكرس هذا الاجراء بالمقابل ضلوع البرجوازية التجارية المستفيدة من تجارتها عبر الجسور في مخططات النظام التآمرية على جماهير شعبنا الفلسطيني بأسره . وما وصول الشوا الى عمان قبل الغاء ضريبة الانتاج المشار اليها مباشرة (الدستور ١٩٧٣/٨/١) ووصول وفد الغرف التجارية الى عمان قبل الغاء الضريبة بأيام معدودة (الدستور ١٩٧٣/٧/١٣) ، الا تكريس لهذه العلاقة التي تجيء على حساب مجموع المصالح الوطنية للشعب الفلسطيني بأسره .

عيسى عبدالحميد

جاءت عملية القرصنة الجوية التي قامت بها أجهزة الدولة الصهيونية توضح للمجتمع الدولي صحة التقييم الفلسطيني لطبيعة الكيان الاسرائيلي. ولعل هذا الوضوح هو الذي دفع مجلس الامن الى اتخاذ قرار ادانة اجماعية لاسرائيل . فبالاضافة الى ان ذريعة اسرائيل في انها سوف تلاحق ما تسميه بمنظمات«التخريب»في كل مكان لم تعد واردة فالمجتمع الدولي لم يسلم بهذا الوصف الاسرائيلي للمقاومة الفلسطينية بل حدد في سلسلة من القرارات الصادرة عن الامم المتحدة — ورغم المعارضة الشرسة للولايات المتحدة — اعترافه بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وفي النضال بشتى الوسائل من اجل هذا الحق . الا ان اسرائيل اعتقدت ان باستطاعتها ان تستنبط قوانينها وتخالف أبسط قواعد التعامل الدولي والحضاري وتمارس شتى انواع الارهاب لان الولايات المتحدة تعطيها الضوء الاخضر المسبق لكل ممارساتها العدوانية والتوسعية والارهابية. استنادا لهذا الارتهان الاميركي لمختلف اهدافها وأعمالها، أخذ العالم يعي طبيعة العلاقة العضوية بين البعد الامبريالي للولايات المتحدة واسرائيل . وفي حين ان المجتمع الغربي كان يبدي استعدادا لفهم سياسة اميركية تحمي الكيان الاسرائيلي الا ان قطاعات هامة أساسية منه رفضت أن تتحول هذه السياسة الاميركية الى حماية أهداف اسرائيل العدوانية والتوسعية في المنطقة .

تجلى هذا التباين بين الغرب الاوروبي والولايات المتحدة اثناء مناقشات مجلس الامن المتعلقة بأزمة الشرق الاوسط بناء على طلب مصر حيث استعملت الولايات المتحدة حق الفيتو وظهرت معزولة عن المجتمع الدولي في تأييدها ومساندتها لاسرائيل . ادرك العالم — باستثناء الولايات المتحدة — من خلال مناقشات مجلس الامن فيما يتعلق بأزمةالشرق الاوسط اجمالا مدى استهتار اسرائيل بارادة هذا المجتمع وبمقرراته . كان هذا الادراك هو بمثابة توضيح اكثر لحقيقة معاناة الفلسطينيين ولبدء ترسخ مصداقية مجابهتهم مع الكيان الصهيوني حتى في الاوساط التي كانت متعاطفة مع هذا الكيان .

جاء الفيتو الاميركي بمجلس الامن في نفس الوقت الذي كانت الولايات المتحدة تواجه ازمة دستورية حادة جاءت في اعقاب انكشاف مدى الفساد في السلطة التنفيذية — خاصة رئاسة الجمهورية . وكان للشلل الذي استتبع فضيحة واترغيت .ان العلاقة العضوية بين الامبريالية الاميركية واسرائيل تخلت عن المفارقات الشكلية في اخراج هذه العلاقة فكان خطاب المندوب الاميركي سكالي مجرد تكرار يكاد يكون حرفيا للموقف الاسرائيلي الرسمي وبدون أي مساهمة او اجتهاد اميركي خاص في هذا الشأن . هذا التطابق الاميركي مع الاهداف الاسرائيلية الكاملة وبالشكل الذي ظهر أرغم حتى جريدة متلائمة مع المخططات الاسرائيلية العامة مثل النيويورك تايمس أن تنتقد هذا الانصياع الاميركي في الشكل لورقة العمل الاسرائيلية فيما يتعلق بتفسير القرار ٢٤٢ .

ثم جاءت عملية قتل المواطن المغربي أحمد بوشيكي في النرويج وما تبع ذلك من اجراءات كانت احداها طرد الملحق العسكري الاسرائيلي في النرويج . كشفت عملية قتل بوشيكي لدولة اسكندنافية كالنرويج عن درجة تمادي الدولة الصهيونية في استغلال الحصانة الدبلوماسية لتغطية أعمال اجرامية وارهابية . وقد بين التحقيق مدى ضلوع سفارة اسرائيل في تخطيط وتنفيذ أعمال الارهاب والاجرام . أظهرت حادثة اغتيال بوشيكي بما لا يرقى اليه الشك أن تذرع اسرائيل بان ما تقوم به من قتل في الخارج ومن أعمال ارهابية ما هي الا امتداد لسياسة ملاحقة « المخربين » الفلسطينيين . لم تؤد هذه الذريعة الواهية الى ما توخته اسرائيل من انها سوف تخفف من وطأة الادانة وعدم علانية التحقيق كما انها لم تتمكن من ادخال النرويج في المتاهات التي تعودت اسرائيل ادخال الرأي العام بها بعد قيامها في مخالفات وتجاوزات واعتداءات وجرائم واضحة . فالجهاز الرسمي الذي انشأته اسرائيل في رئاسة الوزارة لكافحة نشاط «المخربين» استباح لنفسه تحت هذا الستار القيام بأعمال تناقض لا أبسط القواعد الدبلوماسية والتعامل بل بديهيات العلاقات الحضارية في المجتمع الدولي . ان تقوم اسرائيل بهذه الجريمة في ارض النرويج بعد مسلسل الاغتيالات التي قامت بها أجهزتها وبعثاتها الرسمية في عدد من العواصم الاوروبية — باريس ، روما

الخ — على أنها تنوي ممارسة ارهابها في كل مكان ما دام باستطاعتها ان تبقي هذه الجرائم مخفية بنتيجة تواطؤ مع أجهزة أمن استعمارية او لاسباب أخرى او ما دام باستطاعتها ان تقوم بحملات الابتزاز والتشهير ضد كل من ينـــوي التساؤل او التحقيق او يطالب بضرورة المثابرة في القاء الاضواء للحيلولة دون التستر المستمر لهذه الجرائم الاسرائيلية .

ان أهمية حادثة اغتيال احمد بوشيكي تكمن في ان أجهزة الارهاب الاسرائيلية انكشفت على حقيقتها كما ان دور البعثات الدبلوماسية الاسرائيلية في الخارج من حيث انها بؤر لتنفيذ جرائم محـــددة تحت غطاء الحصانة الدبلوماسية صار اكـــثر وضوحا . كما ان عناد النرويج في ملاحقة عملية كشف كل أبعاد القضية لم يلن امام مختلـــف الضغوط التي حاولت اسرائيل ممارستها . كما ان النرويج اعتبرت ان كون الهدف كان أحد قادة المقاومة وليس أحمد بوشيكي نفسه وبالتالي فان خطأ الهدف يجب ان يخفف من وطأة الملاحقـــة والتحقيق ليس سوى عذرا موازيا في قيمه الذنب. أضف الى ذلك ان تمسك اسرائيل في اعطاء نفسها الحق بالقيام باعمال اجرامية من ابتزاز واغتيال بحجة استباق أعمال ينوي ضحاياها القيام بها هو منتهى الصفاقة في التحدي من حيث ان جهازا رسميا يقدم على معاقبة هدفه وتصفيته استنادا الى النية عند المستهدف .

أدت الازمة النرويجية — الاسرائيلية الى تسليط الاضواء الكاشفة على طبيعة المجابهة الوحشية التي تلجأ اليها الصهيونية وكيف انها لا تتورع عن استعمال أية وسيلة اطلاقا من اجل غاياتها ، كما ان سلوك اسرائيل في النرويج ووقاحة امعانها في تأكيد « حقها » في الاجرام الدولي بين لقطاعات كبيرة من الرأي العام ان القضية الفلســطينيـــة ليست وليدة عملية غزو استعماري واغتصـــاب وترسيخ احتلال من قبل حركة صهيونية عنصرية فحسب ولا كون القضية الفلسطينية ناشئة عن واقع التشرد والنزوح للشعب الفلسطيني وبالتالي حقه في النضال من أجل التحرير والعودة فقط بل ان القضية الفلسطينية اكتسبت ابعادا دوليـــة وحضارية جديدة من حيث طبيعة تركيب واهداف الكيان الذي تجابهه وتقاومه . أي ان اغتيال بوشيكي فتح امام أعين قطاعات بعيدة عن ازمة الشرق الاوسط وحيادية بالمعنى الحرفي كيف ان الصهيونية العالمية — واسرائيل ما هي الا تحقيق جزئي لها — تدول القضية الفلسطينية وبالتـــالي تدفع العالم ان يكتشف حقيقة مآربها ومن خلال هذا الاكتشاف شرعية وطبيعية الرد الفلسطيني . صحيح ان ما ارادته الصهيونية — واسرائيل — هو ان يكون العالم الغربي خاصة سجين المفاهيم والمنطلقات الصهيونية الا ان حادثة النرويج وما تنطوي عليه من حقائق عن الفكر الصهيـــوني والسلوك الاسرائيلي دفع البلد المسالم في شمال اوروبا ان يجابه التحدي الاسرائيلي بالشـــكل الطبيعي والمشروع . هذه المجابهة البسيطة بدت للعالم وكأنها تطور جذري لان اسرائيل عوملت في الغرب وكأنها مستثناة من تطبيق المعايير المتداولة في العلاقات وبالتالي جاء اسقاط النرويج للاستثناء تطورا صحيا وايجابيا ، كأن اسرائيل لم تكتف بما كشفته حادثة اغتيال أحمد بوشيكي مـــن مخططاتها الاجرامية والمخالفة لكل أصول التعامل الدولي والانساني فراحت تلجأ الى اساليبهـــا المعتادة والتي هي ميزة جميع الكيانات الاستعمارية والعنصرية والنازية عبر التاريخ المعاصر . اذا ادين سلوك فالادانة تكون بالنسبة لهذه الكيانات حافز للمزيد من التجاوزات التي استجلبت الادانة لان الذهنية النازية والاستعمارية — واسرائيل هي آخر معاقل هذه الذهنية في العصر الحديث — تتعمد اهانة المجتمع الدولي بدلا من الامتثال ، كما تفعل الدول المتمدنة ، لارادته المشروعة . لم تعمل اسرائيل على مداواة ما أصابها من عزلة دبلوماسية وادانة معنوية بل بالعكس ، لان ما يعتبره العالم المتحضر مرضا تعتبره النازيـــة المعاصرة دليل عافية . لذلك كان خطفها الطائرة اللبنانية المتوجهة من بيروت الـى بغداد في ٨/١٠ بواسطة اختراق سلاحها الجوي الاجســـواء اللبنانية وارغامها الطائرة اللبنانية على الهبوط هو بالنسبة اليهـــا بمثـابة تفنن وتجديـــد في أساليب اسرائيل الارهابية وليس عاملا جديدا يطرأ على سياستها وسلوكها . من هنا تشكلت عندنا قناعة بان الادانة لا تكفي لان تحجر اسرائيل عند موقفها لا يهزه او يؤثر به سوى مجابهة اسرائيل بشكل مباشر من خلال معاقبتها بما يتناسب مع مستوى تحديها ، لذلك فان مناقشات مجلس الامن اثبتت أن قطاعات كثيرة من العالم اتجهت الى هذا الموقف . حتى ان بعض الدول الناقدة لاسرائيل من موقع التعاطف العام معها ادركت ان تجاوزات اسرائيل لم تعد مجرد تجاوزات مرحلية او ظرفية

بل نمط ملازم لطبيعة كيانها ومنطلقاتها . هـذا الادراك جعلها تندفع الى المطالبة بما هو أكثر من الادانة وبالتالي تلاقت مع الدول الاشتراكية ومع الدول غير المنحازة في الاصرار على اتخـاذ الاجراءات المناسبة التي من شأنها معاقبة اسرائيل لردعها بشكل حاسم .

ان تعاظم قوى المطالبة بانزال العقوبات باسرائيل في مجلس الامن هو الذي يكشف مرة اخرى دور الولايات المتحدة المزمنة في تواطؤها وارتباطها مع اسرائيل . ان موقفها في مجلس الامن كان مقتصرا على الايحاء بانها سوف تلجأ الى الفيتو مرة اخرى اذا ما أصر المجتمع الدولي على المعاقبة . كان هم الولايات المتحدة ان يبقى الاستفزاز الاسرائيلي للمجتمع الدولي أقوى من حرية المجتمع الدولي في اتخاذ الموقف المناسب . أي ان الولايات المتحدة أرادت ان يكون الموقف ـ الرد دون مستوى التحدي ـ الفعل . لذلك ادت الولايات المتحدة مهماتها نحو اسرائيل بالوقت الذي ارادت ان تبدو وكأنها ليست خارجة عن الارادة الجماعية هذه المـرة مثل كل المرات السابقة .

الا ان القبول بالمنطق الذي يريد ان يظهر الولايات المتحدة كشريكة للارادة الدولية في ادانة عملية القرصنة الاسرائيلية بدلا من انها كانت شريكة لاسرائيل ـ مع توزيع الادوار بينهما ـ يعني انه يقرأ قرار مجلس الامن قراءة سطحية او خاطئة . في الشكل شاركت الولايات المتحدة في ادانـة اسرائيل على عملية القرصنة الجوية . الا انه لم يكن لها من مفر الا ان تفعل ذلك نظرا لان أية موافقة منها على عملية الخطف الاسرائيليـة سيشرع باب الخطف واستحالة الاستمـرار في مطالباتها المتكررة بانزال العقوبات على الخاطفين وهي اكثر دولة عانت طائراتها من الخطف . لذلك فقد كان مستحيلا على الولايات المتحدة ان تسجل على نفسها انها أضفت شرعية ما على أسلوب خطف الطائرات حتى ولو كان الخاطف هو دولة اسرائيل .

الا ان هذا ليس هو الموضوع ، الموضوع هو ان الولايات المتحدة وحدها حالت دون ان تفرض على اسرائيل العقوبات البديهية التي طالما طالبـت بتطبيقها على كل الخاطفين . من هنا فان مشاركتها في الادانة كانت رفع عتب بينما كانت حيلولتها دون انزال العقوبات باسرائيل هو جوهر التعبير عـن ارتباطها العضوي مع اهداف اسرائيل وتبنيهـا الفعلي لكل اساليبها . ولا غرو في ذلك فان رئيسا مثل نيكسون أمر بتكثيف قصف كمبوديـا في الايام الاخيرة التي سبقت ١٥ آب (اغسطس) ـ وهو اليوم الذي فرض فيه الكنغرس الحظر على هذا القصف ـ لا يمكن الا ان يرى في سـلوك اسرائيل الارهابي والاجرامي نموذجا متكررا لما اقدم عليه في الفيتنام وفي كمبوديا وبالتالي يكون التحالف مع اسرائيل ليس تحالف مصالح فحسب بل شراكة في ورشة هدم القيم الحضارية .

ك٠ م٠

(٤) المناطق المحتلة

مشروع بورقيبة وردود الفعل في المناطق المحتلة :

عند أوائل تموز الماضي طرح بورقيبة مشروعا لحل النزاع العربي الاسرائيلي بواسطة انشاء دولة فلسطينية تشمل المناطق المحتلة : الضفة الغربية وقطاع غزة ، وكذلك الضفة الشرقية لنهر الاردن ، باعتبار ان هذه الضفة هي جزء من فلسطين او كما يقول المنطقة الصحراوية لفلسطين ، وما الاردن الا اسم نهر فقط ، وان شرق الاردن هو قضية مصطنعة والاساس فلسطين . ويعيد مشروع بورقيبة الى الاذهان المشروع الذي قدمه « اريه اليآف » في كتابه « ارض الغزال » بخصوص انشاء دولة فلسطينية ، فمثل بورقيبة يعتقد اليآف ان شرق الاردن هو جزء من « ارض اسرائيل » (يعني فلسطين) ، وان « ارض اسرائيل الكاملة » اي فلسطين والضفة الشرقية لنهر الاردن هي بمثابة وطن يسكنه شعبان ، ولذا ينبغي اقامة دولتين ما بين الصحراء والبحر المتوسط ، الاولى دولة اسرائيل والثانية الدولة الفلسطينية التي تشتمل على معظم الضفة الغربية وقطاع غزة ، وشرقي الاردن بكامله ، ويكمن الفارق الاساسي في المشروعين في مقدار « كرم وسخاء » كل منهما بالنسبة لما يمنحانه للدولة الفلسطينية ، ففي حين يتفقان على منح الدولة الفلسطينية كامل الضفة الشرقية ، يختلفان في المقدار الذي يمنحه كل منهما من الاراضي الفلسطينية لهذه الدولة .

ما هي ردود الفعل في المناطق المحتلة حول دعوة بورقيبة ؟ برزت ثلاثة مواقف تجاه الدعوة بين اوساط « الزعامة التقليدية » ومن تسميهم اسرائيل « الزعامة الشابة » خارج نطاق التمثيل النضالي والشرعي للشعب الفلسطيني .

(١) موقف انصار الكيان الفلسطيني: لقد أيدت هذه الفئة تصريحات بورقيبة بشأن اقامة دولة فلسطينية، وعبرت عن رضاها باصدار بيان دعت فيه شعوب المنطقة والعالم الى أخذ اقوال الرئيس بورقيبة بعين الاعتبار، وبالاضافة الى ذلك اخذت تعزز من حملتها على النظام الاردني خلال المقالات التي يكتبها ابرز زعماء هذه الفئة محمد ابو شلبابة الذي وصف النظام الاردني لمعارضته دعوة بورقيبة بأنه « وحده العميل والخائن ، وانه يعمل من اجل ضياع حقوق الشعب الفلسطيني في الوقت الحاضر، تماما كما عمل مع الاستعمار البريطاني ، ومع الصقور في الحركة الصهيونية على اضاعة حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم سنة ١٩٤٩ وما بعدها ... أي ان النظام الهاشمي كان وما يزال وسوف يظل المعيق وحجر العثرة والمحرض ضد الشعب الفلسطيني ، وسيظل النظام الذي يفضل ضياع كل شيء ، ضياع الارض والشعب والقضية، على ان ينال الشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة. ولا شك ان هذه الحملات المسعورة الغوغائية التي يشنها النظام الهاشمي ضد دعاة الدولة الفلسطينية الكبار من أمثال الرئيس التونسي ووزير خارجية مصر ودعاة الدولة الفلسطينية من الافراد العاديين في الشعب الفلسطيني ، نقول لا شك ان هذه الحملات المسعورة تؤكد ان النظام بدأ يترنح » .

(٢) موقف رئيس بلدية الخليل المعارض لدعوة بورقيبة من خلال واقع ازدواجية العمالة للسلطتين الاردنية والاسرائيلية ، ويتسم موقفه بالتذبذب والتأرجح لكونه يحاول التوفيق في ارضاء السلطتين . ففي أوائل شهر تموز استنكر الجعبري دعوة بورقيبة بشدة بقوله : « وبكل أسف أقول ان الحبيب بورقيبة قد سكت دهرا ونطق كفرا » وبذلك أرضى النظام الاردني ، الا أنه عاد في أواخر نفس الشهر وأخذ يبتعد عن السلطة الاردنية ، حين دعا الى اقامة دولة فلسطينية « .. انني اعتقد ان الشعب الفلسطيني لن يذوب وسيبقى ما بقي الدهر ، وان انجع حل للقضية الفلسطينية هو انشاء دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة والعودة الى قرار التقسيم عام ١٩٤٧ . وعندها تكون الدولة الفلسطينية همزة وصل ومحبة بين الدول العربية واسرائيل في ظل سلام عادل وأمان دائم . اما ما يقال بأن الاردن هو فلسطين ، وفلسطين هي الاردن، وجميع الاردنيين فلسطينيون ، وجميع الفلسطينيين أردنيون ، فهذا لم يقره التاريخ في يوم من الايام».

(٣) موقف معظم الزعامة التقليدية : اتسم موقف معظم الزعامة التقليدية بمعارضة دعوة بورقيبة . ومما ساعد هذه الفئة على بلورة موقف معارض ، كون السلطتين الاسرائيلية والاردنية تتفقان في معارضة دعوة بورقيبة، وان كانت الاسباب

مختلفة . فقد أذيع أن حوالي ١٥٠ شخصية من الضفة الغربية من بينها أربعة رؤساء بلديات وعدد من الصحفيين ستتوجه في وفد الى عمان ، حاملة عريضة موجهة الى الملك حسين ورؤساء الدول العربية والسكرتير العام للامم المتحدة والجامعة العربية ، يعرب فيها موقعوها عن تمسكهم بوحدة الضفتين ، واستنكارهم لتصريحات الرئيس بورقيبة ، وازاء هذه البادرة اتخذ الملك حسين خطوة لتعزيز نفوذه في الضفة الغربية تمثلت في الغاء الرسوم المفروضة على منتوجات الضفة الغربية المصدرة الى الاردن .

خريطة شمعون بيرس :

اسوة ببعض الزعماء الاسرائيليين الذين انهمكوا عقب حرب حزيران بما يعرف بـ « الخرائط الامنية » او « خرائط السلام ! » التي تعبر تعبيرا صادقا عن الروح التوسعية لهؤلاء الزعماء، والتي غدت في بعض الاحيان تنافس صاحبها على الشهرة ، بلور في الاونة الاخيرة وزير المواصلات شمعون بيرس خريطة تحمل اسمه ، وبذلك تضاف خريطة اخرى الى قائمة الخرائط الاسرائيلية الرامية الى ابتلاع الاراضي العربية بهذا الشكل او بذاك ، بطريقة الهضم السريع او الهضم البطيء .

ما هي خريطة شمعون بيرس ؟ لكي يبرر بيرس وجود خريطته يعرب عن اعتقاده ان خطة الون او خطة اليكاف او جميع الخطط على مختلف انواعها كما جاء على لسانه لا امل لها في موافقة العرب عليها في هذا الجيل ، فهو يعتقد ان العربي ليس على استعداد للتنازل عن القدس ، كما ان اليهودي ليس على استعداد هو الاخر لتقسيم القدس ، كما وان العربي ليس مستعدا للتنازل عن المثلث ، وفي نفس الوقت لا يقبل اليهودي ان تصبح الحدود في عام ١٩٧٣ مرة اخرى على بعد ١٢ كم من نتانيا . ليصل بعد ذلك الى القول بوجود نوعين من الحلول عندما يعيش شعبان في بلد واحد ، الاول تقسيم البلد والاخر تقسيم السلطة اي اقامة اتحاد فدرالي ، ويقف بيرس مع الحل الثاني « هيا بنا نقسم البلاد الى أقضية، كما هو متبع في عدد من الدول ، مثل كندا وبلجيكا وسويسرا . انني اتحدث بين نهر الاردن والبحر المتوسط بين نقطة ما جنوبي رفح وحتى رأس الناقورة وجبل الشيخ ، ومن رفح حتى شرم الشيخ » . ويفضل بيرس الاسلوب الكندي ، ويرى انه يمكن تقسيم خريطته الى ثمانية اقضية : يهودا ، السامرة ، القدس ، غزة ، النقب ، تل ابيب ، حيفا ، الجليل .

اما القدس فهي عاصمة قضاء وفي الوقت نفسه عاصمة الدولة الفدرالية ، كما هو الحال بالنسبة لمدينة واشنطن في الولايات المتحدة . وتقوم هذه الاقضية بواسطة سلطاتها المحلية المنتخبة بادارة الشؤون الداخلية لكل قضاء ، اما فيما يتعلق بالتمثيل في الحكومة الفدرالية فيقترح بيرس ان يمثل كل قضاء بنسبة عدد سكانه وليس بحجمه الجغرافي ، وتقوم الحكومة الفدرالية بمهام الشؤون الرئيسية مثل الخارجية والامن . ويبدو ان هاجس التكاثر الطبيعي لدى العرب لا يقلق بال بيرس كثيرا ، لاعتقاده بأن الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي ستستمر بأعداد كبيرة، وفي نفس الوقت سيؤدي الارتفاع في مستوى معيشة العرب الى انخفاض في نسبة التكاثر الطبيعي لديهم . ومن الجدير بالذكر هنا ان نذكر بأن نسبة التكاثر الطبيعي لدى السكان العرب في فلسطين المحتلة سابقا هي من أعلى النسب في العالم .

متى سيطبق بيرس خريطته ؟ ان بيرس يضع هذه الخريطة بمثابة خيار أمام العرب فاذا تم التوصل الى تسوية في المستقبل المنظور بين الطرفين فلا حاجة للخريطة ، واذا لم يحدث ذلك ، فما على العرب الا ان يتوقعوا تطبيق خريطته او كما يقول: « انني أميل شخصيا الى الاعلان بأننا سنطبق ذلك خلال عشر سنوات ، ليس حالا ، لنقل للعرب كلاما بهذه اللغة : ايها الاعزاء ، اذا لم يحدث بيننا خلال الاعوام العشرة القادمة شيء ما ، فان هذا هو ما سيحدث ، وانني حتى ذلك الحين سأقوم رويدا رويدا ببناء جميع المؤسسات التي ذكرتها . وانني أعارض القيام بذلك على الفور ، لسببين (١) طالما ان هنالك أملا بالتفاهم مع العرب فانني سأبقي الباب مفتوحا ، (٢) انني اعتقد بأنه من غير المستحب ازكاء التناقضات بيننا وبين الدول الكبرى » (يديعوت احرونوت ١٣/ ٧/٧٣) .

من الملاحظ ان خريطة بيرس شبيهة الى حد كبير بـ « خريطة الاقاليم » (انظر المناطق المحتلة ش.ف. عدد ١٨ ص ١٩٩) الخاصة برعنان فايتس رئيس قسم الاستيطان التابع للوكالة اليهودية ، حيث قسم المناطق المحتلة سابقا وحديثا الى ثمانية اقاليم ، ثلاثة اقاليم عربية ، وخمسة اقاليم يهودية ، الا ان الخريطة الجديدة تختلف عن اختها لكونها لا تتطرق الى قضية اللاجئين العرب. ويمكن القول ان خريطة بيرس تعني ابتلاع الاراضي العربية وتكريس ذلك بواسطة خلق مؤسسات شرعية مزعومة ، ويعبر هذا الابتلاع عن نفسه بقول بيرس في رد على سؤال عما اذا كان سكان الضفة الغربية وقطاع غزة يقبلون بذلك : « ينبغي توجيه السؤال الى جميع سكان البلاد ، فاذا ما سئلت الاقلية فقط ، فانني اعرف الجواب ، الاقلية (العرب) ستقول بانها تريد العودة الى الاردن. انني اريد ان اجري استفتاء يشمل كل من يعيش بين نهر الاردن والبحر المتوسط : ان النظام الفدرالي ليس نظام شراكة انه سلطة الاكثرية في طريقة جيدة » .

معطيات حول زيارات الصيف :

اخذت الحركة على الجسور المفتوحة على ضفتي نهر الاردن تنشط في الاونة الاخيرة بسبب «زيارات الصيف» ، فقد قدر عدد الزوار الذين سيفدون الى المناطق المختلة ما بين ١٥٠ ــ ١٧٠ الف نسمة ، ومن المعروف ان زيارات الصيف قد بدأت خلال العام الثاني للاحتلال واخذت تتصاعد من عام الى عام . ففي عام ١٩٦٨ بلغ عدد الزوار ١٧،٣٠٠ وفي عام ١٩٦٩ بلغ ٢٢،٣١٥ ، وفي عام ١٩٧٠ بلغ ٥٣،٤٠٢ ، وفي عام ١٩٧١ بلغ ١٠٦،٤٣٨ وفي عام ١٩٧٢ بلغ ١٥٢،٨٠٩ . ويتوافد هؤلاء من الضفة الشرقية بالاساس ، ومن الكويت والسعودية ولبنان وبقية الاقطار العربية ومن مناطق مختلفة من العالم .

وتستفيد اسرائيل من زيارات الصيف في عدة ميادين اهمها الميدان الاقتصادي ، اذ ينفق هؤلاء مبالغ كبيرة من النقود داخل اسرائيل ، كما ان قسما من الزوار يتوجه للعمل في المرافق الاقتصادية الاسرائيلية لفترة صغيرة، اما الميدان الاخر والذي لا يقل اهمية عن الميدان الاقتصادي ، فيتمثل في اهتزاز الصورة المسبقة المرتسمة في ذهنية الانسان العربي تجاه اسرائيل. والحقيقة ان هذه الصورة تبدأ بالاهتزاز لعدة اسباب من بينها :

(١) الدعاية العربية غير الذكية التي درجت عليها وسائل الاعلام العربية (٢) الفترة الزمنية القصيرة نسبيا والتي لا تمكن الزائر ــ وهو بمثابة سائح ــ من الوقوف على سياسة التمييز المبني عليها مجتمع المهاجرين والمستوطنين، وسياسة القمع والاضطهاد التي يعاني منها عرب المناطق المحتلة سابقا وحديثا (٣) المعاملة غير الانسانية التي يلاقيها الكثيرون من الزوار شرقي النهر .

وفي المقابل فان اسرائيل تتأثر من زيارات الصيف بفضل عاملين : الاول يتمثل في تواجد اعداد كبيرة من الشعب الفلسطيني فوق ارضها وترابها مما يعزز فيها الارتباط بالوطن. الثاني والاهم من ذلك ان النشاط الفدائي يزداد في فترة الصيف ــ وهذا ما اعترفت به الصحافة الاسرائيلية من خلال وجود مقاومين بين الزوار . وبالرغم من اهمية هذا العامل بالنسبة للنضال العربي ، الا انه يواجه مقاومة من النظام الاردني لا تقل عن مقاومة اسرائيل له ، وليس ادل على ذلك من اعتراف الصحفي الاسرائيلي ايلي ايل (معاريف ٧/٦/ ٧٣) حين قال : « ان اسرائيل والاردن يشتركان في التخوف من تسلل مخربين وتمرير مواد ناسفة».

مستوطنة منيان ومطاردة السكان الاصليين :

برزت عند مطلع شهر تموز الماضي مستوطنة اسرائيلية جديدة في منطقة مشارف رفح شمالي سيناء ، تحمل اسم منيان ، تيمنا باسماء القتلى الاسرائيليين العشرة الذين لاقوا مصرعهم على اثر سقوط طائرة هليكوبتر في منطقة العريش . وبذا تتعزز شبكة المستوطنات الاسرائيلية في هذه المنطقة التي غدت تتشكل من مستوطنات « سدوت أ » و« سدوت ب » والمركز الاقليمي و« منيان » .

وفي غضون الاحتفال بميلاد هذه المستوطنة كشفت بعض الصحف الاسرائيلية عن قصة مشينة ارتكبتها قوات الاحتلال قبل ما يزيد عن نصف عام ، عندما اقدمت على قتل الشيخ سالم حسن احد الشيوخ

المتمردين على بيع الاراضي التي شيدت فوقها المستوطنات الاسرائيلية بعد ان تم اجلاء سكانها بالقوة وبشكل وحشي . فقد كان المتحدث العسكري الاسرائيلي في حينه قد ذكر عند مقتل الشيخ انه لم يستجب لاوامر الجنود الذين امروه بالتوقف عندما كان يقود سيارته ، ولذا اطلقت عليه النار ، اما صحيفة هعولام هزيه فقد كشفت النقاب في عددها الصادر ٧٣/٧/١١ على لسان اقارب الشيخ انه لم يلاق مصرعه بالقرب من الحاجز الذي يقف عنده الجنود ، وانما في مكان اخر بعيد عنه ، ولم يكن هنالك مبرر لكي يؤمر الشيخ بالتوقف فيه . كما كشفت النقاب ايضا عن عدم وجود تقرير من قبل الاطباء عن سبب الوفاة ، كما وان السيارة التي كان يقودها قد استولى عليها الحاكم العسكري ولم يعدها حتى الان ، ويدعى اقرباء المغدور انه اذا ما اطلقت النار على الشيخ وهو يقود سيارته كما تدعى السلطات ، فان الاحتمال الراجح ان تكون السيارة قد تدهورت ، كما ويريدون الوقوف على الثقوب التي احدثتها العيارات النارية من جهة الخلف او الامام . وكل الدلائل تشير الى ان الشيخ قتل عمدا بقصد ارهاب ابناء القبائل وارغامهم على بيع اراضيهم ، وليس خطأ كما زعم المتحدث العسكري الاسرائيلي .

ومن الجدير بالذكر ان الالاف من ابناء العشائر اشتركوا في تشييع جثمان الشيخ في مقبرة «الشيخ زويد » . و« عندما وارى التراب جثمانه » كما تقول هعولام هزيه « اقسم الرجال بانهم لن يستسلموا ... انهم لن يتخلوا عن اراضيهم حتى ولو اطلق جنود الحكم العسكري النار عليهم جميعا ... » .

وبالرغم من هذا الاصرار العنيد ، والاعمال المشينة المتروفة والخافية ، فان الحاكم العسكري لمدينة رفح المدعو عوفير بن دانيد ما زال يضغط على سكان مشارف رفح الذين اجلوا عن اراضيهم ، للتنازل عنها مقابل مبالغ من المال ، متبعا اساليب التهديد والوعيد ، مثل تهديد المخاتير بالغاء مناصبهم ، وتهديد المعلمين بالطرد من وظائفهم ، والاشتراط على كل من يود شراء سيارة بيع ارضه ، وتوجيه التهديد حتى لاولئك الذين تعاونوا مع الاستخبارات الاسرائيلية ، مثلما حدث لاحد افراد البدو الذي يملك سلاحا مرخصا لتعاونه مع الاستخبارات الاسرائيلية قبل حرب حزيران ، حين استدعى الى المدعو عوفير ، وقيل له : « اذا لم يقم ببيع ارضه فسيتقدم للمحاكمة بتهمة حيازة سلاح غير مرخص ، وعندما رفض ذلك اودع السجن دون محاكمة ... » .

ومن الجدير بالذكر ان محكمة « العدل » العليا في اسرائيل قد رفضت في الاونة الاخيرة شكوى السكان الاصليين لاعادتهم الى اراضيهم ، ومنذ ذلك الحين وهم يعيشون تحت وطأة التهديدات والضغوط المتصاعدة ، الامر الذي دفع عددا من السكان للخروج من دائرة النضال العنيد الى دائرة اليأس ، فقد ذكرت هعولام هزيه « ان الاف البدو اليائسين يدرسون امكانية الهجرة الى مصر وطلب المساعدة من هيئات دولية » واضافت « انهم من خلال يأسهم اقترحوا على وزير الدفاع ان يبيعوا للحكومة الاراضي اللازمة للاستيطان اليهودي ، شريطة ان تبقى في حوزتهم بقية الاراضي ، الا ان اقتراحهم رفض ، ثم اقترحوا بيع نصف اراضيهم شريطة ان يسمح لهم بزراعة النصف الاخر ، وكان نصيب هذا الاقتراح الرفض ... وغدا واضحا للبدو اليوم ان الحكم العسكري معني بشيء واحد فقط : طردهم التام والكامل من المنطقة » .

ومن المعروف ان سلطات الاحتلال تصر على الاستيلاء على هذه المنطقة لبناء شبكة من المستوطنات فيها تصل الى ١٢ مستوطنة ، وبناء مدينة هناك تعرف باسم « يميت » تتسع لربع مليون يهودي .

اضراب المعتقلين في سجن نابلس :

عند بداية شهر تموز الماضي اعلن المعتقلون في سجن نابلس الاضراب عن العمل وكذلك عن مقابلة ذويهم احتجاجا على المعاملة السيئة التي يلاقونها هناك ، ويعتبر هذا الاضراب امتدادا للاضرابات التي قام بها معتقلون عرب في السجون الاسرائيلية وخاصة في سجن عسقلان ونابلس ، وقد كشف المضربون في سجن نابلس وعددهم حوالي ٤٠٠ معتقل موجهة اليهم تهمة الانتماء الى المنظمات الفدائية ، عن المعاملة السيئة في السجن وذكروا ان الطعام الذي يقدم لهم سيء كما وان

العناية الصحية سيئة ، هذا مع العلم ان حوالي ٤٠ شخصا من هؤلاء يعانون من قروح في المعدة و ٤ اخرين مصابين بمرض السل ، كما اوضحوا ان سلطات السجن تحول دون حصولهم على الكتب ، هذا بالاضافة الى الاجر الزهيد الذي يتلقونه مقابل يوم عمل ، والذي لا يمكنهم من شراء علبة سجاير رخيصة حيث يتلقون ٣٦ اغوراه في اليوم بينما ثمن علبة السجاير تزيد على ٦٥ اغوراه . لم تستطع سلطات السجن فك اضراب السجناء ، الامر الذي دعا وزير الدفاع موشيه دايان الى الاهتمام بالموضوع شخصيا حين قابل رئيس بلدية نابلس معزوز المصري، وطلب منه حل المشكلة مع وزير الشرطة شلومو هليل ، وبالفعل اجتمع معزوز المصري ونائبه وليد الشكعة وعضو البلدية وليد استيتية بوزير الشرطة وقدموا له عدة طلبات تتعلق بتوفير الطعام للمساجين بصورة حسنة وتحسين المعاملة والنظر في الشكاوى التي يقدمها المساجين وزيادة اجورهم من ٣٥ اغوراه الى ٤٠ اغوراه وكذلك نقل المساجين من ابناء نابلس من سجون الرملة وعسقلان وبئر السبع الى سجن نابلس او القدس وذلك للتخفيف على اقاربهم من مشقة السفر لزيارتهم . ومن الجدير بالذكر هنا ان السجون الاسرائيلية التي تضم الاف المقاومين العرب اخذت تستقبل في الاونة الاخيرة دفعات اخرى على اثر ما يذاع عن اكتشاف خلية للمقاومة هنا وهناك وتقديم افرادها للمحاكمة . ففي الاونة الاخيرة انهمكت المحاكم الاسرائيلية في محاكمة اعداد كبيرة من المتهمين بالعمل الفدائي ، وتميزت هذه المحاكمات بالاحكام القاسية الشديدة من جهة وبردود الفعل الوطنية من قبل المحكوم عليهم من جهة اخرى والتي تبلغ ذروتها في الهتاف الخالد وسط المحكمة « عاشت الثورة الفلسطينية » فقد هتف عدد من المتهمين بهذا الهتاف ، ومن بينهم على سبيل المثال الشاب عطا تيمري البالغ من العمر ١٧ سنة والذي حكمت عليه المحكمة بتهمة انتمائه الى تنظيم فدائي ، مدة ١٥ عاما ، وحين صدور الحكم قال لمحاميته « لا بأس ليست مدة طويلة ! » ثم أخذ يلوح بيديه قبل خروج القضاة قائلا : «تحيا الثورة الفلسطينية» . فما كان من رجال الشرطة الا ان انقضوا عليه في محاولة لضربه ، غير ان المحامية منعتهم من ذلك ، ومع ذلك فقد أسرعوا بطرد أهله من قاعة المحكمة ، ثم القي الشاب في سيارة بناء على امر احد رجال الشرطة « اقذفوا به مثل كيس » وكان تعليق والدته كما ذكرت صحيفة الاتحاد (٧٣/٦/٥) : اليس لهم رب ؟ أليس لهم ضمير ؟ وقد نقلت صحيفة الاتحاد مشهدا اخر يمثل نضال سكان الهضبة السورية ، عندما صدرت احكام قاسية بحق عدد من افراد شبكة المقاومة التي اكتشفت هناك بقولها : «...أخذت النسوة والرجال يلوحون بايديهم ويهتفون في وجه الجند ورجال المخابرات الذين كانوا في الساحة : لماذا تجردتم من الضمائر ما الذي فعلناه بكم ؟ ... وصاحت النسوة لن نطلب الرحمة منكم .. لا نريد رحمتكم .. خذوا ايضا اطفالنا .. هنا لم تجر محاكمة بل مسرحية » وتوجه المجتمعون الى مندوب الصليب الاحمر وقالوا له : ابلغ العالم والامم المتحدة بما رأيت ، وقل انه ليس لديهم لا ضمير ولا رب ! وعندما اقتربت السيارة التي نقلت المحكومين من الاقرباء اخذوا يلوحون بايديهم ويهتفون « لا تقنطوا اننا معكم » (الاتحاد ١٩/ ٧٣/٦) وهكذا في الوقت الذي يتمرد فيه المعتقلون العرب على اوضاعهم السيئة في السجون الاسرائيلية ، تفتح هذه السجون ابوابها لمزيد من المناضلين .

عبد الحفيظ محارب

(٥) اسرائيليات

اسرائيل وازمة الشرق الاوسط

بمناسبة المناقشات التي بدأت في مجلس الامن حول ازمة الشرق الاوسط وما انتهت اليه تلك المناقشات باستخدام الولايات المتحدة للفيتو ضد مشروع قرار الدول غير المنحازة ، وقبل ان نبين كيفية نظرة اسرائيل الى المبادرة المصرية لعقد مجلس الامن ، وموقفها من اقتراح قيام الدكتور فالدهايم بزيارة للمنطقة ، وقبل ان نتطرق الى احتمالات النزاع وتقييم الوضع العام من وجهة النظر الاسرائيلية ، من المفيد ان نستعرض باختصار وان نشير الى المنهج الذي كان يحكم السياسة الاسرائيلية في موقفها من قرار مجلس الامن ومن كل مسعى اخر من اية جهة كانت لتسوية هذه الازمة .

ان النهج الذي تسير عليه السياسة الاسرائيلية منذ حرب ١٩٦٧ يرتكز على الاسس التالية :

١ — معارضة اي ذكر لحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة في وطنه وبالتالي نفي حقه في الوجود السياسي والقومي على ارضه والتصريحات الاسرائيلية الرسمية بهذا الخصوص اكثر من ان تحصى وعلى سبيل المثال نورد ما قالته رئيسة وزراء اسرائيل في مقابلة اذاعية ردا على سؤال بهذا الشأن حيث قالت : « ... فامام العرب الفلسطينيين كل الامكانية لتحقيق كيانهم القومي في الاردن . فبين البحر المتوسط والصحراء الشرقية هناك مكان لدولتين فقط ، دولة يهودية ودولة عربية . ونحن نرفض اقامة دولة عربية اخرى » (رصد اذاعة اسرائيل م. عدد ٢٧٩) . اما دايان فقال في مقابلة مع مجلة تايم الاميركية ما يلي :

« لم يعد لفلسطين وجود لقد انتهت ، كان يجب ان اقول آسف ، لكنني لست آسفا فهناك فلسطينيون وكان هناك بلد يدعى فلسطين ، وقد قسمت فلسطين بين اسرائيل والاردن لذلك هناك شعب فلسطيني لكن ليس هناك دولة فلسطينية ، لقد اختفى ذلك البلد سنة ١٩٤٨ . ويجب ان تكون فلسطين جزءا من دولة الاردن ، سمها منطقة فلسطينية في اتحاد الاردن ، سمها ما تشاء لكن لا تسمها دولة مستقلة » (النهار ٧٣/٧/٢٥).

٢ — المحافظة على اسرائيل قوية عسكريا وماديا كشرط للمحافظة على وقف اطلاق النار وكضمان لدفع العرب في النهاية الى القبول بشروط اسرائيل للسلام ولتسوية جميع القضايا المعلقة .

٣ — معارضة تدخل الدول الكبرى في النزاع لفرض اي حل على المنطقة ، وبالتالي تحديد فهم خاص لدور الامم المتحدة بالنسبة للنزاع ، معبرة عن معارضتها لاي ضمانات دولية ، انطلاقا من « الدرس المستفاد » من حرب ١٩٥٦ .

٤ — تصفية الوجود السياسي والعسكري للشعب الفلسطيني المتمثل في المقاومةالفلسطينية. وان هذا الامر يقع على عاتق الدول العربية التي يتواجد الشعب الفلسطيني على اراضيها ، والا فانها (اي اسرائيل) ستقوم بهذه المهمة الى ان يتحقق هذا الهدف ، الذي هو بحد ذاته شرط للتوصل الى السلام في المنطقة .

٥ — التأكيد على ان لا عودة الى خطوط الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وان الوجود الاسرائيلي في شرم الشيخ وقطاع غزة ، والجولان والقدس لا يخضع للمفاوضات .

٦ — ان مبدأ المفاوضات المباشرة هو الطريق الوحيد للتوصل الى حل جميع القضايا .

لقد حرصت اسرائيل على تأكيد هذا المبدأ الاخير خلال السنوات الست الماضية منذ انتهاء حرب حزيران (يونيو) . ففي بيان الحكومة الاسرائيلية في اعقاب صدور قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . جاء ما يلي :

« ان الحكومة الاسرائيلية بعد ان استمعت الى عرض وزير الخارجية حول مناقشات مجلس الامن والقرار المتخذ في ١٩٦٧/١١/٢٢ قررت ما يلي : « ستستمر حكومة اسرائيل بالعمل بموجب سياستها المعلنة وفقا لقرار الكنيست بتاريخ ٦٧/١١/١٣ » . وكان ذلك القرار قد تضمن ما يلي :

« ان الكنيست تسجل امامها بيان رئيس الوزراء الصادر في ٦٧/١٠/٣٠ وقرار الحكومة الصادر في ٦٧/١٠/٢٧ الذي ينص : «على ضوءالمناقشات

في الجمعية العامة في دورتها الخاصة ، تسجل الحكومة باسف حقيقة كون الدول العربية ما زالت متمسكة بموقفها بعدم الاعتراف بدولة اسرائيل ، وعدم اجراء مفاوضات معها ، وعدم عقد سلام معها . وتعبر دولة اسرائيل عن املها بان لا تتجاهل دول العالم وشعوبه هذه الحقيقة الخطيرة التي تتناقض كليا مع القانون الدولي ومع مبادىء ميثاق الامم المتحدة . وان اسرائيل ازاء موقف الدول العربية هذا ، ستستمر بالمحافظة على الوضع كما حددته اتفاقية وقف اطلاق النار، وستدعم وضعها بما يتناسب مع الاحتياجات الحيوية لامنها وتطورها . **وان حكومة اسرائيل تعود وتؤكد انه فقط بالسلام الدائم على اساس المفاوضات المباشرة بين الدول العربية واسرائيل يكمن فقط الحل لقضايا المنطقة** » (هآرتس ١١/١٣ و ١٩٦٧/١١/٢٩) .

وكانت الحكومة الاسرائيلية قد وجهت تحذيرا لمجلس الامن على لسان رئيس وزرائها الراحل ليفي اشكول ، لدى اختتامه المناقشة السياسية في الكنيست في ١٩٦٧/١١/١٣ حيث قال « ... **كل قرار تتخذه الامم المتحدة يتجاهل ضرورة اجراء مفاوضات مباشرة بين الاطراف سيؤدي الى ازمة جديدة والى استئناف حالة الحرب** (عل همشمار ١٩٧٣/٦/٢٢) .

وعلى الرغم من ان قرار مجلس الامن ٢٤٢ لم يتضمن بندا صريحا حول المفاوضات المباشرة ، فان كون القرار صيغ بعبارات غامضة وعامة مقصودة على حد قول جميع المراقبين لكي يتاح لكافة الاطراف الموافقة عليه ، اضطر اسرائيل الى اعلان موافقتها عليه في وقت لاحق ، بناء على الفهم الخاص الذي حددته للقرار . وهذا الفهم الاسرائيلي يرتكز على امرين : الاول هو ان القرار لا يدعو الى الانسحاب الكامل من الاراضي العربية ، بل من اراض احتلت ، وهذا يعني — حسب المفهوم الاسرائيلي — وجوب اجراء مفاوضات مباشرة لتحديد الحدود الجديدة المتفق عليها والمعترف بها بين الاطراف ذات العلاقة بالنزاع . اما الامر الثاني فيتعلق بما ورد في القرار من ان « يطلب مجلس الامن من الامين العام تعيين ممثل خاص للذهاب الى الشرق الاوسط كي يقيم ويحتفظ باتصالات مع الدول المعنية بغية تحقيق اتفاق والمساعدة في الجهود المبذولة للوصول الى تسوية سلمية مقبولة طبقا للنصوص والمبادىء الواردة في مشروع القرار » (نص القرار ٢٤٢ كما ورد في يوميات فلسطينية المجلد السادس ص ٢٣٢) . بالنسبة لهذه النقطة فان اسرائيل تؤكد وتصر على ان مهمة هذا الممثل تقتصر على العمل من اجل ايصال الاطراف المتنازعة الى طاولة المفاوضات وان المفاوضات التي تتم برعايته هي مجرد مرحلة اولية تسبق المفاوضات المباشرة وليس من مهامه العمل من اجل تنفيذ بنود هذا القرار . انطلاقا من هذا الفهم الاسرائيلي لمهمة يارينج تجمدت مهمته وفشلت عندما رفضت اسرائيل الموافقة على مذكرته التي تقدم بها للدول المعنية في شهر شباط (فبراير) ١٩٧١ ، لكونها تضمنت تعهدا باعلان اسرائيل موافقتها على الانسحاب الى الحدود الدولية بينها وبين مصر ، دون الاشارة الى مصر قطاع غزة ، فحتى مثل هذا التعهد رفضته اسرائيل .

مناقشات المجلس وزيارة فالدهايم

هذا هو الموقف الاسرائيلي ازاء كل المبادرات التي سبقت دعوة مصر الى انعقاد مجلس الامن لبحث قضية الشرق الاوسط واقتراح قيام دكتور فالدهايم بزيارة المنطقة . فما هي الدوافع التي تعتقد اسرائيل انها كانت وراء التحرك المصري هذا ؟. حول هذا الموضوع كتبت صحيفة معاريف في ٧٣/٧/١٧ ما يلي :

« ان استئناف المناقشات حول الشرق الاوسط في مجلس الامن يهدف بشكل اساسي الى انقاذ ما يمكن انقاذه من المبادرة البائسة التي قام بها وزير خارجية مصر ، محمد حسن الزيات . ومن المتوقع جدا ان يؤدي فشل هذه المبادرة الى القضاء على الزيات سياسيا » . وتضيف الصحيفة قائلة « ... وعندما بادر الزيات في شهر ايار (مايو) بطلب اجراء مناقشات خاصة في مجلس الامن كان يعلم ان الامم المتحدة هي النطاق الوحيد الذي تستطيع بلاده فيه تحقيق انتصار حاسم ، بعد سلسلة الفشل ، ليس فقط في ساحة المعركة ، بل ايضا في موسكو ولندن وباريس ، حيث لم يخرج من هذه البلاد باي شيء ملموس . لقد اخطأ الزيات في التكتيك الذي اتبعه حيث لم يعر انتباها لامر في غاية الاهمية ، وهو ان قرار مجلس الامن اصبح في عرف الدبلوماسية الحاضرة شبيها « بالبقرة المقدسة » التي لا يتجرأ احد على المساس بها . وخطأه يكمن في

محاولته تعديل او تفسير القرار » . واخيرا توقعت الصحيفة عدم انتهاء المناقشات بقرار يستطيع الزيات ان يطرحه كانتصار للدبلوماسية المصرية (هنا اشارة الى احتمال استخدام الفيتو الاميركي وهو ما حصل بالفعل) .

وبخصوص اصرار مصر على مشروع قرار لصالحها ، ترى الصحف الاسرائيلية ان هذا الاصرار جاء نتيجة لما تمخضت عنه المحادثات الاخيرة في موسكو ، حيث اتضح ان الاخيرة ليست على استعداد لمد مصر باية مساعدة فعالة اذا ما قررت البدء بالحرب في المستقبل القريب .وترى صحيفة معاريف الاسرائيلية « ان تصلب مصر في سعيها الى اتخاذ قرار يؤكد على وجوب انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع المناطق ، مع توقع استخدام الفيتو الاميركي ضده ، كان يهدف الى حمل الولايات المتحدة على ذلك ، بهدف الاساءة الى التفاهم الذي تم التوصل اليه في محادثات القمة في واشنطن . اما بالنسبة لموقف الاتحاد السوفياتي فان الصحيفة ترى ايضا ان السوفيات سيؤيدون بحزم الموقف المصري بهدف دحض ما يقال عن أن السوفيات قد « باعوا » العرب في محادثات القمة » (معاريف ١٩٧٣/٧/٢٠) .

زيارة فالدهايم

قالت صحيفة معاريف في عددها الصادر في ٧/١٧/ ٧٣ « ان الهوة بين مفهوم الامم المتحدة لتحقيق السلام وبين مفهوم اسرائيل تكمن في تصريح فالدهايم الذي قال فيه : يجب البدء بمحادثات بدل المناقشات الفارغة في مجلس الامن ، وانه يرى ان هذه المحادثات يمكن ان تجري برعاية الامم المتحدة ، الامر الذي لا تراه اسرائيل ، لانها ما زالت تعتقد ان المحادثات يجب ان تكون مباشرة بينها وبين جيرانها » . اما بالنسبة للاسباب التي دعت مصر الى دعوة فالدهايم للقيام بهذه الزيارة فتقول معاريف : « ان دعوة مصر لفالدهايم لزيارة المنطقة تبدو وكأنها اخر ورقة في جعبة الدبلوماسية المصرية ، ولكنها ورقة خاسرة » وتضيف الصحيفة : من الجدير بالذكر ان فالدهايم كان قد اعرب عن رغبته في زيارة المنطقة قبل اكثر من سنة . ولكن زيارته هذه المرة تختلف عن رغبته السابقة في كونها جاءت كمبادرة مصرية . وهذه المبادرة في اساسها خطوة يائسة من جانب مصر » . وتساءلت هذه الصحيفة من السبب الذي حدا بمصر الى اقتراح مثل هذه الزيارة ؟ وتجيب الصحيفة على هذا التساؤل بقولها : ان السبب بسيط ، فالقاهرة تعلم جيدا ان مهمة يارينج اصبحت في حكم الاموات « ومحاولتها للحصول على تفسير مريح لها لقرار مجلس الامن حكم عليها بالفشل نظرا لموقف الولايات المتحدة . ومن ناحية اخرى فقبة واشنطن اولدت فأرا ، فما الذي بقي امامها للعمل ؟ فاما ان تنفذ تهديداتها وتستأنف اطلاق النار واما ان تقوم بنشاط سياسي مكثف يبرر صبرها » (معاريف ٧٣/٧/٢٠) .

اما موقف اسرائيل من الزيارة بشكل عام فانه يتلخص في الرد الاسرائيلي الذي قدمه السفير تكواع لفالدهايم حيث جاء فيه : « ان القدس مستعدة لاستقبال فالدهايم بكل ترحاب ، لكن يجب عليه ان يعلم سلفا بانه لا يستطيع القيام بمهمة الوساطة وليس كمتمم لمهمة يارينج ، اما اذا كانت لديه افكار ذاتية حول دفع التفاهم بين الاطراف الى الامام ، فاسرائيل ترحب بذلك » . وتضيف الصحيفة : لقد فهم فالدهايم هذا التلميح ووافق عليه » (معاريف ١٩٧٢/٧/٢٠) . ومن هنا يتضح ان اسرائيل تريد فصل هذه الزيارة عن اي ربط بمناقشات مجلس الامن الحالية او اية قرارات اخرى للامم المتحدة . وقد جاء هذا الامر واضحا في احد التعليقات السياسية حول زيارة فالدهايم التي اذيعت من اذاعة اسرائيل حيث ورد ما يلي : « لا شك في انه لو تمت الموافقة على المشروع (مشروع قرار الدول غير المنحازة) لكانت الزيارة قد الغيت ، لكن عدم اقرار المشروع فتح الطريق امام السكرتير العام للقيام بجولته (رصد اذاعة اسرائيل ، م. عدد ٢٨١ ، ٧/٢٧/ ١٩٧٣) .

نظرة اسرائيل الى الامم المتحدة ودورها :

ان سجل اسرائيل حافل بعدم الاكتراث بقرارات الامم المتحدة ، وعدم الالتزام بتنفيذ قراراتها . وتصريحات الساسة الاسرائيليين في اكثر من مناسبة كانت تؤكد ان اسرائيل لن تتقيد باي قرار حتى لو كانت الدولة الوحيدة التي تعارضه. وهذا الموقف من الامم المتحدة اصبح اكثر حدة وتطرفا نتيجة للدعم الاميركي العسكري والسياسي المتواصل لمواقف اسرائيل . هذا الدعم الذي ليس كما يعتقد البعض ناتجا عن فشل الاعلام العربي في التأثير على الرأي العام الاميركي وبالتالي على السياسة الاميركية ، بل هو نتيجة طبيعية للالتقاء

مصالح الامبريالية الاميركية بمصالح الحركة الصهيونية العالمية ودولة اسرائيل . فسياسة الالتقاء مع الولايات المتحدة لم تؤد كما يعتقد المنادون بها الى تغيير موقف الولايات المتحدة في النزاع العربي — الاسرائيلي بل ادت الى زيادة دعم السياسة الاميركية لاسرائيل .

ان نظرة اسرائيل الى الامم المتحدة كنظرة المساهم الصغير في شركة كبيرة ، ولذلك فهي لا تعلق امالا كبيرة عليها ، ومن ناحية اخرى فان اسرائيل تعلم ان مصير اي قرار او توصية يتعلق بدرجة كبيرة بالدول الكبرى بشكل عام وبالولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بشكل خاص ، وهي وقد ضمنت التأييد الاميركي لا تعير اي وزن لقرارات ومساعي الامم المتحدة ، حيث اعلنت اكثر من مرة ان بحث مشكلة الشرق الاوسط في الامم المتحدة ما هو الا مضيعة للوقت ، وان كل ما هو مطلوب من الامم المتحدة هو بذل المساعي الحميدة على الاكثر من اجل ايصال الاطراف الى طاولة المفاوضات المباشرة . وفي دراسة اعدتها وزارة الخارجية الاسرائيلية حول مدى مساهمة الامم المتحدة في حل النزاعات الدولية (الدراسة تتناول الفترة بين ١٩٦٠ — ١٩٧٣) تبين ان قسط الامم المتحدة في هذا لا يتعدى الصفر . ففي النزاعات الكبيرة مثل فيتنام او قضية برلين لم تسهم الامم المتحدة قطعيا ، وفي الحالات التي عالجتها مثل الحرب الهندية — الباكستانية لم يكن لجهودها وتوصياتها اية فائدة بل بالعكس كان هناك تجاهل تام لها (معاريف ١٩٧٣/٧/٢٠) .

اما سفير اسرائيل السابق في واشنطن يتسحاق رابين فقد عبر عن رأيه في الامم المتحدة ودورها بقوله : « ان تغير نظرة الولايات المتحدة وعلاقتها — وبعد ذلك ايضا الاتحاد السوفياتي — ازاء الامم المتحدة يشكل نتيجة هامة وايجابية من وجهة النظر الاسرائيلية . (اي ان اسرائيل سبقتهما الى مثل هذه النظرة) ويضيف رابين : لا اريد ان اطيل اكثر من اللازم بالنسبة للامم المتحدة — فانا متهم بان لي حكما مسبقا ازاء هذه المنظمة . وبدون ان نكثر من التفاصيل ، يبدو لي انه اذا كان اليوم في عالمنا استعمار جديد ، فهذا هو محاولة الامم المتحدة في احتلال مكانة الدول الامبريالية . فالامم المتحدة تحاول اليوم وضع حلول للنزاعات المحلية وفرضها على الدول ذات العلاقة ، بدل ان تقوم بالمهمة المخصصة من اجلها حسب ميثاقها — اي ايصال اطراف النزاع الى المفاوضات والى الاتفاق فيما بينها ، الامر الذي يتعارض مع المبدأ الاساسي والبسيط من ان المسؤولية الفعلية عن عملية اقرار السلام يجب ان تكون على عاتق اطراف النزاع » (معاريف ١٩٧٣/٧/١٣) .

والان ما هي نظرة اسرائيل الى التطورات التي استجدت على واقع الاحداث في الشرق الاوسط منذ حرب ١٩٦٧ . لقد اشار سفير اسرائيل السابق في واشنطن يتسحاق رابين الى هذا الامر ، في مقال نشرته صحيفة معاريف الاسرائيلية بتاريخ ١٩٧٣/٧/١٣ تحت عنوان « الطريق البطيئة نحو السلام » . يقول رابين في مقاله المذكور ما يلي :

« ويقع الشرق الاوسط الان تحت تأثير تحولين اساسيين حدثا منذ حرب الايام الستة : التحول الاول يرتبط بالتغييرات التي حدثت في اعقاب نتائج حرب الايام الستة ، والتحول الثاني في التغيير الاساسي الذي طرأ على مجمل العلاقات الدولية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، وتاثير هذا التحول على الشرق الاوسط .

وبالنسبة للتحول الاول يمكن تلخيص اقوال رابين بالنقاط التالية :

١ — خطوط الدفاع الحالية التي تستند على خطوط وقف اطلاق النار قد غيرت الوضع استراتيجيا لصالح اسرائيل .

٢ — لم تعد هناك حاجة لتجنيد قوات الاحتياط بمجرد سماع التهديدات العربية او الشعور بالتحركات العسكرية العربية كما كان الامر في السابق .

٣ — ازدياد الفجوة بالنسبة للقوة العسكرية الشاملة بين اسرائيل والدول العربية بشكل فاق جميع التقديرات التي كانت قائمة قبل حرب الايام الستة ، والعامل الاساسي في هذا التفوق يكمن في التفوق النوعي للمجتمع الاسرائيلي على المجتمع العربي .

٤ — ان وقف اطلاق النار الذي تم التوصل اليه نتيجة للمبادرة الاميركية له اهمية عظيمة اذ منذ ثلاث سنوات واسرائيل تحافظ على خطوط وقف اطلاق النار دون ان تضطر لخوض معارك فعلية من اجل ذلك .

٥ ــ ان وفاة عبد الناصر وما تمثله شخصيته بالنسبة للعالم العربي قد ادت الى تضاؤل قدرة العرب على تنسيق نشاطاتهم العسكرية والسياسية .

٦ ــ واكثر من هذا ، فمنظمات « الارهاب » الفلسطينية قد فشلت في تحقيق الحرب الشعبية او حرب العصابات الحقيقة ، وهذا يعود الى امرين : اولا ، سياسة اسرائيل في المناطق حالا بعد الحرب ، المتمثلة في سياسة الجسور المفتوحة ونشاط جهاز الامن ، وثانيا بفضل تصفية الملك حسين لنشاط ووجود المنظمات في الاردن والحيلولة دون تحويل عمان الى هانوي العرب .

اما بالنسبة للتحول في المجال الدولي فيمكن تلخيص اراء رابين بما يلي :

١ ــ تحول الولايات المتحدة بفضل ادارة نيكسون وسياسته العالمية الجديدة الى بؤرة العالم المثلث الاقطاب : الصين ، الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفياتي ومن ثم للتفاهم مع السوفيات لتصفية نقاط التوتر في العالم . وفي نطاق هذا التفاهم اخذت الولايات المتحدة على عاتقها عدم استخدام قواتها في النزاعات المحلية على اساس ان الاتحاد السوفياتي سيحذو حذوها في ذلك .

٢ ــ ونتيجة لهذا التفاهم كان خروج السوفيات من مصر (٠٠٠٠) . وعلى الرغم من ان مصر هي التي طلبت ذلك ، فهذا الطلب جاء بعد ان تأكد المصريون من ان السوفيات غير مستعدين لدعم مصر بشكل فعال في حربها ضد اسرائيل اذا لم تتحقق اهدافهما المشتركة بالطرق السلمية .

٣ ــ هذا التفاهم خفف من حساسية الولايات المتحدة ونظرتها الى الاوضاع في الشرق الاوسط حيث كانت تعتبر الوضع هناك وكأنه « برميل من البارود » كما قال الرئيس نيكسون في شباط (فبراير) ١٩٦٩ . وهكذا زال خطر المواجهة العسكرية في الشرق الاوسط بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة .

٤ ــ تغير نظرة الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي الى دور الامم المتحدة بالنسبة للنزاعات الدولية ، حيث تعمل هاتان الدولتان على اخراج كل قضية حساسة من نطاق معالجة الامم المتحدة. اما بالنسبة لاحتمالات النزاع في الشرق الاوسط فيرى رابين ان هناك اربعة احتمالات :

١ ــ تجدد الاعمال العدائية ، نظريا ، نحن في حالة حرب ، لكن ما اقصده هو تجدد الحرب الفعلية خصوصا على الجبهة مع مصر .

٢ ــ التقدم نحو تسوية سياسية شاملة اي : الانتقال الحاد من الحرب الى السلام وهذا بواسطة الدبلوماسية .

٣ ــ الانتقال تدريجيا من الحرب الى السلام وخلال فترة زمنية طويلة ، اي التقدم نحو التسوية الشاملة على مراحل ، حيث كل مرحلة قائمة بحد ذاتها ، لكنها جزء من التقدم العام نحو التسوية الشاملة التي تحدد تفاصيلها فيما بعد .

٤ ــ استمرار الوضع الراهن ، اي ان يكون هناك نشاط سياسي، وحتى تجدد للاعمال العدائية من وقت لاخر ، ولكن بشكل اساسي يبقى الوضع الحالي المتمثل في انعدام التحرك الحقيقي نحو السلام ، دون امكانية تجدد الاعمال العدائية لفترة طويلة .

وبعد ان يحلل رابين مدى الفرص القائمة امام كل واحد من هذه الاحتمالات، يستنتج ان الاحتمال الثالث هو الاحتمال الاكثر قبولا لدى اسرائيل . ويرى رابين امكانيتين لتحقيق هذا الاحتمال اي التسوية على مراحل :

١ ــ تتفق الاطراف على ماهية المرحلة الاولى ، وتحدد مبدئيا ما يتطلبه الحل المفصل لهذه المرحلة، دون الدخول الى تفاصيل التسوية الشاملة . هذا على افتراض انه عندما تتحقق المرحلة الاولى ، تنشأ ظروف مريحة اكثر للمباحثات ولدرس المراحل القادمة نحو التسوية الشاملة .

٢ ــ امكانية اخرى ، سمعت بهما اساسا في واشنطن تقول: تتفق الاطراف حول خط الانسحاب النهائي ، لكن الانسحاب يمتد خلال فترة زمنية طويلة تكون فيها كل مرحلة ليست فقط مرحلة من الانسحاب بل ايضا مرحلة في بناء السلام ، اي مقابل انسحاب محدود يعطي المصريون جزءا من السلام ، وبهذه الطريقة تمتحن نوايا السلام ليس بعد الانسحاب النهائي بل في كل مرحلة من مراحله ، ولقد وصف احدهم هذا الامر بقوله : « قليل من السلام » مقابل « قليل من الارض » . لكن رابين يرى ان الامكانية الثانية ليست مقبولة لدى اسرائيل لانها تطرح في مرحلة مبكرة جدا موضوع تحديد الحدود النهائية ذلك الموضوع الذي لا يمكن الاتفاق حوله في هذه المرحلة .

اما الاساس الاول والاكثر اهمية من اجل الانتقال من حالة الحرب الى حالة السلام فيراه رابين في المحافظة على وقف اطلاق النار حيث ان تلك الحقيقة تخلق بمرور الزمن بشكل واع او باللاوعي ظروفا احسن للتقدم نحو السلام . اما كيفية تحقيق ذلك فيراها رابين بما يلي :

١ — انشال الامال العربية بانه يمكن بواسطة القوة تحقيق اي شيء في المجال العملي او المجال السياسي .

٢ — انشال ايمان العرب بان الطريق الى السلام يمر من موسكو ، التي بدورها تحمل واشنطن على قبول مواقف الروس والمصريين ومن ثم تفرضها على اسرائيل .

٣ — انشال الامال العربية والروسية من انه بواسطة الامم المتحدة ، من الممكن فرض تسوية على المنطقة تعارض رغبة اسرائيل والولايات المتحدة .

وينهي رابين تصوراته هذه بقوله : لقد سبق وثبت ان شعار « لا خيار » كان عاملا رئيسيا في انتصارات اسرائيل في حروبها . واعتقد ان العرب سيصبحون قريبين جدا من السلام بشكل واقعي فقط ، بعد ان يثبت لهم دون ادنى شك ، بان جميع باقي الامكانات والاحتمالات مسدودة امامهم تماما ، وهكذا ، فعندما لا يكون لهم مجال للاختيار ، سيضطرون الى السير في طريق السلام .

أحداث أسدود واسرائيل الثالثة

أشار الصحفي باروخ نادل في معرض تعليقه على أحداث اسدود في صحيفة يديعوت أحرونوت ١٩٧٣/٧/١٦ ، الى مقال كان قد نشره في نفس الصحيفة حول الموضوع قبل شهر ونصف . وقد جاء في المقال المذكور ما يلي : « هناك في أسدود قضية معقدة وحبلى بالمخاطر ... ففي استيعاب الجورجيين ارتكبت جميع الاخطاء » .

والان امامنا الخيار التالي :

« اما ايجاد سبل على النطاق القومي لتخصيص الموارد المادية والانسانية من أجل الاستيعاب الاجتماعي — الحضاري لمهاجري جورجيا ، واما اغماض أعيننا واتاحة الامكانية **لخلق اسرائيل ثالثة** ، الى جانب اسرائيل الثانية » .

ويضيف نادل قائلا : « ولكن يبدو اننا اخترنا الامكانية الثانية » ، على امل ان لا يعكر صفو حياتنا سوى بعض المقالات الصحفية ، لكن مهاجري جورجيا اتخذوا قرارا آخر » .

وقضية مهاجري جورجيا ، على الرغم من انها قضية عمالية بحتة اذ انها تتعلق بمشكلة ٤٧ من المهاجرين الجورجيين الذين فصلوا من عملهم المؤقت في الميناء في فصل الصيف كالعادة ، فان الاسلوب الذي عولجت به والشكل المطلبي الذي عبرت به ، أثار ردود فعل على صعيد علاقات العمل وعلى صعيد الطوائف ، واعاد الى الاذهان — مع الفارق — الاسلوب الذي اتبعته السلطات الاسرائيلية ازاء يهود شمال افريقيا في الخمسينات بعد مظاهرتهم في وادي الصليب في حيفا ومظاهرة اول ايار سنة ١٩٦٦ في أشدود ، حيث قمعت السلطات تحركهم المطلبي — الطائفي بعنف وقسوة .

تسلسل الاحداث

تصف صحيفة يديعوت أحرونوت الاسرائيلية الصادرة في ١٩٧٣/٧/١٧ تسلسل الاحداث كما يلي : « قبل شهر ونصف فصل من ميناء أسدود قرابة ١٤٠ عاملا مؤقتا كما هو متبع في الميناء في صيف كل سنة . وكان بين المفصولين هذه المرة ٤٧ عاملا من مهاجري جورجيا ، الذين ذهلوا لسماعهم ذلك ... وبعد ان افاقوا من هول الصدمة أخذوا يتوجهون الى مكاتب العمل لتأمين عمل دائم لهم ، لكن غالبيتهم لم تنجح في ذلك . لقد كان العمل في الميناء مربحا بالنسبة لمهاجري جورجيا ، وهذا يعود الى اسلوب المقطوعية والدفعات التشجيعية في العمل هناك ، حيث كان باستطاعة العامل تحصيل اجر شهري يتراوح بين ١٥٠٠ — ٢٠٠٠ ليرة اذا كان على استعداد لبذل جهود كبيرة والعمل ساعات اضافية ، لذلك وجد مهاجرو جورجيا ان العمل في المصانع حيث الحد الاقصى للاجور يتراوح بين ٧٠٠ — ٨٠٠ ليرة شهريا لا يناسبهم ، نظرا لارتفاع الاسعار والنفقات الاخرى . ومن جهة ثانية فكثير من أصحاب المصانع كانوا يرفضون تشغيلهم على الرغم من ان مكاتب العمل الحكومية كانت ترسلهم الى هناك » .

وتضيف الصحيفة بهذا الخصوص : « لقد عانى مهاجرو جورجيا من نفس العداء الذي عانى منه المغاربة » . وتحاول تعليل ذلك بكونهم يتكلمون لغة غريبة عن الاهالي ، والى عاداتهم وعالمهم

الطائفي المغلق ، الامر الذي ساعد في انتشار الشائعات حولهم واولد الخوف منهم. لكن الحقيقة تكمن في طبيعة المجتمع الاسرائيلي التعددية من حيث الفوارق والاختلاف في الثقافة والحضارة والعادات والتقاليد الدينية والمدنية . ان عقدة الشعور بالنقص التي لازمت اليهود في اوروبا بالذات انتقلت معهم الى فلسطين ، ووجد الاشكناز منهم تنفيسا لها في نظرتهم الاستعلائية تجاه العرب واليهود الشرقيين الذين بدورهم وازاء شعورهم بالنقص ازاء الاشكناز ، حولوا حقدهم وكراهيتهم تجاه العرب . وفي أسدود بالذات حيث حوالي ٥٠٪ من السكان هم من أصل مغربي لعب هذا الشعور دورا سلبيا في النظرة الى مهاجري جورجيا الذين وان لم يكونوا من أصل شرقي فانهم بتقاليدهم وعاداتهم ونمط حياتهم المغلق ، ولكونهم في غالبيتهم من حيث مهماتهم الوظيفية ينتمون الى الشرائح الوسطى والدنيا في التركيبة الاجتماعية في اسرائيل ، عمال ، باعة، وسطاء ، الخ... لهذا كله رفضهم المجتمع المحلي الذي غرسوا فيه ، وهم بدورهم تجاوبوا وزادوا من العداء تجاههم بانغلاقهم وتكتلهم الطائفي المحض . ان الانتماء الطائفي حتى بالنسبة لاولئك القدامى ما زال يلعب دورا مركزيا في حياتهم ، ويبرز في كل مناسبة تفرضها الظروف . ونفس الشيء ينطبق على المهاجرين الجدد ، وخصوصا يهود روسيا والجورجيين بالذات .

في هذا الجو تبنى يهود جورجيا مشكلة قضية عمال اسدود كقضية تمييز لاحقة بهم كطائفة . وهكذا قامت الطائفة ، بعد الاضراب عن الطعام الذي أعلنه المفصولون باعداد العدة للقيام بأعمال عنف لفرض مطالبهم على المسؤولين الاسرائيليين ، ورغم التحذيرات التي اطلقها رئيس بلدية اسدود طالبا الاسراع بمعالجة قضية المفصولين ، لم تعمل السلطة والوزارة المعنية أي شيء لحل الازمة . وبهذا الخصوص يقول رئيس بلدية اسدود : « يوم الاربعاء بعد الظهر ١٩٧٣/٧/١١ أرسلنا برقيات الى وزير الاستيعاب ووزير العمل ووزير المواصلات والى سكرتير عام الهستدروت ، وصفنا بها الوضع، وعبرنا عن تخوفنا من تطورات الاحداث طالبين منهم التدخل ، لكننا لم نتلق أي رد ، وكأن الامر لا يعنيهم ... » ويستمر رئيس البلدية قائلا : « أنا لا أفهم كيف يحدث هذا ، فقد ادعى بيرس (وزير المواصلات) انه لم يطلع على ما يجري في اسدود الا بعد نوات الاوان . إنا أحترم السيد بيرس ، لكن تفضل (مشيرا الى الصحفي الذي أجرى المقابلة) اقرأ نص هذه الرسالة التي أرسلها اتحاد مهاجري روسيا الى السيد بيرس في التاسع من تموز (يوليو) ١٩٧٣ « لقد مر اسبوعان ونصف على وعد ممثلكم بمعالجة قضية الثمانين عاملا الذين فصلوا من بين مهاجري جورجيا في ميناء اسدود ، وحتى الان لم نتلق منكم أي جواب . ان قضية هؤلاء المفصولين تشكل عاملا محرضا بين جمهور هؤلاء المهاجرين . نحن نعتقد ان القضية تتطلب حلا سريعا اذا كنا نريد منع حدوث انفجار للامور هنا ، ننتظر ردكم السريع » . (معاريف ٧/٢٠/ ١٩٧٣) .

وهكذا تفجر الوضع ومنذ صباح الخميس الباكر ١٩٧٣/٧/١٢ وفدت الى أسدود قوافل من مهاجري جورجيا من جميع انحاء البلاد ، حيث قاموا باحتلال المباني العامة وتعطيل حركة السير في المدينة باقامة المتاريس والحواجز على الطرق الرئيسية ، واخذوا يستعدون لاقتحام الميناء . ويبدو ان الشرطة التي حذرت ايضا مما يمكن ان يحدث منذ بدء الاعتصام بمكاتب البلدية ومجلس العمال ، لم تكن تتصور ان تصل الامور الى هذا الحد ، فسارعت الى طلب النجدات التي وصلت متأخرة بعد ان كان الوزير بيرس قد حضر بنفسه الى اسدود وتفاوض مع زعماء الطائفة وتوصل الى اتفاق معهم وهذا هو نص الاتفاق كما اوردته معاريف في ١٩٧٣/٧/١٦ :

١ — مع استئناف موسم العمل في الميناء في الاول من تشرين اول (اكتوبر) ١٩٧٣ يعود الى العمل اربعة وثلاثون من مهاجري جورجيا الذين كانوا يعملون في الميناء وفصلوا خلال الاشهر الاخيرة .

٢ — تقوم وزارتا العمل والاستيعاب باجراء الترتيبات اللازمة لتعويض كل واحد من المضربين الاربعة والثلاثين ، لم يعمل منذ فصله وحتى التوقيع على هذه المذكرة (أي حتى الثاني عشر من تموز (يوليو) ١٩٧٣) .

٣ — حتى الاول من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ يتلقى المستخدمون مخصصات مساوية للاجر اليومي العام المتبع بين عمال التفريغ والشحن المبتدئين (دون الاجر التشجيعي) لكي يتمكنوا من دخول دورة لتعلم اللغة العبرية ودورة مهنية اخرى .

٤ ــ كل مستخدم يلتزم بالمقاييس المتبعة في الميناء يثبت بعد مرور ثلاث سنوات على عمله وهـــذا يشمل فترة العمل السابقة ــ كما هو متبع بالنسبة لباقي المستخدمين .

ردود الفعل :

لقد قوبل هذا الاتفاق بالنقد من بعض الجهات والتفهم والتأييد من الجهات الاخرى . فالحكومة مثلا بعد ان استمعت الى تقرير وزير المواصلات ومفتش عام الشرطة حول الاحداث اتخذت ما يلي :

«لقد سجلت الحكومة امامها تقرير وزير المواصلات، وقد أيد الوزراء الذين اشتركوا في النقـــاش الاعتبارات والقرارات التي اتخذها وزير المواصلات والشرطة واعربوا عن تقديرهم لاسلوب المعالجة ». واضاف بيان الحكومة « ان الجهات ذات العلاقة في الامر ستحرص على استمرار معالجة القضايا التي أدت الى احداث اسدود . وان هذه الجهات مصممة على تحمل كل ما هو مطلوب لضمان سير الحياة المنتظم وللحيلولة دون خرق النظام والقانون في اسدود وفي كل مكان آخر » (معاريف ٧/١٦/ ١٩٧٣) وقال بيرس في معرض تبريره للاتفاق امام الوزراء : « لا يمكن فهم ما حدث دون الشعور بالجو الذي ساد اسدود في الاسبوع الماضي ، ذلك المنظر المؤلم لاربعة وثلاثين رجلا مفترشين الارض منذ اربعة ايام دون طعام ، الامر الذي شكل خطرا على حياتهم ، ولنتصور ماذا كان يحدث لو ان احدا منهم مات نتيجة لذلك ! » واضاف بيرس : « سادتي يجب ان نذكر ان ما حدث لم يكن اضرابا عن الطعام بسبب المطالبة بعلاوة غلاء ، بل هو تعبير عن مطلبهم في حقهم في العمل ، أي ببساطة من أجل لقمة الخبز » ، (معاريف ١٩٧٣/٧/١٦) .

ان خضوع بيرس والسلطات الاسرائيلية لمطالب مهاجري جورجيا جاء نتيجة لثلاثة عوامل رئيسية :

١ ــ عنصر المباغتة والسرعة في التحرك التي أبداها الجورجيون ، جعل السلطات امام الامر الواقع ، فاما استعمال القوة واما الرضوخ ، اذ كما يبدو مما سبق لم تكن السلطات تتوقع ان تصل الامور الى هذا الحد وان تأخذ القضية الشكل الذي اخذته ــ قضية طائفية ــ .

٢ ــ اقتراب موعد الانتخابات وخوف حزب العمل من استغلال استعمال القوة ضده في الدعـــاية الانتخابية .

٣ ــ الخوف من الانطباع السيء الذي ســـيتركه استعمال القوة ضد المهاجرين على حركة الهجرة من الاتحاد السوفياتي .

اما على الصعيد الشعبي فقد كانت ردود الفعل بين مؤيد ومعارض للاسلوب الذي تمت به معالجة القضية . وقد كانت المعارضة الرئيسية من قبل اصحاب المصانع ومصلحة الموانىء بمن فيهم مدير ميناء اسدود وبهذا الخصوص فقد عبر مدير عام مصلحة الموانىء عن استيائه من الطريقة التي تم التوصل بها الى الهدوء . اما المدير الجديد لميناء اسدود فقد قال : « أنا على يقين من ان الاتفاق الذي تم التوصل اليه سيؤدي الى مشاكل جديدة » ، وقد استشهد بما قاله سكرتير لجنة عمال التشغيل في ميناء اسدود يهوشواع بيرتس من انه من الان فصاعدا لن يفصل العمال المؤقتون في الميناء لان « ما ينطبق على مهاجري جورجيـــا ينطبق ايضا علينا » (يديعوت احرونوت ٧/١٥/ ١٩٧٣) .

أما اصحاب المصانع فقد عبر عن استيائهم احد اصحاب « مصانع روجوزين » في اسدود الذي اشار الى خطورة ضبط النفس المبالغ فيه الذي اظهرته الشرطة عندما استولى المضربون في اليوم الاول للاضراب على مصلحة الاستخدام وسجنوا الموظفين « ان ضبط النفس هذا قد شجع المضربين في الاستمرار بخرق القانون والنظام في المدينة » ، (يديعوت احرونوت ١٩٧٣/٧/١٥) .

هاني عبدالله

الانتخابات البرلمانية العامة في اسرائيل ، لانتخاب الكنيست الثامنة ، أصبحت على الابواب ، وموعدها شهر تشرين الثاني المقبل .

وقبل الخوض بما شهدته ايام شهر تموز الماضي على هذا الصعيد ، يجدر بنا ان نشير الى عدد من احكام قانون الانتخابات العامة المعمول به في اسرائيل .

١ — عدد أعضاء الكنيست ١٢٠ عضوا .

٢ — كل اسرائيل تشكل منطقة انتخابية واحدة ، تجري فيها الانتخابات العامة مرة واحدة ودفعة واحدة كل أربع سنوات .

٣ — يضع كل حزب قائمة مرقمة بالتسلسل بأسماء مرشحيه ، ويتخذ لنفسه رمزا من حرف أبجدي واحد أو أكثر ، وعندما يضع صاحب الحق في الانتخاب ورقة عليها أحد رموز القوائم في صندوق الاقتراع يكون قد اقترع لصالح قائمة كاملة وليس لصالح مرشح واحد أو أكثر منها فقط .

٤ — يمكن ان يأتلف حزبان او اكثر ويضعا — او تضع — معا قائمة انتخابية واحدة .

٥ — يوزع عدد الاصوات الصالحة على مئة ويكون الناتج هو عدد الاصوات التي تجعل من المرشح الاول في القائمة عضوا في الكنيست .

٦ — يقسم ما تحصل عليه القائمة من أصوات على الناتج من قسمة الاصوات الصالحة على مئة وعشرين ، ويكون الناتج هو عدد الاعضاء الناجحين من القائمة .

٧ — يوزع فائض الاصوات على القوائم بحسب حجمها ، وذلك بناء على قانون أقرته الكنيست مؤخرا وعرف هناك باسم « قانون بدر عوفر » وعارضته الاحزاب الصغيرة بشدة لانه في غير صالحها .

حتى الان تشير تطورات معركة الانتخابات الى ان تغيرات كثيرة قد طرأت وستطرأ على الاحزاب والكتل والتجمعات السياسية ، الامر الذي يذكر بما حصل على هذا الصعيد اثناء معركة الانتخابات العامة قبل الماضية .

اذ قبل تلك الانتخابات — التي جرت في نوفمبر ١٩٦٥ — انفصلت رافي عن حزب مباي ، وشكل ماباي مع احدوت همفودا ما عرف باسم «التجمع» ، وانشق المركز الحر عن حيروت ، والاحرار المستقلون عن حزب الاحرار ، وشكلت حيروت والاحرار كتلة غاحال . وانشق الحزب الشيوعي الاسرائيلي — ماكي ، حيث احتفظ جناح ميكونس سنيه باسم الحزب وعرف الجناح الاخر باسم القائمة الشيوعية الجديدة — راكاح ، وغير ذلك من انشقاقات وتحالفات .

ثم جاء العدوان في حزيران ١٩٦٧ ، واتجهت التطورات الحزبية اثر العدوان وعشية الانتخابات العامة سنة ١٩٦٩ نحو التجمع والتكتل . وانتهت حرب الاستنزاف سنة ١٩٧٠ لتبدأ الاحزاب بعدها مرحلة جديدة من التشرذم والتكتل في وضع اشبه ما يكون بخلط الاوراق ، وبرز هذا الاتجاه بشكل واضح في شهر تموز — يوليو الماضي .

كيف كان ذلك ؟

١ — على جبهة المعارضة غير اليمينية المتطرفة :

أ — انشقت حركة « هعولام هزي — قوة جديدة » التي كان لها عضوان في الكنيست هما أوري افنيري وشالوم كوهين ، وذلك في شهر شباط — فبراير الماضي ، وأقام كوهين مع « الفهود السود » تنظيما جديدا اسماه « الديموقراطيين الاسرائيليين » ورمزه « داي » .

ب — عقدت المنظمتان اليساريتان متسبين والاتحاد الشيوعي الثوري يوم ٧٣/٧/٢ مؤتمرا صحافيا اعلنتا فيه تأليف لائحة انتخابية برئاسة زامي ليفنة الذي أصدرت المحكمة الاسرائيلية حكما عليه بالسجن لمدة عشرة أعوام بتهمة العضوية في ما تسميه اسرائيل « شبكة التجسس والتخريب » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٧/٣) .

ج — انشق الحزب الشيوعي الاسرائيلي — ماكي، من جديد ، وتزعمت الانشقاق استر فيلنسكا . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٧/١٦) .

د — غير اوري افنيري اسم ما تبقى من حركته من « هعولام هزي — قوة جديدة » الى « المعسكر الراديكالي الاسرائيلي » ورمزه « ميري » ، وأعلن عن انضمام المنشقين من ماكي اليه وكذلك انضمام « سياح » و« نس » .

هـ — شكل ما تبقى من ماكي بزعامة ميكونس مع عدد ضئيل من أعضاء « سياح » السابقين وعدد من المحاضرين تجمعا منافسا لـ « ميري » اطلق عليه اسم « موكيد » بزعامة ضابط متقاعد في جيش الاحتلال هو العقيد مئير بعيل ويليه في القائمة شموئيل ميكونس . (معاريف ٧٣/٧/٢٣).

و — دعا دان ليئور — أحد أعضاء مبام البارزين — الى خلق حزب جديد يضم مبام وماكي وسياح ، ودعا ايضا الى خروج مبام من « التجمع العمالي » (معاريف ٧٣/٣/٢٣) .

٢ — على جبهة اليمين المتطرف :

أ — استقال العميد اريك شارون من جيش الاحتلال ، ودعا الى اقامة « تجمع مضاد » ينافس « التجمع العمالي » ويشكل معارضة قوية او بديلا محتملا لتأليف الحكومة المقبلة ، ويضم الى جانب غاحال المركز الحر والاحرار المستقلين والقائمة الرسمية .

ب — رفض الاحرار المستقلون دعوة اريك شارون، وأعلن السكرتير العام للحزب انهم يفضلون البقاء داخل الائتلاف الحكومي حيث يشكلون معارضة فيه على الانضمام الى « التجمع المضاد » . (معاريف ٧٣/٧/٢٦) .

ج — كشف حزب الاحرار المستقلين عن انه يبحث مع المركز الحر في اقامة تجمع يضمهما بالاضافة الى القائمة الرسمية لتشكيل قائمة جديدة . (معاريف ٧٣/٧/٢٦) .

د — اعلن شموئيل تمير ، زعيم المركز الحر ان اقامة التجمع المضاد الذي اقترحه اريك شارون أمر ممكن . (معاريف ٧٣/٧/٢٧) .

هـ — قبلت غاحال اقتراح شارون . (معاريف ٧٣/٧/٢٧) .

٣ — اما على صعيد حزب العمل الحاكم فقد ظلت الخلافات بين اجنحته المتعددة تبرز وتختفي ويتخذ كل تكتل منها مواقف معتدلة ومتطرفة بناء على قوة او ضعف الكتل الحزبية الاخرى التي تجمعه بها وجهة نظر او مطلب معين ، ومثلا حين أعلنت غاحال قرارها باقامة « التجمع المضاد » زاد اصرار دايان على مواقفه الاقرب الى سياسة غاحال ، وذلك ما فسره ران كسلف في هآرتس ٧٣/٨/١٠ ، على انه اطمئنان دايان الى قوة « التجمع المضاد » وامكان تشكيله مع رافي في حال انفصالها من جديد عن حزب العمل لكتلة برلمانية قوية تؤلف — مع غيرها — الحكومة المقبلة .

لكن ما يبدو واضحا حتى الان ، ان جميع هذه التطورات ما زالت غير ثابتة المعالم والاتجاه ، بل ان بعضها مما اقر نهائيا — مثل اقامة «ميري» — لم يزد عن كونه اتفاقا بشأن الانتخابات للهستدروت، وان كان مرشحا للاستمرار حتى الانتخابات البرلمانية العامة دون ان يقر ذلك رسميا .

رغم ذلك فان من الممكن ملاحظة ان الانشقاقات قد ضربت حتى الان التجمعات والاتجاهات اليسارية والمحسوبة على اليسار ، في حين ان اليمين المتطرف هو الآخذ في التكتل والتجمع .

ولقد لاحظ زئيف شطرنهل في معاريف ٧٣/٧/٦ ان كل « الشبكة السياسية تتحرك نحو اليمين » ، وبدا ذلك الاتجاه واضحا منذ حرب حزيران ، حيث ازدادت يمينية حزب مباي ، وانتهى حزب احدوت همفودا حيث شكل مع مباي حزب العمل، وانتهى دور حزب مبام الذي شكل مع حزب العمل « التجمع العمالي » ، وما زال هذا الاتجاه هو المسيطر وهو السمة الاساسية للتطورات السياسية على صعيد الاحزاب في اسرائيل .

ولعل أبرز ما يؤكد هذه الحقيقة ، مجموعة نتائج الاستفتاءات التي تجريها معاهد الاستفتاء للرأي العام في اسرائيل وتنشرها الصحف هناك . فقد تبين من استفتاء أجرته شركة نداف كينسان للاستفتاء ونشرته معاريف يوم ٧٣/٧/٢ ، ان ٧٣٪ من الذين وجهت اليهم أسئلة حول مصير الاراضي المحتلة « اعربوا عن رأيهم بضرورة خلق حقائق واقعة في الاراضي المحتلة مثل اقامة مستوطنات ومدن اسرائيلية وشراء أراض » .

ونشرت هآرتس يوم ٧٣/٨/٣ نتائج استفتاء أجرته مؤسسة « بوري » حصلت فيه غاحال (بعد تحويل الارقام الى أعضاء في الكنيست) على ٣٢ مقعدا أي بزيادة أكثر من ٢٣ ٪ وزاد المركز الحر من نائبين الى خمسة نواب اي بزيادة ٢٥٠ ٪ ، وخسر « التجمع العمالي » ستة من نوابه أي ما يعادل ١٢ ٪ تقريبا .

على صعيد آخر ازداد تواجد كبار ضباط جيش الاحتلال المتقاعدين في قوائم مرشحي الاحزاب والكتل السياسية للانتخابات البرلمانية العامة .

فبالاضافة الى العميد اريك شارون ترددت أسماء

عدد كبير آخر من العمداء والضباط من رتب أخرى ، وكان من ابرز هذه الاسماء خلال الشهر الماضي ، العقيد مئير عميت والعميد حاييم هرتسوغ والعميد عوزي نركيس ، وذلك طبعا بالاضافة الى غيرهم من الذين سبقوهم في دخول ساحة العمل الحزبي والسياسي ، مثل دايان وبارليف وألون ورابين وغيرهم كثيرين .

وقد انتقد عدد من الصحافيين الاسرائيليين هذا «الاحتلال» العسكري للمناصب والمواقع السياسية من قبل كبار ضباط الجيش ، من هؤلاء يهوشواع غلبوع في معاريف ٧٣/٧/١٣ ، وليفي اسحق هيروشلمي في معاريف ٧٣/٧/٢٤ الذي انتقد الاحزاب التي تهتم بضم الضباط الى قوائمها الانتخابية ، وتتجاهل رجال الفكر الذين كانوا في السابق هم الاكثر حظوة لدى واضعي قوائم المرشحين .

أخيرا نصل الى العرب في الارض المحتلة سنة ١٩٤٨ أي الذين لهم حق الانتخاب .

ان راكاح هي القوة الاكثر تنظيما والاكثر تأثيرا في هذا الوسط ، وهي القوة الوحيدة عمليا المتواجدة في الشارع العربي باستمرار وليس فقط في اثناء معارك الانتخابات مثل غيرها من الاحزاب التي تتنافس على أصوات العرب .

وقد نشرت جريدة عل همشمار سلسلة من ثلاثة مقالات كتبها عضو مبام العربي قاسم زيد ، تحت عنوان « كيف تعمل الاحزاب في القطاع العربي ؟ » ، وقال في الحلقة الاولى (عل همشمار ٧٣/٦/٢٦) ان عددا كبيرا من أصحاب حق الاقتراع العرب لا يخفون الخيبة من طريقة عمل حزب العمل القديمة. وانتقد بشكل واضح عدم قبول العرب أعضاء في حزب العمل ، وقال « ان حزب العمل سيفعل خيرا لو انه أعلن عن اقامة حزب توأم لانصاره العرب » . وجاء في الحلقة الثانية (عل همشمار ٧٣/٦/٢٨) « استغراب » زيد حصول الحزب الوطني المتدين على عدد من الاصوات في القطاع العربي تكفي لادخال مرشح الى الكنيست ، و« اكتشف » من ذلك حقيقة ان المصالح الشخصية هي الدافع وراء حصول هذا الحزب الوطني المتدين على أصوات العرب .

وفي الحلقة الثالثة (عل همشمار ٧٣/٧/٣) توصل قاسم زيد الى حقيقة ان راكاح هي القوة المنظمة الوحيدة في الوسط العربي داخل الارض المحتلة .

عماد شقور

(٦) القضية الفلسطينية عسكريا

المحاولة الفاشلة لخطف قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

في الوقت الذي تبدو فيه جميع الجبهات العسكرية العربية ــ الاسرائيلية هادئة ، تبرز جبهة الصدام الفلسطينية ــ الاسرائيلية نشطة لا تخلو من المفاجآت الدامية . وتمتد هذه الجبهة اليوم لتشمل الاراضي المحتلة ، والارض العربية المجاورة لاسرائيل ، وخاصة لبنان ، وكل بقعة من بقاع العالم . ويأتي هذا الاتساع الهائل لجبهة الصدام بين قوات الثورة الفلسطينية وقوات العدو من خواص ثلاث يتميز بها هذا الصراع : اولها وجود اكثر من نصف الشعب الفلسطيني خارج الحدود الجغرافية لارضه الاصلية بسبب سياسة التشريد المنهجية التي مارستها الصهيونية منذ عام ١٩٤٨. وتتمثل الخاصية الثانية في انتشار الاهداف الصهيونية الاقتصادية والسياسية التي ترتكز اليها قوة اسرائيل، وتوزعها في جميع أنحاء العالم. اما الخاصية الثالثة فهي الترابط العضوي بين الصهيونية ــ وهي حركة امبريالية من نوع جديد ــ والامبريالية العالمية ، ومحاولة الثورة الفلسطينية اضعاف الجزء عن طريق ضرب الكل .

ولقد كانت ج.ش.ت.ف. اول من طرح شعار « وراء العدو في كل مكان » واول من وسع جبهة الصدام ومدها الى مختلف ارجاء العالم مع الاستمرار في القتال داخل الارض المحتلة ، على **مسرح الصدام الرئيسي** بين قوى الثورة العربية بما فيها قوى الثورة الفلسطينية من جهة والقوى المضادة الامبريالية ــ الصهيونية ــ الرجعية من جهة اخرى . ثم اشتركت بعض المنظمات الاخرى في تسديد عدد من الضربات لاهداف تقع خارج الارض المحتلة واخرى تقع خارج الشرق الاوسط كله . وبرزت في هذا المضمار منظمة ايلول الاسود التي استهلت عملياتها بضربة موجهة الى احد عناصر الرجعية العربية (قتل وصفي التل في عام ١٩٧١) لتشن بعد ذلك **حرب عصابات عالمية** تمتد على كل بقعة من بقاع الارض .

ورد العدو على العنف الثوري التحريري الذي يمارسه شعب مضطهد مشرد يريد العودة الى ارضه وممارسة حقه بالحياة ككل شعب من الشعوب بعنف مضاد قمعي اشتركت به أجهزة اسرائيل ومؤسساتها الرسمية بالتعاون مع التنظيمات الصهيونية العالمية ، وامتدادات وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية في العالم العربي ، وفي العالم أجمع . ومقابل شعار « وراء العدو في كل مكان » رفع العدو شعار « وراء المخربين في كل مكان » . واذا كان الشعار الاول يعني ضرب افراد العدو ومؤسساته والحاق الاذى بمن يمدون له يد العون التي تساعده على التمادي بعدوانه ، والسعي في نهاية المطاف الى تدمير هياكل الدولة العنصرية ــ الفاشية ــ الامبريالية المعرقلة لتطور المنطقة ، وبناء دولة ديمقراطية تمارس دورها الحضاري ضمن اطار دول العالم ، فان الشعار الثاني يعني قيام دولة خارجة عن القانون الدولي ومتحدية له بضرب افراد ومنظمات الشعب الفلسطيني بغية ابادته واحتلال ارضه وشطبه من التاريخ ، وفرض سيطرتها على المنطقة العربية لابقائها خاضعة للنهب الامبريالي . وحتى لا يكون في هذا التمييز بين العنفين أية ذاتية يكفي ان نقدم مقياسا موضوعيا للحكم ، انه المقياس العالمي الذي يرد على السؤال : **من يؤيد ومن يدين ؟** ان العنف الثوري التحرري الفلسطيني يلقى تأييدا من مجموعة الدول الاشتراكية ، ومن دول عدم الانحياز ، ومن الشعوب المضطهدة الخاضعة لكل انواع العسف ، ومن القوى والشخصيات التقدمية داخل المعسكر الامبريالي نفسه، ومن بعض دول المعسكر الامبريالي الداخلة في تناقض جزئي مع الامبريالية الامريكية ، ومن جماهير الشعب العربي التواقة الى التحرر والتقدم . اما العنف القمعي المعادي فلا يؤيده سوى الامبرياليين اعداء الشعوب والمستفيدين من آلامها ومآسيها ، والرجعيين والعنصريين الذين يمارسون ضد شعوبهم أساليب القمع والاستغلال نفسها بما في ذلك الرجعيين العرب المتحالفين مع الامبريالية والعائشين على فتات موائدها .

وينعكس هذا المقياس العالمي الموضوعي على كل قرار تأخذه المنظمات الدولية (مجلس الامن ، هيئة الامم المتحدة ... الخ) وعلى كل موقف تتخذه المؤتمرات والمنظمات العالمية ، اذ تقف القوى المؤيدة للتحرر والتقدم الى جانب الثورة

الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني ، على حين تقف القوى القمعية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية الى جانب اسرائيل ومواقفها العدوانية التوسعية .

من وقف مع الثورة الامريكية ضد الاستعمار البريطاني ومن وقف ضدها ؟ من وقف مع الشماليين المؤيدين لتحرير العبيد في امريكا ومن وقف مع الجنوبيين ؟ من وقف مع الجمهورية الاسبانية ضد فرانكو ومن أيد فرانكو بالسلاح والخبراء والجنود ؟ من وقف ضد المانيا الهتلرية وايطاليا الفاشية ومن حارب ضدهما ؟ من دعم الكوريين والفيتناميين ومن ايد الامبرياليين تجار الحروب ؟ **من يقف مع خط سير التاريخ والتقدم ومن يسبح عكس القرار التاريخي ؟ هذا هو السؤال الذي يحدد طبيعة العنف العادلة وغير العادلة .**

ان قوات الثورة الفلسطينية تشن حرب عصابات تجابهها اسرائيل والامبريالية بحرب عصابات مضادة . وبمجابهة حرب التحرير الشعبية العربية طويلة الامد ستمارس اسرائيل والامبريالية الحرب المضادة طويلة الامد . ولقد أطلقنا صفة المضادة على أعمال اسرائيل والامبريالية ، لانها — بالمقياس التاريخي — جزء من الثورة العالمية المضادة الرامية الى قهر الشعوب. ان حرب العصابات الفلسطينية تجابه اليوم حرب عصابات مضادة اسرائيلية — امبريالية . وبين هاتين الحربين فرقان : اولهما - ان حرب العصابات الفلسطينية تقوم بها جماهير شعب نام ، وتستخدم فيها تكتيكات ووسائط تتناسب مع امكاناتها المحدودة وموازين القوى المائلة (حاليا) ضدها . على حين ان حرب العصابات المضادة الاسرائيلية — الامبريالية عبارة عن عمليات تقوم بها دولة بكل أجهزتها ومؤسساتها والاجهزة والمؤسسات الامبريالية والصهيونية الداعمة لها ، وتستخدم فيها تكتيكات ووسائط تتناسب مع امكاناتها المادية الكبيرة ، وموازين القوى المائلة (حاليا) لصالحها ، وهامش حرية العمل العريض الذي تقدمه لها واشنطن . الامر الذي رفع « القرصنة الجوية في اسرائيل الى مستوى سياسات الدولة » (وكالة تاس السوفييتية ١٣/٨/١٩٧٣). اما الفرق الثاني بين حربي العصابات فهو ان حرب العصابات الفلسطينية حرب عادلة وحرب العصابات الاسرائيلية — الامبريالية حرب غير عادلة — بالمنظور التاريخي — حتى لو كان وراءها كما تدعي اسرائيل هدف أمني او دفاعي . فالدفاع لا يعطي الحرب بالضرورة شرعية وعدالة وخاصة اذا كان الدفاع يتم لحماية مكتسبات عدوان سابق، لان الدفاع في هذه الحالة يكون استمرارا للعدوان وجزءا لا يتجزأ منه . « ... وبصورة عامة فان الحرب مشروعة من جهة الامة المضطهدة (سواء كانت الحرب على الصعيد العسكري هجومية ام دفاعية) » (لينين، المؤلفات الكاملة، الجزء ٣٥). ضمن هذا الاطار ينبغي النظر الى حادثة خطف طائرة الركاب المدنية التابعة لطيران الشرق الاوسط من قبل طائرات سلاح الجو الاسرائيلي في ١٠/٨/١٩٧٣ والذي كان يستهدف « اعتقال قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » (حديث وزير الدفاع الاسرائيلي موشي دايان في ندوة تلفزيونية بتاريخ ١١/٨/١٩٧٣) . واذا شئنا تقييم العملية من مختلف الوجوه وجدنا انها انتهت بفشل ذريع على كافة الاصعدة ، رغم تبجحات موشي دايان الذي قال « ان العملية لم تكن فاشلة على رغم ان قادة الجبهة الشعبية لم يكونوا على الطائرة » ... « ان الهدف الذي اخترناه لانفسنا هو الهدف الذي قمنا بتحقيقه » (الندوة التلفزيونية المذكورة آنفا .

ويكمن الفشل على صعيد المهمة نفسها في انها لم تحقق هدفها ، اذ لا يزال قادة ج.ش.ت.ف. في قواعدهم وبين جماهيرهم يمارسون أدوارهم على طريق التحرير والعودة . كما ان فشل العملية الذي هو في جوهره فشل للاستخبارات الاسرائيلية هز الصورة التي حاول العدو ان يرسخها في اذهان العالم لعملياته « الدقيقة المدروسة بعمق » ولاجهزة استخباراته « القوية القادرة التي لا تخطىء » بالاضافة الى اهتزاز ثقة القيادة الاسرائيلية نفسها « بنقاء » أجهزة استخباراتها « المطلق » ، واضطرارها لوقفة مراجعة قد تهز أجهزة الاستخبارات هذه من جذورها وتزرع الشك بين افرادها وتعرقل عملها لامد غير قصير .

ويبدو ان الفشل الذي أصاب العدو أكبر بكثير على صعيد السياسة الدولية ، وبالرغم من ان جميع انعكاسات هذا الفشل السياسي — محليا ودوليا — لم تظهر حتى الان فان بوسعنا ان نحدد مبدئيا الانعكاسات التالية :

١ — فقدان اسرائيل لكل حججها الخاصة بمحاربة

« القرصنة الجوية » ، واضطرارها الى الصمت والتوقف عن مطالبة العالم بالحد من هذا النوع من العمليات الموجهة ضدها طالما انها تمارس العمل نفسه كدولة . فلقد استهجنت صحيفة **الفيغارو** الفرنسية عملية خطف الطائرة مع ان زعماء اسرائيل « لم يترددوا قبل بضعة اسابيع في التنديد بشدة بمثل هذه الوسائل » (الفيغارو ١٩٧٣/٨/١١) . وقالت جمعية الطيارين المدنيين البريطانية بان اعتراض الطائرة اللبنانية كان « مخالفا تماما للتعهدات التي قدمتها اسرائيل دوليا عن طريق فريق الطيارين بمنع انتهاك المجالات الجوية واعمال القرصنة » وذكر غوردون هيلي الناطق باسم الجمعية « انه يجعل بياناتهم [أي الاسرائيليين] في المكسيك في شهر كانون الاول الماضي عندما أيدوا قرارا بفرض عقوبات على البلدان المسؤولة عن أعمال شبيهة بالعمل الذي حدث تافهة » (**النهار** ١٩٧٣/٨/١٢) . وذكرت صحيفة **الاوبزرفر** البريطانية « انه ليس في امكان أي جانب من الجانبين مواصلة هذه الحرب دون المخاطرة بقتل او اصابة بعض الابرياء واشاعة الفوضى في المواصلات العالمية . وهو تصرف خطير للغاية عندما يصدر عن حكومة وليس عن مجموعة من الارهابيين » (الاوبزرفر ١٩٧٣/٨/١٢). وقالت **الغارديان** ان هذه العملية «تنسف طلب اسرائيل اتخاذ اجراءات ضد البلدان المتورطة في خطف الطائرات » (**الغارديان** ١٩٧٣/٨/١٣).

وبالرغم من تأييد العديد من الصحف الاسرائيلية للعملية فقد شككت صحيفة **هوميد** بادعاءات مخططي عملية اعتراض الطائرة وأكدت ان عملية اسرائيل من شأنها ان تشكل أسبقية سيئة نظرا لان « من المحتمل ان تستخدم كذريعة للمخربين [منظمات الثورة الفلسطينية] لمواصلة عملياتهم دون استطاعة اسرائيل ان تحصل على تأييد دولي في صراعها » (رصد اذاعة اسرائيل ملحق العدد ٢٩٤ ، ١٩٧٣/٨/١٣) . وانتقدت صحيفة **هآرتس** مخططي العملية الذين « أهملوا الحقيقة ان دولة اسرائيل تشن منذ نحو اربع سنوات حملة سياسية ضد اختطاف الطائرات » ثم اضافت « ان الاذى الذي سيلحق باسرائيل في أعقاب هذه العملية هو انها ستخسر صورتهما في اذهان الناس على انها الدولة التي تحترم حرية الطيران المدني الدولي » (**هآرتس** ١٩٧٣/٨/١٢). وقالت صحيفة **عل هامشمار** ان «العملية ستظهر في العالم كأنها هجوم على حرية الطيران المدني ، تلك الحرية التي تقاتل اسرائيل من أجلها » (١٩٧٣/٨/١٢) . وتساءلت صحيفة **القدس** « كيف يمكن تفسير التناقض بين رغبة اسرائيل المعلنة في وجود طيران مدني سلمي وأعمالها ضد طائرات الركاب المدنية » (١٩٧٣/٨/١٢) .

وتزداد صعوبة الموقف الاسرائيلي وحراجته من سوء اختيار الهدف . فلقد حددت العملية هدفها باعتقال قادة ج.ش.ت.ف. على اعتبار ان هذا الاعتقال يبرر الخطف ويحمي على المدى البعيد أمن المواصلات الجوية طالما ان هذه الجبهة تمارس عمليات خطف الطائرات وتعرقل المواصلات الجوية وتهدد حياة وأمن المسافرين المدنيين الابرياء . ولكن المخططين الذين يدعون امتلاك العصمة وحسن التقدير نسوا ان ج.ش.ت.ف. قد توقفت عن عمليات التعرض للخطوط الجوية منذ أمد بعيد ، وأقلعت عن استخدام هذا الاسلوب (التكتيك) الذي يعرض المدنيين للخطر رغم استمرارها في التمسك باستراتيجية ضرب الاهداف الامبريالية والصهيونية والاسرائيلية في كل مكان . ففي حديث مع تريفور جونز أحد محرري اليونايتدبرس بتاريخ ١٩٧٣/٨/١٢ قال الدكتور جورج حبش الامين العام لـ ج.ش.ت.ف. ردا على سؤال المحرر حول وجهة نظره عن عمليات خطف الطائرات عموما خاصة وان ج.ش.ت.ف. كانت احدى رائدات اعمال الخطف الجوي فقال : « ـ هذا صحيح . نحن بالفعل كنا الرواد في هذا المجال . ولكن بعد ذلك وجدنا ان اصدقاءنا في أنحاء العالم لا يستطيعون ان يفهمونا ولا يستطيعون ان يفهموا حقنا في استخدام مثل هذه الوسائل بسبب حربنا الخاصة ووضعنا الخاص كشعب فلسطيني . ولذا فاننا بعد ذلك توقفنا عن هذه الاعمال . انتقدنا أنفسنا وكنا صريحين مع أنفسنا . كنا صريحين مع شعبنا وكنا صريحين مع الناس في كل العالم . لكن اسرائيل لم تكن صريحة . لقد كانت اسرائيل تستنكر ذلك دائما . وتدعو العالم الى اتخاذ اجراءات . وانتم ترون ماذا يحدث . لقد أوقفنا الخطف في حين ان اسرائيل التي كانت تستنكر الخطف ، تمارسه الان . أعتقد ان اسرائيل والمستر نيكسون يجب ان يشعرا بالعار بعد الان بحيث لا يتحدثان عن الارهاب والخطف » (**النهار** ١٩٧٣/٨/١٣) .

وكان الدكتور جورج حبش الامين العام لـ ج.ش.ت.ف. قد اوضح موقف الجبهة من خطف الطائرات قبل ذلك . ففي المؤتمر الصحفي المنعقد بتاريخ ١٩٧٢/٣/١٤ رد الدكتور حبش على سؤال حول مدى تمسك الجبهة بقرارها الخاص بايقاف عمليات خطف الطائرات بقوله : « ... غير اننا بالنسبة لاي خط من خطوطنا التكتيكية والاستراتيجية فاننا نتمتع دائما بالقدرة على مراجعة هذا الخط على ضوء ما تعززه الممارسة من نتائج ، وبالنسبة لهذا الخط بالذات ، خط خطف الطائرات ، وجدت لدى زيارتي لعدد من البلدان الاشتراكية ان هذا الموضوع — المفهوم من قبلنا وقبل جماهيرنا — ليس مفهوما من قبل اصدقائنا . ان تحالفاتنا الثورية العالمية موضوع اساسي جدا بالنسبة لنا، واننا لا نستطيع ان نتصور قدرتنا على الانتصار على معسكر اسرائيل والامبريالية والصهيونية والرجعية الا من خلال كونه جزءا لا يتجزأ من معسكر الثورة العالمية المعادي لمعسكر الامبريالية. وعلى ضوء ذلك ، وحرصا على تحالفاتنا ، خاصة تحالفاتنا الثورية الدولية ، وقفت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في دورة اللجنة المركزية المنعقدة في ١٩٧١/١١/٥ امام الموضوع بالذات . واتخذت قرارا بايقاف هذه العمليات » (الهدف ١٩٧١/٣/١٨) .

هكذا حددت الجبهة موقفها من مسالة خطف الطائرات منذ أكثر من سنتين ، ثم أكد الامين العام لـ ج.ش.ت.ف. هذا الموقف في حديثه مع مجلة **الاخبار** الاسبوعية الناطقة بلسان الحزب الشيوعي اللبناني في مطلع آب ١٩٧٣ أي قبل المحاولة الاسرائيلية الفاشلة باسبوع واحد عندما قال : « لقد استبعدنا خطف الطائرات من عملنا السياسي منذ ١٩٧١ » ، ولكن يبدو هذه المرة ان المسؤولين الاسرائيليين هم الذين لا يقرأون .

٢ — تعرضت الحكومة الاسرائيلية لحملة نقد داخلية تحمل ، رغم محدوديتها ، دلالات هامة . فلقد انتقد اسحق شاكيد رئيس جمعية الطيارين المدنيين الاسرائيلية اعتراض الطائرات الحربية لطائرة الركاب اللبنانية ، وقال في مقابلة اذاعية في ١٩٧٣/٨/١٢ « انه لا يستطيع الموافقة على العمل الذي قامت به الطائرات الحربية الاسرائيلية بوجه الجمعة الماضي لان بواعثها هي في طليعة الجرائم التي ترتكب باسم الطيران وأية أعمال (الفرق تسد) الى الطيران المدني » (بالعبرية

١٩٧٣/٨/١٣) . وايد اسحق بن أهارون الامين العام للتجمع العمالي « هستدروت » موقف شاكيد. وهاجم النائب أوري افنيري وزير الدفاع موشي دايان وحمله مسؤولية خطف الطائرة اللبنانية وقضية بوشيكي الذي اغتاله عملاء اسرائيليون في النرويج واسقاط الطائرة الليبية فوق اراضي سيناء . وانتقدت صحيفة **هآرتس** العملية ونعتتها بانها « حرب من دون اعتبارات سياسية » (**هآرتس** ١٩٧٣/٨/١٢) . ووصفت صحيفة **القدس** العربية الصادرة في مدينة القدس العمل الاسرائيلي بانه « يشكل تصعيدا للنشاط ضد الطائرات المدنية وخطرا على الامن العام والفردي في الشرق الاوسط» (تلقته النهار ١٩٧٣/٨/١٣). ونديد الحزب الشيوعي الاسرائيلي بالعملية في بيان رسمي أكد فيه « ان اختطاف الطائرة المدنية اللبنانية بركابها الثلاثة والثمانين هو عمل من أعمال الغانغستر الدولية ، وهو عمل اجرامي عرض للخطر حياة الركاب ، ويشكل انتهاكا فظا للقوانين الدولية » (وكالة تاس ، ١٩٧٣/٨/١٣) . ومن المنتظر تفاعل العملية داخل اسرائيل أكثر فأكثر عندما ستظهر نتائجها الدولية السلبية بوضوح ، وعندما ستلاحظ القوى الواعية في اسرائيل ان أجهزة اسرائيل الدبلوماسية والسياسية والاعلامية موظفة لتبرير التصرفات الطائشة المغامرة لعدد من المهووسين العسكريين والمدنيين في الحكومة الاسرائيلية .

٣ — تدهور سمعة اسرائيل كدولة ، وانخفاض مستوى مصداقية ادعاءاتها حول طبيعتها الحضارية واحترامها للقوانين الدولية . ولقد نددت صحف العالم بالعملية ووصفتها بانها « قرصنة جوية » و « عدوان على أمن الطيران وسلامته » ، و « تحد للقوانين الدولية » ، و« اجرام على مستوى الدولة » ، و « عمل مهين لمبدأ الامن المعترف به عالميا » و « عمل أحمق وغير قانوني »، و « عملية لا يمكن للعقل تحملها » . وشجبت اتحادات الطيران الدولية — بما في ذلك اتحاد الطيران الامريكي — العملية وادانتها واعتبرتها « جرما ليس له ما يبرره » . وصرح الكابتن تشارلز جاكسون الامين التنفيذي للاتحاد الدولي لجمعية الطيارين المدنيين (الذي يضم ٥٠ الف عضو) ان الاتحاد « يستنكر في شدة الاعتراض المذكور الذي يبدو انتهاكا صارخا لميثاق لاهاي

الذي يستنكر استخدام القوة او التهديد بها ضد الطيران المدني » ولاحظ انه يبدو ان الاستيلاء على الطائرة التي أجبرت على الهبوط في اسرائيل « مخالف للتعهدات التي أعطتها اسرائيل بعدد مقتل ١٠٨ أشخاص عندما أسقطت الطائرات الاسرائيلية طائرة ركاب ليبية فوق صحراء سيناء في شهر شباط الماضي » (النهار ١٩٧٣/٨/١٢ عن وكالات الانباء) .

وكانت ردة الفعل العالمية ضد العملية كبيرة ، اذ استنكرت جميع الدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز هذا العمل الاجرامي ، ولم تقصر الدول الغربية — بما في ذلك الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية واوستراليا — في التنديد باسرائيل ؛ ولسنا ندري اذا كانت حكومات جنوب افريقيا ، والاردن ، وروديسيا قد نددت أيضا ام انها لا تزال تفكر بذلك[!] علما بأنها كانت « سباقة » دائما لاستنكار عمليات المنظمات الثورية الفلسطينية المشابهة ضد الاهداف الاسرائيلية او الامبريالية . وفي ١٩٧٣/٨/١٥ أقر مجلس الامن بالاجماع ادانة العملية وأرفق ادانته بتحذير يؤكد « ان المجلس في حال العودة الى مثل هذا العمل سيفكر في اتخاذ القرارات او الاجراءات الملائمة التي تكفل تنفيذ قراره » (النهار ١٩٧٣/٨/١٦) . وتحمل هذه الادانة أهمية خاصة نظرا لان الولايات المتحدة الامريكية شاركت بها بعد أن أسقطت من مشاريع القرارات المقدمة كل الفقرات المتعلقة بفرض عقوبات رادعة على اسرائيل رغم ميل معظم الوفود الى اتخاذ مثل هذا القرار ، واضطرارهم للتخلي عنه خوفا من الفيتو الامريكي . وهكذا ، ورغم جسامة الجرم وتلبس المجرم ، وقف الغطاء الامريكي كالعادة حاجزا أمام ارادة العالم. ووقف العالم مرة أخرى عاجزا عن معاقبة اسرائيل لخطفها طائرة مدنية بعد أن وقف عاجزا عن معاقبتها لخطف بلد وتشريد شعب . ولكن هذا لا يعني ان الاثار السلبية للعملية الفاشلة ستكون صغيرة ، بل ان من المؤكد انها ستكون اكبر بكثير من توقعات الحكومة الاسرائيلية التي تتبجح بأنها درست على أعلى مستوى تفاصيل العملية ، واحتمالات تطورها ، والانعكاسات التي يمكن ان تنجم عنها . ولسنا نملك الان ، ولن نملك قبل مدة طويلة ، معلومات دقيقة عن المناقشات التي دارت داخل الحكومة الاسرائيلية قبل اتخاذ القرار . ولكن بوسعنا تصور عوامل القرار كما يلي :

١ — العوامل السلبية :

— ردود الفعل العالمية على عملية الخطف حتى في حالة النجاح (ولا شك ان اسرائيل المعتادة على مجابهة الرأي العام العالمي بالاعمال المثيرة والامر الواقع ، والمعتمدة على الغطاء الامريكي قد قللت من قيمة هذا العامل) .

— ردود الفعل العربية بعمليات مماثلة (يبدو هنا ان عدم وقوع رد عربي على عملية اسقاط الطائرة الليبية قد شجع الاسرائيليين على تجاهل هذا العامل) .

— ردود الفعل العربية والعالمية في حالة رفض الطيار للانصياع الى الاوامر واضطرار الطائرات العسكرية الاسرائيلية الى اسقاط الطائرة . (هنا يبدو ان اعتماد الاسرائيليين على خضوع قائد الطائرة للتهديد خوفا من ان يكون مصيره كمصير طياري الطائرة الليبية قد شجعهم على تخفيض قيمة هذا العامل) .

— رد فعل الثورة الفلسطينية (ان هذا العامل موجود دائما في احتمالات اسرائيل سواء تمت العملية أم لم تتم نظرا لحالة الصراع المسلح القائمة والمستمرة بين قوات الثورة الفلسطينية بكافة فصائلها وقوات الاحتلال الصهيوني) .

٢ — العوامل الايجابية :

— ضخامة الهدف بالنسبة للمخاطرة (السياسية) التي يمكن أن تنجم عنه .

— دقة المعلومات التي تؤكد وجود الهدف المطلوب وتؤكد نجاح العملية الامر الذي يخفف من السلبيات امام العالم المستعد لاستخدام « المقياس المزدوج » ، والتساهل أمام « العبقرية » القادرة على تنفيذ الاعمال المظهرية الناجحة .

— عدم وجود أية مخاطرة عسكرية نظرا لانفتاح الاجواء اللبنانية امام الطيران الاسرائيلي الذي يخترق حرمة هذه الاجواء بصورة منهجية شبه يومية . ولقد اعترف المراسل العسكري لصحيفة **جيروزاليم بوست** ان من الاسباب التي بررت العملية في نظر السلطات الاسرائيلية « البساطة الشديدة التي يتسم بها تنفيذ المخطط باعتبار ان اجواء لبنان غالتة وان الطائرات الاسرائيلية تتجول فيها باستمرار دون أن يصيبها حجر » (المحرر ١٩٧٣/٨/١٤) .

— امكانية اتمام العملية بسرعة لا تسمح للطيران

السوري بالتدخل في الوقت الملائم ، والقدرة على التصدي له اذا ما تدخل بواسطة الدوريات المعادية التي تحدث عنها بلاغ وزارة الدفاع اللبنانية بتاريخ ٧٣/٨/١٠ والتي كانت تحلق خلال العملية فوق مرجعيون وصيدا وصور والدامور وفوق البحر على ارتفاعات متفاوتة (النهار ٧٣/٨/١١).

ويبدو من عناصر اتخاذ القرار ان العملية لم تكن باعتقاد اسرائيل مغامرة سياسية او عسكرية شائكة ، ولم تكن تدخل في جملة **اعمال المخاطرة** ، او حتى أعمال **المخاطرة المحسوبة** ، واذا كنا لا نتفق تماما مع التقييم السياسي الاسرائيلي فاننا نجد تقييمها العسكري صحيحا لا خلل فيه . وهذا ما يجعلنا نضع العملية كلها في اطار استغلال اسرائيل للتفوق الاستراتيجي ، والشلل العربي الناجم عن ضعف ارادة القتال ، بغية القيام بعمليات تكتيكية ناجحة سلفا ولا تحمل في توقعاتها أي احتمال للفشل او المخاطرة .

ومن المعروف ان اتخاذ قرار المعركة يستند الى حساب احتمالات الخسارة والربح مع وضع هامش حيطة للمناورة . ولا يزج القائد بقواته في المعركة الا بعد ان يضمن بأن الربح المنتظر — ماديا ومعنويا — سيعوض الخسارة المنتظرة. وهو يبالغ الى حد ما في تصور المخاطر والخسائر ، ويصغر حجم الربح المنتظر ليضمن لنفسه هامش المناورة. فان وجد ان الخسائر المتوقعة اكبر من الربح المنتظر ، ورأى ان الربح في حالة النجاح عاجز عن تعويض النتائج المادية والمعنوية الناجمة عن الخسائر ، أوقف العملية او لجأ الى الابتكار أو الخداع او المفاجأة بأنواعها لتقليل الخسائر وزيادة احتمالات النجاح . ولقد قام الاسرائيليون ولا شك بكل هذه الحسابات ، وكان تقييمهم العسكري دقيقا لا غبار عليه ولكنه محروم من الافق السياسي. وقد تثبت الايام القليلة المقبلة مدى انعكاس هذا الخطأ السياسي على اسرائيل وخاصة بعد الفشل المهين الذي حاق بالعملية كلها .

وما دمنا في معرض الحديث عن القرار الاسرائيلي فان علينا ان نتحدث عن خلل في التفكير الكامن وراء هذا القرار . ويتمثل هذا الخلل في اعتقاد مخططي حرب العصابات الاسرائيلية المضادة بأن ضرب قيادات الثورة الفلسطينية سيشل هذه الثورة ويجعلها عاجزة عن متابعة الصراع .

ان للقيادات ولا شك مكانة هامة وتأثيرا كبيرا ، وتلعب الكفاءات القيادية والكاريسما القيادية دورا بارزا في استقطاب الجماهير ودفع الحركة الثورية وسلامة خططها السياسية والعسكرية . وبالرغم من اهمية القيادات الثورية ودورها الطليعي فان من المؤكد ان غيابها لا يوقف الثورة الجماهيرية ولا يحد من اندفاعها ، بل قد يؤدي على العكس الى تأجج جذوة النضال وارتفاع مستوى الحقد على العدو. وقد يؤثر ضرب الزعماء على الانقلابات ، او العصابات الصغيرة او الانتفاضات البلانكية المعتمدة على النخبة ، او البؤر الثورية التي لم تتبلور بعد ولم تتغلغل بين الجماهير . ولكن الثورة الفلسطينية حركة جماهيرية تغلغلت في كل قرية ومدينة ومخيم داخل الارض المحتلة وخارجها . ولقد تجاوزت هذه الثورة تنظيميا وجماهيريا مرحلة النواة الثورية ، وأصبحت جزءا من حياة الشعب الفلسطيني الرافض للاحتلال الاسرائيلي والاوضاع العربية التي أدت الى هذا الاحتلال . وهي تملك من الناحية التنظيمية صفوفا قيادية اولى وثانية وثالثة ... الخ . وكلما سقط صف حمل لواء النضال الصف الذي يليه . ويعرف كل قائد ثوري ان حمل السلاح ضد العدو يعني ان حياته لم تعد ملكه ، وانه قد يقدمها في كل لحظة على درب النضال الطويل والشاق . الامر الذي يجعل تهديد العدو بقتله جزءا من حياته اليومية ، وأمرا اعتاد عليه ولم يعد يشكل بالنسبة له اي ردع معنوي . وليس في الثورة الفلسطينية — او أية ثورة أخرى — قائد واحد يعتبر ان حياته تساوي أكثر مما تقدمه هذه الحياة من دفع للثورة خلال وجوده ، ومما تقدمه للجماهير من مثل عند استشهاده . وينبع حرص القائد الثوري على حياته من حرصه على كل ما هو ثمين في الثورة ، كما تنبع تضحيته بهذه الحياة عند اللزوم من قناعته المسبقة بأن حياته لم تعد ملكا له ، وان عليه ان يقدمها بكل رضى ما دام ذلك يعني خدمة الثورة .

وبالاضافة الى جماهيرية الثورة الفلسطينية ، ووجود الصفوف القيادية المتعاقبة ، واستعداد القادة الثوريين لتقديم أرواحهم كضريبة قبلوها عندما رفضوا القهر وحملوا السلاح ، فان ضخامة هدف الرهان — ان يكون الشعب الفلسطيني او لا يكون — يجعل سقوط اي قائد على الطريق عاجزا عن ايقاف المد الشعبي الجارف والحماسة المتصاعدة ضد العدو .

هنا يكمن الخلل في اعتقاد الفاشيين الاسرائيليين بأن قتل زعماء الثورة الفلسطينية الحاليين سيوقف الثورة . لقد كان من الممكن توقف الثورة الكوبية — مؤقتا — في عام ١٩٥٦ لو ان فيدل كاسترو وتشي جيفارا ورفاقهما الاوائل استشهدوا عند نزولهم على الشاطىء الكوبي ، او عندما كانوا نواة ثورية صغيرة في السيرا مايسترا . ولقد تعثرت الثورة في بوليفيا بعد استشهاد ارنستو تشي جيفارا في عام ١٩٦٧ وتشتت بؤرته الثورية التي لم تستطع تحقيق التلاحم الكامل مع الجماهير وبقيت نواة صغيرة متحركة في الادغال البوليفية . ولكن القمع القيصري بعد ثورة ١٩٠٥ وقتل زعماء الثورة الروسية وسجنهم ونفيهم الى سيبيريا وتشريدهم في أوروبا وأمريكا لم يمنع اندلاع ثورة فبراير ١٩١٧ ، كما ان اختطاف الفرنسيين لطائرة تحمل عددا من زعماء الثورة الجزائرية في عام ١٩٥٦ لم يوقف الثورة من السير على طريق النصر رغم خسارة مجموعة من خيرة قادتها . فلقد اتسمت هاتان الثورتان بأنهما ثورتا الجماهير العريضة التي كان للزعماء فيها فضل التوجيه والقيادة وضبط النبض دون ان يكونوا عمادها الوحيد الذي لا غنى عنه . ولا تخرج الثورة الفلسطينية عن هذه القاعدة . فهي ثورة شعب صمم على النضال لانتزاع حقه وتحرير أرضه . وسيتابع هذا الشعب مسيرته مهما استشهد على الدرب من قيادات . هذا أمر يؤكده تاريخ ثورات الشعوب ، ولكن مخططي العمليات المضادة في تل أبيب يتجاهلون أبسط حقائق التاريخ ، وقد يكون هذا التجاهل الاحمق أحد مقاتلهم .

لقد انتهت عملية القرصنة الجوية الى فشل . هذا ما تؤكده الحقائق الصارخة الا اذا كان الهدف من العملية كلها «تخويف» قادة الثورة الفلسطينية[!!] وافهامهم بأن اسرائيل ستلاحقهم في كل مكان . ولكن التخويف لا يجدي مع من يعتبرون الخطر خبزهم اليومي ، كما ان الاقناع بقدرة اسرائيل على المطاردة في البر والبحر والجو أمر لا يستحق كل هذه المغامرة السياسية وما تحمله من عواقب داخلية وخارجية .

وبالرغم من فشل العدو بفضل تدبير قادة ج.ش.ت.ف. الذي لم تعلن الجبهة عن دوافعه ، فان من حقنا ان نتساءل كيف عرفت استخبارات اسرائيل موعد سفر القادة وخططت العملية على اساسه ؟ ان من المؤكد ان الثورة الفلسطينية تعلمت على صعيد الامن الكثير من دروس الماضي ، ولكن من المؤكد ايضا انه لا يزال في أمنها — وخاصة في لبنان — ثغرات لا بد من سدها بتدابير تطبق قواعد السرية والامن والحيطة التي أصبحت علما له أصوله المستوحاة من تجارب الحروب السرية في العالم . مع الاخذ بعين الاعتبار لخصائص الوضع الامني في لبنان (كثرة الاجانب وحرية تنقلهم واقامتهم في بلد سياحي ، نشاط الاستخبارات الامريكية والتسهيلات التي تقدمها له مؤسسات ديبلوماسية وثقافية واقتصادية أجنبية وقواعد اجتماعية — اقتصادية محلية ، حجم جهاز الامن وطبيعة اعداده ... الخ) تلك الخصائص التي تفرض على الثورة الفلسطينية تطبيق تدابير الامن المستخدمة في **منطقة غير أمينة ومعرضة لتغلغل معادي نشط** .

وبالاضافة الى كل هذه التدابير فان من التدابير الملحة المطروحة اليوم خلق **جهاز توقع** يضم عدة أشخاص مختصين ومؤهلين ، مهمتهم دراسة فكر قادة العدو، وتكوينهم النفسي، وأسلوب محاكمتهم العقلية ، وردود فعلهم ، وأساليبهم في العمل ضد قوات الثورة . والاستناد الى المعلومات والخيال والاستنباط لتوقع مما يمكن ان يبتكره العدو من أساليب جديدة ، ودراسة تدابير الامن الموجودة حاليا والتي ينبغي اتخاذها للرد على الاخطار المحتملة من كل نوع . ولا يمكن لهذا الجهاز ان يعمل بفاعلية الا اذا نظر بعيني العدو، وفكر بعقله ، واستخدم خياله ، ووضع نفسه مكانه ، ورسم ما يمكن ان يرسم العدو نفسه من خطط لضرب الثورة وقواعدها وقادتها ومؤسساتها ، ثم حدد التدابير الكفيلة باحباط هذه الخطط .

ان العملية الاسرائيلية الفاشلة حلقة واحدة في سلسلة التدابير المعادية المضادة ضد الحلقة العربية الاضعف ماديا (لبنان والثورة الفلسطينية). وستستمر هذه السلسلة ، وقد تتصاعد عملياتها وتزداد عمقا مع الابتكار الدائم لاساليب جديدة ، مع هامش مناورة واسع لا يحده ضغط دولي فعلي (عقوبات) أو استعداد قتالي عربي رادع . وسيبقى الوضع كذلك ما دامت الجبهة الشرقية لم تقم رغم محاولة الدكتور حسن صبري الخولي الممثل الشخصي لانور السادات الذي صرح بعد زيارة لسوريا دامت ثلاثة ايام وزيارة الاردن لمدة اربعة ايام بأنه كان يسعى الى « تجميع الطاقات

من اجل شيء واحد نعمل له في مصر على كافة المستويات وهو المعركة » (المحرر ١٤/٨/٧٣) ، وما دام الهدوء يسود الجبهة المصرية ، وما دامت القوات المسلحة اللبنانية (الجيش وقوى الامن) لم تطبق بعد خطة دفاعية تحد من حرية حركة قوات العدو على أراضي لبنان وفي سمائه وفوق مياهه الاقليمية ، وما دامت الدول العربية الاخرى لا تستخدم كل أسلحتها العسكرية وغير العسكرية للحد من حرية الحركة السياسية المعادية المغطاة بالدعم الامريكي .

لقد تحدث الدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية المصرية بعد العملية عن ضرورة اتخاذ « رد عربي رادع » (المحرر ١٤/٨/١٩٧٣) ، وكان الفريق أول احمد اسماعيل علي وزير الحربية المصري والقائد العام للقوات المسلحة قد اعلن في ٢٢ تموز ١٩٧٣ « ان القوات المسلحة تقف مستعدة لتحرير الارض متمسكة بأن ما اخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة » (النهار ٢٣/٧/١٩٧٣) فاذا أخذنا هذين القولين بمعناهما وحجمهما الكاملين وجدنا ان الارادة السياسية تتطلب العمل العسكري ، وان الجهاز العسكري يعلن عن وجود القوة [الاداة] اللازمة لهذا العمل والمستعدة له. ويبقى ان تنسجم الارادة السياسية مع الحقيقة العسكرية المعلنة ويبدأ العمل العسكري كاستمرار للسياسة بوسائل أخرى عنيفة بعد أن فشلت الوسائل الاخرى باعتراف وزير الخارجية الذي يطالب بعمل رادع — عسكري أساسا .

اما الخطة الدفاعية اللبنانية ، وتقوية الجيش اللبناني فأمر لا يزال في مضمار التمنيات والافكار ، وهو محط اهتمام القوى السياسية اللبنانية التي تتحاور حوله منذ أمد بعيد . ففي الوقت الذي يطالب به الرئيس كميل شمعون رئيس حزب الوطنيين الاحرار بـ « سياسة دفاعية شاملة »... و« تخطيط حديث لانشاء جيش حديث » ... و« اسلحة ثقيلة مهما كان مصدرها والى سلاح حديث يضاهي بجودته السلاح الموجود بين أيدي العدو الاسرائيلي بنوعيته وفاعليته » (النهار ٥/٨/١٩٧٣) ، فاننا نجد قوى سياسية لبنانية تتخوف من مثل هذه الخطوات ، وتخشى تحول الجيش [في الواقع الاجتماعي — الاقتصادي — السياسي اللبناني الحالي] الى قوة قمع اكبر وأكثر فاعلية ، او قوة انقلابية تفقد البلد استقراره . وبالرغم من مطالبة الاستاذ كمال جنبلاط الامين العام للحزب التقدمي الاشتراكي بتدعيم الدفاع وحماية الثورة الفلسطينية فانه يرى ان دور الجيش مرتبط بطبيعة النظام — فالجيش صورة عن النظام الذي يخلقه ولا يخدم سوى مصالح الطبقات السائدة في هذا النظام — ، وما دامت تحفظاته على النظام قائمة فان تحفظاته على تسليح الجيش وزيادة عدده قائمة ، وهو لا يتردد في المطالبة بتحويل ميزانية الجيش [بتكوينه الحالي] الى التنمية والاعمار ، ويرى ان كل قرش يصرف على التسلح يرمى في البحر من دون فائدة ، ويؤكد « ما بعمري قلت ان النظام الحالي يحارب اسرائيل على الاطلاق ، دائما كنت اقول لا النظام الحالي ولا الجيش الحالي بيحاربوا اسرائيل ، لان هذا الجيش من هذا النظام » (النهار ٣٠/٧/١٩٧٣) .

فالى ان تقوم الجبهة الشرقية التي يلغمها النظام الاردني . والى ان تتحرك الجبهة المصرية التي نجهل سر جمودها رغم وجود الداعي السياسي والاداة العسكرية . والى ان تحسم القوى السياسية اللبنانية مسألة بناء الجيش ووضع الخطة الدفاعية . والى ان تمارس الدول العربية البترولية ضغوطها الفعلية على واشنطن،فان حركة الثورة الفلسطينية معرضة لضربات العدو المتحرر من كل قيد سياسي او عسكري الامر الذي يجعل أمنها (أمن قواعدها ومخيماتها ومؤسساتها وقياداتها) يحتل المركز الاول في اهتماماتها . ولا يمكن لهذا الامن ان يحقق اغراضه الا اذا كان أمنا دفاعيا — هجوميا ، وكان مسؤولوه يتمتعون بالكفاءة التقنية العلمية والخيال اللازم لكل ابداع.

المقدم الهيثم الايوبي

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٧/١٤ — ١٩٧٣/٨/١٣

الرقم	تاريخ العملية اليوم	تاريخ العملية الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	خسائر المقاومة جريح	خسائر المقاومة مفقود	المصدر	تاريخه
١	٧/١١ —	١١٤٠٠	طولكرم	اعدام(١)	مسدس	١	—	—	—	—	وفا	٧/٣
٢	٧/١٦ —	٧٤٣٠	الحرم الابراهيمي/ الخليل	هجوم	السلاح الابيض	١	الاستيلاء على سلاح احد الجنود	—	—	—	تصريح عسكرى رقم٧٥٤	٧/١٦
٣	٧/١٩ —	—	الخضيرة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير المجمع الرئيسي للهاتف	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٥٥	٧/١٩
٤	٧/١٩ —	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تم تفجير العبوة في سوق محني يهودا بالقدس	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٥٦	٧/١٩
٥	٧/٢٥ —	—	كريات اربع/الخليل	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من المصنع واندلاع النيران فيه	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٥٧	٧/٢٥
٦	٧/ ٧ —	٢١٤٣٠	بيسان/الغور الشمالي	تفجير	لغم	غيرمحدد	تدمير سيارة لاندروفر	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٥٨	٧/٢٥
٧	٧/٢٩ —	—	شمال بتاح تكنا	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	حرق ٩٠ دونما من الاراضي الحرشية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٥٩	٧/٣٠
٨	٨/ ٣ —	—	غزة	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير جزء من خط سكة الحديد وتعطيله	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٦٠	٨/ ٧
٩	٨/ ٦ —	—	عين يهاف/جنوب البحر الميت	تفجير	لغم	غيرمحدد	تدمير جرار زراعي	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٦١	٨/ ٧
١٠	٨/ ٦ —	—	بين اللد وتل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من مقهى ومطعم نوح	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٦٢	٨/ ٧
١١	٨/ ٦ —	٧٤٣٠	جنوب غرب(٢) القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير خط سكة الحديد وتدهور عربة واشتعال النيران فيها	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٦٣	٨/ ٧

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٧/١٤ ــ ١٩٧٣/٨/١٣

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	٧/١٦	٧٤٣٠	الحرم الابراهيمي/ الخليل	هجوم	السلاح الابيض	ــ ١	ــ	ــ	ــ	١	ن٠ عدد ٢٧١ ص ٢٨٨	٧/١٧
٢	٧/١٩	١٠٤١٧	القــدس	تفجير	زجاجة فيها مواد حارقة	ــ ٥	تفجير في سوق محني يهودا في القدس	ــ	ــ	ــ	ن٠ عدد ٢٧٤ ص ٣١٦	
٣	٨/ ٥	ــ	عين ياهف/جنوب البحر الميت	تفجير	لغم	ــ ١	تدمير الجرار الزراعي					

١ ــ تم تنفيذ حكم الشعب بالعميل عبد الكريم ابو مصيصه لتعاونه مع العدو الاسرائيلي ٠

٢ ــ اعترف العدو بالعملية مدعيا بان القطار قد خرج عن خطه مما ادى الى تعطيل حركة القطارات ، (نشرة رصد اذاعة اسرائيل [التي تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية] العدد ٢٨٨ ص ٤٤٨ بتاريخ ١٩٧٣/٨/٦) ٠

ملاحظة : تصــدر التصاريح العسكرية عن الاعــلام العسكري في القيــادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية ٠

غازي خورشيد

ملف عن
دول عدم الانحياز والقضية الفلسطينية

اولا : مقدمة :

كان لقاء بريوني عام ١٩٥٥ هو التعبير الاول عن ظهور كتلة دولية معادية للاستعمار ، والخطوة الاولى لتبلور فكرة عدم الانحياز . وعدم الانحياز كان في جوهره موقفا سياسيا في العلاقات الدولية يرفض الاستقطاب المطلق في العالم ويرفض الاحلاف العسكرية ، ويعتقد ان الاستقلال الوطني وحرية الاختيار لكل دولة هو الوضع الطبيعي للامور .

ولا شك في أن هذه الدول حين تتخذ موقفا يرفض ان يكون الحق للقوة ، فهي انما تحاول حماية نفسها عن طريق ايجاد عالم اكثر امنا بالنسبة لها، خصوصا وان تجمع دول عدم الانحياز جاء في أوج المواجهة الحادة بين المعسكرين الدوليين. **فمكافحة الاستعمار ، وتشجيع استقلال الدول المستعمرة، والفصل بين المعسكرين وكسر منطق الحرب الباردة ، وابعاد شبح حرب عالمية ثالثة ،** تنعكس في الشروط الخاصة بالانضمام الى دول عدم الانحياز . وقد تحددت هذه الشروط في مؤتمر تحضيري عقد عام ١٩٦١ في القاهرة تمهيدا للمؤتمر الاول لدول عدم الانحياز ، وكانت مهمته تحدد الشروط التي يحق للدول استنادا اليها ان تشترك في المؤتمر الاول وتدخل في دائرة الدول غير المنحازة . هذه الشروط هي :

١ ــ اتباع سياسة مستقلة تقوم على اساس التعايش السلمي .

٢ ــ عدم الاشتراك في اي تحالف عسكري جماعي.

٣ ــ تاييد الحركات التحررية الاستقلالية .

٤ ــ عدم الاشتراك في أي تحالف عسكري ثنائي مع الدول الكبرى وعدم السماح بوجود قواعد عسكرية اجنبية في اراضيها .

بين مؤتمر القمة الاول لدول عدم الانحياز الذي عقد في العام ١٩٦١ والمؤتمر الرابع الذي سيعقد في شهر ايلول (سبتمبر) من هذا العام ، حدثت تطورات عديدة، خاصة في الساحة الدولية،سيكون لها ولا شك أثر على اتجاهات المؤتمر القادم .

فالاستعمار بشكله التقليدي المباشر ، على الاقل، انحسر الى حد كبير ، وازدادت درجة استقلال الدول الصغرى والمتوسطة ، واتجهت الدول الكبرى لانهاء الحرب الباردة في اوربا ، وحدث تقارب بين المعسكرين ، وضعف التماسك الذي كان قائما داخل كل من المعسكرين وظهرت شقوق داخل كل منهما .

ولقد انعكست هذه التطورات ، وخاصة جو التهدئة العالمي ، على مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز الذي عقد في جورجتاون عام ١٩٧٢ . فظهر ان هذه الدول تشعر وتخشى ان يؤدي التفاهم وحل المشاكل بين الكبار الى اهمال قضايا الاقتصاد والتنمية للدول الصغيرة ، ولوحظ في هذا المؤتمر ان هم الدول اقتصادي بالدرجة الاولى .

وظهر في المؤتمر اتجاهان من الاراء حول الاتجاه العام لدول عدم الانحياز ودورها . أ ــ الاتجاه الاول يقول بأن مبدأ عدم الانحياز لا زال كما هو ، والمشكلة في التطبيق ، والمطلوب تنشيط دور دول عدم الانحياز . ب ــ اما الاتجاه الثاني فيقول بضرورة اعادة تقييم شاملة لدور هذه الدول في ضوء الواقع الجديد ، والتركيز على القضايا الاقتصادية والتجارية ، ومحاولة متابعة اثار التقارب بين الاقطاب والذي يقلب ، في نظرهم ، طريقة تطبيق مبدأ عدم الانحياز بأسره من عالم واقع وسط قطبين متناحرين ، الى عالم واقع وسط عالم يحكمه قطبان في طريقهما الى تعاون اوثق .

ليس لدول عدم الانحياز اطار تنظيمي معين تلتقي

في ظله ، بل هي تشكل ما يمكن تسميته بالالتقاء او التجمع . ولهذا لا تنبثق عن مؤتمرات هذه الدول هيئات تنفيذية لمتابعة القرارات او هيئات تمويلية ، كما لا تحدد مصادر للتمويل يمكن الاعتماد عليها . ويبدو ان هذا الامتناع عن اضفاء الطابع التنظيمي على مجموعة عدم الانحياز يهدف الى تجنب تعميق الخلافات بين دول المجموعة وتحاشيا لانفراط عقدها .

هذه الدول وان بدت انها لا تلتقي حول الفكرة العامة لعدم الانحياز ، الا انها ذات اتجاهات سياسية متباينة تظهر عندما تكون هناك قضايا تتطلب اتخاذ مواقف محددة . فبعض دول عدم الانحياز قد يسجل تحفظات على قضية عدوان اسرائيل على الدول العربية ورفض ادانة هذا العدوان . كما رفض مثلا ان يقبل بالجزائر عاصمة ومقرا لمؤتمر قمة عدم الانحياز عام ١٩٧٠ . وفي الامم المتحدة وعند التصويت على قضية سياسة تغير خريطة التصويت وتتخذ صورة تغلب عليها الجوانب السياسية والاستراتيجية . وحين تلتقي الدول ذاتها في مؤتمر للتجارة الدولية مثلا تتغير خريطة التصويت ويصبح الحلفاء غير الحلفاء .

ثانيا : قرارات مؤتمر عدم الانحياز بشأن فلسطين:

عقدت حتى الان ثلاثة مؤتمرات قمة لدول عدم الانحياز ، كما عقد عدد من المؤتمرات التحضيرية او التمهيدية . اما مؤتمرات القمة الثلاثة فهي :

المؤتمر الاول عقد في بلجراد عام ١٩٦١ .

المؤتمر الثاني عقد في القاهرة عام ١٩٦٤ .

المؤتمر الثالث عقد في لوساكا عام ١٩٧٠ .

وسيعقد المؤتمر الرابع في الجزائر في شهر ايلول من هذا العام (١٩٧٣) .

كان الاجتماع الاول لدول عدم الانحياز الذي دعيت اليه منظمة التحرير الفلسطينية هو الاجتماع الاستشاري لهذه الدول الذي عقد في بلجراد في شهر تموز ١٩٦٩ . وقد حضرت منظمة التحرير المؤتمر بصفة « ضيف » . وفي مؤتمر وزراء الخارجية الذي عقد في جورجتاون عام ١٩٧٢ تقرر اعطاء منظمة التحرير صفة « العضو المراقب » بدلا من صفة « ضيف » ، وقد اعطيت الصفة لحركات التحرير التي دعيت الى المؤتمر كضيوف والمسجلة رسميا بهذه الصفة في مؤتمر لوساكا .

اما قرارات المؤتمرات بشأن فلسطين فهي :

١ — قرار المؤتمر الاول لدول عدم الانحياز — بلجراد ١٩٦١ : ادان المؤتمر « السياسات الامبريالية المتبعة في الشرق الاوسط » واعلن تأييده لاستعادة الحقوق الكاملة لشعب فلسطين العربي في ضوء ميثاق الامم المتحدة وقراراتها .

٢ — قرار المؤتمر الثاني لدول عدم الانحياز — القاهرة ١٩٦٤ : ادان المؤتمر « السياسة الاستعمارية » في الشرق الاوسط واعرب عن تأييده « لاستعادة شعب فلسطين العربي لجميع حقوقه الكاملة في ارضه بما في ذلك حقوقه الاصيلة والثابتة في تقرير المصير » .

٣ — قرار المؤتمر الاستشاري لدول عدم الانحياز — بلجراد تموز ١٩٦٩ : « ... وبعد أن استمع المؤتمر الى ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية يؤكد المجتمعون من جديد قرار دول عدم الانحياز عام ١٩٦٤ الذي اعلن فيه رؤساء دول وحكومات الدول غير المنحازة طبقا لميثاق الامم المتحدة تأييدهم الكامل لاعادة الحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني بعودته الى أرضه السليبة . ويعلن المجتمعون تأييدهم الكامل للشعب الفلسطيني في كفاحه من أجل التحرر من الاستعمار والعنصرية ومن أجل استعادة حقوقه ... » .

٤ — المؤتمر التحضيري لدول عدم الانحياز — دار السلام نيسان ١٩٧٠ : « ... في هذا الخصوص نادى المشتركون بتنفيذ قرارات الامم المتحدة الصادرة في هذا الشأن وخاصة قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، وطبقا لقرارات مؤتمرات عدم الانحياز السابقة ، فانهم يؤكدون ايضا ضرورة الاستعادة الكاملة لحقوق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه المغتصب ، ويعلنون تأييدهم الكامل لنضال الشعب العربي الفلسطيني من أجل التحرير ضد الاستعمار والعنصرية واعادة حقوقه المشروعة » .

٥ — قرار المؤتمر الثالث لعدم الانحياز — لوساكا ايلول ١٩٧٠ : « ان ملوك ورؤساء دول وحكومات عدم الانحياز ... ويؤكدون عدم جواز حيازة الاراضي بالقوة ويطالبون بالانسحاب الفوري من كل الاراضي التي احتلتها اسرائيل بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ . ويعلنون احترامهم الكامل للحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، وان صيانة هذه الحقوق شرط أساسي لتحقيق السلام في الشرق

الاوسط . ويطالبون بصيانة حقوق الشعب العربي في فلسطين في العودة الى اراضيهم ويؤكدون مساندتهم لهم في نضالهم لتحقيق حريتهم الوطنية في معركتهم ضد الاستعمار والصهيونية . ويؤكدون ضرورة التمسك بتنفيذ قرارات الامم المتحدة الخاصة بهذا الموضوع ... » .

٦ ـ مؤتمر وزراء خارجية الدول غير المنحازة ـ جورجتاون آب ١٩٧٢ : « ... اولى المؤتمر اهتماما خاصا بدراسة الوضع الخطير في الشرق الاوسط وادان استمرار اسرائيل في احتلالها الاراضي العربية كما أكد مساندته التي لا يحيد عنها لقضية الدول العربية العادلة والنضال العادل لشعب فلسطين العربي في سبيل استرداد حقوقه الوطنية ... » .

ثالثا : دول عدم الانحياز :

ان دول عدم الانحياز هي اجمالا الدول النامية ودول العالم الثالث ، وخاصة القارة الافريقية التي تشكل اكثرية ساحقة في مجموعة عدم الانحياز . ولقد ازداد عدد الدول المجموعة بشكل كبير بين المؤتمر الاول والمؤتمر الثالث .

ففي المؤتمر الاول كان عدد الدول ٢٥ دولة فقط بالاضافة الى مراقبين من ثلاث دول اميركية لاتينية. وحضر المؤتمر الثاني ٤٧ دولة بالاضافة الى مراقبين من عشر دول . اما في المؤتمر الثالث فكان عدد الدول ٥٤ دولة بالاضافة الى مراقبين من ثماني دول اميركية لاتينية . وهذه هي الدول التي حضرت مؤتمر لوساكا [باستثناء الدول العربية وعددها ١٢ دولة] :

افريقيا : ٢٩ دولة : اثيوبيا ، بوتسوانا ، توجو ، زامبيا ، سيراليون ، غانا ، الكاميرون ، كينيا ، ملاوي ، موريشوس ، جمهورية افريقيا الوسطى ، بوروندي ، داهومي ، السنغال ، الصومال ، غينيا ، الكونجو الديموقراطية (كنشاسا) ، ليبيريا ، مالي ، نيجيريا ، اوغندا ، تنزانيا ، رواندا ، سوازيلاند ، غامبيا ، غينيا الاستوائية ، الكونغو الشعبية (برازافيل) ، ليسوتو ، وموريتانيا .

آسيا : ٩ دول : افغانستان ، سيلان ، نيبال ، اندونيسيا ، لاوس ، الهند ، سنغافورة ، ماليزيا ، وقبرص .

اميركا اللاتينية : ٣ دول : جامايكا ، غيانا ، وكوبا .

اوروبا : دولة واحدة : يوغسلافيا .

الاعضاء المراقبون : ٨ دول : الارجنتين ، بيرو ، فنزويلا ، البرازيل ، ترينداد وتوباجو ، كولومبيا ، بوليفيا ، وتشيلي .

رابعا : علاقات دول عدم الانحياز باسرائيل ومواقفها من القضية الفلسطينية :

١ ـ الدول الافريقية :

تنبهت اسرائيل منذ وقت مبكر الى اهمية القارة الافريقية على الصعيدين السياسي والاقتصادي وبدأت تسللها الى القارة منذ العام ١٩٥٧ . وفي افريقيا ، والدول النامية عموما ، تجنبت اسرائيل اسلوب الاستعمار القديم ، وعرضت « خدماتها » لمساعدة « دول صديقة » في اهم المجالات التي تحتاجها الدول النامية والتي تركها الاستعمار القديم في مستوى الضعف . فاسرائيل ترسل الخبراء والمستشارين الى هذه الدول كما تستقبل الموفدين من هذه الدول لتلقي تدريبات مختصة في اسرائيل . وتشمل المساعدات والتدريبات التي تقدمها اسرائيل مجالات عدة : تنظيم وتدريب الجيش والشرطة ، والخدمة المدنية ،وشق الطرق والبناء ، ومجالات الزراعة المختلفة ، وتنظيم النقابات والتعاونيات ... الخ . وتقدم اسرائيل الان مساعدات لاكثر من ١٥ بلدا افريقيا . وقدرت المساعدات التي قدمتها عام ١٩٧٢ بـ ٥٥ مليون دولار ذهب معظمها الى الدول الاربع الاتية : نيجيريا ٤١ ٪ من مجموع المساعدات ، اثيوبيا ١٨ ٪ ، ساحل العاج ١٤ ٪ ، وكينيا ١١ ٪ . وقد حققت اسرائيل نتيجة لذلك علاقات وطيدة ونامية مع عدد كبير من الدول الافريقية .فلاسرائيل الان تمثيل دبلوماسي مع ٢٧ دولة افريقية ، وتتخذ بعض هذه الدول من القدس مقرا لممثليها الدبلوماسيين في اسرائيل . كما أن لاسرائيل ٢٠ اتفاقية للتعاون مع دول افريقية . كما تنعكس هذه العلاقات في المواقف التي تتخذها هذه الدول في الامم المتحدة . وتنعكس هذه العلاقات من جهة اخرى في نمو التبادل التجاري والاقتصادي . ففي البداية كانت اسرائيل تستورد من افريقيا اكثر مما تصدر لها ، اما الان فالصادرات الاسرائيلية في ازدياد بينما وارداتها تنخفض من افريقيا ، ومعظم

الصادرات الاسرائيلية هي صادرات صناعية تستورد افريقيا ما قيمته ١٠ ٪ من مجموع الصادرات الصناعية الاسرائيلية .

بعد عدوان اسرائيل عام ١٩٦٧ اتخذت بعض الدول الافريقية ، ذات الانظمة التقدمية ، مواقف تدين العدوان الاسرائيلي وتؤيد العرب . فقطعت غينيا علاقاتها باسرائيل ، وصنفت اسرائيل بعض الدول الاخرى على انها « مشكلة » على ذلك الاساس وهذه الدول هي : مالي ، تنزانيا ، زامبيا ، وبوروندي .

وفي نهاية عام ١٩٧٢ واوائل ١٩٧٣ تعرضت العلاقات الاسرائيلية والافريقية الى نكسة كبيرة حيث قامت خمس دول بقطع علاقاتها مع اسرائيل وهذه الدول هي : اوغندا ، تشاد ، مالي ، النيجر ، والكونغو الشعبية (برازافيل) .

وتخشى اسرائيل ان تتعرض لمزيد من النكسات خصوصا في بعض دول غربي القارة والتي يكثر فيها السكان المسلمون مثل السنغال ، الكمرون، ونيجيريا . ونتيجة لذلك بدأت اسرائيل تركز علاقاتها مع دول جنوب القارة بشكل خاص مثل :

بوتسوانا ، وسوازيلاند ، وليسوتو . وهي دول تدور في فلك النظام العنصري بجنوب افريقيا . وقررت اسرائيل فتح ثلاث سفارات لها في كل من رواندا ، سوازيلاند وبوتسوانا .

وفيما يلي أبرز علاقات الدول الافريقية (عدم الانحياز) مع اسرائيل :

اثيوبيا : ان العلاقات بين اثيوبيا واسرائيل من أقدم واقوى العلاقات . فهيلاسلاسي يعتبر نفسه من سلالة داوود ويصر على أن يحمل لقب « أسد يهوذا » . والوجود الاسرائيلي واضح في كافة نشاطات الحياة في اثيوبيا . فالاسرائيليون يشرفون على تنظيم السير وهندسة الطرقات في العاصمة ، والمسؤول عن مرفأ اثيوبيا الرئيسي اسرائيلي ، ويشرف الاسرائيليون على صناعة الادوية ، كما يوجد مشرفون في مراكز استشارية وتدريبية هامة في الجيش الاثيوبي ، ويعملون الى جانب القوات الاميركية ، وكذلك في المخابرات . واثيوبيا وان كانت تقف الى جانب تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر عام ٦٧ الا انها لا تخفي تأييدها الكامل لاسرائيل . وتعبر عن ذلك في الامم المتحدة بموقفها القائل بعدم فصل سحب القوات عن القضايا الاخرى .

جمهورية افريقيا الوسطى : لاسرائيل علاقات قوية ومتنوعة مع جمهورية افريقيا الوسطى . فقد كان لاسرائيل هناك بعثة وشركات . ونقلت جمهورية افريقيا الوسطى سفارتها الى القدس . الا ان العلاقات بين البلدين ساءت في اواسط العام ١٩٧١ حيث قامت جمهورية افريقيا الوسطى بتصفية شركة اسرائيلية تعمل في استخراج الماس وطردت العاملين فيها من البلاد .

وعلى الصعيد الدولي تتخذ جمهورية افريقيا الوسطى مواقف مؤيدة لاسرائيل كما تمثل ذلك في الامم المتحدة على اثر عدوان ١٩٦٧ وفي الدورة الاخيرة عام ١٩٧٢ .

اوغندا : تتخذ الان موقفا معاديا جدا لاسرائيل وتحاول اقناع بعض الدول الافريقية الاخرى لكي تحذو حذوها في قطع علاقاتها باسرائيل وتصفية الوجود الاسرائيلي بداخلها ومحاربتها في المجالات الدولية .

بوتسوانا ، وليسوتو ، وسوازيلاند : ان هذه الدول الثلاث [ويمكن ان يضاف اليها ايضا ملاجاسي وملاوي] دول صغيرة خاضعة الى حد كبير لتأثير ونفوذ جنوب افريقيا . ومن المعروف ان العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا قوية للغاية ، ويتعاون البلدان في أكثر من مجال وخاصة في المجال العسكري . وقد عمدت اسرائيل الى زيادة نفوذها في هذه الدول ولها بعثات فنية في ليسوتو وسوازيلاند وملاوي . وتتخذ هذه الدول مواقف مؤيدة لاسرائيل .

بوروندي : هناك علاقات دبلوماسية بين بوروندي واسرائيل الا انه يمكن القول ان هذه العلاقات ليست قوية اذ ليس لكل منهما ممثلون دبلوماسيون في البلد الاخر . بعد عدوان حزيران اتخذت بوروندي موقفا معاديا جدا لاسرائيل . وفي الامم المتحدة تعلن ان اسرائيل يجب ان تنسحب من الاراضي المحتلة . كما تعلن انه لا بد من حل المشكلة الفلسطينية .

تنزانيا : كان لاسرائيل وجود قوي في البداية في تنزانيا . وقد عمل نيريري ، الرئيس التنزاني ، لاخراج الخبراء الاسرائيليين. وعند عدوان حزيران اتخذت تنزانيا موقفا شديد العداء لاسرائيل . ثم اغلقت اسرائيل قنصليتها في زنزبار . وتأزمت العلاقات بين البلدين في اوائل عام ١٩٧٠ بسبب موقف تنزانيا المؤيد للعرب . وسحبت اسرائيل

سفيرها من دار السلام وتناقص عدد الدبلوماسيين الاسرائيليين هناك . الا انه هناك جماعة داخل الحكم في تنزانيا تميل الى اسرائيل وتقول بأن قطع العلاقات مع اسرائيل سيضر بالبلاد اقتصاديا وسياسيا .

توجو : لاسرائيل علاقات قوية في توجو ولها وجود ملموس هناك يتمثل بوجود بعثة اسرائيلية لتدريب الشباب ، كما ان اسرائيل تزود توجو بالاسلحة. وفي الامم المتحدة تقف توجو موقفا مؤيدا صراحة لاسرائيل ، تعبر عنه بالدعوة الى احترام سيادة وسلامة كل دول المنطقة .

داهومي : وداهومي ايضا من الدول التي لاسرائيل وجود قديم فيها . فاسرائيل مثلا هي التي أنشأت اليانصيب الوطني هناك ، كما ان لها بعثة ناحل في داهومي . وقد عبر رئيس جمهورية داهومي عن موقف بلاده تجاه القضية (١٩٧٢/٨/٢٩) بأن بلاده « تقف على الحياد في قضية الشرق الاوسط ، الا ان اسرائيل قد ساهمت بقسط وافر بتنمية فلاحتنا » . تقف داهومي في الامم المتحدة اجمالا مع اسرائيل . وسفارتها في القدس .

السنغال : لاسرائيل وجود في السنغال . فالشركة التي تتولى انتاج السكر في السنغال تكونت برأس مال صهيوني . ولاسرائيل بعثة لتدريب الشباب في السنغال . ومع ذلك فان السنغال تقف الى جانب القضية العربية في كل المجالات الدولية في الامم المتحدة ، عدم انحياز ، ومنظمة الوحدة الافريقية . وفي الامم المتحدة تكون السنغال عادة من الدول المبادرة الى تقديم مشاريع قرارات مؤيدة للعرب . وقد سبق للرئيس سنغور ان صرح بأن الطريقة التي أنشئت بها اسرائيل ألحقت اضرارا بمصالح الفلسطينيين الذين يعيش أكثر من مليون منهم في المخيمات . وفي السنغال تأييد شعبي وقوي للقضايا العربية . ويوجد فريق في الحزب الحاكم وفي الجمعية الوطنية يؤيد اسرائيل الا ان اثره محدود نظرا الى التأييد الشعبي العام للعرب وللنفوذ الشخصي للرئيس سنغور بين اعضاء الحزب .

سيراليون : وقفت سيراليون في المناسبات الدولية الى جانب اسرائيل . ساعدت اسرائيل سيراليون في بناء الاكاديمية العسكرية ، كما عملت ثلاث شركات اسرائيلية لاقامة وتشغيل مصفاة النفط في العاصمة فريتاون . بل وحدث على اثر حرب حزيران ان أعلن مفتي سيراليون امام ١٥ الف مسلم في احد المساجد « ان الاماكن المقدسة هي بين أيد صالحة تحت الاشراف الاسرائيلي » .

الصومال : في الصومال نظام تقدمي حدد هويته الى جانب نضال الشعوب المقهورة وضد الاستعمار والعنصرية في كل مكان . وتعتبر الصومال نفسها في حالة حرب مع اسرائيل . وليس لها بالطبع اية علاقات بها .

رواندا : وهي من الدول التي وقفت موقفا مؤيدا لاسرائيل ، صريح العداء للعرب . وتعبر رواندا عن ذلك بالوقوف الى جانب اسرائيل في المناسبات الدولية والدعوة الى المفاوضات بين العرب واسرائيل « لان الجهود لمحو اسرائيل قد كتب لها الفشل » . لاسرائيل بعثة ناحل في رواندا ، كما قررت اسرائيل اخيرا افتتاح سفارة لها هناك.

زامبيا : قدمت اسرائيل في السابق بعض المساعدات لزامبيا خاصة في مجال الزراعة . وكانت بينهما علاقات اقتصادية وتجارية قوية الا انها ضعفت شيئا بعد التأميمات التي حدثت في زامبيا . على الصعيد السياسي ليس لزامبيا بعثة دبلوماسية في اسرائيل وان كان للاخيرة سفارة في لوساكا . اما في المناسبات الدولية فزامبيا تتخذ موقفا مضادا لاسرائيل بصورة مستمرة . وتعتبر ان حل أزمة الشرق الاوسط يجب ان يتضمن الانسحاب الاسرائيلي كشرط مسبق لاية محادثات سلام ، وكذلك اعطاء حالة اللاجئين الفلسطينيين الاعتبارات الانسانية اللازمة .

غانا : كان لاسرائيل وجود قوي قديم في غانا حيث قدمت اسرائيل لغانا مساعدات في مجالات كثيرة : مدرسة طيران ، وبحرية وناحل وزراعة ...الخ. لكن المساعدات العسكرية صفيت تدريجيا . وتحسنت العلاقات بعد الاطاحة بنظام نكروما . وعبر رئيس مجلس الثورة في غانا عن تقديره للمساعدات التي منحتها اسرائيل لغانا في مختلف المجالات . كما تعتبر غانا اسرائيل دولة صديقة . والعلاقات التجارية نامية بين البلدين وكذلك العلاقات في الميادين الاخرى . وقد وقفت غانا بصورة مستمرة الى جانب اسرائيل في المحافل الدولية .

غينيا : كانت غينيا اول دولة تقطع علاقاتها باسرائيل اذ اعلنت ذلك في الخامس من حزيران ١٩٦٧ . وتعتبر غينيا اسرائيل أداة امبريالية ،

كما ترى بأنه لا يمكن فصل القضية العربية عن أماني الشعوب الافريقية . وهي تعتبر نفسها في صف واحد مع الشعوب العربية في محاربة اسرائيل والامبريالية .

غينيا الاستوائية : تتخذ غينيا الاستوائية موقفا معاديا لاسرائيل ومؤيدا للعرب وقضية فلسطين . فقد أعلنت في الامم المتحدة ان على اسرائيل ان تفهم ان الاسرة الدولية لن تبقى غير مبالية لاحتلالها الاراضي العربية ، وان السلام لن يتحقق بدون انسحاب اسرائيل والاعتراف بالحق الشرعي للفلسطينيين بتقرير مصيرهم .

الكمرون : تتخذ الكمرون موقفا اقرب الى تأييد العرب على الصعيد الدولي . لكن علاقاتها باسرائيل قوية . فمنذ العام ١٩٦٦ قام ضباط الجيش الاسرائيلي بانشاء شبكة « ناحل » في الكمرون ، كما عمل الخبراء الاسرائيليون على نشر القرى الزراعية الشبيهة « بالموشاف » في الكمرون. وفي الكمرون الان معهد تدريب يشرف عليه الاسرائيليون .

الكونجو الديمقراطية (زائير) : ان علاقات اسرائيل من اقوى العلاقات بزائير واعمقها في افريقيا . وزائير من الدول القليلة التي تتلقى مساعدات عسكرية بحتة من اسرائيل . وقد وقعت اتفاقية للتعاون العسكري بين البلدين في أيلول ١٩٧١ ، وتقضي باستمرار عمل المدربين الاسرائيليين في جيش زائير . كما توجد بين البلدين معاهدة صداقة تنص على تشجيع التبادل الثقافي .

الكونجو الشعبية : كانت الكونجو هدفا للتسلل الاسرائيلي . لكن النظام التقدمي هناك أدان العدوان الاسرائيلي بشدة ، ثم اخذت العلاقات تتدهور بين البلدين الى أن أعلنت الكونجو قطع علاقاتها باسرائيل في ٣١ كانون الاول ١٩٧٢ ونددت بالسياسة التوسعية لاسرائيل . وكان سبق للرئيس نجواي ان اعلن أن بلاده تدين السياسة الاسرائيلية العنصرية ، وان موقف بلاده واضح وصريح من مشكلة الشرق الاوسط. وان «سياستنا هي الدفاع عن فلسطين وحقوق شعبها ضد الدويلة المعتدية اسرائيل التي تخدم أهداف الاستعمار والامبريالية في المنطقة » .

كينيا : تحاول كينيا على الصعيد الرسمي ان تأخذ موقفا محايدا من أزمة الشرق الاوسط . فهي تعارض استمرار حالة الحرب ضد اسرائيل ، وفي الوقت نفسه لا توافق على احتلال اسرائيل للاراضي العربية . الا ان النفوذ الاسرائيلي قوي للغاية في كينيا وخاصة في المجالات الاقتصادية والثقافية . يساعد على ذلك النفوذ الاميركي والبريطاني القوي في كينيا . وتبذل اسرائيل الان جهودا للسيطرة على منطقة الساحل ، معقل الطوائف الاسلامية ، حيث تتمركز العناصر المؤيدة للعرب ، وخاصة بعد ظهور اتجاهات مؤيدة علانية للمقاومة الفلسطينية هناك . وتحاول اسرائيل من خلال عملائها الضغط على الصحافة المؤيدة للعرب ، كما تعمل لاقصاء العناصر المعادية لها عن مراكز الحكم .

ليبيريا : لاسرائيل علاقات متينة سياسية واقتصادية وفنية مع ليبيريا . تقف ليبيريا الى جانب اسرائيل في المحافل الدولية ، وتدعو جميع الاطراف لتنفيذ قرار مجلس الامن . وعبر رئيس ليبيريا عن هذا الموقف في رسالة له الى جولدا مئير عام ١٩٧١ ، اذ قال ان بلاده ستطلب من منظمة الوحدة الافريقية اتباع سياسة اكثر توازنا تجاه ازمة الشرق الاوسط . وقد نقلت ليبيريا سفارتها الى القدس .

ملاوي : تتخذ ملاوي موقفا عدائيا صريحا تجاه العرب ، وترتبط باسرائيل بعلاقات وثيقة في كافة المجالات . ولا ينفصل موقف ملاوي هذا عن سياستها العامة اذ هي تدور في فلك جنوب افريقيا وتؤيد بصراحة السياسات العنصرية لجنوب افريقيا وروديسيا ، وكافة السياسات الاستعمارية في افريقيا ، وملاوي ترفض ان توصف اسرائيل بالمعتدية ، وتعتبر عمل المقاومة الفلسطينية متعارضا مع ميثاق الامم المتحدة . وقد قيل عام ١٩٦٨ ان ملاوي ارسلت مئات المقاتلين للعمل في القوات العسكرية الاسرائيلية . ولم ينف رئيس ملاوي ذلك اذ قال « ان لدى الافريقيين اسبابا لمقاتلة العرب الذين استعبدونا قرونا طويلة ».

مالي : قطعت مالي علاقاتها مع اسرائيل في بداية هذا العام . وكانت مالي تتخذ موقفا معاديا لاسرائيل في المحافل الدولية وتعتبر ان هناك حربا بين الشعب الفلسطيني واسرائيل الا انها اتسعت الى أبعد من ميدان المعركة الاصلية . وتطالب ان تتخذ الامم المتحدة اجراءات عنيفة ضد اسرائيل كالطرد من عضويتها .

موريتانيا : لم تقم موريتانية أية علاقات مع اسرائيل على الاطلاق .

نيجيريا : ركزت اسرائيل على نيجيريا منذ وقت طويل بالنظر لاهمية هذه الدولة ، أكبر الدول الافريقية . ولاسرائيل علاقات بنيجيريا حتى قبل حصول الاخيرة على استقلالها . ووطدت اسرائيل علاقاتها باقاليم نيجيريا الثلاثة باستثناء الاقليم الشمالي حيث السكان مسلمون ويزيد عددهم على نصف سكان البلاد . تقدم اسرائيل لنيجيريا مساعدات مختلفة : مشاريع المياه ، شق الطرق ، اقامة الفنادق ، وتنظيم الزراعة .

ولاسرائيل عدة شركات تعمل في نيجيريا . وقد اهتزت العلاقات بين البلدين اثناء الحرب الاهلية في نيجيريا حيث قدمت اسرائيل مساعدات عسكرية الى بيافرا . تقف نيجيريا في المحافل الدولية مؤيدة للعرب ، الا ان علاقاتها باسرائيل ، خاصة العلاقات التجارية ، في نمو مستمر . فقد ارتفعت صادرات اسرائيل الى نيجيريا من ٢٤٥ مليون دولار عام ١٩٦٧ الى ٥ ملايين دولار عام ١٩٧١ ، في حين لا تكاد اسرائيل تستورد شيئا من نيجيريا ، اذ لا تزيد قيمة هذه الواردات على ٣٠ الف دولار فقط .

٢ ــ الدول الاسيوية :

عملت اسرائيل منذ البداية لتحقيق وجودها في آسيا ، واستطاعت اقامة علاقات قوية مع عدد من الدول خصوصا في الشرق الاقصى . الا ان هذا النجاح كان دون نجاح اسرائيل في افريقيا . وارسلت اسرائيل بعثاتها لبورما وكمبوديا ولاوس ونيبال وتايلاند والفلبين . وتعمل اسرائيل حاليا لتقوية علاقاتها مع عدد من هذه الدول خصوصا المرتبطة منها بالمعسكر الغربي بصورة صريحة ، مثل كمبوديا ، كوريا الجنوبية ، فيتنام الجنوبية ، تايلاند ، سنغافورة واليابان .

أما علاقات اسرائيل بالدول غير المنحازة في آسيا فهي عموما ضعيفة : فهناك اربع دول لا تقيم علاقات دبلوماسية مع اسرائيل ، وعلاقتها مع الهند ضعيفة . وتتخذ هذه الدول مواقف مضادة لاسرائيل كما سيتضح فيما يلي :

افغانستان : ليس لافغانستان أي نوع من العلاقات مع اسرائيل . وهي تقف باستمرار موقفا شديد العداء من اسرائيل في كل المناسبات . كما انها تؤيد قضية فلسطين والقضايا العربية بصورة دائمة وصريحة .

اندونيسيا : تقف اندونيسيا في المناسبات الدولية مؤيدة للعرب وضد اسرائيل . فاندونيسيا هي أكبر دولة اسلامية ولها علاقات تقليدية مع الدول العربية. الا ان علاقات النظام [المتمثل بسوهارتو] بالمعسكر الغربي مكنت اسرائيل من اقامة علاقات اقتصادية مع اندونيسيا . كما قامت بعثة اسرائيلية على اثر حرب حزيران بزيارة اندونيسيا وعرضت على المسؤولين هناك قطع غيار لطائرات الميج .

وفي بداية هذا العام صرح وزير خارجية اندونيسيا بانه ليست لدى اندونيسيا أية مشكلة بالنسبة الى الاعتراف باسرائيل بعد ان تسحب قواتها من الاراضي العربية طبقا لقرار مجلس الامن .

سنغافورة : تهتم اسرائيل اهتماما كبيرا بسنغافورة ــ المدينة ــ الدولة التي تعتبر هونج كونج ثانية. وتوطد علاقاتها معها ، وتقدم لها المساعدات والخبراء . وتتخذ اسرائيل من سنغافورة مركزا لتجنيد افراد من القوات المختلفة المنسحبة من فيتنام لا سيما الطيارين الاستراليين . وكان بين اسرائيل وسنغافورة علاقات عسكرية وثيقة حيث كان المستشارون الاسرائيليون يقومون بتدريب جيش سنغافورة كما ترسل هذه قواتها الى اسرائيل للتدريب على الدبابات التي اشترتها من اسرائيل عام ١٩٧٠ . الا ان سنغافورة قامت عام ١٩٧١ بابعاد كل الخبراء العسكريين الاسرائيليين بعد ضغط شعبي كبير احتجاجا على وجودهم . ويوجد بين البلدين اتفاقيات. ولاسرائيل علاقات اقتصادية وتجارية قوية مع سنغافورة اذ تأتي هذه في المرتبة الرابعة بين الدول الاسيوية التي تستورد من اسرائيل . وقد ارتفعت صادرات اسرائيل الى سنغافورة من ٣ ملايين دولار عام ١٩٦٩ الى ١٠ ملايين عام ١٩٧١ . وتستورد اسرائيل منها بحوالي ٢٤٥ مليون دولار . وتقف سنغافورة الى جانب اسرائيل في الامم المتحدة على الرغم من انها صوتت الى جانب اعتبارها عضوا مراقبا في دول عدم الانحياز ، اثناء مؤتمر جورجتاون .

سيلان : قطعت سيلان ، بعد ان جاءت بندرانيكه الى الحكم ، علاقاتها باسرائيل ، او بالاصح أعلنت تجميدها لهذه العلاقات الى ان تنسحب اسرائيل من الاراضي المحتلة .

لاوس : تحاول لاوس ان تتخذ موقفا واسعا من نزاع الشرق الاوسط . لكنها تمتنع عن التصويت

على القرارات التي تدين اسرائيل .

ماليزيا : ليس لماليزيا علاقات دبلوماسية مع اسرائيل وتقف ضدها في المناسبات الدولية . وترى انه لا يتحقق السلام في الشرق الاوسط دون احترام الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني . الا ان بين البلدين علاقات اقتصادية جيدة .

نيبال : تقوم بين نيبال واسرائيل علاقات دبلوماسية على مستوى سفارة . تحاول نيبال ان تأخذ موقفا متوازيا بالنسبة لازمة الشرق الاوسط . فهي لا تخفي عطفها على اسرائيل ، ولكنها في الوقت نفسه ترى ان على اسرائيل ان تنسحب من الاراضي المحتلة ، وانه لا بد من اعتبار مشكلة اللاجئين في أي حل .

الهند : تقف الهند الى جانب الدول العربية منذ قيام اسرائيل . ورفضت جميع المحاولات التي بذلتها اسرائيل لاقامة علاقات دبلوماسية معها ، واكتفت الهند باعترافها باسرائيل اعترافا واقعيا . ولاسرائيل قنصل عام في بومباي ، وتحاول اسرائيل نقل قنصليتها الى الهند الا ان هذه ترفض ذلك . وتحرص اسرائيل على ان تكون الهند نقطة انطلاقها نحو آسيا ولذا فان قنصلها هناك هو بدرجة مفوض ، مع العلم ان حزب المؤتمر الهندي مؤيد للعرب . الا ان لاسرائيل نفوذا في اوساط الصحافة وفي الاحزاب اليمينية الموالية لاميركا . تقف الهند مواقف مضادة لاسرائيل في كافة المجالات الدولية ، وأعلنت على لسان رئيسة وزرائها انها تدين اسرائيل ويجب التأثير عليها لكي تنفذ قرار مجلس الامن ، وانه « لا يمكننا تجاهل حق الشعب الفلسطيني المقدس في وطنه الذي طرد منه » .

قبرص : تقف قبرص الى جانب القضايا العربية بصورة دائمة . لاسرائيل سفارة في نيقوسيا ، وقد كان لقبرص تمثيل غير مقيم في اسرائيل الا انها ألغته منذ عام ١٩٦٣ . ويقول المسؤولون القبارصة — اليونانيون ان وجود السفارة الاسرائيلية يعود الى وقت قديم وكان نتيجة الضغط من تركيا . الا ان لاسرائيل علاقات قوية متعددة مع قبرص: علاقات ثقافية ، تبادل الوفود ، وتدريب قبارصة في شؤون الزراعة . وهناك اتفاقية تجارية بين البلدين ، وتزيد صادرات اسرائيل الى قبرص عن ٥ ملايين دولار في العام . وتزور قبرص أعداد كبيرة من السياح الاسرائيليين ، وللتشجيع على ذلك قامت اسرائيل بتخفيض رسوم السفر الى قبرص.

٣ — دول اميركا اللاتينية :

تعتبر دول اميركا اللاتينية ، بوجه عام ، كتلة الى جانب اسرائيل . وساعد على توطيد العلاقات بين اسرائيل ودول القارة عدة عوامل : النفوذ والتأثير الاميركي ، النفوذ الصهيوني من خلال الجاليات اليهودية ، والمساعدات الاسرائيلية التي تقدمها لدول القارة . ولاسرائيل بعثات عسكرية وغير عسكرية في عدد كبير من تلك الدول . والنفوذ الصهيوني قوي في وسائل الاعلام ، وكذلك النفوذ المالي . ففي عام ١٩٧٠ مثلا جمعت الطائفة اليهودية في الارجنتين (٤٥٠ الفا) مبلغ ٢٠٠ مليون دولار . وتعتمد اسرائيل على أصوات دول القارة في الامم المتحدة . ففي عام ١٩٧٠ عارضت ١٦ دولة فقط مشروع قرار اسيوي — افريقي ، كان منها ٨ دول من اميركا اللاتينية . وفي عام ١٩٧٢ قبلت اسرائيل عضوا مراقبا في منظمة الدول الاميركية .

*

بالنسبة لعدم الانحياز هناك ثلاث دول فقط تشترك في المؤتمرات كاعضاء عاملين هي : جامايكا ، غيانا ، كوبا .

تتخذ **جامايكا** بوجه عام موقفا مؤيدا لاسرائيل ، الا انها احيانا تقف الى جانب بعض القضايا العربية . وفي **غيانا** نظام تقدمي معادي لاميركا وتتخذ موقفا صريحا في تأييد القضايا العربية وكفاح شعبنا ، كما انعكس ذلك في مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز الاخير الذي عقد في غيانا . وبالطبع تقف **كوبا** الى جانب القضية الفلسطينية ونضال شعبنا . وتعلن دائما ان لا سلام في الشرق الاوسط دون الاحترام الكامل للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

الاعضاء المراقبون في مجموعة عدم الانحياز :

الارجنتين : في الارجنتين نفوذ صهيوني قوي للغاية ، خاصة وان الطائفة اليهودية تتركز اجمالا في العاصمة بوينس ايرس ، ويسيطر الصهيونيون على مفاتيح الحياة الرئيسية في البلاد . ويسيطرون على وسائل الاعلام ولهم نفوذ واسع في السياسة الخارجية والاقتصادية . وتشمل العلاقات بين اسرائيل والارجنتين مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والفنية . وتبذل اسرائيل نشاطا مكثفا في الارجنتين ، وتشتري منها حوالي ثلث ما تشتريه من جميع دول

القارة . الا ان هناك احتمالات كبيرة لتحول السياسة الارجنتينية بعد وصول الحركة البيرونية الى الحكم . ففي العام الماضي أعلنت هذه الحركة ممثلة في حزب العدالة الذي يضم الغالبية من نقابات العمال ، تأييدها للعرب وللقضية الفلسطينية ، وشكلت بالفعل لجنة باسم « لجنة الانصاف والتضامن مع فلسطين الحرة » .

البرازيل : منذ مدة والديكتاتورية العسكرية في البرازيل توطد علاقاتها المختلفة مع اسرائيل . وتسيطر المؤسسات الصهيونية على اكثر من ٩٠ ٪ من وسائل الاعلام في البرازيل . وقد نقلت المنظمة الصهيونية العالمية مركز نشاطها من الارجنتين الى البرازيل . وبين البلدين اتفاقية بشأن الاستخدام السلمي للطاقة الذرية . وتساعد اسرائيل البرازيل على دعم سلاحها الجوي .

بوليفيا : تقف بوليفيا موقفا صريحا في تأييدها لاسرائيل . وتعمل اسرائيل في استثمار الثروة المعدنية في بوليفيا . كما توجد بين البلدين اتفاقية تقدم اسرائيل بموجبها مساعدات لبوليفيا في عدد من المشروعات المختلفة وخاصة المشروعات الزراعية . وفي بوليفيا بعثة اسرائيلية .

بيرو : منذ عامين تصوت بيرو الى جانب القضية العربية في الامم المتحدة ، الا ان البيرو هي من الدول القليلة التي تتلقى مساعدات عسكرية مباشرة من اسرائيل .

تشيلي : تقف الى جانب القضية العربية . وقد هاجر عدة الاف من اليهود من تشيلي بعد حكم الليندي بسبب السياسة الاقتصادية لهذا النظام. النفوذ الصهيوني ضعيف في تشيلي وفي حكومة الليندي عناصر يهودية الا انها غير صهيونية .

فنزويلا : تقدم اسرائيل لفنزويلا مساعدات خاصة في المجالات الزراعية واستغلال المياه الجوفية . وفنزويلا مؤيدة لاسرائيل بوجه عام . سفارتها في القدس لكنها لا تعارض القرارات المؤيدة للعرب في الامم المتحدة .

كولومبيا : تقدم اسرائيل مساعدات تقنية الى جيش بوليفيا . وتقف كولومبيا صراحة الى جانب اسرائيل في المجالات الدولية . وبين البلدين اتفاقية تجارية .

يوغسلافيا : يوغسلافيا هي الدولة الاوروبية الوحيدة في مجموعة دول عدم الانحياز ويوغسلافيا لعبت دورا اساسيا في خروج دول عدم الانحياز كتجمع او كتلة دولة الى حيز الوجود . وتلعب دورا بارزا في محاولة تنشيط دور هذه الدول . منذ عدوان اسرائيل ٦٧ قطعت يوغسلافيا علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، وهي تقف موقفا شديدا في ادانتها للعدوان الاسرائيلي . وقد صرح مسؤولون يوغسلاف ان يوغسلافيا قدمت وتقدم دعما سياسيا وماديا للمقاومة الفلسطينية . الا ان تيتو صرح بانه يعتقد « ان هناك قسما من الفلسطينيين يريد تصفية اسرائيل وهو أمر لا اعتبره مقبولا » . ومع ذلك فان لاسرائيل علاقات اخرى بيوغسلافيا وخاصة في المجال التجاري اذ يبلغ حجم التبادل التجاري بينهما حوالي ٢٠ مليون دولار ، اي كما كان تقريبا عام ١٩٦٧ .

ملاحق :

١ ــ مواقف دول عدم الانحياز من القضية في الامم المتحدة ١٩٦٧ :

	تأييد	عداء	وسط		تأييد	عداء	وسط
أثيوبيا		—		السنغال	—		
جمهورية افريقيا الوسطى			—	سوازيلاند	—		
أوغندا	—			سيراليون		—	
بوتسوانا		—		الصومال	—		
بورندي	—			غامبيا		—	
تنزانيا	—			غانا		—	
توجو		—		غينيا	—		
داهومي		—		غينيا الاستوائية	—		
رواندا			—	الكامرون			—
زامبيا	—			زائير			—

	تأييد	عداء	وسط
الكونجو الشعبية	—		
كينيـــا			—
ليبـــيريـــا		—	
ليســـوتو		—	
ترينداد وتوباجو		—	
تشيلي		—	
فنزويلا		—	
يوغوسلافيا	—		
مـــلاوي		—	
مـــالي	—		
موريتانيا	—		
موريشوس			
نيجيريـــا	—		
افغانستـــان	—		
أندونيســـيا	—		

	تأييد	عداء	وسط
ســـنغافورة			—
ســـيلان	—		
لاوس			—
ماليزيـــا	—		
نيبـــال	—		
قبرص	—		
الهنـــد	—		
جـــامايكا		—	
غيـــانـــا		—	
كـــوبـــا	—		
الارجنتين		—	
البرازيل		—	
بوليفيـــا		—	
بـــيرو		—	

٢ — الدول التي لم تؤيد مشروع القرار الاسيوي — الافريقي الذي تبنته الامم المتحدة عام ١٩٧٢ :

افريقيا الوسطى ، توجو ، غانـــا ، ليبيريـــا ، بوليفيا ، فنزويلا ، وكولومبيا .
ليسوتو ، ملاوي ، لاوس ، سنغافورة ، البرازيل ،

٣ — دول عدم الانحياز التي قطعت علاقاتها باسرائيل بعد ١٩٦٧ :

يوغوسلافيا ، اوغندا ، غينيا ، مالي ، والكونجو الشعبية .

٤ — الدول التي نقلت سفاراتها الى القدس :

جمهورية افريقيا الوسطى ، زائير ، داهومي ، ليبيريا ، كولومبيا وفنزويلا .

٥ — الدول التي تتلقى مساعدات من اسرائيل :

مساعدات عسكرية : زائير ، سنغافورة ، وبيرو .

مساعدات خاصة :

البلد	المهنـــة	البلد	المهنـــة
داهومي	ناحل	ليسوتو	ناحل + شباب
توجـــو	ناحل	ملاوي	ناحل
السنغال	شباب		
سوازيلاند	شباب + ناحل	بوليفيا	ناحل
رواندا	ناحل	الكمرون	ناحل + معهد تدريب

٦ ــ تقييم عام لمواقف دول عدم الانحياز من القضية :

الدولة	جيد	سلبي	وسط	الدولة	جيد	سلبي	وسط
أثيوبيا		—		مالي	—		
جمهورية افريقيا الوسطى			—	موريتانيا	—		
أوغندا	—			موريشوس		—	
بوتسوانا		—		نيجيريا			—
بوروندي			—	افغانستان	—		
تنزانيا	—			اندونيسيا			—
توجو		—		سنغافورة		—	
داهومي		—		سيلان	—		
رواندا		—		لاوس		—	
زامبيا	—			ماليزيا	—		
السنغال			—	نيبال			—
سوازيلاند		—		الهند	—		
سيراليون		—		قبرص			—
الصومال	—			جامايكا			—
غامبيا				غيانا	—		
غانا		—		كوبا	—		
غينيا	—			الارجنتين			—
غينيا الاستوائية	—			بوليفيا		—	
الكمرون			—	بيرو		—	
الكونجو الشعبية	—			تشيلي	—		
كينيا			—	فنزويلا		—	
ليبيريا		—		كولومبيا			—
ليسوتو		—		يوغوسلافيا	—		
ملاوي		—					

* تدم مركز الابحاث هذه المذكرة الى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة للدول غير المنحازة في الجزائر .

عارف العارف فلسطيني فريد

كنا في شؤون فلسطينية نترقبه طيلة شهر يوليو . فقد اتصل بنا منذ اشهر ووعدنا بزيارة مركز الابحاث ، كعادته في كل صيف عندما يأتي الى لبنان لقضاء اسبوعين او ثلاثة أسابيع في ربوعه ، في الاسبوع الاول من يوليو . ولكن عارف العارف تخلف عن المجيء الينا هذا الصيف . وجاءنا بدلا منه ، اخبار انتقاله الى رحمته تعالى .

عارف العارف فلسطيني فريد .

بعد مشاركة فعلية في النضال الفلسطيني ضد الصهيونية (كان في الواقع احد قادة واحدة من اول الثورات الفلسطينية في مطلع العشرينات) ، وبعد تسلم مسؤوليات سياسية وادارية في فلسطين وفي شرق الاردن ، اختار لنفسه متابعة الخط الذي بدأه منذ مطلع الانتداب البريطاني على فلسطين : العمل لفلسطين عن طريق تأريخ فلسطين . ولمدة نصف قرن وعارف العارف يؤرخ لفلسطين . حتى أصبح ، بحق ، عميد المؤرخين الفلسطينيين .

أرّخ المدن الفلسطينية (القدس ، غزة ، بئر السبع ، الخ ...) . وأرّخ الاحداث الفلسطينية (نكبة ١٩٤٨ ونكبة ١٩٦٧ الخ ..) وأرخ الجماعات الفلسطينية (عشائر البدو ، مثلا) . واهتم بالاثار الفلسطينية ، واحبها ودرسها ، واشتغل ، لمدة طويلة ، قيما على المتحف الفلسطيني في القدس . واهتم بالكتب ، وطالعها واقتناها . وانشأ في بيته مكتبة هي من أغنى المكتبات العربية الخاصة في فلسطين بعد نكبة ١٩٤٨ .

ولكن اسهامه الاكبر في التاريخ الفلسطيني كان في مجال آخر : في اوراقه ويومياته التي كان يسجل فيها ، ولمدة خمسين سنة كاملة ، أحداث فلسطين يوما فيوما ، وأحيانا ساعة فساعة — حتى أصبحت اضخم مجموعة من المعلومات عن الاحداث الفلسطينية، وادقها واقربها الى الاحداث .

وانه ليشرف مركز الابحاث ان يكون قد حصل على جزء كبير من هذه اليوميات . فمنذ ثلاث سنوات وعارف العارف يزود المركز باجزاء متلاحقة منها . كنا نهربها من الارض المحتلة بطرق شتى لنضمن وصولها سالمة . وقد تجمعت لدينا ، حاليا ، اثنتا عشرة مجموعة كاملة . وهي تؤرخ الاحتلال الاسرائيلي لما تبقى من فلسطين منذ صيف ١٩٦٧ . ويدور معظمها حول العنف الاسرائيلي في معاملة عرب فلسطين . فيها سجلات كاملة بأسماء الفلسطينيين الذين استشهدوا ، والذين سجنوا ، والذين عذبوا ، والذين هدمت بيوتهم ، والذين ابعدوا .

انها سجلات ثمينة ووثائق في غاية الاهمية . وقد استعملها مركز الابحاث ، ولا يزال، في العديد من دراساته ومذكراته في فضح الوحشية الاسرائيلية .

ومن الصدف ان يكون المركز قد طبع هذه الاجزاء الاثني عشر واعدها لتكون في خدمة الباحثين المتخصصين من خارج المركز في الشهر نفسه الذي غاب فيه عارف العارف عنا الى الابد . وقد قصدنا من طبعها تسهيل اقتنائها على المكتبات والمراكز المتخصصة الاخرى ، حتى لا يحتكر مركزنا لوحده مجال الافادة منها . ويجد القارىء في مكان آخر من هذا العدد اعلانا عن هذه الوثائق وكيفية الحصول عليها — اذ انها لن تعرض في المكتبات لان عدد النسخ المطبوعة منها محدود .

رحم الله عارف العارف .

غيره كان يحفظ معلوماته وخبراته في ذاكرته ، ويغلق عليها ، الى أن تموت معه . اما هو فكان يسجل ويسجل ، ويجمع ويستفسر ويتحرى . وكان يقول لنا : انا اعطيكم المعلومات وانتم تستفيدون منها وتحفظونها من بعدي وتنشرونها . وها نحن اليوم ننشر ، في الاف الصفحات ، مجموعة قيمة من هذه الوثائق . ولكن صاحبها يغيب عنا قبل أن يسمع كلمة الشكر منا .

لقد أعطى الكثير . وستظل ذكراه عطرة ما دامت كتبه ووثائقه مصدرا أساسيا لكل دارس فلسطيني .

أ. ص.

صدرت عن مركز الابحاث

المجموعة الكاملة لأعمال

عارف العارف عن الاحتلال الاسرائيلي

في اثني عشر مجلداً:

١ ــ سجل الخلود (أسماء شهداء حرب فلسطين ١٩٦٧) .

٢ ــ الفلسطينيون في سجون اسرائيل .

٣ ــ المعذبون في السجون الاسرائيلية من أبناء فلسطين .

٤ ــ الفلسطينيون المبعدون عن بلادهم .

٥ ــ الدور الفلسطينية التي هدمها الاسرائيليون .

٦ ــ غزة نافذة على الجحيم .

٧ ــ أحداث رفح ومأساة البدو من أهلها .

٨ ــ مأساة البدو في النقب وقطاع بئر السبع .

٩ ــ مآخذي على الحكم الاسرائيلي في القدس .

١٠ ــ مذكراتي عن نشاط المقاومة الفلسطينية ١٨/٥/٧٠ ــ ٢٧/١٢/١٩٧٣ .

١١ ــ مذكراتي عن المساعي السلمية .

١٢ ــ عمان تحترق وسط سيل من الدماء والدموع .

اطلبها من : مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت

تلفون : ٢٢٦٥٨٥

سعر المجموعة ٧٥ ليرة لبنانية عدا أجور البريد .

عدد محدود جداً من النسخ المطبوعة على الاوفست